

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدراسات العليا والبحوث والحضارية

الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين

في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب

سيد محمد سلمان الدهري

إشراف

الأستاذ الدكتور أحمد السيد زريع

١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرموز

=====

مج	=	مجلد
ع	=	عمده
ق	=	قسم
د و ت	=	دئون تاريخ طباعه

القدم

بسم الله الرحمن الرحيم

=====

الحمد لله الذي علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على اشرف
خلق الله محمد بن عبد الله بعثه بالحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور محمد :-
ان علم التاريخ من أجل العلوم قدرا ، وكفاه شرفا ان الله جل جلاله
ضمن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأخبار الأمم
الماضية والقرون الخالية فقال جل وعلا : - (كذلك نقص عليك من انباء
ما قد سبق (٠٠٠) " ١ " وقال : (ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم
وحصيد (٠٠٠) " ٢ " .

لقد حبب الله الى هذا الحقل من الدراسات منذ فترة مبكرة من حياتي
العلمية ، وما أن بدأت دراستي الجامعية حتى بدأت عظمة حضارتنا الاسلاميه
تتجلى أمام ناظري فأخذتني روعتها وازداد شوقي لبراز معالمها حتى اذا ما انتهيت
من تلك المرحلة وانتقلت الى مرحلة الدراسات العليا التاريخية ، أخذت ابحت
عن موضوع لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي ، وفي بحثي هذا كنت في
حيرة من أمرى فكل جزء في عالمنا الاسلامي يشدني الى التحقق في دراسته .
وخلال ذلك سمعت صوتا متهدجا حزينا يندلق من فردوسنا المفقود فاجذبت اليه
واستهوتني روائعه الحضارية ، وأبكني مآسيه الداميه فحكفت على المصادر الأندلسيه
أقرأها لملي اخر على جزئية ادرسها .

وسرطان ما تبين لي أن فهم تاريخ هذه البقعة مرتبط ارتباطا عضويا بفهم تاريخ
المغرب الاسلامي ، فمن المغرب انطلق الفاتحون الاوائل نحو الأندلس ، كما

١ - طه ، آية ٩٨ .

٢ - هود ، آية ١٠٠ .

أن الأندلس ارتبطت بتاريخ المغرب ودخا من الزمن في عهود مختلفة ، ومن شمس
أخذت أبحث عن موضوع أجمع فيه بين هذين القطرين الغاليين على قلوبنا ،
ولما استقر هذا الأمر في ذهني نظرت حولي فإذا بأوضاع المسلمين تتصدع لها
الجبال وتبكي لها المرن دما لما هم فيه من تفرق وضعف فرأيت من الواجب أن يكون
موضوع أطروحتي يتناول صفحة مشرقة من تاريخنا تعيد الثقة لابناء ديني في تاريخهم
المجيد .

وأخذت اتصل بسعادة الاستاذ الدكتور أحمد السيد دراج الذي كان منذ
فترة قد بدأ يوجه بعضا من طلاب الدراسات العليا التاريخيه نحو الدراسات
الأندلسيه والمغربيه وأشرف على العديد من الرسائل الجامعية في هذا الحقل ،
فأخذ يلفت انتباهي نحو دولة لعبت دورا رائعا في تاريخ المغرب والأندلس
وهي دولة المرابطين .

ومع تأمل تاريخ هذه الدولة استقر الأمر في النهاية على أن تكون ((الأحوال
السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف
ابن تاشفين)) موضوع لأطروحتي . وهذا الاختيار جاء بعد أن أجريت مسحا
للدراسات التي قدمت في تاريخ هذه الدولة والتي انصب عليها على فترة التأسيس
وعهد يوسف بن تاشفين ومكتفية بالاشارة العابرة لعهد علي بن يوسف ودون أن -
تكشف عن الدور الخليل الذي قام به علي بن يوسف في هذه الحقبة في مجال
الجهاد والحضارة الاسلاميه . ولعل المؤرخون لم يدركوا أهمية هذا العهد في
تاريخ المغرب والأندلس وفي تاريخ الحضارة الاسلاميه ، وما خلفه من تراث مجيد
بقيت أوروبا تستضيء بنوره في مجال الطب والصيدله والجغرافيا والأدب حتى عهد
قريب . فهو عهد ابن زهر ، وابن باجه ، والادريسي ، وابن رشد ،
وابن العربي ، وابن خفاجة ، وابن خاقان ، عهد الموشحات والأزجال ،
وعهد الجهاد ومقاومة أعداء الله والذي آخر سقوط الأندلس عدة قرون ، وعهد
التقدم الصناعي ، والتجاري ، والزراعي ، والعمراني . وهو العهد

الذى نشأت وترعرعت فيه دعوة من أخطر الدعوات التي ظهرت في المغرب وهى
دعوة محمد بن تومرت التي قضت في نهاية الأمر على دولة المرابطين • وموجز
القول فان هذا العهد يمثل قمة الازدهار الحضارى لدولة المرابطين • وفي نفس
الوقت يمثل بداية الانهيار والسقوط لهذه الدولة •

وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع الا أني لم أجد أحدا من الباحثين فيما أعلم
قد بحثه بشكل متكامل يبرز جوانبه الحضارية والسياسية ويلقي ضوءا ساطعا على
ما خلفه من آثار تستحق العناية • فقد عرج عليه الباحثون على عجل في الوقت
الذى أسهبوا فيه في عهد يوسف بن تاشفين • ومن هؤلاء حسن محمود فسي
اطروحاته لنيل درجة الدكتوراه التي كان موضوعها قيام دولة المرابطين • والسعيد
محمد مجيد في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في الشعر في عهد المرابطيين •
وخليل إبراهيم صالح البشير في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه عن علاقات المرابطيين
بالممالك النصرانية بالأندلس والدول الإسلامية • وعصمت هانم عبد اللطيف فسي
اطروحتها لنيل درجة الماجستير عن دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا •
وعبد رب النبي محمد في أطروحته لنيل درجة الماجستير عن مسكوكات المرابطيين
والموحدين في شمال افريقيا والأندلس • كما كتب رضا عبد الجليل الطيار عن
الدراسات اللغوية في الأندلس منذ مطلع القرن السادس الهجرى حتى منتصف القرن
السابع الهجرى • وكتب ميراثه مقالة في • مجلة تطوان عن علي بن يوسف
وأعماله في الأندلس • هذا بالإضافة الى دراسات أخرى عن المرابطين رسمت
صورا جزئية لا تتروى ظمًا الباحث الذي يهدف الى رسم صورة متكاملة عن عهدهم
ودولتهم • ولكننا نلتصم للمؤرخين بعض العذر في احجامهم عن الافاضة في بحث
هذه الفترة • والتوسع في الدور الذى لعبه علي بن يوسف في مجال الحرب
والسياسة والحضارة لقلّة المادة العلمية • فقد ضاعت مصادر كثيرة عن هذا العصر
على درجة كبيرة من الأهمية • مثل كتاب الانباء في سياسة الرؤساء • وكتاب
الأنوار الجليلية في اخبار الدولة المرابطية لابن الصيرفي • ويجب في هذا الصدد

أن لا ننسى ما قام به الموحدون اعداء الدولة المرابطية من اعمال تخريب وطمس لكل ما يشرف هذه الدولة ، فلم يصلنا من المصادر المرابطية المعاصرة الا النزر اليسير . كما لا يخفى على الباحثين صعوبة جمع المصادر والمراجع لمثل هذا البحث لا انتشار أصولها في عدة مكتبات عالمية .

على الرغم من كل ذلك أقدمت على دراسة هذا الموضوع ودقات قلبي تتسارع خشية أن تصرفني ضحالة المادة العلمية عن امانة اللثام عن تاريخ هذه الحقبة . ولكنني بحون الله وتوفيقه عثرت على المصادر والمراجع التي غطت معظم جزئيات الموضوع وأبرزت بقدر المستطاع أهم معالمه السياسية والحضارية .

وقد قسمت بحثي الى اربعة ابواب تحوى أحد عشر فصلا مسبقة . بتقديم مقدمة وبحث في أهم المصادر والمراجع وتمهيد ، ثم ختمت البحث بخاتمة أبرزت فيها نتائج دراستي لعهد علي بن يوسف بن تاشفين . وفي تحليل المصادر تحدثت عن بعض المصادر الفقهية ، وكتب التراجم ، والمذكرات الخاصة ، وعن مجموعات الوثائق ، ودواوين الشعر ، وكتب التاريخ الاندلسي المعاصر ، ثم عن المصادر المشرقية ذات القيمة ، وعن الموسوعات الجغرافية ، وعن بعض المصادر المفقودة والتي اعتمد عليها بعض المتأخرين امثال ابن عذارى ، وابن الخديب ميرزا خلال العرض أهمية هذه المصادر بالنسبة لموضوع بحثي . هذا ولم تغتني الاشارة الى أهم المراجع الحديثه التي تناولت تاريخ المرابطين لا سيما ما كان منها خاصا بموضوع البحث .

أما التمهيد فقد عرضت فيه لأحوال العالم الاسلامي في المشرق والمغرب موضحا ما كان يعانيه من تفكك وضعف في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، ثم تحدثت عن دولة المرابطين من النشأة حتي وفاة يوسف بن تاشفين حينها أهدمت منجزاته في مختلف المجالات .

وخصصت الباب الأول للأحوال الداخلية في دولة المرابطين في عهد علي ابن يوسف بن تاشفين ، ويقع هذا الباب في ثلاثة فصول : الأول منها تحدث فيه عن ولاية علي بن يوسف بن تاشفين للحكم ، وبرزت كيف تمت بيعته في حياة والده ، والشروط التي اشترطها عليه والأسباب التي حدثت بيوسف الى اختيار ابنه علي على الرغم من أنه لم يكن أكبر اخوته ، كما تكلمت عن أهم سمات شخصيته ، أما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن الثورات والفتن في المغرب والاندلس من عام ٥٠٠ حتى ٥٣٧ هـ / ١١٠٦ - ١١٤٢ م وعرضت فيه لعدة ثورات منها ثورة فاس ، وثورة أبي بكر بن علي في غرناطة ، وثورة ابن الحاج في قرطبة ، وثورة الرعية فيها ضد واليها ابن رواد ، وثورة العامة في قرطبة على اليهود ، وثورة العامة فيها ايضا ضد القاضي ابن رشد ، وثورة العامة في اشبيلية ضد القاضي ابن العربي . والفصل الثالث افردته لثورة المهدي ابن تومرت التي كانت معولا من معاول الهدم في جسم الدولة المرابطية ، ومثالا للدعوات المنحرفة التي تقوم على تعاليم فاسده . فتحدثت عن فكرة المهدي وكيف استغلت في حقب التاريخ لتحقيق طموحات بعض الشخصيات على حساب الدين ، وكيف أن هذه الثورة كانت نتيجة للصراعات بين قبائل البربر . كما تحدثت عن نسب ابن تومرت ، ورجحت عدم نسبته العلمية ثم نوهت بأثر العوامل الجسمية والاقتصادية والسياسية والثقافية في دعوته ، ورجحت عدم لقاء ابن تومرت بالفزالي ، كما تتبعتم مراحل دعوته ، وما تعرض له من طرد وسجن في المشرق والمغرب ، وعلان مهديته وطرده من مراكش مشيرا الى جرائمه الدموية واعتماده على المكر والخداع لتثبيت عقيدته في نفوس اتباعه ، وتتبعتم ايضا مراحل الصراع المسلح بين الموحديين والمرابطين الذي بدأ في عهد علي بن يوسف واستمر الى أن سقطت دولة المرابطين على يد الموحدين . وإذا كانت دعوة محمد بن تومرت قد نجحت في اسقاط دولة المرابطين الا أن أتباعه مالبثوا بعد فترة من الزمن أن تخلوا عن مهديته وعلنوا زيفها واسقطوا اسمه من السكة والخطبه .

وعقدت الباب الثاني للعلاقات السياسية للمرابطين مع العالم الاسلامي ، ويقع في فصلين : الأول منها افردته لعلاقة دولة المرابطين ببني هود في سرقسطه

وروطه ، وتحدثت فيه عن أهمية سرقسطه الاستراتيجية والاقتصادية والثقافية ، وتطور علاقتها مع المرابطين منذ عهد يوسف بن تاشفين وحتى سقوطها بيد النصارى عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، وعوامل هذا السقوط ونتائجه على المرابطين والنصارى . ثم تتبعت علاقاتهم ببني هود في روطه حتى وفاة آخر حاكم من حكام بني هود عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م مشيراً في أكثر من موضع لعلاقات بني هود بالممالك النصرانية .

وشمل الحديث في الفصل الثاني علاقات المرابطين مع إمارة بني زيري ، فقد تضافرت جهود بني زيري والمرابطين في صد غارة النورمات ، كما كانت العلاقات المرابطية المباسية على أفضل ما يكون كما تدل على ذلك وثيقة جديدة اشترت اليها في البحث . هذا ولم تكن العلاقات بين الدولة المرابطية والدولة الفاطمية منقطعة كما يظن ، فقد اشترت أيضاً على وثيقة تدل على وجود مراسلات بينهما .

وجعلت الباب الثالث لجهاد علي بن يوسف للممالك النصرانية ، وذلك في فصلين : الأول خاص بجهاده ضد مملكة قشتالة وقلمرية ، والثاني لجهاده ضد ملكتي ارغوى وورشلونه وداخل الجزائر الشرقية . وفي هذه الدراسة تحدثت عن أشهر المعارك الحاسمة التي خاضها المرابطون ضد تلك الممالك مخضعا إياها للتحليل والنقد لمعرفة أسباب النصر والهزيمة فيها ، ونتائج ذلك على الطرفين ، ومشيراً في نفس الوقت إلى صليبية هذا الصراع .

وأفردت الباب الرابع لأهم مظاهر التطور الحضاري في دولة المرابطين ، ويقع في أربعة فصول : تحدثت في الأول منها عن نظم الحكم والادارة مبينا صلاحيات أمير المسلمين ، ونظام ولاية العهد ، وعن الجيش والأسطول ، وعن نظام القضاء والخطط المتفرعة عنه .

وخصصت الفصل الثاني للحياة الاقتصادية والاجتماعية وتحدثت فيه عن الزراعة وأهم المحاصيل المنتجة ، وجهود الدولة في عجلة الحياة الاقتصادية إلى الامام ، وعن حركة التجارة الداخلية والخارجية ، والصناعة ، كما تحدثت

عن الحملة المرابطية • وفي هذا الفصل أيضا عرضت بالدراسة للحياة الاجتماعية •

أما الفصل الثالث فقد خصصته للحركة الفكرية ، وحاولت فيه الرد بالدليل الدافع على كل من رعى هذه الدولة بالتخلف والهمجية ، وأبرزت دور حكامها في دفع عجلة التقدم العلمي عن طريق مشاركتهم في طلب العلوم المختلفة • فقد اشتغل علي بن يوسف بن تافيقين وبعض ولاته واقاربهم في تحصيل العلم والرحيل من أجدادهم ، وحضوا أبناءهم على طلبه ، بل تعدى الأمر إلى مشاركة بعض النساء المرباطيات فيه ونبوغهن في مجالات متعددة منه • كما أشرت إلى أهم مراكز الإشعاع الحضاري في الدولة وعوامل ازدهار الحركة الفكرية في هذا العهد • ثم أخذت أعرض لكل فلاح من فروع العلم التي ازدهرت في هذه الحقبة مبرزاً أهم من نبغ فيه وما أضافوه من جديد في كل ميدان • فتحدثت عن العلوم الشرعية من حديث وقراءات وتفسير ، ثم علوم اللغة العربية من أدب وشعر ونثر ونحو ، وعن الجغرافيا والتاريخ والأنساب ، والفلسفة ، والصيدلة والطب •

وفي الفصل الرابع تناولت بالدراسة العمارة والفنون الإسلامية في عهد علي بن يوسف ، وفي هذه الدراسة أشرت إلى العوامل التي تحكم فيها • وقد قسمت حديثي عن هذا الموضوع إلى ثلاثة أقسام : الأول يشمل الحديث عن العمارة المدنية المتمثلة في عمارة المدن والمرافق العامة والقصور ، والثاني عن العمارة الدينية وتشمل المساجد وما يتعلق بها ، والثالث عن العمارة العسكرية من قلاع وأسوار ، ثم ختمت دراستي لهذا الجانب بالحديث عن الفنون الزخرفية •

وفي الخاتمة تحدثت عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لهذا العهد •

وفي نهاية هذا العرض لا يفوتني أن أسجل خالص شكرى وتقديرى لسعادة الاستاذ الدكتور أحمد السيد دراج المشرف على هذه الرسالة لما جبانى به من رعاية وتوجيه كان لهما اثر كبير في اخراج هذه الرسالة على هذا الشكل فجزاء الله عني كل خير

كذلك اسجل شكرى لكل من استرشدت بجهودهم في هذا البحث والذين سبقونى في بحث تاريخ دولة المرابطين ، فقد أخذت من مؤلفاتهم ولمست معانياتهم وجهدهم في البحث والتنسيق والتبويب وحاولت أن أضيف لما صنعوه بعض ما فاتهم سواء من حيث الموضوع أو من حيث الشكل ، وربما خالفتم في بعض ما ذهبوا اليه فذلك من سمات حرية الفكر في البحث العلمي . كما اتوجه بالشكر والتقدير لكل من قدم لي مساعدة من اخوة زملاء واساتذة فضلاء ومسؤولين في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية وأخص بالذكر منهم سعادة عميد كلية الشريعة السابق محمد بن سعد الرشيد ، وكذلك سعادة عميدها السابق الدكتور عليان الحازمي ، وسعادة عميدها الحالي الدكتور علي الحكمي لما قدموه لي من عون ومساعدة يعجز عنهم الثناء والتقدير فجزاهم الله عني خير الجزاء ، والله أسأل أن يهديهم سوا السبيل وآخردعواتنا ان الحمد لله رب العالمين .

=====

المطالع

سلامه محمد سلمان الهرفي

ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ

بحث في أهم المصادر والمراجع

يمتاز تاريخ دولة المرابطين بقلة المصادر التي وصلت لنا عنه ، لأن اعداء هذه الدولة وعلى رأسهم الموحيدين قد قضاوا على كل ما يشرف هذه الدولة المجاهدة فطمسوا معالم حضارتها ونهضتها . الا أنه من حسن الحظ ان بعض المصادر والوثائق التي تعود الى هذه الفترة قد وصلت اليها ، واذا اقبلنا اليها المصدر الثانوي وكتب التراجم فاننا نستطيع أن نضيق قدما في دراسة هذه الدولة .

ويتصدر هذه المصادر الكتب الفقهية ، والكتب التي خصصت لأجوبة الفقهاء التي ردا فيها على الاسئلة التي وردت اليهم من مختلف فئات الرعية وفي مختلف الموضوعات ، لذا فهي ذات قيمة كبيرة لأنها لسان حال الرعية وتحدثنا عما كان يشغلها في تلك الفترة ، وفي كثير من الحالات ترد في هذه الأجوبة ملاحظات تاريخية ذات قيمة تنفرد بها عن غيرها من المصادر التاريخية . ومن هذه الكتب " مسائل ابن رشد " المتوفى عام ٢٥ هـ / ١٢٢٦م ، والموجود في الخزانة الملكية في الرباط تحت رقم ٦٥٧٧ . وقد قام محمد بن الجيب التيجاني بتحقيق هذه المخطوطة كجزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الفقه الاسلامي من دار الحديث الحسنية التابعة لجامعة القرويين ، وقد انتهى من ذلك في عام ١٩٧٧م .

والكتاب كتاب فقه بالدرجة الأولى ، الا أنه يعرض صورا من المجتمع المرابطي ، وملوك الطوائف ، فمن الناحية الفقهية تعرض الكتاب للعلاقات بين المذاهب الفقهية ، كما تعرض للزندقة ، وللشعوذة مثل سب العرب واللغة العربية . ومن الناحية الاجتماعية تقدم المسائل صوره من المرأة الاندلسية (مكاتها ، المهبر) ، ومن الناحية السياسية تظهر امارة ابن عباد بمظهر المتسلطة على الرعية بارهاقها بالجبايات . كما اوضحت هذه المسائل من الناحية الاقتصادية المواد المتبادلة بين الأندلس والمغرب .

أما أهميتها من الناحية التاريخية فتعود الى انها عرضت الى ثلاثة احداث تاريخية ذات أهمية وهي : صك شهادة تثبت قيام سعيد بن أحمد بن زيفل بشـورة ضد الدولة المرابطية في حصن شقوره عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م . ومـركـبة كـتـنـده . وهجوم ابن رزمير الواسع على الأندلس . " ١ "

ومن الكتب الفقهية المهمة أيضا " الدياج المذهب " لمؤلفه برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن فرحون ، الذي نهج في مختلف العلوم من فقه ، وأصول ، وقضاء ، وطب ، ونحو ، وتاريخ الرجال وطبقاتهم ، وبشكل خاص الفقهاء ، فهو يحوى تراجم المالكية حتى عصر المؤلف . وقد ترجم بشكل خاص لمشاهير الرواة واعيان الناقليين عن الامام مالك ، وصدر مؤلفه هذا بترجيح مذهب مالك . والمؤلف ناقل ومختصر لمن سبقوه ، وتارة يصرح بالمصدر الذي ينقل عنه وأخرى يهمل ذلك . كما لم يحقق الاحاديث النبوية الشريفة ، ومن الناحية التاريخية لم يهتم بالتحقيق ، الا أنه مصدر يفيد مع بعض الجهد لمن يريد التصرف على غطاء المذهب المالكي حتى انتهاء المؤلف من تأليفه عام ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م " ٢ "

ومن كتب التراجم المهمة عن هذه الفترة كتاب ((قلائد العقيان في محاسن الأعيان)) لمؤلفه ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي ، والذي كان يصرف بين الناس بابن خاقان ، والمتوفى في مدينة مراكش عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م .

-
- ١ - ابن رشد : مسائل أبي الوليد بن رشد ، ج ١ ، ص ٥٣ - ٥٦ .
ج ٢ ، ص ٩٩ .
 - ٢ - ابن فرحون : الدياج المذهب ، ج ١ ، ص ل - ث .
 - ٣ - ابن خلكان : وقفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٢٣ - ٢٤ . ويذكر ابن الأبار (المعجم ، ص ٣٠١) أنه توفي عام ٥٢٨ هـ .

وأصله من قلعة يحصب من أعمال فرناطه ، وقد تلقى علومه على أيدي مشاهير عصره أمثال أبي بكر سليمان ، وأبي الحسن بن سراج ، وأبي الطيب بن زرقون ، وأبي محمد بن عبدون وغيرهم ، فقد كان كثير الأسفار ١٠ وقد ألف عدة مؤلفات منها ((قلائد المقيان)) جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة وتكلم على ترجمة كل واحد منهم بأحسن عبارة ولطيف إشارة . وأسلوبه في هذا الكتاب أقرب إلى أسلوب المقامات في حسن السبك واختيار الكلمات مع جزالة في الأسلوب .

وقد استمد معلوماته عن التراجم التي ترجم لها بالاتصال المباشر مع أصحابها فعندما عزم على تأليفه أرسل إلى أمراء الاندلس . ورجال الأدب — يسألهم إيفاد شيء من شعرهم ونثرهم ليذكره في كتابه ، وكان الجميع يعترف قذاعة هجائه ، فكانوا يخشونه ، ولذلك انفذوا إليه ما طلب مع بعض الهدايا ، فمن عظمت هديته أحسن في وصفه ، ومن تفاضل عنه هجاءه . ومن أمثلة ذلك قصته مع الفيلسوف المعروف ابن باجه الذي لم يلتفت إليه إلا أنه عندما أحسن صلته توسع في ترجمته في كتابه الآخر " مطمح الأنفس " .

ومن المآخذ على ابن خاقان أنه بعيد عن الموضوعية لأن ترجمته للأشخاص تعتمد على أهوائه ونزواته ، لذا يجب على الباحث أن يكون على حذر في التعامل مع مؤلفاته . ومن المآخذ عليه أيضا أنه لا يتناول جميع نواحي المترجم — ولا يذكر الآثار التي ألفها ، وكان همه إيراد ما للمترجم من النثر الرصين والشعر الجيد ، فهو صورة ممتازة لدارس الأدب عن أحوال الأدب في تلك الحقبة .

واهمية الكتاب بالنسبة لنا تعود الى كونه يمثل نموذجا من نماذج اعلام
الأدب في هذه الفترة من جانب ، على أن اهميته الكبرى من الجانب الآخر
تعود لاحتوائه بين دفتيه مجموعة من الوثائق المرباطية ، ومجموعة من القصائد
التي مدح بها قادة المرابطين . فقد وردت في هذا الكتاب سبع رسائل على
قيمة كبيرة بالنسبة لهذه الفترة ، وهي ثلاث رسائل من انشاء أبي بكر بن القصير
عن علي بن يوسف بن تاشفين ، واربعة رسائل من انشاء أبي القاسم بن الجد عن
علي بن يوسف أيضا " ١ " . كما نقل ابن خاقان تعزیه القاضي أبي محمد عبد
الحق بن عطيه للامير مزدلي لمصابه بأخيه محمد المستشهد في نهري " ٢ "

وقد قسم ابن خاقان كتابه الى اربعة اقسام ، فخصص القسم الأول لمحاسن
الرؤساء وابنائهم ، والثاني للوزراء والكتاب والبلغاء ، والقسم الثالث لاعيان
القضاة واعلام العلماء ، اما الرابع فخصصه لنبيهاء الادباء ، وروائع فحول الشعراء .
وقد طبع الكتاب عدة طبعات منها طبعة باعتناء شيد اللهجات بباريس عام ١٨٦٠م .
طبع ثانيا ببولاق عام ١٢٨٣ هـ ، وطبع في القاهرة ١٣٢٠ هـ ، وفي تونس
١٩٦٦م طبعة مصورة عن طبعة باريس .

ومن الكتب المهمة في باب التراجم كتاب ((الذخيرة في محاسن اهل
الجزيرة)) لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفي عام ٥٥٢ هـ / ١١٤٧م .
وقد خصص ابن بسام هذا المؤلف لتراجم علماء الأندلس حتى عصره وقسمه الى
اربعة أقسام .

١ - ابن خاقان : قلائد الحقيان ، ص ١١٨ - ١٢٠ .

• ١٢٤ - ١٢٨ .

٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .

وقد انصب المؤلف في حديثه على دولة بني زيري في غرناطة الا أنه كان يتشعب في الحديث ليشمل جميع ما يدور في شبه الجزيرة الأيبيرية ، وهو يصرح بذلك فيقول ((ولأن كتابنا لم يكن صنيا الا على وصف مملكتنا خاصة ، والحديث ذو شجون فلا بد من ذكر جمل من غيرها عند الحاجة الى وصفه أو ضرب مثل به تزيينا للكلام ، واقامة البرهان ودوراننا على الحقيقة)) . ١٠

وتحدث المؤلف في بداية كتابه عن القواعد التي يتعين للمؤلف اتباعها ، وعن حقيقة الاسلام ، والرد على من لا يؤمن به ، وضرورة التعليم ، والتكوين السياسي للأمير عبد الله ، وصعوبة الانصاف التاريخي ، وبداية دول الطوائف بعد انقضاء دولة المنصور بن طمر ، ونشأة دولة بني زيري واحوالها ، والكتاب لا يصير حسب التسلسل التاريخي ، كما لا يلجأ في معظم الاحيان للحوادث ، وفي حديثه التاريخي يقف المؤلف عند الاشارة الى استيلاء النصارى على بلنسية ، ولكنه لم يتحدث عن تفاصيل هذا الاستيلاء . ويختم المؤلف كتابه بمعلومات قيمة عن بعض المواضيع غير التاريخية كما يورد بعض نضائحه من خلال تجربته .

على أن أهم فائدة حصلت عليها بالنسبة لموضوعي من هذا الكتاب هي الحديث عن ممالك الطوائف وخضوعها للمرابطين ، فقد تحدث المؤلف عن هذه النقطة من واقع المشاهدة ، ولذلك اورد لنا معلومات قيمة . والكتاب حققه ليفي بروفنسال وطبع في القاهرة عام ١٩٥٥ م .

ومن المصادر المهمة في عهد علي بن يوسف بن تاشفين مجموعات الوثائق المرابطية التي زودتنا بمعلومات قيمة عن هذه الدولة التي طمست مصادرها من قبل خصومها ومن هذه المجموعات :-

أولا : نصوص سياسيه عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ،
وعدد ها تسع قطع ، وقام بتحقيقها الدكتور حسين مؤنس ونشرها في مجلة المعهد
المصري للدراسات الاسلاميه بمديره في العدد الثالث ، المجلد الأول عام
١٩٥٥ م . الوثيقة الأولى منها تتعلق باحراق كتاب احياء علوم الدين ، والثانيه
تتعلق باقصاء ابن أبي الخصال عن الكتابه بسبب الرسالة المشهورة التي نال فيها
من كرامة المرابطين ، والثالثة تتعلق باسترجاع المرابطين لمدينة بلنسية ،
والرابعه تتعلق بفتح اكواليه ، والخامسه والسادسه والسابعه والثامنه تلقى
الضوء على تاريخ شرق الأندلس في أواخر أيام الدولة المرابطيه ، والتاسعه
خاصة بأمر تعيين قاضي .

ثانيا : وثائق تاريخيه جديده عن عصر المرابطين وعدد ها ٢٢ رساله
قام بتحقيقها ونشرها الدكتور محمود مكي في صحيفه معهد الدراسات الاسلاميه
بمديره في المجلد السابع والثامن عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ م ، ص ١٠٩ - ١٩٨ .

ثالثا : اربع قطع تتعلق بتاريخ الثغر الأعلى الأندلسي في عصر
المرابطين . وقد قام الدكتور حسين مؤنس بتحقيق هذه الرسائل . ونشرها
بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة بالمجلد الحادى عشر ، الجزء الثانى ديسمبر
١٩٤٩ م ، ص ٩١ - ١٤٣ .

والوثيقة الأولى عن وقعة اقليش وهى عبارة عن رسالة كتب بها الوزير ابن شرف عن
بعض رؤساء المغرب الأندلسي الى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في فتح
اقلش ، والثانية رسالة كتب بها قاضي سرقسطه الى الأمير أبي الطاهر تميم بن
يوسف بن تاشفين حين حاصرها ابن زعيمير ، والثالثه رسالة كتب بها علي بن
يوسف الى الأمير أبي محمد بن أبي بكر بهزيمة القلاع ، والرابعه رسالة
من علي بن يوسف ردا على رسالة بعثت له عن وصف هزيمة القلاع .

رابعا : سيج وثائق جديده عن دولة المرابطين وأيامهم فسي
الأندلس ، وقد قام حسين مؤنس أيضا بتحقيقها ونشرها في صحيفة المعهد المصري
للدراستات الاسلاميه في مدريد ، في المجلد الثاني . العدد ١ - ٢ عام
١٩٥٤م . فالوثيقة الأولى عبارة عن رسالة من الخليفة العباسي المستظهر إلى
أمير المسلمين علي بن يوسف ، والثانية رسالة من يوسف بن تاشفين إلى ولده
أبي بكر ، والثالثة رسالة من تاشفين بن علي إلى الزبير بن عمر ، والرابعة
صك من أحد الرؤساء ، والخامسة والسادسة والسابعة تتعلق بالنزاع بين أبي
بكر بن الصائغ ، وأبي محمد البطليوس .

ومن المصادر المعاصره ذات الأهمية الشعر ، فالشاعر
كما هو معلوم لسان حال الرعيه التي يعيش بينها ومرتبة لأحوالها السياسيه
والاجتماعيه ، والاقتصاديه .
والباحث يجب أن لا يهمل قصائد المدح والهجاء ، والثناء ، والاشادة
ببعض الانتصارات ، إلا أنه يجب عليه الحيطه والحذر من شطحات الشعراء وبالفاتهم
ومن الشعراء الذين عاشوا خلال الفترة التي تناولتها بالبحث الشاعر الأعشى التطيلي ،
أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن هريره القوفي عام ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م ،
ويحوى ديوانه مجموعة من القصائد ذات القيمة منها ثلاث قصائد في مدح أمير
المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين " ١ " ، وقصيدتان في مدح الأمير أبي
يحيى " ٢ " ، وقصيده في مدح أبي الملاء بن زهر " ٣ " . وقد قام

-
- ١ - قصيدة رقم ٣٨ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ص ١٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ .
 - ٢ - قصيدة رقم ٤٠ ، ٧٠ في الديوان .
 - ٣ - قصيده رقم ٣٩ في الديوان .

الدكتور احسان عباس بتحقيق هذا الديوان ، وصدر في بيروت عام ١٩٦٣ م .
كما وردت في ديوان ابن خفاجة ، المتوفى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م مجموعة
قصائد في مدح امراء الدولة المرابطية . فقد مدح الأمير ابراهيم بن يوسف
ابن تاشفين ، والأمير تميم بن يوسف ، وله قصيدة أيضا كتبها الى الأميرة
مريم بنت ابراهيم يستشفح بها الى الأمير أبي ظاهر تميم ، وقصيدة أخرى بمناسبة —
استرداد مدينة بلنسية من قبضة النصارى .

وننتقل الآن الى قطاع التاريخ الأندلسي العام ، ونشير الى كتاب ((ديوان
الألباب وريحان الشباب في مراتب الآداب)) تأليف أبي القاسم محمد بن ابراهيم بن
خير الموعيني المتوفى نحو سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٤ م "١" ، والذي فرغ من تأليفه
عام ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م "٢" . والكتاب ما زال مخطوطا في الخزانة الملكية المغربية
تحت رقم ١٤٠٦ ، وهناك نسخة أخرى تحمل رقم ٢٦٤٧ ، فالنسخة الأولى التي
اعتمدت عليها تقع في ١٤٤ ورقة ، أما الثانية فتقع في ٢٠٣ ورقة .

وهو كتاب جامع في اللغة والآداب ، والتاريخ والأنساب . وتعود أهمية
هذا المخطوط بالنسبة للرسالة لاحتوائه على رسالتين في غاية الاهمية ، الأولى :
عبارة عن رسالة موجهة من أمير المسلمين علي بن يوسف الى الخليفة العباسي المستظهر
يعلن فيها أنه ما زال محافظا على ولائه له ، والتزامه بالدفاع عن المسلمين في
المناطق التي تخضع له ، وهي من اعضاء أبي القاسم بن أبي الجدا لا انها خالية
من التاريخ .

والثانية رسالة من أمير المسلمين علي بن يوسف الى الأفضل بن بدر الجمالي
وزير الخليفة الفاطمي المستعلي يوصيه فيها بحجاج من اعيان لقونيه ، وهى
أيضا خالية من التاريخ ، والرسالتان وردتا في ورقة ٣٥ ا ب .
وللمواعيني قصائد في مدح الأمير المرابطي الزبير بن عمر ، وأخرى في مدح

١ — ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

٢ — ریحان الألباب وريحان الشباب في مراتب الآداب ، ورقة ١٤٤ .

الأمير زينب بنت علي بن يوسف بن تاشفين . وله أيضا مؤلف آخر اسمه ((الوشاح
المفصل)) ، كما كانت له عناية خاصة بالأدب . " ١ "

ثم كتاب " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " ، تأليف الفقيه المؤرخ -
محيي الدين أبو عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي . الذي تنقل في طلب
الملم إلى فاس والأندلس ، ثم اتجه في ظروف غامضة إلى المشرق عام ٦١٣ هـ /
١٢١٦ م ، وزار مصر وبنغازي . ويشتمل الكتاب على اثنين وثلاثين فصلا تناول
فيها المراكشي بالحديث من فتح المسلمين للأندلس حتى عصره أي إلى عام
٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م ، فتحدث عن نشأة دولة المرابطين ، وعن حركة
المهدي بن تومرت ، وكيف تم القضاء على دولة المرابطين ثم يتسلسل في الحديث
حتى عصره .

وأسلوب المراكشي خلاب ، وهو يعيل في عرضه إلى الإيجاز . وخلال حديثه
يورد تراجم لأدباء معظمهم من الأندلس ، إلا أنه لم يتقيد بالترتيب الزمني عند
عرضه للأحداث . ومن مميزات أنه يصرح بمصادره التي اعتمد عليها ، إلا أن -
اعتماده على الذاكرة في كتابه قد أوقعه في عدة أخطاء تاريخية منها أنه جعل
عبد المؤمن بن علي قائدا للموحدين في موقعة البحيرة ، والمتفق عليه أن القائد
هو أبو محمد البشير النشري الذي قتل في المعركة . " ٢ "

والمراكشي كثير من مؤلفي الدولة الموحدية قد رسم صورة سيئة لدولة
المرابطين ، فصورها وكأنها دولة المجون والنساء فقال : ((واستولى النساء
على الأموال وأسندت اليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لقونة ومسونه مشتملة

١ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

٢ - عبد الله علام : الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن -

علي ، ص ٢٢ .

على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وما خور ((١٠٠٠)) " ١ " ، فكان
بهذا من شيعة الموحدين المبغضين للمرابطين " ٢ " . وقد طبع الكتاب
عدة طبعات آخرها بتحقيق محمد سعيد المريان ، القاهرة ١٩٦٣ م .

وعلى رأس المصادر التاريخية الهامة يأتي كتاب " البيان المغرب في أخبار
الأندلس والمغرب " لأبي عبد الله بن عذارى المتوفى عام ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م ،
ويهمنا من هذا الكتاب الجزء الرابع ، وهو عبارة عن قطعة من تاريخ المرابطين ،
تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ١٩٦٧ م . وهذه القطعة لا تشمل
تاريخ المرابطين كله فقد سقط منه الأحداث من عام ٤٦٩ هـ حتى ٤٩٥ هـ /
١٠٧٦ م حتى ١١٠١ م ، وقد حاول احسان عباس استكمال هذا النقص عن طريق
الملاحق التي وضعها في نهاية الجزء . هذا وللكتاب أهمية خاصة لما حواه
من معلومات قيمة تتعلق بأحوال دولة المرابطين السياسية والحضارية منذ النشأة حتى
السقوط .

والكتاب يسير على نظام الحوليات ، وفي كثير من الحالات لا يصرح ابن عذارى
بالمصادر التي اعتمد عليها ، أما الروايات التي لا يثق بها فيقوله في بدايتها
(وقيل كذا) . وهو بشكل عام يميل الى الإيجاز في معلوماته ، وفي بعض
الاحيان لا يذكر بعض الأخبار متعللاً بعدم الإطالة ، فهو يقول على سبيل
المثال عن سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م (حدثت أحداث اعرضنا عنها لئلا يطول
الكتاب بها) " ٣ "

-
- ١ - المعجب ، ص ٢٤١ .
 - ٢ - ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، حاشية
رقم ١ .
 - ٣ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٩٥ .

ومن المصادر المهمة أيضا ((الطرب من اشعار أهل المغرب)) لابن

دحية ، عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن جميل بن دحية الكلبي الأندلسي

المتوفي عام ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م .

والكتاب ألف بناء على رغبة سلطان مصر الكامل الأيوبي بعدما ارتحل ابن دحية إلى

القاهرة ، وقيمته ترجع إلى أنه وثيقة أدبية لدارس الأدب في تلك الفترة . وهو

غير منظم في عرضه للأحداث ، ويميل إلى الاطناب ، ويعرج في حديثه في بعض

الاحيان على بعض الأخبار التي تتعلق بالمغرب . وقد حقق هذا الكتاب ونشره

ابراهيم الأياري وآخرون وطبع في المطبعة الأميرية بالقاهرة عام ١٩٥٥ م .

ويأتي كتاب " المغرب في حلي المغرب " لملي بن موسى بن محمد بن

عبد الملك بن سعيد المتوفي عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م " ١ " ، الذي عرف بسمعة

الأفق وكثرة الترحال " ٢ " على رأس المصادر الأدبية المهمة في هذه الفترة التي

اعالجها ، ان يصور أحوال الشعر الأندلسي في مختلف عصوره . فقد ترجم

المؤلف لأعداد كبيرة من الشعراء ، ولم يقتصر حديثه على الشعر بل كان يأخذ

الحديث فيتحدث عن بيئاتهم ، ومن معاصريهم من رجال فكر وحكام . كما ضمن

كتابه عيون الموشحات ، والازجال ، والأشعار ، وأورد بالإضافة إلى كل ذلك

معلومات جغرافية وتاريخية قيمة . وأهم مصادر معلوماته : المشاهدة بالنسبة

لمعلوماته الجغرافية ، والرواية الشفوية ، والمصنفات لمعلوماته التاريخية

والأدبية ومن ميزاته أنه يصرح بمصادره التي ينقل عنها ، وأهمها كتاب

((المسهب في غرائب المغرب)) للحجاري ، وكتاب ((فرحة الأنفس))

لابن غالب (عاش في القرن السادس الهجري) وكتابات ابن حيوان " ٣ " ،

١ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

٢ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

٣ - المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٤ ، ١٨ .

" وتاريخ افريقيه والمغرب " للرفيق القيرواني وغيرها من الكتب ، وقد قام بتحقيق هذا السفر الضخم شوقي ضيف ، ونشره في القاهرة عام ١٩٦٤م في جزئين . " ١ "

ومن المصادر المتأخره التي لا يستغني عنها الباحث لتاريخ المغرب والأندلس حتى القرن الثامن الهجرى كتاب " الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشيه " الذي على الرغم من صغر حجمه (ان يقع في جزء واحد ولا تزيد صفحاته مسح فهارس التحقيق عن ٢٠٧ صفحه) يعتبر من امهات تاريخ دولتي المرابطين والموحدين . والكتاب لا يقف عند تاريخ هاتين الدولتين بل يتعداهما الى دولة بني مرين في المغرب . والكتاب يظن لأول وهله بأنه كتاب خاص في تاريخ المدن فقط ، الا أن فصوله ومادة ابحاثه لم تقتيد بفن تاريخ المدن ، وانما تحدث عن تاريخ المغرب والأندلس ، وهو بذلك يعتبر كتاب تاريخ عام أربع لمدة دول ولم يؤرخ لمدينة مراكش . " ٢ "

وقد قدم لنا كتاب الحلل الموشيه مجموعة وثائق تتعلق بعهد علي بن يوسف ابن تاشفين ، كما فصل في حديثه عن دولة المرابطين ، والتي استمد معلوماته عنها من مؤلف ذي قيمة كبيره هو " الأنوار الجليه في أخبار الدولة المرابطيه " لابن الصيرفي ، كما نقل عن البكري المتوفى عام ٤٨٧ هـ / ١٠٠٤ م ، وعن الميبدق وغيرهم . " ٣ "

وقد انجز مؤلف الكتاب مؤلفه هذا يوم الخميس الثاني عشر لشهر ربيع أول من عام ٧٨٣ هـ ، وألفه مكلفا من أحد ملوك بني الأحمر المسمى محمد الفني بالله ،

١ - عن ابن سعيد : انظر محسن حامد العبادي : ابن سعيد الأندلسي حياته وتراثه الفكرى والأدبي .

٢ - مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٣ - ٤ .

٣ - أحمد مختار العبادي : دراسة حول كتاب الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشيه وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان ، ج ٥ ،

١٩٦٠م ، ص ١٣٩ - ١٤١ .

ولذلك كانت خزائن وزخائر غرناطة من المؤلفات تحت تصرف مؤلف الحلل الموشىيه
الذى أخفى اسمه حفاظا على نفسه . " ١ "

وقد نسب بعض المؤرخين المحدثين تأليف هذا الكتاب الى اديب
مالقي اسمه أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي بن السماك العامري الذى كان حيا
في أواخر القرن الثامن الهجرى ، غير أنهم لم يقدموا لنا الدليل الذى اعتمدوا
عليه في اثبات صحة هذه النسبة . " ٢ "

وطبع الكتاب أول ما طبع في تونس عام ١٩١٠ م ونسبه الناشر خطأ الى
لسان الدين بن الخطيب ، ثم أعاد طبع هذا الكتاب الأستاذ علوش ضمن
مطبوعات معهد الدراسات المغربية بالرباط عام ١٩٦٦ م . وطبع مرة أخرى
بتحقيق سهيل زكار ، وعبد القادر زمامه ، ونشر في الدار البيضاء عام
١٩٧٩ م ، وقد ترجمه المستشرق الاسباني هويسى ميرانده الى اللغة
الاسبانية . " ٣ "

ومن الكتب المشرقية المهمة الموسوعة التاريخية المسماه " الكامل
في التاريخ " لابن الأثير المتوفى عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م . وهى موسوعة
علمية تحوى تاريخ المشرق والمغرب الى أواخر أيام حياة المؤلف ، ويقع الكتاب في
١٢ جزءا تكرر نشرها من بينها الطبعة التى اعتمدت عليها (بيروت ١٩٦٦ م) .

والاجزاء التى تهمنى بشكل مباشر من الكامل لابن الأثير هى الجزء العاشر
والحادى عشر . فقد أورد ابن الأثير معلومات جيدة عن موقعة انراغة ، وأن ابن

١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٥ ، ٨ .

٢ — أحمد مختار العبادى : المقال السابق ، ص ١٣٩ .

٣ — المقال السابق نفسه ، ص ١٣٩ — ١٤٠ .

تومرت لم يلتق مع الفزالي ، كما امدنا بمعلومات جيدة عن ثورة المهدي بن تومرت ، وعن اخضاع ملوك الطوائف ، وعن بيعة يوسف بن تاشفين لابنه علي ، وعن ثورة قرطبه ضد واليها ، وعن غيرها من الموضوعات التي تتصل بموضوع بحثي ، واهميته تعود الى أنه مصدر مشرفي محايد كتب بعد سقوط دولة المرابطين .

ومن المصادر الجغرافية العامة الموسوعة الجغرافية الضخمة " معجم البلدان " لياقوت الحموي المتوفي عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، وفي معجمه تحدث ياقوت عن جغرافية العالم الاسلامي كله ، فتحدث عن المدن ، والقرى ، والجزال والآثار مع ضبط اسمائها ، وتحديد المسافات بين المواقع ، كما كان يتحدث خلال حديثه عن هذه الآثار والمدن عن السكان ، وما قيل فيها من اشعار ، ولذلك فهو موسوعة لا يستغني عنها باحث في العلوم الاجتماعية . وكان فراغه من تأليف هذا المؤلف الضخم عام ٦٢١ هـ : ١٢٢٤ م ، وقد سار في حديثه عن هذه البلدان على حروف المعجم ، وقد طبع عدة طبعات منها طبعة احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م .

ويجب أن لا ننسى كتاب " الروض المعمار في خبر الأقطار " للحميري ، محمد بن عبد المنعم المتوفى عام ٩٠٠ هـ / ١٣٠٠ م . وقد اعتمدت عليه كثيرا في التعرف بالمدن الأندلسية والمغربية ، وقام بتحقيق هذا السفر احسان عباس ، ونشر في بيروت عام ١٩٧٥ م .

وفي نهاية هذا التحليل للمصادر لا بد أن أشير الى مصدر على جانب كبير من الأهمية قد فقد ، وهو كتاب " الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية " لابن الصيرفي ، يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري المتوفى عام ٥٥٧ هـ / ١١٧٤ م ، وهو أمين سر الأمير تاشفين بن علي الذي كتب له كتاب ((الانباء في سياسة الرؤساء)) الذي ضاع ايضا " ١ " الا أنه من حسن الحظ ان مقتطفات من

١ — ميرانده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، مجلة تطوان ، ج ٣ - ٤ ،

كتاب ((الأوار الجليه)) يوجد بعض منها في كتاب البيان المغرب ، والاحاطه
في اخبار غرناطة ، والحلل الموشيه .

ومن أهم المراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث كتاب " عصر
المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس " لمحمد عبد الله عنان ، والذي
يهمني منه القسم الأول الخاص بعصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ،
المطبوع في القاهرة عام ١٩٦٤م .

وقد قدم هذا الكتاب معلومات جيدة عن اوضاع الأندلس في عصر المرابطين منذ
وقعة الزلاقة وحتى سقوط دولة المرابطين بشكل اجمالي اذ لم يخضع كثيرا من
الجوانب للنقد والتحليل . ولعل الفائدة الكبرى للكتاب تأتي من ايراده للروايات
النصرانية حول بعض الموضوعات التي تهمني . ولكن مؤلف الكتاب اهل النظم
الاقتصادية والاجتماعية ، والادارية ، والعمارة والفنون الزخرفية ، واذا كان
قد مسها بشيء فانما مسها مساً خفيفاً لا يروى ظمناً الباحث لهذه الحقيقة .
ومن سلبات الكتاب انسياقه وراء المقولة التي تصف الدولة المرابطية بالهمجية
والتخلف ، واعتباره امتداداً للفقهاء دليلاً على تخلفها وسبباً من الاسباب
الرئيسية في سقوط دولة المرابطين .

وقد ختم المؤلف كتابه بالحديث عن الممالك الاسبانية النصرانية خلال العصر
المرابطي واولئل عصر الموحدين ، كما ذيل الكتاب بمجموعة من الوثائق الخاصة بالعصر
المرابطي والموحدي .

أما كتاب " دول الطوائف " لنفس المؤلف ، والمطبوع في القاهرة
عام ١٩٦٠م و ١٩٦٩م فقد استفدت منه في التمهيد حيث قدم لي صورة
جيدة عن احوال الأندلس قبيل وبعد سقوط دول الطوائف ، فتحدث عن دول
الطوائف في غرب الأندلس ، والوسط ، والجنوب ، وشرقي الأندلس . الخ ،
وتحدث عن موقعة الزلاقة ، ونشأة الدولة المرابطية ، وفتح المرابطين للأندلس ،

وكذلك تكلم عن احوال الممالك الاسبانية الكبرى في عهد سانشو الكبير وولده .

ويعتبر كتاب المؤرخ الألماني يوسف أشباخ ((تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين الذي ترجمه محمد عبد الله عنان ، والمطبوع في القاهرة عام ١٩٥٨ م من المراجع التي لا يستغني عنها الباحث لهذا العصر لأنه يعتمد في معلوماته على مصادر نصرانية الى جانب المصادر الإسلامية . و أهم الموضوعات التي تناولها الكتاب هي : تاريخ الممالك الاسبانية من سنة (٤٢٨ - ٤٦٩ هـ / ١٠٣٧ - ١٠٧٦ م) ، وتاريخ ملوك الطوائف حتى سقوط مدينة طليطلة عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، ونشأة المرابطين واسباب عبورهم الى الأندلس ، وعهد يوسف بن تاشفين وولده علي ، وتاريخ السدول الاسبانية الداخلي في عهدي الفونسو السادس والفونسو المحارب ، وأهم الوقائع التي خاضها المسلمون ، ثم تطرق لاضمحلال سيادة المرابطين من خلال حديثه عن حروب الفونسو السابع ضد المسلمين ، ومن خلال حديثه عن ثورة المهدي بن ثومرت ، وثورات أهل الأندلس على المرابطين . وقد ختم كتابه بالحديث عن دولة الموحدين واضمحلالها ، وعن نظم الدولة وفنون الحرب واحوال الحضارة في دولتي المرابطين والموحدين .

ومن المآخذ على الكتاب أنه بعيد عن الموضوعية إذ نجده يتناول الموضوعات المشرقة بالنسبة للمسلمين باقتضاب خاصة فيما يتعلق بالوقائع الحربية فموقعه اقلية الحاسمة التي حقق فيها المرابطون اروع انتصاراتهم يتعرض لها المؤلف في اختصار شديد ، هذا في الوقت الذي يلجأ فيه الباحث حقد هذا المستشرق على هذه الدولة الإسلامية المجاهدة وذلك من خلال عدة شواهد منها : أنه عندما تحدث عن نشأة دولة المرابطين هنا قيامها الى جهود رجل متعصب يسمي عبد الله بن ياسين ، كما وصف حكام الدولة المرابطية بالهجمية والجهل وذلك في أكثر من مناسبة ، فقد ذكر عند حديثه عن حضارة دولة المرابطين بأن سلاطين هذه الدولة لم يبدو كبير عناية ((بأمر العلوم والفنون والشعر ، وتقدم

المعارف ، وقد اضطهدوا كل ما عنيت الدولة العربية بتشجيعه من قبل ،
ص ٤٨٣)) . ووصل به الأمر الى وصفه للمرابطين بأنهم اعداء لكل حضارة
فقال : ((ظهر المرابطون من بين سكان الصحراء البدو والساندجين ، فكانوا
اعداء لكل حضارة عربية ، ومن ثم كانت حكومتهم كريح الصحراء الالافح حين
يهب على الفياض النضرة تعمل لتحطيم جميع العلوم والفنون ، والصنائع التي
وصلت في ظل السيادة العربية في الأندلس الى ذروة التقدم والازدهار ، وكان
اولئك الحكام القساة يقتنون القبائل العربية وثقافتها ، ويمشطون على سحق هذه
الثقافة بكل ما وسعوا ويمشطون على تحطيم الروح الشعرية الأندلسية . . .
ص ٤٩٣)) . ومن الأمثلة الدالة على تحيز المؤلف ومعهده عن الموضوعية
أنه ركز خلال حديثه عن الحركة العلمية على اعلام اليهود ولم يخص اعلام المسلمين
في العهد المرابطي بأية عناية .

على أى حال يعتبر هذا الكتاب نموذجاً للدراسات الاستشراقية التي لم تخفف
حقد ها على الحضارة الاسلاميه والتي لم تدخر وسعاً في تشويه معالم حضارتنا
الاسلاميه .

ويأتي كتاب عميد المستشرقين الاسبان اميلو غرسيه غومس ((الشعر الأندلسي))
ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٩م على رأس المراجع المهمة في بحث الحياة
الادبيه وشكل خاص الشعر في عهد دولة المرابطين .

فقد تحدث المؤلف عن عدد كبير من الذين نبغوا في عهد علي بن يوسف في مجال
الشعر وفنون الأدب الأخرى ، ولم يقصر المؤلف حديثه على دولة المرابطين بل
تحدث عن عصر الخلافة ، وملوك الطوائف ، والموحدين وختم كتابه بمختارات
شعرية .

ومن مؤلفاته ايضا ((مع شعراء الأندلس والمتنبي)) ترجمة الطاهر احمد
مكي ، القاهرة ١٩٧٤م . وقد تحدث فيه عن المتنبي ، ثم تحدث عن
عدة شعراء في القرنين الرابع الهجري والخامس الهجري . والذي يهمني من هذا

الكتاب حديثه عن ابن الزقاق ، وابن قزمان ، من شعراء عهد أمير المسلمين علي بن يوسف .

وصدر في العام الماضي (١٩٨٠م) عن وزارة الثقافة والاعلام بالجمهورية العراقية دراسات جادة عن الحركة الفكرية في عهدي المرابطين والموحدين كان أهمها : —
١ — الدراسات اللغوية في الأندلس من مطلع القرن السادس الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري ، تأليف رضا عبد الجليل الطيار .
وقد تحدث المؤلف عن عدة موضوعات أفدت منها ، أهمها ظاهرة كتب الردود ، والربطة الى المشرق وبالعكس ، ومجالس التدريس ، والتأليف في اللغة ، كما تحدث عن نشأة اللغة وتطورها وعلاقتها باللغات الأخرى في الأصوات اللغوية الى غيرها من الموضوعات اللغوية .

٢ — الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس تأليف محمد مجيد السعيد . والكتاب مقسم الى ثلاثة ابواب . الأول منها يتحدث فيه المؤلف عن عصر المرابطين والموحدين من الناحية التاريخية مركزا على تأسيس الدولتين وسقوطهما او ملامح الحياة الاجتماعية والفكرية في كل عصر . وأما الباب الثاني فقد خصصه للشعر في الدولتين ، وأورد الباب الثالث للموشحات .

ومن المؤلفات القيمة التي صدرت عن دار المعارف المصرية في عام ١٩٨٠م — كتاب ((دراسات اندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة)) لمؤلفه الطاهر أحمد مكي . والكتاب عبارة عن مجموعة ابحاث تناولت عدة موضوعات في جوانب متعددة من تاريخ الأندلس وحضارته في فترات مختلفة ولذلك استفدت من هذا المرجع في أكثر من موضع فقد تحدث عن عدة موضوعات أهمها بالنسبة لموضوع بحثي : سقوط الخلافة وقيام دول الطوائف ، والشعر الأندلسي وتأثيره في الشعر الأوروبي الى غير ذلك من الموضوعات التي لا يستغني عنها أي دارس — لتاريخ المغرب والأندلس لا سيما أنه يعرض لموضوعات اندلسية طرقها مستشرقون

اسبان مثل : الأصول المربية لفلسفة رايغوند ولوليو للمستشرق خوليان ريبيرا ،
والشعر الاندلسي وتأثيره في الشعر الأوربي تأليف انخل جونتالك بالنتيا . الخ .
وأختم هذا التحليل بالحديث عن بعض المراجع المهمة في حقل الفن المرابطي
والتي يأتي في مقدمتها كتاب ((الفن المرابطي والموحدي)) لمؤلفه ليوبولد
وتوريس بالباس ترجمة سيد غازي ، دار المعارف بمصر ١٩٧١م . والكتاب
على صغر حجمه ان لم تتعد صفحاته المئة وأربع صفحات ، الا انه بحث قيم لدارسي
العمارة والفنون الاسلاميه في عهدي المرابطين والموحدين . فقد تحدث عن
عمارة المساجد ، والصوامع ، والقصور ، والبيوت ، واسوار المدن والحصون ،
وعن المجسمات الاندلسيه ، والفنون الصناعيه ، كما أن الكتاب مزود بلوحات
فنيه ورسوم تخطيطيه تساعد على فهم كثير من المواضيع التي طرقتها المؤلف .

ومن المراجع المهمة في مجال الفن الاسلامي والتي تناولت العهد المرابطي
بالحديث كتاب ((الفن الاسلامي في اسبانيا)) تأليف مانويل جوميث مورينو
ترجمة لطفي عبد البديع والسيد محمود عبد العزيز سالم . وقد تناول الكتاب
الفن الاسلامي في اسبانيا منذ الفتح الى عصر الموحدين ثم المستعربين فدخل ضمن
موضوعاته العمارة في عصر المرابطين . والكتاب مزود بصور توضيحية جيده ،
كذلك ذيل الكتاب بجدول بالاصطلاحات الفنيّه الوارده فيه . وقد صدر هذا
الكتاب القيم عن الهيئة المصريّة العامة للكتاب عام ١٩٧٧م .

هذه هي أهم المصادر والمراجع التي استفدت منها في هذا البحث وسيجد
القارئ في نهاية البحث قائمة مطوله بالمصادر والمراجع التي رجعت اليها .

تقديم

نهضة عن احوال العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري /

الحادي عشر الميلادي

أحوال العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى

=====

لقد شهد العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى تفككا خطيرا ، فقد كانت الدول الاسلامية القائمة في ذلك الوقت (الدولة العباسية ، والدولة الفاطمية ، ودول المغرب ، ودول الطوائف في الأندلس) مثالا للتفوق والضعف . ويمود سبب هذا التفوق بشكل خاص الى ازدياد الخلاف ما بين السنة والشيعة ، وهو خلاف مذهبي جذوره الى القرن - الأول الهجرى ، ثم تطور وازداد حدة وادى في نهاية الامر الى التفوق والفرقة السياسية بين المسلمين ، التى تمثلت في جبهتين متعاديتين ، الدولة الفاطمية في مصر ، والدولة العباسية في بغداد .

وطوال القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى اضطربت - الأحوال في بغداد ، واشتدت الفتن ، وأصبح الخليفة العباسي المعوية بأيدى السلاجقة لا يملك من الأمر شيئا ، كما أن السلاجقة أنفسهم كانوا في صراع مرير فيما بينهم على السلطة . " ١ "

ولم تكن الدولة الفاطمية أحسن حالا من الدولة العباسية ، فكانت قد دخلت في دورها الثاني دور الضعف ابتداء من فترة الشدة العلوي التي قاست منها مصر سبع سنوات . وتحت ضغط الظروف التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية ومنذ ان وخاصة اضطراب الأمن اضطر الخليفة المستنصر الى استدعاء بدر الجمالي والى عكبا ، الذى بادربالاستجابة الى دعوة الخليفة الفاطمي وجاء الى مصر في عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م ، واستطاع إعادة الهدوء وسيطر على البلاد ، واستحوذ على السلطة دون الخليفة الفاطمي . ولما توفي بدر الجمالي عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٣ م استأثر ابنه الأفضل بالسلطة أيضا ، واستطاع أن يقرر موضوع ولاية العهد . فبعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر

بائع الأفضل الأمير أبا القاسم أحمد الذي لقب بالمستعلي ، وكان شابا يافعا —
لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره . بدلا من نزار الأبن الأكبر للمستعلي
صاحب الحق الشرعي في الحكم . " ١ "

وخاطب القليل بن بدر الجمالي . هنم ترجع الى ربيعة في الاستئثار بالسلطة دون —
الخطبة ، لأن نزار كان كبير السن ، وأكثر تجربة من المستعلي ، هذا علاوة
على صلات القرابة بين الأفضل والمستعلي . " ٢ "

اما بالنسبة لبلاد الشام فكانت بحكم موقعها الجغرافي تعتبر حلقة وصل بين
مصر والعراق ، لذا كان الصراع عليها مريرا بين الخلافتين العباسية والفاطمية .
ونتيجة لضعف الخلافة العباسية فقد انحسر نفوذها عن كثير من املاكها ومن بينها
بلاد الشام ، وامتد بدلا منه ابتداء من عام ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م نفوذ الدولة
الفاطمية . وصحب هذه الهيمنة انتشار المذهب الشيعي في جنات الشام ، وهيأ
ذلك بيئة مناسبة لنزاعات جديدة بين الشيعة والسنة في بلاد الشام ، فضلا
عن الصدام السياسي والعسكري بين السلاجقة بعد أن آلت اليهم السلطة في الدولة
العباسية — والفاطمين وهو الصدام الذي ادى الى انحسار النفوذ الفاطمي عن

= مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، ج ٢ ، ص ١٢ — ١٣ — سعيد عاشور :

بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٦٥ .

١ — ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٤٨ — محمد جمال الدين
سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١١٣ — ١١٤ — محمد حمدي

المنلاوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، ص ٣٧ .

٢ — يكون المستعلي ابن أخت الأفضل بن بدر الجمالي انظر : محمد كامل
حسين : طائفة الاسماعيلية تاريخها . نظمها . عقائدها ، ص ٤١ .

بلاد الشام واقتصاره على فلسطين * ١ *

وأصبحت بلاد الشام أيضا مسرحا لصراع الأمراء المحليين ، ومسرحا لصراع
أمراء السلاجقة على السلطة ، ولم تلبث القبائل البدوية في بلاد الشام أن
أصبحت ذات ثقل ، واستطاعت أن تتسم السلطة ، وأقامت لها عدة إمارات منها :
إمارة بني مرداس في حلب (٤١٥ — ٤٧٢ هـ / ١٠٢٤ — ١٠٧٩ م) ، وإمارة
بني عمار في طرابلس (٤٦٣ — ٥٠٣ هـ / ١٠٧٠ — ١١٠٩ م) ، وإمارة
بني منقذ في شيزر (٤٧٤ — ٥٥٢ هـ / ١٠٨١ — ١١٥٧ م) * ٢ * وتركزت
هذه الأوضاع بصماتها في حياة بلاد الشام إذ تناقص عدد السكان في أواخر
القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تناقصا خطيرا * ٣ *

وفي هذه الظروف التي كانت فيها بلاد الشام تعاني الوهن ، والضعف ،
والفرقة ، كنتيجة للصراعات المذهبية ، والسياسية ، والمشاربية ، وصلت
الحملة الصليبية الأولى الى بلاد الشام في أواخر سنة ٤٩٤ هـ / ١٠٩٧ م ،
ونجح الصليبيون في إقامة مملكتهم الصليبية فيها .

ومما يبعث على الأسى أنه ما أن وصل الصليبيون الى انطاكية في يناير
١٠٩٨ م حتى وصلتهم سفارة من الأفضل بن بدر الجمالي تحمل عرضا خلاصتها أن
يتعاون الطرفان من أجل القضاء على السلاجقة ، على أن يكون القسم الشمالي
للصليبيين ، والجنوبي للفاطميين * ٤ *

- ١ — سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ١٦٦ — محمد حمدي الضناوي :
المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .
- ٢ — سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٤٣ — ٤٤ .
- ٣ — المرجع السابق نفسه ، ص ٣٥ .
- ٤ — السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٦٧٩ — سعيد عاشور :
المرجع السابق ، ص ١٧٠ — ١٧١ .

ولم يستجب الصليبيون لعروض الفاطميين ، وتابعوا زحفهم نحو بيت المقدس وفي ضحي يوم الجمعة ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢ هـ / ١٥ يولييه ١٠٩٨ م ، وبعد حصار دام شهرا ونصف الشهر نجحوا في دخول بيت المقدس ، حيث ارتكبوا مذبحه مروعة ضد السكان العزل فلم يفرقوا بين كهل وطفل وامرأة ، وقتلوا ما يزيد على ستين ألفا . " ١ "

وفي وسط هذه المحنة التي حلت بالمسلمين في بلاد الشام اتجهت الأنظار الى بغداد ، حيث اتجه وفد من الشام على رأسه قاضي دمشق ليخبر الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٧٠ — ٥١٢ هـ / ١٠٧٧ — ١١١٨ م) بهول الفاجعة التي حلت بالمسلمين . لكن الخليفة العباسي لم يكن له حول ولا قوة ، فقد كان يستظل بحماية سلطان السلاجقة بركياروق " ٢ " الذي اكتفى عند وصول الصليبيين أمام انطاكيه بأن عهد الى أتابك الموصل بالخروج على رأس جيشه لانقاذ انطاكية من حصار الصليبيين الا أنه هزم امامهم فعاد من حيث أتى . " ٣ "

وهكذا استطاع الصليبيون التغلغل في اعماق الدولة الاسلاميه ، ونجحوا في اقامة مملكة لهم في بيت المقدس فضلا عن امارات أخرى في انطاكية والرها وطرابلس ، وأخذوا يمكنون لأنفسهم عن طريق بناء عشرات القلاع والحصون ، ويستولون على المدن والموانئ ، ويكيلون الضربات تلو الضربات للجزيرة الفراتيه .

- ١ — ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٥٦ — السيوطي : المصدر السابق ، ص ٦٧٩ — القلقشندي : مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، ج ٢ ، ص ٩٥ — ١٦ — ستيفن رنسييمان : تاريخ الحروب الصليبيه ، ج ١ ، ص ٤٠٣ — ٤٠٤ — لمزيد من التفاصيل عن أحوال العالم الاسلامي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي انظر : زكي النقاش : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والأفرنج خلال الحروب الصليبيه ، ص ١٠ — ٢٤ .
- ٢ — هو ابو المنظر ركن الدين ، تولي الحكم بشكل رسمي في محرم ٤٨٧ هـ / فبراير ١٠٩٤ م ، وتوفي في ربيع ثاني ٤٩٨ هـ / ديسمبر ١١٠٤ م انظر : دائرة المعارف الاسلاميه مادة بركياروق ، ج ٣ ، ص ٥٦٩ — ٥٧١ .
- ٣ — سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

لقد استبيحت حرمان المسلمين في المشرق من قبل الصليبيين لا لشجاعتهم وقوة بأسهم بل لتمزق العالم الاسلامي الذي شغله عن رسالته الخالدة التنازع والتناحر . فقد وقفت الخلافة العباسية موقف العاجز عما يحدث بالشام ، هادرت الخلافة الفاطمية تخطب ود الفزاة من أجل التخلص من خلافة بغداد ، متخافلة عن حقيقة عظيمة وهي أن هؤلاء الفزاة لما جاءوا الا لتمزيق راية القرآن الكريم .

ولم يكن المغرب الاسلامي أسعد حظا من المشرق الاسلامي ، فكان يعيش في هذه الفترة محنة سياسية ودينية واقتصادية لضعف السلطة المركزية ، وانعدامها في بعض الفترات ، لذا كان المغرب نهبا لطوائف منتزعة ، متصارعة ، فيما بينها .

ومن هذه الطوائف غماره " ١ " في الشمال ، وقبائل برغواطيه " ٢ " في الغرب ، وقبائل زناته " ٣ " التي كانت تكون حزاما حول الطوائف السابقة

-
- ١ - قبيلة بربرية تعود الى فرع البرانسى وهي قسم من قبيلة مصموده انظر : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ١٧٧ .
 - ٢ - هم اخلاط من قبائل شتى من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف القائم بتامسنا حين ادعى النبوة في ايام هشام بن عبد الملك وكان أصله من برباط (حصن من عمل شدونه من بلاد الأندلس) ، وكان يقال لمن تبعه برباطي فعرسه العرب وقالوا برباطي فسموا برغواطيه ، وكان صالح هذا يهوديا ، وكانت تمايليه مزيجا من أفكار الخوارج ، والمعتزلة ، والشيعة ، واليهودية ، انظر : ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٣٠ - محمود اسماعيل : دراسات مغربية جديدة ، ص ١٥ - ٥٣ - محمد عبد الله غسان : دول الطوائف ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .
 - ٣ - من أهم قبائل البربر البتر ، وانتشرت زناته في جميع انحاء المغرب ، وكان لهم فن حربي خاص بهم فكانوا يستخدمون الدروع الجلديه ، ويعتمدون الخفة في القتال ، وقد أخذ عنهم الاسبان هذا النظام وسموه (Zenetes) انظر : أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٧ .

وطوائف الشيعة ، والوثنيين في الجنوب " ١ " . ووصف عبد الله بن ياسين صاحب دعوة المرابطين الاضطراب والفوضى في المغرب خلال مروره ببلاد المصامدة " ٣ " عائدا من الأندلس بأنهم كانوا يغيرون على بعض ويفنمون الأموال ، ويقتلون الرجال ، ويسبون النساء ، ولا يرجعون الى طاعة امام " ٣ " .

وانتشرت الشعوذات والبدع ، وكثر المتنبشون خاصة في غماره ، وترتب على ذلك التحلل من القيم الانسانية النبيلة ، فالتشرت الاباحية بين النساء ، اضافة الى مفاسد اخلاقية أخرى " ٤ " .

وكان الملمثون " ٥ " لا يعرفون من الاسلام الا اسمه ، فلم يقلعوا عما

- ١ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
- ٢ - هم من بربر البرانس ، كانوا يغلبون معظم سكان المغرب ايام الفتح الاسلامي حيث كانوا يشغلون معظم المناطق الجبلية وسهول الأطلسي ، ويعتبر الأطلسان الصغير والكبير موطننا للمصامدة انظر : ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، ٢٦٠ .
- ٣ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٠ .
- ٤ - أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
- ٥ - هم قوم يتلمثون ولا يكشفون وجوههم لذلك سمو بالملمثين ، وهم قبيلة من البربر يقال لها لمتونه وهي فخذ من صنهاجه ، وكانوا على المجوسيه قبل الاسلام ، واسلموا بعد الفتح ، وموطنهم يمتد من غدامس جنوب طرابلس الى المحيط الأطلسي ومن جبال درن في الشمال حتي مصب نهر السينغال بل الى منحى النيجر ، وعدد قبائل الملمثين يزيد على السبعين ، واصلهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرا عيشهم على اللحم واللبن . وقد تعددت الآراء حول سبب استخدامهم للثام فمحمد عبد الله عنان (دول الطوائف ، ص ٢٨٩) يجعل السبب الى انهم كانوا يتخذونه في اعراسهم فأصبح لديهم عرفا . اما أحمد مختار العبادي (في تاريخ المغرب والأندلس ، ص) فيرى أنه تقليد أخذ عن الزوج المجاورين لهم الذين استخدموا للثام =

اعتادوه في جاهليتهم من مساوىء قضى عليها الاسلام في كل مكان حل فيه . " ١ " و ترتب على سوء الاحوال السياسية سوء الاحوال الاقتصادية ، فكثرت المكوس على التجارة اثناء تنقلها بين طوائف المغرب ، ونتيجة لذلك ارتفعت الاسعار ، ونضبت المواد الضرورية من الأسواق ، واشتد الخوف ، وخيم شبح الجوع والفناء حتى قيل : ان اوقية البركانت تباع بدرهم . " ٢ "

وشجعت احوال المغرب السيئة اعداء الاسلام على الاغارة على السواحل الافريقية ، فأغار النورمان " ٣ " على مدينة زويله " ٤ " ، وفي عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م

= لظرد العين الشريرة ، ويذكر ابن عذارى (البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ١٢٨ - ١٢٩) أنه تقليد موروث عن حمير الذين كانوا يتلثمون لشدة الحر والبرد ، ويرى البزوى (تاريخ دول الاسلام في المغرب الأقصى ، ورقة ٣٢) أن سبب ذلك أن قوما من اعداء الملتهمين كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم ، فأشار عليهم أحد مشايخهم أن يعمثوا النساء في زى الرجال الى ناحية ويقصدون هم البيوت فيلبسوا ثياب النساء فاذا جاء المدوناءوا عليه ، فنجحت الخطة ، فلتزموا اللثام تبركا بطا حصل لهم من الظفر بالمدو ، ويرى عبد الحليم عويس (رحلة السلى بلاد الملتهمين ، مجلة الفيصل ، عدد ٣٦ ، جمادى الآخر ١٤٠٠ هـ / مايو ١٩٨٠ م) ان السبب هو أن الفم عوره ومن سوء الأدب كشفه ، ومن المرجح أن الحر والرمال هما السببان الرئيسيان للثام ومسلطان المادة اصبحت استعماله عرفا ثم أضيف اليه اعتبارات أخرى نسجتها عقولهم ومشاعرهم .

- ١ - حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ١٠٧ .
- ٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٨٩ .
- ٣ - ذكروا في المصادر والمراجع بعدة اسماء منها : الأردمانيين ، والمجوس ، والفيكنج ، وهناك من يؤكد بأن اللفظ محرف عن (أى سكان الشمال انظر : الحميري : الروض المعطار ، ص ٨٩ - البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ١١٢ - فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ١١٥ ، ٢١٨ - محمد عبد الله عنان : دول الإسلام ق ١ ، ص ٢٥٠ - سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .
- ٤ - مدينة كانت متصلة بالمهدية انظر : الحميري : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ .

اغارت اساطيل بيزه وجنوة على المهديّة ، وسقطت صقلية بيد النورمان في عام
٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م .

لقد انهارت السيادة الاسلاميّة في البحر الأبيض المتوسط ، وامتهن المسلمون
واستدلّوا ، وأغار النصارى عليهم في عقود ادهم ، يأسرون وينهبون ، وقد
صور الشاعر الحصري القيرواني حال الناس أصدق تصوير حيال هذه الكارثة التي
حلت بالبحريرة الاسلاميّة التي فقدت سيطرتها على السواحل الاسلاميّة حيث قال :

لا تعجبين لرأسي كيف شاب أســــى

واعجب لأسود عيني كيف لم يشــــب

البحر للروم لا يجرى السفين بــــه

الا على مضض والبر للمــــرب " ١ "

أجل لقد كان المغرب بظروفه السياسيّة والاقتصاديّة ، والدينيّة المضطربة
بحاجة ماسة لحركة اصلاحية تلم شعثه وتوحد قواه نحو هدف مقدس يسموه عــــن
كل نزاع من شأنه أن يفرق شملهم ، ويحميه من كل تيار فكري منحرف .

وانا انتقلنا الى الأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري وجدناه
قد فقد وحدته السياسيّة التي طالما تمتع بها خلال خلافة بني أمية ، فما أن سقطت
الخلافة الأمويّة عام ٤٢٢ هـ / ١٠٦٤ م ، حتى انتزى المنتزون من كبار القــــادة
والزعماء المحليين الطامعين كل في منطقته ، وانا بنا أمام عشرين دولة مستقلة فــــي
عشرين مدينة أو مقاطعة ، ومن أشهرها : مملكة بني عباد في اشبيلية ، ومــــني
حمود بمالقة والجزيرة ، ومني زيري بفرناطة ، ومني هود بسرقسطة ، ومني ذي النون

في طليطلة ٠ " ١ "

ومما زاد الأمر سوءا تناحر وتخاصم هذه الامارات مما أضاف الى ضعفها
ضعفا وجعلها غنيمة سهلة لممالك النصارى في الشمال ، وشجع ذلك الوضع أيضا
النورمان على غزوها ، فاستولوا على برنشتير " ٢ " في عام ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م ،
حيث ارتكبوا بحق أهلها مذبحه مروعه ، وفي الوقت الذي كان فيه ملوك الطوائف
مشغولين بملاذهم ولهمومهم ، والكل منهم يسعى من أجل كسب رضى ملك قشتالة
الفونسو السادس (الألفونش) " ٣ " الذي أرهقهم بالأتاوات حتى أصبح لهم
عمال يجيبون له الأموال من ملوك الطوائف ٠ " ٤ "

وكان المعتمد بن عباد أعظم ملوك الطوائف يؤدى اليه الضريبة في كل سنة " ٥ "
وعلى الرغم من هذا الذل لملوك الطوائف على يد الفونسو السادس فقد تلقبوا بالقباب
ملوكية فخمة مثل المقتدر ، والمتوكل ، والمؤمن ، والمعتضد ، فرحم الله

١ — عبد الحميد المبادى : المجلد في تاريخ الأندلس ، ص ١٥٤ — ١٥٥ —
السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرسية الاسلامية ، ص ٥٧ — ٥٨ .
٢ — مدينة تقع على فرع صغير من أنوع نهرا برة بين لارده ووشقة في الشمال
الشرقي لسرقسطه ، دخلوها بعد حصار دام أربعين يوما ، فقتلوا
من أهلها أربعين ألفا ، انظر : محمد عبد الله عثمان : دول الطوائف ،
ص ٢٦٤ — ٢٦٦ .

٣ — هوان فونش بن فرنلند بن غرسيه بن شانجه ، كان من أشجع اخوته ، يرد
في المصادر والمراجع بلفظ الفونش ، والقش ، توفي في مدينة طليطلة في
شهر رذى الحجة من عام ٥٠٢ هـ انظر : ابن عذارى : المصدر السابق ،
ج ٤ ، ص ٥٠ — ٥١ — السلاوى : الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
٤ — ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٧٧ — ابن أبي دينار : المؤنس ،
ص ١٠٠ — ١٠١ — عبد الكريم التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي
في الأندلس ، ص ٣٠٩ .

٥ — السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٦ — ١١٤ — ابن خلكان :
وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ٢٧ — ٢٨ .

ابن رشيق حين قال :-

ما يخفضني في ارض اندلس
القاب سلطنة في غير ملكة
سطع مقتد رفيعها ومعتضد
كالنهر يحكي انتفاخا صورة الأسد^١

ولم يجد ملوك الطوائف حيفا في الاستنجاد بأعدائهم النصارى لقتل بعضهم بعضا "٢" ، أو من أجل أن يحافظ أحدهم على عرشه المهزوز ، وكانوا في القابل يقدمون الأموال الطائلة مقابل هذه المساعدات فأثقلوا كاهل رعاياهم بالضرائب من أجل تقديمها لأعداء أمتهم . "٣"

واستخدم النصارى هذه الأموال في تجهيز الجيوش للاقضاء على الأراضي الإسلامية في الأندلس والتهامها تحت شعار حركة الاسترداد الصليبية التي شجعتها وباركتها الكنيسة . "٤"

لقد كان عصر ملوك الطوائف عصرًا زاخرًا بالمجون ، ومثالا للتمزق السياسي ، وضعف التمسك بمبادئ الإسلام الحنيف . ولكن على الرغم من هذه الصورة القاسية كان هناك بصيص من نور يخرج بين الفينة والفينة ينير للناس الدرب ، ويخلصهم على رفض واقعهم المرير . فكثيرا ما رفض الأندلسيون الانصياع لحكامهم الذين ارتضوا لأنفسهم الذلة بارتمائهم في أحضان ملوك النصارى . فقد رفض أهل سرقسطة دفع الأموال إلى المقتدر عميل النصارى ، وأفهموه أن الأمر مخالف لتعاليم الشرع الحنيف .

١ - ابن أبي دینار : المصدر السابق ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

٢ - ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٧٧ .

٣ - عباس الجارري : الأدب المفرد من خلال ظواهره وقضاياها ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

٤ - علي الجارم : قصة العرب في اسبانيا ، ص ١٦١ - ١٦٣ .

وكذلك حد ا حدودهم أهل طليطلة ورفضوا جميع الأموال الى القادرين ذى النون
ليقدمها الى حليفه الفونسو السادس عام ٤٦٨ هـ / ١٠٧٨ م "١"

وتزعمت فئة من الفقهاء ورجال الفكر دعوة ملوك الطوائف الى التكاتف والوحدة
من أجل الوقوف أمام زحف النصارى المستمر نحوهم ، وكانت تلقى أمثال هـ
الدعوات أذنا صاغية بعد الأزمات ، والنكبات المفجعة التي كان يتعرض لها
الأندلس من غارات مخزية أو سقوط موقع حساس مثل برشتر وقلورية "٢" في عام
٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ، وقد توجت هذه النكبات بسقوط طليطلة عام
٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م

ومن الذين تزعموا حركة الدعوة للوحدة ولم الشعب لمواجهة الأخطار المحدقة
سليمان بن خلف الباجي "٣" ، كما شاركه علماء آخرون في هذه الدعوة ففي
فترات مختلفة "٤"

لقد كان الأندلسيون يترجون تحت نير الذل والفقر ، وكابوس الضرائب
الباهظة التي لا تخضع لنظام معين في زياداتها ، لذا كانت الرعية الأندلسية
لا بل العالم الاسلامي كله بحاجة لمن يخلصه من واقعه المرير الذي كان يعانيه .

-
- ١ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٧١ - ٧٢ - ابن
عذارى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ - ابن الكردبوس :
المصدر السابق ، ص ٨٢ - ٨٣ .
 - ٢ - قلورية أو قلوريه ، وهى تعني حينئذ ملكة البرتغال انظر : ابن
عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ، حاشية رقم ١ .
 - ٣ - محدث وفقيه وعالم متكلم مشهور توفى سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م بمدينة المريه ،
انظر : الضبي : بغية الملتص ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .
 - ٤ - الضبي : نفس المصدر السابق والصفحات .

دولة المرابطين حتى نهاية عهد يوسف بن تاشفين :

=====

في هذه الظروف اجتمعت قبائل صنهاجة في المغرب بعد تفرق دام مئة وعشرين عاما على يد أحد زعمائهم المسمى ابو عبد الله محمد بن تيفات المعروف بتارشتا اللمتوني (٤٠٠ — ٤٠٣ هـ / ١٠٠٩ — ١٠١٢ م) " ١ " ، وبعد وفاته حمل الراية بعده صهره يحيى بن ابراهيم الكدالي (٤٠٣ — ٤٣٤ هـ / ١٠١٢ — ١٠٣٤ م) الذي كان غير راضى عما كان فيه قومه من جهل وتخلف ، فصمم على تبديل احوالهم ، وكان يتحين الفرص من أجل اخراج قومه من الظلمات الى النور . " ٢ "

وواتته الفرصة في عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م عندما رحل لاداء فريضة الحج وفي طريق عودته استطاع أن يصطحب معه أحد تلاميذ واجاج بن زلو اللمطي " ٣ " المسمى عبد الله بن ياسين الذي استجاب لنداء الواجب ، ورأى في خروجهم مع يحيى بن ابراهيم للدعوة الى الله لونا من ألوان الجهاد في سبيل اعلاء كلمة لا اله الا الله ، فعاد يحيى به الى قومه ظافرا مسرورا ، وشاركه قومه

-
- ١ — البزيمى : تاريخ دول الاسلام بالمغرب ، ص ٣٣ .
 - ٢ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٢٦ — ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٢٠ — ١٢١ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٧٣ — ٣٧٥ — عبد الحق حموش : ابن تاشفين ، ص ١٩ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .
 - ٣ — هو أحد تلاميذ أبي عمران الفاسي ، الذي عاد الى السوس بعد اكمال تعليمه ونفي هناك دارا للعلم ، ودراسة القرآن سماها دار المرابطين ، ويعتبر البعض أن رباط وجاج أقدم رباط مغربي ، انظر : ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٧٤ — حسن محمود : المرجع السابق : ص ١٢٨ — ١٣٦ — محمد ادريس العلمي : الحركة الدينيّة =

هذه الفرحة • "١"

وأخذ عبد الله بن ياسين يوضح للملثمين الذين سيطرت عليهم البدع والخرافات مبادئ الاسلام الصحيحة ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر • وعلى الرغم من كل الصعوبات التي اعترضه استطاع خلال فترة وجيزه أن يربي ألف رجل من اشراف صنهاجة على تعاليم الاسلام الصافية ، وللزومهم رباطه واخلاصهم لــــه ساهم المرابطون • "٢"

وبهذا العدد القليل استطاع عبد الله بن ياسين أن يخضع كل المعارضين لدعوته في جميع بلاد الصحراء ، وما أن قضى نحبه في يوم الأحد الموافق ٢٤ جمادى الأولى سنة ٤٥١ هـ حتى كانت جيوشه قد أخضعت بلاد نفيس

= في عهد المرابطون ، مجلة دعوة الحق ، العدد الثالث رجب ١٣٨٢ هـ ، ص ١٩ — ٢٠ •

١ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٢ — ١٢٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١١٣ •

٢ — الرباط : معناه اللغوي ، هو : الثبوت واللتزم ، وربط النفس على الأمر أي تثبيتها عليه والزامها اياه ، ومعناه الشرعي هو : ملازمة الثبوت والثبوت بها على السار والمحدور ، وفوائده النيه ، والزاد الحلال ، والعدة ، والمعقل ، انظر : محمد مفتاح : مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ ، ابريل — مايو — يونيو ١٩٨١ م ، ص ١٨٣ ، اما عن سبب تسميتهم بالمرابطين فلفظ : ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٦ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ • ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٨ — ١٢٩ — المراكشي : المعجب ، ص ٢٢٧ — أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلاميه ومعجم الاسرات الحاكمة ، ج ١ ، ص ٢٩ •

وسائر بلاد كدميوه ، وجبل درن " ١ " ، ودرعه " ٢ " ، وسجلماسه " ٣ " .
وتسلم الراية بعده ابو بكر بن عمر ، الذي أدى الرسالة على أكمل وجه ، فتابع
جهاده لبرغواطة حتى هزمهم " ٤ " . لا أن خبرا طارا اليه من جنوب المغرب نفس
عليه انتصاراته ، وهو وقع الفتنة ما بين مسوفة ولقونة فقرر الرحيل اليهم ليقيم
شملهم ويوحد كلمتهم ، فوكل شؤون المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين لما امتاز
به من فضل وشجاعة ، وترك عنده ثلث الجيش ورجل بالثلين في شهر ذي القعدة
سنة ٤٥٣ هـ / ديسمبر ١٠٦١ م " ٥ " .

-
- ١ — جبل مشهور بالمغرب معترض بالصحراء ، وفي اعلاه مجموعة قلاع وحصون
تزيد على السبعين حصنا وينفجر منه نهر نفيس ، ووادي أغمات انظر :
الحميري : المصدر السابق ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ .
 - ٢ — مدينة عامرة في جهة سجلماسة تبعد عنها ثلاثة مراحل ، انظر : الحميري :
المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .
 - ٣ — مدينة في جنوب المغرب في مقطع جبل درن ، وسكانها من أغني الناس لوقوعها
على طريق غانة بلد الذهب ، ويصود تأسيسها الى عام ١٤٠ هـ على يد
مدرار بن عبد الله ، انظر : الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٠٥ —
٣٠٦ — ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٩٢ — القزويني :
اثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٤٢ — ماك كوك : الرواية التاريخية
عن تأسيس سجلماسه وفاته ، ص ١٢ — ويعتبر المستشرق باذل دافسن
(افريقيا تحت أضواء جديده ، ص ١٤٢) أن مجيء المرابطين الى هذه
المناطق كان بمثابة الهيال والنكبة ، وهذا منابر للحقيقة انه ازدهرت المدينة
في ظلهم ازدهارا فاعقا ، وما هذا الا جزئا من الحطة الظالمة التي يشتمها
المستشرقون على هذا الدولة المجاهدة التي وقفت في وجه الزحف الصليبي
في اسبانيا .
 - ٤ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٦ — ١٠٧ — أحمد مختار
العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣١٧ .
 - ٥ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١١ — ١١٢ — الكتبي :
عيون التواريخ ، ج ١٣ ، ورقة ٩٠ — مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ،
ص ٢٣ — ٢٥ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

وأخذ يوسف بن تاشفين يتابع جهاده للمخالفين لدعوة عبد الله بن ياسين ، فوجه أربعة جيوش لقتالهم وسار هو خلفهم كرديف للنجدة في اللحظة الحاسمة ، ففزا قبائل المغرب قبيلة قبيلة حتى أخضعها . وفي جمادى الثاني سنة ٤٦٢ هـ / ١٨ مارس ١٠٧٠ م توج انتصاراته بفتح مدينة فاس الفتح النهائي ، وذلك يكون قد فتح جميع بلاد المغرب الأقصى ما عدا سبتة وطنجة " ١ " .
ومعد هذه الانتصارات الرائعة التي حققها يوسف بن تاشفين أخذ يفكر بالانفراد بالسلطة ^أ على الأقل التمسك بما وصل اليه ، وهذا ما اوضح من خلال اتصالاته مع بعض اخوانه حيث طلب منهم القدوم اليه واعدا اياهم بالمال والسلطة ، فهرع اليه جمع منهم ، وكل ذلك يحدث خفية عن القائد الأعلى أبي بكر بن عمر ، الا أن يوسف على الرغم من عظم سلطانه كان على اتصال مع أميره أبي بكر في الصحراء يخبره عن انتصاراته ، فكان يتقبل ذلك بالسرور والشكر . " ٢ "

ولما قضى أبو بكر بن عمر على الفتنة التي نسبت في الجنوب عاد الى مراكش ليجد الأمور قد تغيرت عما كانت عليه ، وأن يوسف قد أصبح يتمتع بمكانة عظيمة بين جنده ورعيته ، وأنه أحاط نفسه بحاشية تشبه حاشية الملوك العظام ، عندها أدرك أن الأمور خرجت من يده فخاطب يوسف بن تاشفين من أجل التنازل لـ رسميا عن السلطة وقال له : ((يا يوسف اتق الله في المسلمين ولا تضيع شيئا من أمورهم فانك مسئول عنهم والله خليفني عليك وعليهم)) ، وخلق نفسه في

-
- ١ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج ٣ ، ص ١٣٨ - ٢٣٤ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٢ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٨ - رزق الله الصديقي : تاريخ دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤٩ - ٥١ .
 - ٢ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢ - ٢٣ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

جمع من اشيخ لمتونه ، وأشهد بذلك العدول ، وأعيان القبائل ، والمقابل
قطع يوسف على نفسه الا يقطع أمرا دونه ، واعلم يوسف القبائل بذلك فهايموه
وقدموه ، " ١ "

ثم رحل أبو بكر بن عمر عام ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م محملا بالهدايا ، وبقي
هناك حتى استشهد في شعبان عام ٤٨٠ هـ . وقد ظلت السلطة الاسمية
لأبي بكر حتى تاريخ استشهاده ، وخير شاهد على ذلك أن النقود بقيت تضرب
باسمه حتى التاريخ المذكور بصفته حاكما للمرابطين . " ٢ "

وبعد أن أصبح يوسف بن تاشفين سيد المغرب بصورة شرعية بعد تنازل
أبي بكر ، أخذ يتابع جهاده من أجل استكمال توحيد أرض المغرب تحت
سيادته ، فبعث في عام ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م جيشا ضخما على رأسه
صالح بن عمران إلى طنجة ، حيث دخلها عنوة بعد أن قتل سكوت البرغواطي " ٣ "
في ساحة المعركة ، وفي عام ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م تمكن مزدلي بن تليكان اللمتوني ،
أحد قادة يوسف بن تاشفين المشهورين من دخول تلمسان ، وذلك يكون قد سقط

-
- ١ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣ — ٢٦ — ابن الخطيب :
اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٣٣٢ — ٣٣٣ — مؤلف مجهول : المصدر
السابق ، ص ٢٥ — ٢٧ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٢ —
غوثيه : ماضي شمال افريقيا ، ص ٢٨٢ — محمد عبد الله غنسان :
دول الطوائف ، ص ٣٠٠ .
 - ٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٧ — ابن عذاري : المصدر
السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ،
ص ٣٣٢ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .
 - ٣ — أصله من برغواطة الزناتيه ، وكان يعمل تحت إمرة علي بن حمود ، وكان
نائبه على طنجة وسبته وبعد زوال أمر الحموديين استقل سكوت بط تحت
يده انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٢ — ١٤٣ — ابن
الآبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٥١ ، حاشية رقم ١ .

المغرب الأوسط تحت سيادة يوسف بن تاشفين "١".

أما سبته فقد تحصن بها ضياء الدولة يحيى بن سكوت البرغواطي ، إلا أن يوسف استطاع دخولها في عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، وقتل يحيى — سكوت . "٢"

وبهذا يكون يوسف بن تاشفين قد حول حلم عبد الله بن ياسين الى حقيقة ، فتحررت قبائل صنهاجة ، وبلاد المغرب من البدع والخرافات ، وأخذوا ينهلون من منهل الاسلام الصافي تحت راية دولة تمتد حدودها من تونس شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا ، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا حتى حدود السودان جنوبا ، تنتشر في ربوعها الطمأنينة والسكينة بفضل السياسة الحكيمة التي انتهجها يوسف ابن تاشفين . "٣"

واستطاع يوسف بن تاشفين أن يقضي على كل محاولة تمرد ضد سلطته فقضي على تمرد أهل الجنوب عام ٤٦٤ هـ / ١٠٧٢ م ، وأحبط محاولة تمرد ابراهيم ابن أبي بكر في عام ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م ، الذي جاء مطالبا بملك أبيه — وأحبط أيضا مؤامرة قامت ضده في مدينة فاس "٤" . ولجأ الى أسلوب الدسيسة ضد من لم يستطع القضاء عليه مباشرة كما فعل مع سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها

١ — ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ — ٣٨١ — رزق الله

الصدفي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥١ .

٢ — ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج ٢ ، ص ٦٦٣ — ٦٦٤ (يحدد سقوطها في صفر ٤٧٦ هـ) — ابراهيم حركات :

المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

٣ — محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٩٨ — ٣٠٢ — حسن

محمود : المرجع السابق ، ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

٤ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢ — ٣٠ — ابن

خاقان : قلائد العقيان ، ص ٣٠ — ٣٤ .

محمد بن ابراهيم ، حيث حاول قتله عن طريق الحجام ، وعن طريق دس السم له ، ولكنه نجا من كل هذه المحاولات . " ١ "

ومن أجل أن يحافظ يوسف على قوة دولته ، حظى الجيش منه برعاية خاصة ، لأن دولة بسعة دولته لا بد لها من جيش قوى يحمى دمارها ، ويقارع اعداءها لذا فقد عمل يوسف على زيادة أفراد جيشه من الأغزاز " ٢ " ، والروم ، والرملة " ٣ " ، فقام بشراء نحو من الألفين من العبيد السودان ومائتين وأربعين فارسا من الأعلاج ابتيعت له من الأندلس ، وأركب الجميع في الجيش . " ٤ "

وحتى يحافظ على فتوحاته اضطر إلى بناء معسكرات خاصة لحمايتهم ، فأنشأ عدة مدن لهذا الغرض . فعندما فتح المرابطون سجلماسة أسسوا مدينة تلبلا ، وأنشئت مدينة مراكش في قلب بلاد المصامدة لتكون معسكرا يحشد فيه الجند للتصدي لهم إذا حدثتهم أنفسهم بالثورة ، كما بنيت في تلمسان قلعة حصينة تحرس الزناتين ، وتقف لهم بالمرصاد ، وكانت كل قلعة تشحن بالاقوات ، والسلاح ، والمقاتله حتى تكون مستعدة لمواجهة أى طارئ يهدد أمن الدولة . " ٥ "

-
- ١ - ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .
 - ٢ - هم جنس من الترك عملوا في جيوش المرابطين والموحدين ، والمرينيون . انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٩ ، حاشية رقم ٨٠ .
 - ٣ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٥ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
 - ٤ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢ - مؤلف جهول : المصدر السابق ، ص ٢٥ .
 - ٥ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

ولم يففل يوسف بن تاشفين عن الأسطول فأنشأ أسطولا فخطأ أثبتت جدارته في حصار سبتة "١" ، وازدهر هذا الأسطول في عهد علي بن يوسف حتى أصبح هو المسيطر في مياه البحر الأبيض المتوسط .

وعلى الرغم من هذا الجهد المضي الذي بذله يوسف في مجال الحرب ، والأهتمام بالجيش ، إلا أنه لم يففل عن العمارة فشجعها ، وأقام عدة منشآت أهمها : حصن قصر الحجر بدرجة مراكش "٢" ، واهتم بشكل خاص ببناء المساجد ، ولعل ذلك يعود لادراكه لأهميتها في اعداد الأفراد اعدادا سليما ينزع بهم عن كل ما هو مغل بالأخلاق ، وهذا ليس غريبا على رجل تخرج من مدرسة عبد الله بن ياسين ، الذي غرس في نفسه حب الاسلام والعمل له . فعندما دخل مدينة فاس عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠م أمر ببناء المساجد في أحوازها وأزقتها ، وشوارعها ، وأى زقاق لم يجد فيه مسجد عاقب أهله ، وأمرهم ببناء مسجد فيه ، وكذلك اسس المساجد في جزائر مزغنه "٣" وند بوسه "٤" وتاكرات "٥" ، وقام بتشيد جامع مراكش "٦" ، وأمر بعمل منبر للمسجد الجامع

-
- ١ — ابن يسام : المصدر السابق ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٦٦٣ — ٦٦٤ .
 - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١١٣ — ١١٤ .
 - ٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٥ .
 - ٣ — مدينة جلييلة البنيان تقصدها السفن من أفريقية ، والأندلس وهى على ضفة البحر بين أفريقية والمغرب ، انظر : ياقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .
 - ٤ — في الأصل اسم قبيلة من قبائل جذم كوميه تقع شمال غرب تلمسان انظر : البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٦٥ ، حاشية رقم ١١٧ .
 - ٥ — قلعة حضية بينها وبين تلمسان مسيرة يوم انظر : الحميري : المصدر السابق ، ص ١٢٩ .
 - ٦ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤١ — ١٤٢ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٩ .

بللجوائر كانت آية في الزخرفة والجمال "١" ، وزاد في عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م في مسجد سبته ، وأمر ببناء سور الميناء السفلي فيها ، "٢"

وشجع أيضا بناء الفنادق ، والأرجاء ، والأسواق في جميع أرجاء بلاده على أن أهم عمل معماري قام به هو اختطاطه لمصحة ملكه مراكش ، "٣" أما سياسته الاقتصادية فقد التزم فيها أحكام الشرع ، فلم يفرض أى ضريبة غير شرعية طوال حياته "٤" ، واقتصر على الزكاة ، والأعشار ، وجزيرة أهل الذمة ، وأخماس غنائم المشركين "٥" ، وقام بتشجيع التجارة لفائدة رعاياه "٦" ،

وبدل يوسف بن تاشفين في عام ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م السكة في جميع أعماله ، وكتب عليها اسمه "٧" ، وألشأ دارا للسكة في مدينة مراكش "٨".

-
- ١ — مانويل جوميث مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص ٣٣٧ .
 - ٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٤ .
 - ٣ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥١٧ ، قالوا مراكش معناها مر مسطحة — سلتحدث عن هذه المدينة بشيء من التفصيل في الفصل الخاص بالعمارة انظر : ياقوت : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٤ — الحميري : المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .
 - ٤ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .
 - ٥ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٧ — ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .
 - ٦ — عبد الحق حموش : ابن تاشفين ، ص ٤٦ .
 - ٧ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، ١٤٣ (نقش في الدينار على الوجه لا اله الا الله محمد رسول الله ، وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وكتب في الدائرة " ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " ، وكتب في الصفحة الأخيرة .
الأمير عبد الله العباسي ، وفي الدائرة تاريخ الضرب وموضع السكة) .
 - ٨ — أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٢٨ .

أما علاقته مع رعيته فقد اتخذ مختلف الوسائل من أجل كسب رضاها ، فكان يوزع خمس الغنائم على الفقهاء والعلماء في كافة جهات المغرب ، ورد أحكام البلاد الى القضاة ، واسقط ما دون الأحكام الشرعية ، وكان يقوم بتفقد أحوال رعيته في كل سنة ، ويجرى الأرزاق على الفقهاء من بيت المال طوال أيام حياته " ١ " ، لهذا كان المرابطون يستقبلون في كل بلد يحلون فيه استقبال المنقذين " ٢ " .

وحتى يضمن لنفسه طبقة موالية مخلصه ، عمد الى توزيع الاراضي الخصبة — على قبائل الملتجئين القادمة من الجنوب ، وولى رجالاتها الأعمال ، واتخذ من اقربائه ولاية على الأماصار المفتوحة " ٣ " .

ولكي يضمني على دولته وبلاطه الشكل الذي يليق بمعظمتها ، انشأ الدواوين ، واتخذ الأعلام المدبجة بالآيات القرآنية ، وأحاط نفسه بطبقة من الحشم " ٤ " ، والأتباع ، ونظم مقابلاته ، واستقبالاته عن طريق الحجاب " ٥ " ، ولم يلبث أن اتخذ لنفسه ألقابا سلطانية فخمة مثل أمير المسلمين ، وناصر الدين ، وذلك من خلال مرسوم صدر عنه عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م

- ١ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٧ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .
- ٢ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .
- ٣ — المرجع السابق نفسه — ص ٢٢٩ .
- ٤ — ضم يوسف من جزولة ولمطه ، ومموده ، وقبائل زناته جموعا كثيرة ، وأطلق عليهم اسم الحشم ، وضم طائفة أخرى من اعلاجه واهله وحاشيته وسماهم الداخلين انظر : مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٣ .
- ٥ — أحمد مختار المبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٢٨ — ٣٢٩ .

وزع في جميع أنحاء البلاد للخطبة له بهذا الاسم . " ١ "

وحتى يحيط حكمه بسياج شرعي دعا للخليفة العباسي ، الذي أرسل

بدوره تقليد أليوسف بحكم البلاد التي تحت يده ، ومداومة الأعداء . " ٢ "

وبذلك يكون يوسف بن تاشفين قد نجح في إقامة صرح دولة قوية ، ذات بلاط

فخم ، ومؤسسات عديدة ، ضمن وحدة سياسية قوية ، في الوقت الذي كان فيه

الأندلس يعاني من آلام التفكك السياسي ، والاجتماعي ، والظلم الاقتصادي

في ظل ملوك الطوائف ، ففرضوا الضرائب غير الشرعية على رعاياهم ليشتبعوا نهـم

ملوك الله أبي السـمـذي لا ينتهي . " ٣ "

عندئذ رأى أهل الأندلس ، وملوكهم بأنه لا بد من التخلص من هــذا

الوضع المزري الذي هم فيه ، فتوالت الوفود على يوسف بن تاشفين ، وتتابعـت

الرسائل من ملوك الطوائف ، طالبين تخليص البلاد من خطر النصاري خاصة بعد

سقوط مدينة طليطلة عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م " ٤ " وبعد أن استقر الفونسـو

السادس في طليطلة ، استشرى خطره وأخذ يتوق لامتلاك الأندلس كلها ،

ويذكر أنه أعدنا قوسا ضخما من أجل وضعه مكان الهلال المنصوب على مسـجد

١ - اجتمع اشيـاخ القبائل في هذه السنة على يوسف وقالوا : أنت خليفة الله في

المغرب وحقك أكبر من أن تدعى بالأمير ، الا انه رفض ، لأن ذلك الاسم خاص

بالخليفة العباسي ، وهو تابع له يخطب في المغرب باسمه ، وعندما أصـروا

عليه باتخاذ اسم قال لهم أمير المسلمين ، وهو أول من تسمى بهذا الاسم

انظر : ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧ - ٢٨ - ابن

خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

٢ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

٣ - ابن بسام : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١ - ٢٤٨ .

٤ - بحث المعتمد بن عباد عام ٤٦٧ هـ الى يوسف يطلب منه الجواز ، وفي عام

٤٧٤ هـ قدم وفد من الأندلس يشكون سوء أحوالهم ، وكتب اليه ابن الأفطس =

قربطيه .

لقد كانت مصيبة المسلمين في طليطله مروعة ، فحركت المشاعر الاسلاميه
الصادقه لأنهم شعروا بأن ذلك مؤشر لنهاية مروعه للمسلمين في الأندلس ، وعبر
الشاعر الأندلسي ابن أبي الحسّال " ١ " عن خطورة سقوط طليطله وما سيقترتب
على ذلك أصدق تعبير حين قال :-

حنوا رواحلكم يا أهل أندلس

فما المقام بها الا من الفلـط

السلك ينثر من أطرافه وأرى

سلك الجزيرة منشورا من الوسـط

من جاور الشر لا يأمن عواقبه

كيف الحياة مع الخيات في سـفـط

لقد كان أهل الأندلس يرون في دولة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين
أملهم الوحيد في تخليصهم من ذلك الواقع المزرى ، ولم يخيب يوسف رجاءهم
فأرسل الى المعتمد بن عباد يشترط عليه أن يسلم اليه الجزيرة الخضراء " ٢ "

-
- = يستلصقه ، وفي طام ٤٧٥ هـ جاء كتاب استصراخ آخر من ابن عباد انظر :
ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢ ، هـ ١ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ - ابن
أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٢ - ١٤٤ - ابن خلدون : المصدر السابق
ج ٦ ، ص ٣٨٠ - ٣٨٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق : ص
٣٣ - ٣٥ ، ٤٥ - ٥١ - اليزيوي : المصدر السابق ، ص
٣٩ ، وعن الخلاف حول تاريخ سقوط طليطله انظر : ياقوت : المصدر
السابق ، ج ٤ ، ص ٤٠ - القزويني : اثار البلاد وأخبار العباد ،
ص ٥٤٧ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
١ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٧ - ٢٨ .
٢ - مدينة مشهوره مقابلة لسبته وهي شرقي شذونه انظر : ياقوت : المصدر
السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

قبل الجواز اليهم فوافقه المعتقد ، فجاز يوسف الى الأندلس ، والتقى مع الفونسو السادس ، وانتصر عليه في موقعة الزلاقة عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م . " ١ " وما لبث أن جاز يوسف جوازا آخر بعد الزلاقة ، إلا أنه اكتشف أن ملوك الطوائف غير مخلصين لدينهم وبلادهم ، قسم منهم يتعامل مع الاعداء ضد اخوانه المجاورين له ، أو ضد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، لذا اتخذ قرارا استئصال شأفتهم فتم له ذلك " ٢ " باستثناء بني هود في سرقسطه لأسباب سنعرض لها في الباب الثاني .

وهكذا استطاع يوسف بن تاشفين أن يوحد تحت لوائه ما بقي من الأندلس الاسلامي ، وتمكن بعد جهد باهظ التكاليف أن يوقف تقدم النصارى بانتصاره الكبير في موقعة الزلاقة ، وأن يحول بين السيد القمبيطور " ٣ " وتوسيع مدى نشاطه المخرب الى ما يلي بلنسية جنوبا . " ٤ "

-
- ١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٨ ، ٥٠٦ - ٥١ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٨ - ٢٩ .
 - ٢ - المقرئ : نفع الطيب ، ج ١ ، ص ٤١٣ .
 - ٣ - فارس قشتالي قام بدور كبير في شرقي الأندلس توفي ١٠ يولييه ١٠٩٩ م ، انظر : حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٣ ، العدد الأول ، مايو ١٩٥١ م - ابن الآبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، حاشية رقم ١ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ - ٣١١ .
 - ٤ - حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحيدين ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد ، العدد الثالث ، مج ١ ، ١٩٥٥ م ، ص ١٠٠ .

وهذا استطاع يوسف بن تاشفين أن يحقق الوحدة التي عزت منذ سقوط الخلافة الأموية في الأندلس ، فامتد سلطانه من السودان جنوبا إلى البرانس شمالا ، ومن المحيط الأطلسي غربا إلى حدود تونس شرقا " ١ " .

وعلى الرغم من هذا السلطان العريض الذي حازه يوسف بن تاشفين إلا أنه كان انسانا متواضعا عادلا لا يزهق رعيته بالمفارم المحرمة " ٢ " ، وكان يعيش حياة بسيطة زلباسه الصوف ، وأكله خبز الشعير ، ولحوم الأبل وألبانها ، وكان شديد الحياء ، جامعا لخلال الفضل " ٣ " يخاف ربه ، كتوما لسكره كثير الدعاء والاستخاره " ٤ " ، حازما سائسا للأمور ضابطا لمصالح دولته " ٥ " .

ومعد حياة مليئة بالكفاح والجهاد مدة نصف قرن اضاهها في اقامة دولة المرابطين في المغرب والأندلس على النحو الذي شرحناه ، توفي يوسف بن تاشفين في ٢٧ محرم ٥٠٠ هـ " ٦ " . وكان جهاد يوسف بن تاشفين وجهوده في بناء دولته موضع للثناء والتقدير من قبل كافة المسلمين في المشرق والمغرب

-
- ١ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .
 - ٢ - محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٣٠٢ .
 - ٣ - ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .
 - ٤ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦ .
 - ٥ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ -
 - سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٢٩١ .
 - ٦ - القرطبي : أخبار الدول ، ص ٢٥٤ - الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٤١٢ - ابن تفرج بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩٥ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٥ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

ففي المشرق كانت أخبار انتصاراته على النصارى تثير الحمية الدينية في صفوف
الرعية والعلماء ، مما دفع أبو حامد الغزالي الى شد الرحال اليه ليقابل
هذا الزعيم الفذ ، ولكن ما أن وصل الى الأسكندرية حتى وافاه نعي يوسف
فماد من حيث أتى " ١ " . هذا ويحتير يوسف بن تاشفين من أعظم حكام
المسلمين في عصره " ٢ " ، وموفاته تبدأ مرحلة جديدة من مراحل دولة
المرابطين وهي فترة حكم ابنه علي الذي سيتابع خطأ أبيه في الجهاد والحكم .

=====

-
- ١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٤ ، حاشية
رقم ١ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .
 - ٢ - الحنبلي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤١٣ .

الباب الأول

الأحوال الداخلية في دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف •

الفصل الأول : ولاية أمير المسلمين علي بن يوسف

• يوسف بن تاشفين •

الفصل الثاني : الثورات والفتن في المغرب والأندلس

(٥٠٠-٥٢٢هـ / ١١٠٦-١١٤٢م) •

الفصل الثالث : ثورة محمد بن تومرت (٥١٤-٥٣٧هـ /

١١٢٠ - ١١٤٢م) •

النص الأول

ولاية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين

لقد كانت أمور الدولة ، ومصالح الرعية تروق أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .
ويبدو أنه كان مشغولا بشكل خاص في اختيار الرجل المناسب ليتولي الحكم بعده .
ويتحمل مسئولية الجهاد ، والحفاظ على المنجزات التي حققها هو وأسلافه لا سيما
أن رقعة الدولة المرابطية قد اتسعت ، وخطر النصارى قد استشرى .

ويظهر أنه وصل إلى قناعة بأن القبائل لا تجتمع إلا على رجل يعينه — هو
وبذلك يطمئن على استمرار مسيرة الدولة الفتية . ولذلك فكر يوسف بن تاشفين
في تعيين أحد أبنائه وليا للعهد . وعندما اختمرت الفكرة في رأسه — عام
٤٩٥ هـ / ١١٠١ م وقع اختياره على ابنه علي "١" لما امتاز به من ورج ونباهة

- ١ — كنيته أبو الحسن ، ولد بمدينة سبتة يوم الخميس ٤ ربيع أول عام ٤٧٦ هـ .
وفي رواية أخرى عام ٤٧٧ هـ . وقد اختلف في اسم أمه فلمهم من يقول ان —
اسمها (قمر) ، وآخرون يقولون (منوا) ، وتكنى بأم الحسن ، ولكن
هناك إجماع على أنها جارية إسبانية مسيحية . وكان علي يتمتع بصفات جسمية
رائعة ، فوصفه ابن أبي زرع (رياض القرطاس ، ص ١٥٧) بأنه
((أبيض اللون مشرب بحمره تام القد ، أسيل الوجه ، أفلج ، أفتى
خفيف العارضين ، أكحل العينين ، طويل القامة)) ، وأضيف له —
الصفات الجسمية الرائعة ذكاء وفهم وقادان . وقد تزوج من عدة نساء
منهن : رياض الحسن والتي أنجبت له ولدا اسمه عمر الصغير ، وأخرى
أمة سوداء اسمها تاغيشيت ، وثالثة اسمها قمر أم ولي عهده سير ، وكان
لعلي من الأبناء : تاشفين الذي تولى الحكم بعده (٥٣٧ — ٥٣٩ هـ) ،
وأبو بكر الذي كان يدعى بيكور ، وأبو حفص عمر الكبير ، وأبراهيم ، واسحاق ،
وتميم ، انظر : ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص
٤٥٩ — ٦٠ — مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٨٤ — ابن
غزاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٠ — ١٠١ — محمد
عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٥٨ — عبد الحق
حموش : ابن تاشفين ، ص ٣١ — محمود مكي : وثائق تاريخه جديده
عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد =

وحزم • عندها أصدر مرسوما بهذا الشأن في نفس العام ، وقام بكتابة المرسوم
الوزير الفقيه ابو محمد بن عبد الفتور • وفي العام التالي جاز يوسف بن تاشفين
جوازه الرابع الى الأندلس من أجل تلتظيم البيعة لولده علي • "١"
ولكن قبل أن نخوض في تفاصيل ذلك نتساءل عن سبب اختيار علي دون أخويه
الأكبر منه سنا ، ابو طاهر تميم ، والمغرب بالله ؟ "٢" • يبدو أن يوسف
كانت له فراسة جيدة في ابناؤه • ومن خلال مواقبتهم اكتشف أن عليا هو أفضلهم ،
وأجد رهم بهذا المنصب لما كان يتمتع به من ذكاء وقاد • لذا أخذ يعده بعناية
لتولي هذا المنصب فأوكل اليه وهو ما يزال يافعا لم يتجاوز الثامنة عشر من عمره
النظر في المظالم والشكايات فألمت جدارة ومقدرة فائقين فأجبه الناس وأعجبوا به • "٣"

ولعل يوسف بن تاشفين كان يرمي من وراء اختياره علي بالذات الى اهداف
بعيدة • فالأندلس التي تمثل جزءا مهما من مملكته فضلا عن كونها تمثل خط
المواجهة الأول مع النصارى لابد أن يكون حاكمها الجديد على معرفة ودراية بأحوالها ،
ولم يكن هناك شخص مؤهل لذلك أفضل من علي لاتصاله بالأندلسيين عن طريق امه
من جانب ، وعن طريق نشأته بسبته من جانب آخر • فقد عاش علي في الأندلس
أكثر مما عاش في المغرب ، ولا عجب أن تكون الحضارة الأندلسية قد أثرت فيه
من حيث ملامحه الجسمية وطريقة تربيته أكثر من المؤثرات المغربية • "٤"

= السابع والثامن ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، ص ١٥٦ - ١٨٢ -
E.I.article , Ali B.Yusuf.B. Tashufin. Vol.1 P.389-390.

- ١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٤٥ - ٤٦ •
- ٢ - مرانده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، مجلة تطوان العدد الثالث
والرابع ١٩٥٨ ، ص ١٥٥ •
- ٣ - مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٨٤ •
- ٤ - محمد ولد داداه : مفهوم الطوك في المغرب من انتصاف القرن الأول الى
انتصاف القرن السابع ، ص ١٠٩ •

وقد نشأ علي كما ينشأ أبناء الأشراف والأمراء "١" ، فحصل قسماً وافراً من الثقافة ، وكان له اطلاع في علوم الفقه والآداب . كل هذه المعطيات جعلته أقرب إلى المجتمع الأندلسي ومعرفة مشاكله ، وجعلته يذا أخواته في نظر والده .

ويبدو أيضاً أن يوسف كان حريصاً على أن لا يكون خليفته من إحدى زوجاته الصنهاجيات لأن ذلك سيدفع بهن إلى تقرب أقاربهم ومواليهم لصالح أبنائهم مما يسارع في فساد الدولة ، أما علي فكانت أمه نصرانية لا عصبية لها . "٢" على أي حال جاز يوسف بن تاشفين جوازه الرابع إلى الأندلس عام ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م من أجل تنظيم البيعة لولده علي . فطأ أن استقر في حاضرة الأندلس قرطبه ، وقاعدة حكم المرابطين في الأندلس حتى جمع ممثل الرعية من أمراء لمتونه ، ورجال علم ، وفقهاء ، وأشباه ، وقادة رأى "٣" ، وتلا عليهم عقد البيعة لابنه علي ، وبين لهم الأسباب التي حدثت به لهذا الاختيار ، فأقسموا له بيمين الطاعة والولاء ووقعوا على عقد البيعة . ثم قام ولي العهد بالقضاء قسم الالتزام بما في العقد من شروط اشترطها عليه والده ، ووقع على عقد البيعة وكان ذلك في ذي الحجة عام ٤٩٦ هـ . "٤"

— ١ —

- ٢ — حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ١٢٧ .
- ٣ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٦ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٤٦ — ٤٧ .
- ٤ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٤٦ — ٤٧ — السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة في الأندلس ، ص ١٤٢ — ١٤٣ .

وممن حضر مراسيم توقيع هذه الوثيقة عبد الملك بن المستعين بن هود
مثلاً عن مملكة بني هود المستقلة في سرقسطه "١" . وقد بارك أهل الأندلس
هذا الاختيار عن طريق أحد شعرائهم حيث أنشد :-

وان كان في الأسنان يحسب ثانياً

علي ففي الملياء يحسب أولاً

كذلك الأيدي سواء بنانهم

ونختص فيهن الخناصر بالحق لا "٢"

ثم خاطب يوسف سائر أهل مملكته للمبايعة لولده علي "٣" ، ودخل
في السنة التالية إلى غرناطة فأخذ البيعة من أهلها لولده ثم رجع إلى مقر مملكته
في مراكش . "٤"

ولنتأمل الآن وثيقة تولية العهد التي صدرت عندما قرر يوسف جعل ولده علي
ولياً لعهد "٥" وما جاء في هذه الوثيقة : ((الحمد لله الذي رحم
عباده بالاستخلاف ، وجعل الإمامه سبب الائتلاف ، وصلى الله على سيدنا
محمد نبيه الكريم الذي ألّف القلوب المتناحرة وأذل لتواضعه عز الملوك الجبابرة ،
أما بعد فان أمير المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين لما استرعاه
الله على كثير من عباده المؤمنين خاف أن يسأله الله غدا عما استرعاه كيف تركه
هملاً لم يستنب فيه سواء ، وقد أمر الله بالوصية فيما دون هذه العظمية وجعلها

-
- ١ - ابن عذاري : البيان المنسوب ، ج ٤ ، ص ٤٣ .
 - ٢ - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ٧٧ - ٧٨ .
 - ٣ - ابن الخطيب : الاطاحة في أخبار غرناطة ، ج ٢ ، ص ٥٢٠ .
 - ٤ - ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١١٣ .
 - ٥ - والنص الذي كتبه أبو محمد بن عبد الغفور لا يختلف في الجوهر عن النص الذي كتبه
ابن أبي القصير . انظر : ابن الخطيب : الاطاحة ، ج ٢ ، ص
٥١٩ - ٥٢٠ .

من أوكد الاشياء الكريمة كيف وفي عظام الأمور ، ومصالحة الخواص والجمهور ، وأن أمير المسلمين بما لزمه من هذه الوظيفة وخصه الله به من النظر في هذه الأمور الدينية الشريفة مازعوا إلى رماحه وأحد سلاحه فوجد ابنه الأمير الأجل أبا الحسن أكثر ارتياحا إلى المعالي ، واهتزازا ، وأكرمها سجيته ، وأنفسها اعتزازا فاستنابه فيما استرعى ودعاه لما كان إليه ادعى بعد استشارة أهل الرأي على القرب والنأي فضوه لما رضى ، واصطفوه لما اصطفاه ، وراوه أهلا أن يسترعى فيما استرعه فأحضر مشروطا عليه الشروط الجامعة بينها وبين المشروط فقبل ورضي وأجاب حين دعى بعد استشارة الله الذي بيده الخير والاستعانة بحول الله الذي من آمن به شكر)) . " ١ "

والتأمل لهذه الوثيقة يخلص إلى القول أن الاختيار لم يكن عشوائيا بل جاء بعد مشاورات مع أهل الرأي ((بعد استشارة أهل الرأي على القرب والنأي)) . كما قرر هذه الوثيقة حقيقة مهمة فيما يختص بصلاحيات الحاكم المرابطي التي تعطيه الحق في تعيين خلف له ، وتؤكد بأن هذا الحق من الحقوق الأساسية التي يتمتع بها ، وأن هذا الحق قد منحه الله له ((... لما استرعه الله على كثير من عباده المؤمنين خاف أن يسأله الله عما استرعه كيف تركه ههنا لم يستتب فيه سواء)) .

أما الشروط التي استرطها يوسف على ولده علي من أجل تقديمه لولاية العهد فهي : — ترتيب قوة عسكرية مكونة من سبعة عشر ألف فارس في الأندلس " ٢ " ، موزعة على نواحي مختاره لأهداف استراتيجية بحتة . فقد خصص لاشبيلية سبعة آلاف فارس ولحل يوسف ادرك أن هذه الحاضرة كانت قدرا لابن عماد اعظم طوك الطوائف فلا بد أن تكون قد تكونت حوله طبقة انتهازية ذات مصالح معه ، وأنه بزوال ملك ابن عماد

١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٨ — ٧٩ .
٢ — المصدر السابق نفسه ، ص ٨٠ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ص ٤٢٤ .

زالت تلك النعمة التي كانوا يتمتعون بها في ظل الدولة الزائلة . ولذلك وجدنا مجموعة من الشعراء يرثون ابن عباد ويكون على المجد الضائع ، وقد تبنى بعض المؤرخين هذه الأشعار لينالوا من الدولة المرابطية فصوروها على أنها دولة همجية أنهت عصر العلم والأدب المشرق . ومن ثم كان يوسف يدرك خطورة هذه الحاضرة ، ويبدو أنه توقع أن تكون في اشبيلية طبقة أو جماعة تتحين الفرص للوشوب في اللحظة المناسبة على الوافدين الجدد ، فلهذه الاعتبارات خصص هذا العدد الضخم من الجند من المجموع العام الذي خصمه للأندلس ككل .

وخصص لقرطبة ألف فارس ، ولغرناطة كذلك . أما منطقة شرق الأندلس فقد خصص لها أربعة آلاف فارس لتعرض تلك المنطقة المستمر لغارات النصارى وبشكل خاص من قبل القمبيطور . " ١ "

وخصص أربعة آلاف فارس للثغور لمداخلة النصارى ، والمرابطة في الحصون القابلة للمدو ، ويظهر أنه كان يحشد أن يقوم الأندلسيون بحراسة حدودهم مع النصارى لحملهم ودرايتهم بأحوال أعدائهم لمعاملتهم أيا هم عن قرب . " ٢ "

ومن الوصايا التي قدمها يوسف لولي عهده أيضا والتي تدل على خبرة ودراية وبعد نظر ، أنه أوصاه بأن لا يحاول إثارة أهل جبل درن ومنزلاتهم من المصادمة ، وأهل الجنوب ، وأن يترك بني هود على ما هم عليه من الاستقلال حتى يكونوا حائلا بينه وبين الممالك النصرانية ، وأن يكون لأهل قرطبة وضع خاص فيقبل من محسنهم ويتجاوز عن سيئهم " ٣ " ، ولعله كان على علم بتاريخ هذه الحاضرة وموقعها المعارض من الحكومات السابقة التي أدارت الأندلس فقد

-
- ١ — حسين مؤنس : السيد القمبيطور ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٣ ، ع ١ ، ١٩٥٠ م .
 - ٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٤٦ .
 - ٣ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٢ — ٨٣ .

كانوا دوما يقفون موقف المعارضين الناصر "١"

وفي أواخر عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م غادر يوسف بن تاشفين الأندلس عائدا الى المغرب بعد أن اطمأن على الأمر بعده "٢" . وفي هذا العام أصيب بمرض عضال - حال دون ممرضته لمهامه فكان علي يقوم مكانه في ممارسة سلطاته ، فنراه في عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م يصدر أمربعزل قاضي اشبيلية ابن منظور "٣" . ومضى المرض ينخر في جسد يوسف بن تاشفين حتى قضى عليه يوم الأحد مستهل شهر محرم عام ٥٠٠ هـ / ٢ سبتمبر ١١٠٦ م "٤"

وتولى ابنه علي زمام السلطة بعده مباشرة "٥" . فبعد مواراته في التراب خرج علي ويده في يد أخيه أبي الطاهر تميم فنعياه الى المرابطين ، ووجد - ابو طاهر بيعته لأخيه ثم قال لهم : قوموا فبايعوا أمير المسلمين ، فبايع جميع من حضر من لمتونه وسائر قبائل صنهاجه ، والفقهاء ، واشياخ القبائل ، فتمت له البيعة في مراكش "٦"

وكتب علي في نفس الوقت الى سائر قواعد المغرب والأندلس ، والصحراء يعلمهم بوفاة أبيه واستخلافه اياه بعده ، ويطلب منهم بأن يأخذوا البيعة له ، وكان عمره عند تولية السلطة لا يتجاوز الثالثة والعشرين من العمر "٧"

- ١ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ١٢٦
- ٢ - حسن محمود : خيام دولة المرابطين ، ص ٣٢١ .
- ٣ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٥ .
- ٤ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٦ (يذكرانه توفي يوم الاثنين من نفس الشهر والسنة) .
- ٥ - ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٠٩ - القرى : نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ١١٠ - ابن القاضي : جندوة الاقتباس ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .
- ٦ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٨ .
- ٧ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٧ - ابن القاضي : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٤٦٠ - السلاوي ، الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

وورث على بن يوسف دولة متراصة الأطراف تتمتع بالهدوء والرخاء الاقتصادي ،
والدليل على ذلك ما وجد في بيت مال المسلمين بعد وفاة والده من اموال طائلة . " ١ "
كل هذه العوامل شجعت على متابعة خطأ أبيه فسار على هديه في جميع اموره
وهذا ما أكد به ابن عذارى بقوله : ((فافتى أثر أبيه وسلك سبيله في ضد الحق
وانصاف المظلوم ، وأمن الخائف ، وقمع المظالم ، وسد الثغور ، ونكاية العدو
فلم يعدم التوفيق في اعماله والتسديد في حسن افعاله)) " ٢ " . كما تلقب بلقب
أمير المسلمين لأبيه . " ٣ "

وبهذه السياسة الحكيمة امتلك ما لم يمتلكه والده " ٤ " . فقد ملك جميع
بلاد المغرب من بجاية " ٥ " الى بلاد السوس الأقصى ، وملك جميع بلاد الجنوب
من سجلماسة الى جبل الذهب من بلاد السودان . وملك بلاد الأندلس شرقا
وغربا ، وملك الجزائر الشرقيه " ٦ " ، وخطب له على ألفي منبر ونيـف

-
- ١ — وجد ثلاثة عشر ألف ربح من الورق ، وخمس الاف واربعمون ربحا مطبوع الذهب
انظر : سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٢٩١ .
 - ٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٥٨ .
 - ٣ — المراكشي : المعجب ، ص ٢٣٥ — المقرئ : المصدر السابق ،
ج ٦ ، ص ١١١ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص
١٢٣ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .
 - ٤ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٣ — المراكشي : المصدر
المصدر السابق ، ص ٢٣٥ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ،
ص ١٢٣ .
 - ٥ — بجاية : قاعدة المغرب الأوسط وهي مدينة عظيمة على ضفة البحر ، وهي
مدينة تجارية ، وكانت توجد فيها دار لصناعة السفن لتوفر الخشب فيها وهي
مدينة محدثة بناها ملوك صنهاجه أصحاب قلعة أبي طويل المعروفه بقلمه
حماد ، انظر : الحميري : الروض المصطار ، ص ٨٠ — ٨١ .
 - ٦ — وهي ميورقه ، ومنورقه ، ويابسه ، وهي اكبر جزائر الأندلس في البحر =

وصرف أمير المسلمين علي جل جهوده في متابعة شئون الأندلس ومراقبة
احواله بنفسه لكونه الخط الدفاعي الأول ومسرح الصراع مع نصارى الشمال الاسباني •
ولذلك نجده يجوز اليه اربع مرات من أجل الاطمئنان على احواله عن قرب وسد خلله • "٢"
وكمحصله لهذه الجهود في حراسة الديار والذمار • فقد كانت ايامه
أيام خير وودعه • فلم يدخر وسعا في جعل كلمة الله هي العليا • وقارع النصارى حتى
قهرهم في كثير من المواقع "٣" • ولم تشغله الثورات الداخلية عن واجبه المقدس
تجاه اخوته في الأندلس على الرغم من أن ابن تومرت كان يقرع ابواب عاصمته مراكش في
الوقت الذي كانت فيه جيوشه تتصدى للممالك النصرانية • فأضى حياته يد تبني
وأخرى تحمل السلاح • فكانت فترة حكمه بحق كما قال ليوبولد وتورس بالباس من اعظم
وأزهى فترات تاريخ المرابطين • "٤"

لقد امتاز علي بن يوسف بن تاشفين بصفات اخلاقية حميدة تضعه في مصاف
رجال القرن الأول الهجري من صلحاء المسلمين • فقد كان حليما وقورا حريصا على
اقامة العدل منقادا الى الحق والطمأ • "٥" • فقرة سلطانه واتساع دولته لم يجعلها
منه انسانا فظا غليظا • بل كان يمثل الخلق الاسلامي خير تمثيل • فقد كان مثالا —
للمسلم المتواضع "٦" • شاكرا لله بكثرة عبادته • قواما لليل صواما للنهار "٧" •

= المتوسط على ساحلها الشرقي مصابة لقطلونيا ولنسيه • ويسمى الجغرافيون

المحدثون جزائر البليار انظر : المراكشي : المصدر السابق ص ٢١٢ •

٣٤٣ • حاشية رقم ٢ •

١ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام • ق ٣ • ص ٢٥٢ — ابن أبي زرع : المصدر

السابق • ص ١٥٧ •

٢ — ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ • ج ٢ • ص ٧٤١ •

٣ — ابن عذارى : المصدر السابق • ج ٤ • ص ٤٨ — مؤلف مجهول : المصدر

السابق • ص ٨٥ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون • ج ٦ • ص ٣٨٦ •

٤ — الفن المرابطي والموحدي • ص ١٠ •

٥ — ميرانده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس • ص ١٥٦ •

٦ — ابن خلكان : وفيات الاعيان • ج ٥ • ص ٤٩ •

٧ — المراكشي : المصدر السابق • ص ٥٣ — محمد الله غلام : الدولة الموحدية =

وكان حسن الطوية ، صافي النفس ، ابعده ما يكون عن الظلم ، فقد أصاب عين الحقيقة من عده في الزهاد المتبتلين " ١ " . ووصفه صاحب الحلل الموشيه بقوله :
 ((..... كان كثير الصدقة عظيم البرجزيل الصلح ، وألبسه الله المهابة ،
 وقذف له في القلوب المحبه فاجتمعت عليه الأمه)) . " ٢ "

لقد كان أبا رفيما رحيما برعته حريصا على معرفة احوالها ، فكان يداوم على ارسال الرسائل الى عماله حاضا اياهم على الفرق بالرعية ، واقامة العدل ورفع الحجاب عن المظلومين والشاكين " ٣ " . وهناك وصايا كثيره وجهها علي بن يوسف الى رعاياه وولاته على الأمار ركز فيها بشكل خاص على تقوى الله ، والاتحاد ونهذ الفرقه ، أي أن الروح الدينيه هي الغالبة على كل هذه الرسائل ، وهو أمر تميزت به الدولة المرابطية " ٤ " . كيف لا وهي الدولة التي قامت أول ما قامت على اساس ديني ، فجميع امرائها تلاميذ للداعية عبد الله بن ياسين ، ومنهجهم الذي فرسه في نفوس اتباعه بقي متصلا فيهم .

فلا غرابة أن علي بن يوسف حدا حدو عبد الله بن ياسين في تحكيم كتاب الله بين رعاياه ، ان كانت لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان لا يبالي في انزال أشد العقوبات بالوالي الذي يثبت لديه بأنه ظلم رعيته . " ٥ "

= بالمغرب ، ص ٥٩ .

١ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٤ - ٨٥ .

٣ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٥٦ ، ١٨٣ .

٤ - المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

٥ - ابن فذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٧ .

الفصل الثاني

الثورات والفتن في المغرب والأندلس (٥٠٠ — ٥٣٢ هـ / ١١٠٦ — ١١٤٢ م)

ثورة فاس ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م

=====

لم تكن هذه الثورة ذات خطوره كبيره على كيان دولة المرابطين ، وانما اعرض لها فقط باعتبارها بداية لتاريخ المعارضة لحكم المرابطين ، وعلامة في نفس الوقت أن الهدوء والاستقرار الذي طالما تمتع به الدولة في العهد السابق قد بدأ يتلاشى منذ بداية حكم علي بن يوسف بن تاشفين .

وتجدد الإشارة الى أن المعارضة للحكم المرابطي في الداخل بدعوى احقيصة المعارضين في السلطه لم تكن امرا جديدا ، فقد رأينا في التمهيد كيف خرج ابراهيم ابن أبي بكر بن عمر معارضا ليوسف بن تاشفين ، ومطالباً بالسلطة لنفسه عام ٤٦٩ هـ / ١٠٧٧ م ولكنه لم يظفر بمطلوبه واستقر الأمر ليوسف بن تاشفين .

وكانت ولادة ثورة فاس عندما توفي يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م ، وتولى ابنه علي بعده . فبعد أن أخذ علي بن يوسف البيعة من اعيان وفقهاء وشيوخ مراكش بعث بالرسول والرسائل الى سائر انحاء مملكته يعلمهم بوفاة والده وتولية بعده ويطلب منهم البيعه ، فجاءت البيعات ، وجاءت الوفود المعزیه المهئنة من كل صوب الا من مدينة فاس " ١ " التي كان يحكمها الأمير يحيى بن أبي بكر من قبل جده يوسف بن تاشفين ، فقد رفض الأمير يحيى بن أبي بكر البيعة لعمه علي لاعتقاده بأنه هو الأول والأجد ربحلافة جده يوسف لا سيما وأن والده ابا بكر شقيق علي بن يوسف الأكبر كان نائبا عن والده يوسف في المغرب اثناء جـوازهِ الى الأندلس الذي حارب فيه الفونسو السادس في موقعة الزلاقة ، ولذلك كان يعتبر نفسه أحق من عمه علي بهذا المنصب ويعتبر نفسه أكثر أهلية منه لأنه كان واليا على أهم ولايات المغرب والتي اعتنى بها المرابطون عناية خاصة بعد فتحها وهي مدينة

فاس . " ١ "

ولكن المعارضه لم تقف عند الأمير يحيى بن أبي بكر بل تعدى الأمر ذلك فقد انضم إليه بعض أشياخ وأعيان مدينة فاس ، وساندته أيضا بعض الشخصيات البارزه فى الدولة المرابطيه . ولعل ذلك يعود لاقتناعهم بعدالة قضيتهم أو لاهداف خاصة بهم وجدوا لها متنفسا عن طريق هذه الثورة ، ومن هؤلاء ابو عبد الله محمد بن الحاج اللمتونى " ٢ " الذى بادرا الى تأييد الأمير يحيى بن أبي بكر منذ اللحظة الأولى . " ٣ "

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه لماذا لم تظهر معارضة هذه الفئة ممثلة بيحيى اثناء تنقل يوسف بن تاشفين لاستطلاع وجهات النظر حول ولي عهده علي بن يوسف ؟ يبدو أن قوة شخصية يوسف بن تاشفين كانت لا تدع مجالا لأى صوت معارض أن يرتفع ليقتضي على وحدة دولته الناشئة ، لذا اختزنوا معارضتهم الى أن توفي ليجسوا نهض الحاكم الجديد ، فاذا كان لهم مدخل دخلوا منه ووصلوا الى مآربهم ، ولكنهم اساءوا التقدير وواجهوا صورة طبق الأصل عن يوسف . فما أن سمع علي بمعارضة فاس حتى بادرا الى تكوين جيش قاده بنفسه وتوجه نحوها لاختتام نار الفتنة قبل أن يستشرى خطرهما لأنه يعنى خطورة التهاون في مثل هذه الأمور ، فالتأثر لا يطلب ذهابا ولا فضه وانما يسعى للسلطه ، فجدد في السير نحو مدينة فاس .

١ — المصدر السابق نفسه ، ص ١٤١ — ١٤٢ — ابن خلدون : تاريخ ابن

خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام

السياسى ، ج ٤ ، ص ١٢٧ .

٢ — وهو من أكابر زعماء لمتونه وقوادها يشترك مع يوسف بن تاشفين في الجدة ترقوت ،

وعرف بابن الحاج لان أباه قام بإداء فريضة الحج وقد برزت شخصيته عندما

دخل يوسف بن تاشفين الى الأندلس وشارك في فتح مدينة قرطبه ، ثم أخذ في

مجاهدة القشتاليين فلمع نجمه وعين واليا على عدة مناطق في المغرب والأندلس ،

انظر : النباهي : المرقبه العليا ، ص ١٠٢ — محمد عبد الله

عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٧٥ — ٧٦ .

٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١٤٩ .

وما أن وصل الى مدينة مفيله " ١ " حتى بادرباستخدام أول اسلحته من أجل القضاء على هذه الثورة ، حيث شن عليهم حرباً بنفسه يهدف من ورائها الى تفتيت الجبهة الداخلية للثائرين . فبعث برسالة الى ابن أخيه يعاتبه ويؤنبه على فعلته ويحذره من خطورة مفارقة الصف ، ويطلب منه الطاعة والمبايعة ، وفي نفس الوقت بعث رسالة شديدة اللهجة الى اشياخ وأعيان مدينة فاس يهددهم ويتوعدهم ويدعوهم الى بيعته .

وأدت الرسائل غرضها المرجو منها وتزعزعت ثقة الثائرين بأنفسهم . فما أن قرأ عليهم يحيى محتوى رسائل أمير المسلمين علي حتى تخلوا عنه ، ولما يش من نصرتهم خرج من المدينة متوجها الى تلمسان للاحتماء بواليتها مزدلي بن تيلكان " ٢ " ، فلاقاه بوادي ملويه " ٣ " قبلاً من أجل المبايعة لعلي بن يوسف ، فأعلمه يحيى بما كان من شأنه فضمن له عفو عنه ورجع معه ، وفي هذه الظروف وفي يوم الأربعاء ٨ ربيع الثاني عام ٥٠٠ هـ دخل علي بن يوسف مدينة فاس . " ٤ "

-
- ١ — مدينة مغربية سماها باسم القبيلة التي تسكنها ، تقع بين فاس ومكناسه انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٨ ، حاشية رقم ٨٩ .
 - ٢ — من اعظم اعماله استرجاعه لمدينة بلنسية من يد القبيطور عام ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م ، وكان قد ولي بلنسية ثم قرطبه وغرناطة ايام يوسف بن تاشفين ثم ولي قرطبه قبل وفاته ببضعة اعوام من قبل علي بن يوسف انظر : محمد عبد الله غسان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٢ — ٧٣ .
 - ٣ — نهر كبير ينبع من ملتقى جبال الأطلس المتوسط والأطلس الكبير وتجري مياهه باتجاه شمالي شرقي حتى تصب في البحر المتوسط بعد ما يقطع في جريانه مسافة ٤٨٠ كم من المنبع الى المصب انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ١٥٩ حاشية رقم ٩٠ .
 - ٤ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ١٥٨ — ١٥٩ .

ووفد مزدلي على أمير المسلمين علي بن يوسف في فاس تاركا يحيى مستخفيا بحومة وادي شرنج • واجتمع مزدلي بأمر المسلمين الذي أحسن استقباله وأكرمه • ولما رأى منه ذلك أعلمه بخبر يحيى وما ضمن له من العفو • فأجابه الى ذلك وعفا عنه • فبادر يحيى وبايع عمه • ولكن علي بن يوسف رفض أن يكون يحيى قريبا على مقربة من المنطقة التي ثار فيها • ولعله كان يخشى أن يعاود الكره لوجود بعض الفئات التي تؤيده • فخبره ما بين السكنى بجزيرة ميورقه " ١ " وبلاد الصحراء فاختار الثانية وانصرف اليها • ومكث فيها مدة ثم شد بعد ذلك الرحال نحو الحجاز لاداء فريضة الحج •

وعاد يحيى بعد اداء فريضة الحج الى مراكش واستسمح عمه علي بالسكن في حضرته فسمح له بذلك • الا أن عليا كان حذرا مراقبا لتحركات ابن أخيه • ويظهر أنه اكتشف بعض نواياه المناوئة لحكمه فاتهمم بالتشفيب وعاقبه بالنفي الى الجزيرة الخضراء التي مكث فيها الى أن توفي • " ٢ "

وهكذا انتهت ثورة فاس بنفي صاحبها الى الجزيرة الخضراء • والتي كانت مؤشرا لبداية ثورات أخرى ضد علي بن يوسف في المغرب والأندلس والتي كانت بمثابة معاول هدم تعمل بشكل نشط داخل جسم دولة المرابطين •

- ١ — كبرى الجزر الشرقية وعاصمتها بالم () وهي خصبة طولها اربعون ميلا • وفيها بحيرة وحصون انظر ابن الخطيب : اعمال الاعلام • ق ٣ • ص ٢٥٥ • حاشية رقم ٢ — ابن سعيد : المغرب فسي حلي المغرب • ج ٢ • ص ٤٦٦ •
- ٢ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام • ق ٣ • ص ٥٣ — الحميري : المصدر السابق • ص ٥٦٧ — السلاوي : المصدر السابق • ج ١ • ص ١٢٣ — ١٢٤ — رزق الله الصديقي : تاريخ دول الاسلام • ج ٢ • ص ٥٥ •

ثورات الأندلس (٥٠٠ - ٥١٤ هـ / ١٠٦ - ١١٢٠ م)

=====

يبدو أن تيار المعارضة للحكم المرابطي الجديد لم يكن مقتصرًا على المغرب بل شاركت فيه الأندلس منذ فترة مبكرة ، ولعل أقدم إشارة لثورة قامت ضد الحكم المرابطي في الأندلس تعود إلى الأيام الأخيرة من حكم يوسف بن تاشفين وبالتحديد إلى عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م عندما ثار سعيد بن أحمد بن زيفل في حصن شقوره " ١ " واستقل به عن السلطة المركزية ، ثم أخذ يوسع قاعدة حكمه ، فاستولى على جميع الجهات والنواحي التي تحيط بذلك الحصن ، ومكث على ذلك عدة أعوام ، واستقر له الأمر ، وجببت له الضرائب من المناطق التابعة له ، وحصل من ذلك ثروة طائلة لم يكن يمتلكها من قبل استقلاله بذلك الحصن . وقد ورد خير هذه الثورة في عقد لاثباتها في كتاب خاص بمسائل ابن رشد " ٢ " ، بينما لم تشر المصادر التي بيين أيدينا إليها .

على أي حال تشير هذه الثورة إلى أن التحرك ضد الحكم المرابطي في الأندلس لم يكن جديداً في عهد علي بن يوسف بل تعقد جذوره إلى عهد أبيه ، وأن ما حدث في عهد علي ما هو إلا امتدادا واستمرارا لانتفاضات سابقة .

١ - ثورة أبي بكر بن علي بن يوسف ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م في غرناطة :

=====

لقد حدثت أول مواجهة ضد حكم علي بن يوسف في الأندلس عندما ثار ولده أبو بكر في غرناطة لأمر لم تفصل فيه المصادر . واكتفى ابن الخطيب " ٣ " بقوله :

١ - يقع شمال مدينة مرسية انطرياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٥٥ .

٢ - ابن رشد : مسائل ابن رشد ج ٢ ص ٩٩ (انظر نص العقيد في الملاحق) .

٣ - ابن الخطيب : الأحاطة ج ١ ص ٤٠٧ - ٤٠٨ .

أنه ((ثار لأمرابه)) ولكنه لم يجد له مؤيدين من قومه بل كانوا له بالمرصاد وأجبطوا محاولته ، وألقوا القبض عليه وأرسلوه إلى والده علي في مراكش ليرى رأيه فيه ، فصفح عنه ، ثم مالبت أن عينه واليا على سرقسطه . وقد جاء تاريخ هذه الثورة في نفس تاريخ ثورة فاس .

لقد كان أبو بكر بن علي أكبر اخوته وكان يتمتع بقسط وافر من الذكاء " ١ " ، ولعله قام بهذه الحركة من أجل لفت الانتباه إليه وإثبات وجوده وتنبيه والده إلى أنه الأجدري ولاية أفضل الولايات ، ويظهر أن والده فهم إيماءته فعينه واليا على سرقسطه .

والمصتبغ لحياة أبي بكر بن علي يبعده دوما صلبا في مواقفه ، فقد عارض والده في اختيار أخيه سيروليا لعهد بدلا منه ، وهو الأكبر سنا والأكثر خبرة ودراية في أمور السياسة بحكم تولية أكثر من ولاية في حياة والده ، عندها لم يجد والده بدا من نفيه إلى الجزيرة الخضراء . " ٢ "

ب- ثورة ابن الحاج عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م في قرطبة :-

=====

أما قرطبة فيبدو أن العمل فيها بدأ ضد الحكم المرابطي منذ عام ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م عندما قام أبو عبد الله بن الحاج أحد قادة المرابطين والنائب

١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠١ - مؤلف مجهول :

المصدر السابق ، ص ٨٤ .

٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

عن أمير المسلمين في حكم قرطبه ١ * بالاتصال مع بعض الأعيان والشخصيات البارزة في قرطبه بشأن الخروج على الحكم المرابطي . ومن استشارهم في هذا الصدد القاضي بن حمد بن ٢ * الذي لم يشجعه على ما هو عازم عليه ٣ * . ولكنه على الرغم من ذلك صمم على اعداد الحدة للثورة على علي بن يوسف بن تاشفين .

لقد كان ابن الحاج شخصية ذات قيمة ووزن في الدولة المرابطية ، فكان من النخبة الممتازة في عهد يوسف بن تاشفين ، وله تجربة وشهرة في الجهاد في الأندلس ، ولعله اعتمد على كل هذه القومات في شخصيته ليقوم بمثل هذا الدور .

ويظهر أنه فكر في أفضل وقت للقيام بهذه المعارضة فلم يجد أفضل من وقت وفاة يوسف بن تاشفين لأن خليفته علي بن يوسف كان ما يزال في مقتبل العمر وخبرته في امور الحرب والسياسة لا تقاس بخبرة هذا القائد المجرب ابن الحاج .

وفعلا عندما بعث اليه الأمير الجديد علي بن يوسف الرسائل من أجل أخذ البيعة له من رعيته في قرطبه رفض البايعة ، مطلقاً بذلك الخروج عليه ، وانضم اليه جمع من أهل قرطبه ، وبعض فقهاء وأعيان المدينة ، وذلك في عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م ، ولكن هذه الثورة لم تكن بأسعد حظاً من سابقتها إذ سرعان ما نطقت دون أن تمدنا المصادر بتفاصيل عن كيفية القضاء عليها ،

-
- ١ — عبد الله كتون : رسالة الكاتب ابن أبي الخصال التي نال فيها من كرامة المرابطين ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٥٠٦٩ ص ٥٦٩ .
 - ٢ — هو ابو القاسم أحمد بن محمد بن علي بن حمد بن قاضي الجماعة في قرطبه توفي عام ٥٢١ هـ انظر ابن سعيد : المصدر السابق ج ١ ص ١٦٦ .
 - ٣ — ابن خاقان : قائد المقيان ، ص ٢٢٠ .

وما ورد من معلومات عن هذه الثورة لا يتناسب مع حجمها وشخصية صاحبها .
ويذكر أنه بعد فشلها هرب ابن الحاج الى خارج قرطبه ولحق به أعوانه ، ثم تذكر
المصادر أن أمير المسلمين علي بن يوسف قد رضى عنه وعن أخيه وقومه وولاه مدينة
فاس وما يليها من أعمال " ١ " ، ثم نقله الى ولاية سرقسطه وبلنسية في شرقي
الأندلس حيث استشهد عام ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م في معركة البورت (الباب) " ٢ " .

ومن الشخصيات البارزة التي تأثرت بهذه الثورة الأديب والكاتب ابن أبي

الخصال " ٣ " ، الذي كان من أعز أصدقاء ابن الحاج وصحبه في الشدة والرخاء
وتنقل معه في جميع الولايات التي تولاهها وبقي معه حتى استشهاده " ٤ " .

وتأثر بهذه الثورة أيضا أبو بكر بن المصفي " ٥ " ، الذي كان من أخص

أصدقاء ابن الحاج . فبعد أن فشلت ثورة صديقه فرّ الى شرق الأندلس حتى اذا رضى
أمير المسلمين علي بن الحاج عاد الى صحبتته في فاس وغيرها من أعمال الأندلس وظل
في صحبتته حتى استشهاده صديقه " ٦ " .

-
- ١ - ابن الآبار : المعجم ، ص ١٣٣ - ١٣٤ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩ ، حاشية رقم ١ .
 - ٢ - والبرت لفظ لاتيني أي الباب أو الممر في الجبال انظر : حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ٢٤٢ ، حاشية رقم ١ - شكيب أرسلان : الحل السندسيه ، ج ٢ ، ص ١١٠ .
 - ٣ - وهو من أهل المعارف الجمه ، وكان من أبرز اعلام النثر ، ولد في أول ربيع الثاني عام ٤٦٥ هـ ، وقتل أمام داره في ١٢ ذى الحجه من عام ٥٤٠ هـ ، ومن مؤلفاته : ظل النمامه ، وطوق الحمامه انظر ابن الخطيب : الاحاطه ج ٢ ، ص ٣٨٩ - ٣٩٠ - ابن خاقان : قلائد المقفات ، ص ١١٩ - ٢٠٠ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٣٨ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ - ٦٨ - ابن دحيه : المطرب من اشعار أهل المغرب ، ص ١٨٧ - ١٨٩ - الصمد الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة مصر ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ - ٦٤٤ .
 - ٤ - ابن الآبار : المعجم ، ص ١٤٦ - ١٤٧ - عبد الله كنون : المقال السابق ، ص ٥٦٩ .
 - ٥ - كان مقربا للمرابطين ، وكان محدثا مضابطا حسن الخط ، استكتبه علي بن يوسف بن تاشفين مع أبي عبد الله بن أبي الخصال ، توفي عام ٥٣٦ هـ . انظر : ابن بسام : الذخير ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ ، حاشية رقم ١ .
 - ٦ - المصدر السابق نفسه ، ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

ج — شغب أهالي غرناطة وأشبيلية :

=====

يبدو أن غرناطة لم تكن عن الشعب والخروج على أمير المسلمين علي بن يوسف ، فعلى الرغم من أن المصادر تبخل علينا في تفاصيل المشاغبات التي حدثت فيها خاصة في السنوات الأولى من حكم علي بن يوسف ، إلا أن بعض رسائل أمير المسلمين لأهالي هذه الناحية توضح لنا أنه كانت هناك حركات مستمرة في التمرد على والي أمير المسلمين عليها .

ففي يوم الجمعة ١٩ رمضان عام ٥٠٧ هـ كتب أبو القاسم بن أبي الجعد " ١ " عن أمير المسلمين علي بن يوسف إلى أهالي غرناطة يعاتبهم ويؤنبهم ، ويحذرهم من مغبة كثرة التمرد على واليه عليها القائد المشهور مزدلي الذي خلف عبد الله بن فاطمه في حكمها عام ٥٠٤ هـ / ١١١٠ - ١١١١ م وأضيف إليه حكم قرطبة والمريه ، وعلى الرغم من جهود مزدلي المتواصله من اجل الابقاء على ولايته هادئة آمنة من خطر الاسبان النصارى إلا أن أهل غرناطة لم يدخروا وسعا في انتهاز الفرص للشغب والخروج عليه . " ٢ " وقد جاءت رسالة ابن أبي الجعد عن أمير المسلمين علي ابن يوسف تستنكر عليهم تصرفاتهم تلك وما جاء في هذه الرسالة قوله لهم — ((قد اتصل بنا أنكم من مطالبة " فلان " على أولكم وفي عفوان عليكم وأنه لا يعدم تشغيلاً وتألياً من قبلكم ، فإلى متى تطعمون في الطلب ٠٠٠ وقد آن لحركتكم في امره أن تهبطا وللثائرة بينكم أن تصلح)) ، ويتابع كلامه معاتباً إياهم بطريقة فيهم —

١ — اثنى عليه ابن بسام ، وقال عنه قريح وقتنا ووحيد عصرنا ، وقال أنه تولى خطة الشورى ، وكان عالماً بالفقه والحديث انظر ابن سميد : المغرب في غلى المغرب ، ج ١ ، ص ٣٤١ — ٣٤٢ .

٢ — محمود على مكي : وثائق تاريخيه جديده عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلاميه في مدريد ، مج ٧ — ٨ ، ١٩٥٩ — ١٩٦٠ م ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

شيء من الشدة قائلا : ((٠٠٠٠ واذا وصل اليكم خطابنا هذا فاتركوا متابعة
الهموم ٠٠٠ ودعوا التنافس على حكام الدنيا ٠٠٠ وفقكم الله لما فيه صون أياديكم ،
وأغراضكم وتسديد انحائم وأغراضكم بمنه)) ٠ " ١ "

وفي جمادى الأولى من عام ٥١٢ هـ كتب أبو القاسم بن أبي الجذ ايضاً
رسالة مشابهة للرسالة السابقة الى اهل اشبيلية يهددهم ويتوعددهم ، ويحذرهم
من مغبة شغبهم ، ومما جاء فيها : ((واحذروا دواعي الفتن وعواقب الأحن))
ثم ينبههم الى نتائج هذه الأعمال وانعكاساتها على بلادهم واهاليهم فيقول :
((واشفعوا على دياركم وأغراضكم وثوبوا الى الصلاح في جميع أغراضكم ، وأخلصوا
السمع والطاعة لوالي أموركم وخليفتنا في تدبيركم وسياسة جمهوركم أخينا أبي اسحاق
ابراهيم ابقاه الله وأدام عزه بتقواه)) ٠ " ٢ "

-
- ١ — الحماد الأصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ .
 - ٢ — ابن خلقان : المصدر السابق ، ص ١٢٤ — ١٢٥ — الحماد
الأصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص
٣٦٢ — ٣٦٣ .

د — ثورة أهالي قرطبة عام ٥١٣ هـ أو ٥١٤ هـ / ١١١٩ أو ١١٢٠ م

=====

وتختم الحديث عن هذه الثورات بالحديث عن ثورة أخرى ضد الحكم المرابطي في مدينة قرطبة ، والتي زلزلت أركان الدولة بأسرها . فقد تحركت قرطبة بقضها وقضيضها ، وشيوخها ، وفقهائها ، وأعيانها ، وعامتها في عام ٥١٣ هـ أو عام ٥١٤ هـ ضد المرابطين اثر تعرض أحد عبيد الوالي لأحدى النساء المسلمات في المدينة .

ومداية الأمر أنه أثناء تجمع الناس في يوم عيد الأضحى مدّ أحد عبيد والي المدينة يحيى بن رواد يده الى امرأه وأمسكها فطلبت الفوث والنجده ممن المسلمين ، فهرع الناس لنصرتها واشتبكوا مع العبيد في معركة عنيفة استمرت طوال النهار حتى ادركهم الليل فتفرقوا ، وعلم الأمير ابوبكر يحيى بن رواد بالامر عندها شكل أهل المدينة وفدا من الفقهاء وأعيان البلد واجتمعوا مع والي المدينة ونصحوه بقتل العبيد الذين سببوا الفتنة ليهيأ الناس ، وتحتوى الفتنة في مهدها ، الا أن الوالي أخذته عزة النفس ورفض تنفيذ مطلبهم هذا .

وفي الصباح عزم الوالي على قتال معارضيه فأظهر السلاح والرجال عندها ، استشاط الناس غضبا ونظموا أنفسهم وتقدم الفقهاء والأعيان والشبان الصفوف واشتبكوا مع قوات الوالي في معركة عنيفة حتى هزموها . وتحصن الوالي في قصره فحاصروه فيه ، ثم اقتحموه عليه فولى هاربا ، فنهب المهاجمون القصر ، وامتد النهب والحرق الى جميع بيوت المرابطين الذين خرجوا على أقيح صورة بعد أن سلبت بيوتهم .

وطارت أخبار هذه الثورة الى اسطاع أمير المسلمين علي بن يوسف في مراكش فأفزع الأمر ، ورأى أن الموقف يحتاج الى حسم سريع فأعد جيشا ضخما مكونا من صنهاجه وزناته وغيرهم وتوجه بهم نحو قرطبة في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م وفرض

الحصار على المدينة فاستمات أهلها في الدفاع عنها .

ولما فشل أمير المسلمين في اقتحامها أدرك أن الأمر لا يصلح بالحرب فمشت
السفارات بيقته وبينهم ، وتم الاتفاق في النهاية بين الطرفين على شروط خلاصتها
أن يغرم أهل قرطبة ما نهبوه من أموال المرابطين ، وبالتالي انتهى الحصار
وانتهت الثورة . " ١ "

لقد اتخذت هذه الثورة صورة تختلف عن صور الثورات السابقة ، فالتعدى
جاء من جانب أحد جند الوالي الذي حاول التعرض لامرأة مسلمة مما أثار حميئة
الرعية فثاروا على الوالي وعلى المرابطين .

ومن نتائج هذه الثورة أنها زادت من ثقة الرعية الأندلسية بزعمائها من
فقهاء واعيان ، الذين قادوهم نحو النصر على الفقة التي حاولت النيل من شرفهم ،
وأثبتت أيضا عجز والي قرطبة ، ثم أمير المسلمين علي بن يوسف عن القضاء على
ثورتهم واقتحام مد ينتهم على الرغم مما كان معه من قوة .

على أي حال لقد اتبع أمير المسلمين علي بن يوسف سياسة حكمه من
الذين ثاروا ضد حكمه فلم يحاول القضاء على معارضيه بطريقة قمعية تعسفيه بل
كان يتبع معهم أسلوب الصفع لاختوائهم ، وكان يميل إلى تحقيق رغباتهم
بتوليهم على ولايات مهمه ثم يقذف بهم إلى الجبهات الساخنة مع النصارى مثل
سرقسطه ولنسيه ليستغل طاقاتهم لصالح الاسلام والمسلمين . وقد فشلت جميع
هذه الثورات لأنها جاءت في فترة كانت الدولة ما تزال في أوج قوتها .

١ — ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٥٨ — حسن إبراهيم حسن :
تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ١٥٨ .

هـ — ثورة العامة في قرطبة على اليهود ٥٢٩ هـ / ١١٢٤ م : —

=====

وفي رجب من عام ٥٢٩ هـ ثارت العامة في قرطبة على اليهود بسبب وجود جثة أحد المسلمين في حي من أحيائهم ، فاقتحموا منازلهم ، وانتهبوا أموالهم ، وقتلوا عددا منهم . " ١ "

ويظهر أن هذه الثورة العارمة ضد اليهود هي محصلة كره دفين لليهود الذين ارتضوا لأنفسهم أن يكونوا في كل بيئة يعيشون فيها مركز فساد وفساد ، فقد كانوا كعادتهم متوقعين على أنفسهم في أحياء خاصة ، وكانوا يختكرون التجارة ، وفي بعض الأحيان السلطة ، وإذا وجدوا من ينافسهم في ذلك عطلوا على التخلص منه بطريقة خسيسة ، فمثلا عندما قوى نفوذ موسى بن مفرج " ٢ " في غرناطة عمد أحد أطباء اليهود إلى دس السم له فأرداه صريعا في عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م " ٣ " فمثل هذه الحوادث وغيرها تجعل النفوس تنفر منهم وتحقد عليهم وتتحين الفرض للتخلص منهم .

ولم تكن هذه الغضبة الشعبية ضد اليهود الأولى في الأندلس ، فعندما كثرت أعدادهم في مدينة غرناطة حتى أطلق عليها مدينة اليهود " ٤ " ، وتغلغلوا في الوظائف الحساسة في عهد ملوك الطوائف ، فتدمرت الرعاية المسلمة من ذلك وقف شاعرهم أبو اسحاق الالبيري " ٥ " في عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م ليعبر عما يعتمل في صدورهم ضد اليهود منتقدا حاكم غرناطة على تقريره لليهود وداعيا إلى الثورة على

١ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٣ .

٢ — نشأ في مدينة طنجة وتادب باشبيلية ، له حظ باع ونفوذ في الحساب القسي إليه الأمير أبو حفص عمر بن علي بن يوسف جميع الأعمال انظر : ابن عذاري :

المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٦ — ٧٧ .

٣ — نفس المصدر السابق والصفحات .

٤ — دوزي : ملوك الطوائف ، ص ٤١ .

٥ — هو أبو اسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي الالبيري ، كان ققيها

محدثا ، واديا ، وشاعرا سعى به الوزير يوسف بن تحزله اليهودي لأموار

نقمها منه لدى سلطانه باديس فأبعده عن غرناطة فسكن البيرة وانقطع

للعباداة والزهد انظر : دوزي : المرجع السابق ، ص ١٣٣ ، حاشية رقم ٢ .

هذا الوضع بأسلوب شعري رائع شخص فيه الوضع أفضل تشخيص وما قال : —
 الا قل لضهاجة أجمعين بدور الزمان وأسد العربيين
 لقد ذل سيدكم ذللة تقربها أعين الشامتيين
 تخير كاتبه كافرا ولو شاء كان من المؤمنين
 فمز اليهود به وانتخبوا وتاهوا وكانوا من الأذليين
 فكم مسلم راغب راهب لأذل قرد من المشركيين
 وما أن انتهت من القاء قصيدته حتى ثارت الحامية ونهبت بيوت اليهود وقتلوا
 منهم ما يقرب من اربعة الاف فخلصوا المدينة من شرهم . " ١ "

ولعل المرابطين ادركوا دناءة اليهود وكره الرعية لهم ، فاتخذوا ضد هم
 اجراءات تعقيد من تحركاتهم وتجعلهم تحت مراقبة الدولة باستمرار " ٢ " ، كما عرض
 عليهم يوسف بن تاشفين حسب بعض الروايات عام ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م ضرائب
 اجتمع له منها مائة وثلاثة عشر ألف دينار . " ٣ "

على أى حال لم يتمتع اليهود في القرنين الخامس والسادس الهجريين بذلك
 النفوذ والشرف اللذين تمتعوا بهما في عهد ملوك الطوائف ، إذ أخذهم المرابطون
 بالشدّة وخذا حذوهم الموحدون لما جاءوا بحدودهم . " ٤ "

أجل ان نفسا تنطوي على الحق على البشرية ، وتحمل على استغلال كل
 فرصة للتمكين لنفسها ، وتعتبر انها سيدة العالم التي يجب أن تطاع ، وتمتلك
 خيرات الدنيا ، عري بالمجتمع الذي تعيش فيه هذه الشرذمة المنطوية على

-
- ١ — المرجع السابق نفسه ، ص ١٦٤ — ١٦٩ .
 - ٢ — انظر الفصل الخاص بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية من هذه الرسالة .
 - ٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٣ .
 - ٤ — لطفى عبد البديع : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص ٣٤ — ٣٥ .

نفسها أن ينظر اليها نظرة احتقار وسخط ، وأن يخططوا كل محاولاتهم كلـمـا
نجحوا في التغلغل في دولتهم •

=====

١- ثورة العامة في اشبيلية ضد القاضي ابن المربي ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م :-

=====

واذا انتقلنا الى اشبيلية وجدنا أنها لا تقل حماسا للثورة عن اختها قرطبة
وكان المدن الاندلسية كانت على موعد من أجل الوثوب على حمايتها من المرابطين ،
ومن المناسب أن اعرض لأحوال هذه الحاضرة في عهد المرابطين قبل الشروع في
الحديث عن ثورتها ، وما أن الشعر هو المرأة الصادقة لأحوال المجتمع المبرر
عن آلامه وهمومه وآسيه ، فلملمه المصدر الوحيد الذي يمحيطنا صورة عن بعض
ما كان يعانيه شعب اشبيلية بشكل خاص من إهمال وتضييع ، ويأتى الشاعر
الأعمى التطيلي على رأس الشعراء الذين لم يصمتوا عندما أرادت منهم الرعيمة
أن يعبروا عن الآمهم ، وما يكابدونه من ظلم وجور ، ولكن يجب على الباحث أن
يكون حذرا في تعامله مع النصوص الشعرية لما تحمل في طياتها من مبالغات وتهويل
للموقف ، وفي الوقت نفسه يجب أن لا يغفل عن حقيقة هامة وهى أن الشاعر
فرد من افراد المجتمع يمتاز عنهم بنفسه الشفافه وحساسيته المرهقة لما يحيط به ،
فصرخته لا تنطلق من فراغ .

على أى حال ما نملكه عن أحوال اشبيلية لا يتعدى ما قاله الأعمى
التطيلي من شعر ومن نماذج ذلك ما قاله في تحريض أهل اشبيلية على الثورة
من خلال قصيدة طويلة نقتطف منها :-

فشا الظلم واغترأ شـياعه	ولا مستفان ولا مشـتكي
ايا أهل حمص وقد ما دعوت	وهل تسمعون الى من دعـا ؟
يقل لاقد اركم كل شـي	فكيف رضيتم بدون الرضى
وساد الطغاة بتمويههم	وهل يقدم الرزء الا كـذا
وطالت خطاهم الى الترهات	الا قصر الله تلك الخطى " ١ "

وعلى ما لهذه القصيدة من أهمية لما تحمل في ثناياها من صرخات مريرة
تعبّر عن واقع مؤلم يعيشه أبناء هذه المدينة^{منحن} لا تعرف الظروف التي قيلت فيها ،
الا أنه يمكن^{أن} نستخلص منها ما كان يعانيه أهالي اشبيلية في فترة من فترات
حكم المرابطين من عسف وظلم ، فكل ثورة تقوم بها الرعية يكون لها ما يبررها
لأنها لا تنطلق من فراغ .

ووصلت الأوضاع في مدينة اشبيلية عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م الى قمة الغليان
عندما ثارت على قاضيها ابي بكر بن العربي "١" لحزبه وصراجه مع الجنّة
والفسدين في المدينة وهذا ما أكدّه القاضي "٢" حين قال : " وكانت له

١ — هو محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد المعروف بابن العربي (٤٦٨ —
٥٤٣ هـ / ١٠٧٦ — ١١٤٨) ، من أهل اشبيلية اخذ عن عدد كبير
من العلماء في الاندلس والمشرق امثال ابي عبد الله بن منظور ، وابي
مروان بن سراج ، خرج الى الحج عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، فأخذ
عن علماء مصر امثال مهدي الوراق وابي الحسن بن داود القاسي ، وفي
الشام لقي ابا نصر المقدسي ، واما حامد الغزالي ، وفي بغداد عن ابي
الحسن المبارك ثم طرد الى اشبيلية عام ٤٩٥ هـ ، وقد خلف لنا عدداً كبيراً
من المصنفات منها : احكام القرآن ، المسالك في شرح موطأ مالك ، المحصول
في اصول الفقه ، سراج المريدين ، الناسخ والمنسوخ وغيرها انظر :
ابن العربي : احكام القرآن ، ج ١ ، ص ٤ — ٧ — المقرئ : المصدر
السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ — ٢٤٢ — ابن فرحون : الدياج المذهب
ج ٢ ، ص ٢٥٢ — ٢٥٦ — النهاي : المرقبة العليا ، ص ١٠٥ —
١٠٦ — الضبي : بغية الملتصق ، ص ٩٢ — ٩٣ — ابن القاضي :
المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٠ — ٢٦١ — ابي بكر بن العربي :
العواصم من القواصم ، ص ١٠ — ٣٤ ، ١٣٧ — ١٣٩ — كراتشكوفسكي :
تاريخ الادب الجغرافي ج ١ ، ص ٢٦٨ .

٢ — جذوة الاقتباس ، ج ١ ، ص ٢٦١ — النهاي : المصدر
السابق ، ص ١٠٦ — المقرئ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

بالظالمين سورة مروهيه " ، وهذا ما لم يرق من تعود على حياة الترف والبذخ ،
والتلذذ بكل محرم .

ويدو أن المتقدمين من صرامة ابن العربي ، أخذوا يستغلون محافظته
على تنفيذ الحدود على المخالفين لتشويه سمعته ، خاصة أنه كان يتفنن في
مقابلة المفسدين ، فكان يأمر بقتل اشدق من يتخذ المزمار وسيلة للهو والفساد " ١ " ،
وكان يطارد معاقري الخمر ومائعيها ، فكان يضرب ويصلب ويشهر بكل فاسق ينظر
به فظل على هذا الحال حتى ثقل على الفساق والاشرار فهاجوا عليه " ٢ " ، وهذا
ما اكده ابن العربي " ٣ " نفسه حين قال : ((ولقد حكمت بين الناس فالزمتهم
الصلاة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك يرى في الارض منكر ، واشتد
الخطب على اهل الفص ، وعظم على الفسقه الكرب فتألبوا والابوا وثاروا السبي
فاستسلمت لامر الله وامرت كل من حولي الا يدافعوا عن داري وخرجت على السطوح
بنفسي فعاثوا علي ، وامسيت سليب الدار ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل
الدار)) .

ويظهر أن الثورة لم تكن من جانب السفلة فقط بل شاركهم آخرون من اهل
البلد لتذمرهم ايضا من بعض تصرفاته ، فيذكر انه لما اراد بناء احدى جهات
سور اشبيلية ولم يكن بها مال متوفر فرض على الناس جلود ضحاياهم وكان ذلك في
عيد الاضحى ، فأخضروها كارهين مما سبب الثورة عليه فنهبت العامة داره ففر الى
قرطبه . " ٤ "

-
- ١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٣ - المقرئ : المصدر
السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .
 - ٢ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٣ - ٩٤ .
 - ٣ - العواصم من القواصم ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .
 - ٤ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

ومن المرجح ان يكون السبب الرئيسي لهذه الثورة هو ما كانت تعانيه
اشبيلية وقتذاك من ضائقة اقتصادية ، وأن أمير المسلمين علي بن يوسف
لم يهب لمساعدتهم في ضائقتهم الاقتصادية تلك ، وربما يعود ذلك الى انشغاله
بمصائبه التي كانت تتوالى عليه لتوالي انتصارات الموحدين على جيوشه ، وأنه
كان في حاجة لمن يساعده في احباط ثورة ابن تومرت .

ويبدو ان ابن العربي لم يكن على وفاق مع بعض زعماء اشبيلية فيذكر ابن
الآبار " ١ " انه كان على خلاف مع ابي القاسم المعروف بالرنجاني الذي كان
على رأس الثوري مما حدا به ان يستعدى عليه أمير المسلمين الا انه توفي لتسح
بقين من محرم ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م .

وقبيل قيام الحامه بالثورة على ابن العربي قامت بعض الايدي الخفية المناوئه
له بتشويه سمعته ، ولعلمهم طعنوا في عقيدته ، وهذا ما يفهم من كلام
المقرئ " ٢ " والنباهي " ٣ " حين ذكروا ما نصه : ((ولكثرة حديثه واخباره
وغريب حكاياته ورواياته أكثر الناس فيه الكلام وطعنوا في حديثه)) .
ويظهر انهم بعد ما نجحوا في ذلك قاموا بثورتهم تلك ، ولكن المصادر لم
تمدنا بتفاصيل هذه الانتفاضة ، والادوار التي مرت بها ، وكيفية انتهائها
وتكفي بذكر صرفه عن قضاء اشبيلية الذي تولاه عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م .
وان امواله وكتبه قد نهبت . " ٤ "

١ - المعجم ، ص ١١٣ .

٢ - نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

٣ - المرقية العليا ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

٤ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

وهكذا أصبحت الاندلس مرجلا يغلي بالحقد والكراهية للمرابطين الذين
قدّموا اليهم من أجل حماية الاوطان وصور الاعراض من اعداء ائمتهم نصارى الشمال
الاسباني ، فلماذا انقلبت فرحتهم بجيوش المرابطين المتوجهة الى جبهات القتال
الشمالية الى صرخات تدمر وثور ؟ .

يبدو ان هناك عوامل اقتصادية ، وسياسية ، وحضارية وراء هذه الثورات
في هذه البقعة ، فلو نظرنا الى احوال المجتمع الاندلسي بعد موقعة الزلاقة
الشهيره ، وسعد ان قضى المرابطون على مهزلة دول الطوائف ، نجد ان المجتمع
الاندلسي قد تحرر من كل الضرائب غير الشرعية ورتب على ذلك ازدهار التجارة ،
والصناعة ، والزراعة ، لتوفر الامن والطمأنينة ، وكما هو معروف عندما تزداد
اموال الرعية تحاول ان تمارس ضغوطا على الحكام ، وتكون اقل انصياعا للامير ،
وانا اضيف الى ما تقدم الاهتمام بالثقافة والتفوق العلمي زاد ذلك ايضا من اعتدائهم
بأنفسهم ومطالبتهم بحكم انفسهم بأنفسهم ، فمن طبيعة الشعوب رفض الوافدين
من الخارج الذين يتصرفون بقدراتهم ، وانما راجعنا تاريخ الاندلسيين وعلاقاتهم
بالمغاربة ، وجدنا انهم كانوا ينظرون لانفسهم نظرة استعلاء على القادسيين
من البربر ، فهم اكثر تقدما وحضارة ، وانما ارتبط الوافدون بالحنف والقسوة
ازداد البغض والكراهية فلعل تجربة الاندلسيين مع البربر تعود الى
بدايات الفتح الاسلامي للاندلس ، واكثر فترة برز فيها البربر على
الساحة وابغضهم الاندلسيون هي فترة المنصور بن ابي عامر الذي استقدم أعدادا
كبيرة منهم ليدعم بهم سلطانه . " ١ "

ويرجح الدكتور ابراهيم حرّكات " ٢ " ان سبب هذه الثورات هو استئصال المرابطين
بالوظائف مما اسخط الاندلسيين وأدى الى اتهامهم اياهم بالخشونة والجهل .

١ - ابن الآبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٦٦ ، حاشية رقم ١ .

٢ - المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

ويمزوها محمد عبد الله عنان " ١ " الى اساليب القاهة والولاء الخشنة
مع الاندلسيين ، والتي تتنافى مع ما جبلت عليه الامة المترفة ، ثم يقول
بأن هذه الثورات ما هي الا محاولات للتنفيس عن حكم المرابطين المرهق .

=====

١ - عصر المرابطين والموحدين ، ص ٢٩ - ٣٠ .

الفصل الثالث

ثورة محمد بن تومرت

(٥١٤ - ٥٤٢ هـ / ١١٢٠ - ١١٤٧ م)

واجه علي بن يوسف بن تاشفين — كما رأينا في الفصل السابق — ، منذ اللحظة الاولى لولايته معارضة لحكمه في انحاء مختلفة من بلاده التي كانت تضم بين جناحيها المغرب والاندلس ، ولكن هذه المعارضة لم تؤثر كثيرا في صرح الدولة الشامخ لافتقارها للشخصية القيادية الموهوبة التي تجمل القلوب ترفرف حولها ، اضافة لعدم توفر سند شرعي يبرر قيامها على ولي الامر ، ولحدوثها في فترة كانت ما تزال فيها الدولة المرابطية في اوج ازدهارها .

ولم يطل الوقت بعد فشل هذه الحركات المعارضة حتى برزت شخصية محمد ابن تومرت الذي تقنع بقناع المهدي " ١ " ، ذلك القناع العزيز الذي استغل على طول حقبة التاريخ الاسلامي واتخذ بهيرا للخروج على السلطة الشرعية القائمة .

وقد استغل الفاطميون هذه القضية الى ابعد الحدود ، واستطاعوا في النهاية ان يشيدوا صرح دولة يحكمها عبيد الله المهدي في المغرب ، بعدما اشاع الدعاة الفاطميون في بلاد البربر فكرة المهدوية ، واستطاعوا بقيادة ابي عبد الله الشيعي التغلب على عمال الاغالبه ، ونصبوا عبيد الله الذي تلقب بالمهدي مدعيا انه من ابناء فاطمة ، ومن نسله كان الخلفاء الفاطميون الذين تعاقبوا على حكم المغرب ومصر ، والذين كانوا يزعمون لانفسهم من القداسة ما لا يجوز الا لله وحده ، وعن طريق دعاة الاسماعيلية عرف المفارضة دعوة المهدوية ، وعرفوا قوة تأثيرها على المستوى الشعبي . " ٢ "

١ — اول من اطلق عليه لقب المهدي محمد بن الحنفية ، اطلقها عليه المختار بن عبيد الثقفي حيث زعم انه المهدي المنتظر ، وأنه لم يموت ولن يموت حتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا انظر : وتموت الفتنة ص ٢٧٢ (مجموعة مقالات اصدرتها جريدة الندوة السعودية على شكل كتاب عام ١٩٧٩ م) .

٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٥٧ — وتموت الفتنة : ص ٢٧٢ — ٢٧٣ .

هذا ويذكر عبد العظيم عبد العظيم في أطروخته لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز شطركم أن بعض الباحثين المحدثين أمثال : محمد رشيد رضا ، ومحمد فريد وجدى ، واحمد امين ، ومحمد عبد الله عنان فكرة المهديّة " ١ " ، ويذكر إبراهيم بن سليمان — الجبهاني أن الفكرة من اختراعات حاخامات اليهود ليعملوا انفسهم بظهور مخلص ينقذهم مما يتعرضون له من اضطهاد في جميع ادوار التاريخ . " ٢ "

ولكن هناك جمع من الائمة والعلماء نصوا على ثبوتها ومنهم : ابن القيم الجوزية في كتاب المنار المنيف ، وابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، والسخاوي وغيرهم " ٣ " وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : ((ان الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها ابو داود ، والترمذي ، واحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود)) " ٤ " .

وحول هذه القضية وما ورد فيها من احاديث يذكر عبد العظيم عبد العظيم في أطروخته المشار اليها سابقا ان هناك تسعة احاديث صحيحة في هذه المسألة ، وعلى ضوءها خلص الى ان صفات المهدي هي : انه محمد أو احمد أو عبد الله وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود ((لو لم يسبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يعلا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا)) ، ومدة حكمه سبع أو تسع سنوات وحددوا له صفات جسمية خاصة " ٥ " ، الا أن هناك

١ — عبد العظيم عبد العظيم : الاحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل ، ص ٢٣ — ٢٧ (رسالة ماجستير لم تطبع) .

٢ — وتموت الفتنة ، ص ٢٧٢ .

٣ — عبد العظيم عبد العظيم : المرجع السابق ، ص ٣٠ — ٣٣ .

٤ — وتموت الفتنة ، ص ٢٨٥ .

٥ — ومن هذه الصفات : أنه أصلح مقدمة الرأس ، واسع الجبهة ، انفه محدود ، وسط مرتفع ، طرفه سابغ ، انظر : عبد العظيم عبد العظيم : المرجع السابق ، ص ٥٨٧ — ٥٩٠ — اسماعيل الشطبي : حقيقة قضية المهدي ، مجلة المجتمع عدد ٤٦٢ ٢٢ محرم ١٤٠٠ هـ ، ص ٣٠ — ٣٢ .

من يقول أنه يشبه النبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأخلاقه لا في صورته وشكله . " ١ "

وعلى ضوء هذه الاحاديث سيتبين لنا زيف دعوة المهدي بن تومرت التي كانت تقوم على المكر والخديعة كما سنرى في الصفحات التالية .

ولعل نجاح قبيلة لمتونة في تبني دعوة عبد الله بن ياسين الاصلاحية وتركيز السلطة بيدها أوجد ردة فعل قبلية عند القبائل الأخرى . فكما هو معلوم أن الصراع والتطاحن على السلطة من أبرز السمات التي تتصف بها القبائل البربرية البدوية ، وكان يوسف بن تاشفين يدرك حقيقة هذه المنافسات والتطلعات القبلية ، فنجده يوصي ولي عهده علي بن يوسف بأن لا يثير أهل جبل درن عليه . " ٢ "

وأخذت القبائل المنافسة للمتونة تتلمس العوامل التي أدت الى قيام دولته المرابطيين والى تسلم قبيلة لمتونة للسلطة في هذه الدولة . ولعلهم وصلوا في تصورهم الى تشخيص العامل الرئيسي لنجاح قبيلة لمتونة في هذا الصدد وهو التفافها حول دعوة عبد الله بن ياسين الاصلاحية وهذا ما أدركه أحد أفراد قبيلة هرقه وهو محمد بن تومرت الذي اتشح فيما بعد بوشاح المهدي . " ٣ "

فكيف استطاع محمد بن تومرت أن يبلور دعوته الى فكرة عملية نشطة ضد دولة المرابطيين وأن ينجح في هدم أركانها وتأسيس الدولة الموحدية على انقاضها ؟ كيف استطاع ذلك على الرغم من زيف عقيدته وخداعه وكذبه . . هذا ما سنعرض اليه فيما يلي .

١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطيين والموحدين ، ص ١٥٧ -

وتموت الفتننة ، ص ٢٨٩ .

٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٢ - ٨٣ .

٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢٦٤ - ابن الاثير :

الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٩ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ،

ص ١٢٢ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

نسب ابن تومرت :-

=====

أما فيما يختص بنسب ابن تومرت فيختلف فيه النسابون والمؤرخون • فمنهم من ينسبه الى آل البيت والى الأدارسة العلويين خاصة • ومنهم من ينكر عليه ذلك ويؤكد على أصله البربري •

ويأتي البيهقي تلميذ المهدي بن تومرت على رأس انصار النسبة العلوية لعدم وجود خيار أمامه لأنه من شروط المهديّة النسبة لآل البيت • وانكار ذلك هو مطمئن في دعوته •

فيذكر عن نسبه أنه : محمد بن عبد الله بن وكيد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم • " ١ "

ويرجح ابن خلدون " ٢ " نسبه العلوية فيقول : ((وعلى الأمرين فان نسبه الطالبي وقع في هرغة من قبائل المضامدة ووشجت عروقه فيهم • والتحم بحصبتهم فلم يجلدتهم وانتسب بنسبتهم وصار في اعدادهم)) • ويكتفي ابن الأثير " ٣ " بذكر أنه ابو عبد الله محمد بن تومرت العلوي • أما المراكشي " ٤ " فيؤكد على أن نسبه متصل بالخمسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب • ويذكر عبد الحميد العبادي " ٥ " أنه في الأصل من أحفاد العلويين الادارسة الذين اندمجوا في البربر بعد سقوط دولتهم • فهو على رأيه علوي الأصل بربري الطباع والأخلاق •

-
- ١ - البيهقي : المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب • ص ١٢ •
 - ٢ - تاريخ ابن خلدون • ج ٦ • ص ٢٦٥
 - ٣ - الكامل • ج ١٠ • ص ٥٦٩ •
 - ٤ - المصجب • ص ٢٤٥ •
 - ٥ - المجمل في تاريخ الأندلس • ص ٦٦ •

يلاحظ مما تقدم أن انصار النسبة الطالبية لم يغفلوا عن ادخال ادريس ضمن سلسلة نسبه وهى ايماء ذكية ، فالنسب الطالبى يكسبه احتراماً كبيراً في نظر الرعية . " ١ " .

ويأتى ابن ابي زرع ، وابن الخطيب ، وابن ابي دينار على رأس المنكرين لنسبته الطالبية " ٢ " ويرى السيد عبد العزيز سالم " ٣ " أنه لم يكن اسمه الأصلي هذا ، وإنما كان له اسم مختلف استبدله باسم محمد بعد عودته من المشىق تيمناً باسم الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم رأى أن يكون اسم أبيه عبد الله ، ولم يكن اسمه الحقيقي ، إذ كان يسمى تومرت بن جليل ، ويذكر البعض الآخر أن اسم تومرت هو اسم إحدى جدات المهدي غلب على نسبه ، وكان جده لبيه يسمى جليل ، وجده لأمه يسمى واركن وهى اسماء بربرية بحتة . " ٤ " .

والذى يرجع هو أن تومرت ليس اسماً لوالد المهدي أو اسماً لأحدى جداته ، وإنما هو لقب أطلقته أم المهدي عليه لسرورها به عند مولده ، فيذكر أنه عندما ولد قالت أمه باللسان البربري ((أتومرت أينو آيسك آيوى)) ومعناها يا فرحتي بك يا بني ، وكانت إذا سئلت عنه وهو صغير تقول : ((ياك ياك تومرت)) أى صار فرحاً وسروراً فغلب عليه اسم تومرت " ٥ " .

وكما اختلف في حقيقة نسبه اختلف أيضاً في سنة ميلاده . إلا أن هناك إجماعاً على أن مولده كان في الثلث الأخير من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر . " ٦ " .

-
- ١ — محمد ولد داداه : مفهوم الطلک في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع دراسة في التاريخ السياسي ، ص ١٣٤ .
 - ٢ — روض القرطاس ، ص ١٧٢ — أعمال الأعلام ، ص ٣ ، ص ٢٦٦ — المؤنس ص ١١١ .
 - ٣ — المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٩ ، خاشية رقم ١ .
 - ٤ — عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٩ — إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٠ — محمد عبد الله عثمان : تراجم أندلسيه ، ص ٢٣٧ .
 - ٥ — البينق : المقتبس من كتاب الأنساب ، ص ٢٦ — ٢٧ .

عشر الميلادي "١" في قرية جبلية تسمى ايجلى "٢" ، بجبال الأطلس ببلاد
السوس بالمغرب الأقصى "٣"

وينتمي ابن تومرت الى قبيلة تسمى هرغة "٤" من قوم يعرفون بـيسرغنيين
(وهم الشرفاء بلسان الصامدة) "٥" وهرغة هي احدى بطون قبيلة مصمودة صاحبة
المال والسطوة ، والمنتشرة بالمغرب الأقصى "٦"

ولم تجدنا المصادر التي بين أيدينا بمعلومات مفصلة عن أسرته وبيئته
الأولى التي نشأ فيها والتي لو وجدت لمساعدتنا على حصر العوامل المؤثرة في
شخصيته ، وتفسير بعض تصرفاته ، وتشير بعض المصادر الى أن والده كان زعيما
لقبيلته الا أن ابن تومرت نشأ فقيرا "٧" ، ولم يمنحه ذلك من الجدة والمثابرة في
طلب العلم حتى أنه لقب بعدة ألقاب تشهد له بالجد منها : أمغار "٨" —
(التي تعني باللسان البربري الشيخ) ، وآسافو (التي تعني الضياء لكثرة

١ — يحدده الزركشي (تاريخ الدولتين ، ص ٤) بحام ٤٩١ هـ ، ويحدده
الساوي (الاستقصاء ، ج ١ ، ص ٣٤) وابن خلكان (وفیات الأعيان
ج ٥ ، ص ٥٣) وابن تفرى بردي (النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص
٢٥٥) بحام ٤٨٥ هـ .

٢ — ايجلي أو ايكلي : وهي قاعدة بلاد السوس الأقصى ، وهي خصبة في
سهل من الأرض على نهر كبير ، ويعمل بها النحاس الذي كان يصدر الى بلاد
السودان ، انظر : الحميري : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

٣ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

٤ — تحتل المنطقة الممتدة جنوب مدينة مراكش ، ويقال أن اسم القبيلة البربري
هو ارغن ثم حرف الى هرغة انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص
٣ ، ص ٢٦٦ ، حاشية رقم ١ .

٥ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

٦ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الأساطير السياسي ، ج ٤ ، ص ٢٩٢ —
عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٤٤ — ٤٦ .

٧ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٢ — عبد الله علام : المرجع
السابق ، ص ٤٥ .

٨ — ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٤٧٣ ، حاشية رقم ١ — عبد الميزز سالم : المغرب
الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٧٠ .

ما كان يسرّج من القناديل في المساجد (" ١ " ، وكان قارئاً للقرآن متظاهراً
بالزهد والتقشف والتشبه بالصالحين " ٢ " . كما يذكر عنه أنه كان منقبضاً عن
الناس " ٣ " مما أتاح له فرصة للتأمل والتفكير في أوضاع عشيرته التي تخفي بين
ضلوعها نارا تتأجج ضد لمتونة وحلفائها " ٤ " ، وأتاح له ذلك أيضا فرصة طيبة
للدروس والمطالعة .

لقد كان ابن تومرت يشعر بشعور قبيلته الأم صموده التي كانت تمناني من
ضدك حكم المرابطين ، ولعله فكر في أقصر طريق يمكن أن يخلص بواسطته قومه
من سلطان المرابطين ، ومن المرجح أنه أخذ يتفحص أحوال دولة المرابطين ليجد
له منفذا ينفذ من خلاله لي عمل على الاطاحة بها فوجدها ما زالت في أوج مجدها
السياسي ، والمسكري ، والحضاري ، وتقوم بتحكيم الشرح ، عندها أدرك أن أي -
ثورة ستقوم ضدها سيكون مصيرها الفشل اذا لم يكن لديها صبرات أقوى من الأسس
التي قامت عليها دولة المرابطين .

وأخذ ابن تومرت يبحث عن السبيل الذي يوصله الى تحقيق طموحاته والتألي
طموحات قومه فوجد ضالته من طريق ادعاء المهدي ، ولكن المهمة لم تكن سهلة ،
ولا بد له من أن يعد نفسه لهذه الدعوة .

فبعد أن درس القرآن الكريم في قريته الجبلية وجعل بعض العلوم البسيطة جاز
الى الأندلس في عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م أو عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م ، وأخذ

-
- ١ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٥ .
 - ٢ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٦١ - ابن خلكان / المصدر
السابق ، ج ٥ ، ص ٤٦ - الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٧٠ .
 - ٣ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٦ .
 - ٤ - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٣ - ١١٤ .

عن مشاهير علمائها " ١ " ، واطلع على عيون المؤلفات هناك ، ولا بد أنه قرأ
مؤلفات ابن حزم " ٢ " خاصة كتاب " الفصل في الملل والأهواء والنحل " الذي
ركز فيه على قضية اهتم بها ابن تومرت فيما بعد وهي الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر . " ٣ "

ولم تسد العلوم الأندلسية نهم وتعطش ابن تومرت للمعرفة ، خاصة أنه كان
يعد نفسه ليكون داعيا فيما بعد ، فلا بد له من علم الكلام ، والجدل الذي كان -
محدورا في المغرب والأندلس ، ويعد من يشتغل بها في نظر المرابطين كافرا ،
ومن ثم رحل إلى الحجاز والشام والعراق ومصر " ٤ " ، وهناك أقبل على دراسة
الحديث النبوي الشريف وعلم الأصول متعلما على مشاهير العلماء في تلك الأقطار
أمثال أبي بكر الشاشي بالعراق " ٥ " وغيره " ٦ " .

والمسألة التي تثير النقاش هي لقاء ابن تومرت مع الفزالي ، فقسم يؤكد على
أن اللقاء تم فعلا ، ولكنهم يختلفون في مكانه . فذهب فريق بأنه في الشام ،
وذهب آخر بأنه في العراق ونقلوا أحاديث دارت بين الرجلين " ٧ " ، والمتفحص

- ١ - ابن هزاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٩ - مؤلف مجهول :
المصدر السابق ، ص ٢٤٥ - الزركشي : المصدر السابق ، ص ٤ .
- ٢ - عبد الحميد العبادي : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .
- ٣ - ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٢ ، ق ٤ ، ص
١٧٣ - ١٧٦ .
- ٤ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ - ابن خلكان :
المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٦ .
- ٥ - أحد أئمة الشافعية (٤٢٧ - ٥٠٧ هـ) درس بالنظامية ببغداد . انظر :
ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٢ .
- ٦ - أمثال أبي عبد الله الحضري في الشام ، وأبي الوليد الطرطوشي وغيرهم ،
انظر : مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ - القلقشندي :
صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٩١ - الكتبي : عيون التواريخ ، ج ١٣ ،
ورقة ١٩٣ - ١٩٤ - ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٨٦ .
- ٧ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ - السلاوي : المصدر السابق ،
ج ١ ، ص ١٣٥ - ابن هزاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص
٥٩ - ٦٠ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٢ - مؤلف مجهول :
المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

للروايات التي جاءت حول هذه القضية يلاحظ أن قسماً منها جاء بصيغة الشك ،
فمنها مثلاً (وقيل أنه لقي " ١ " ، ولقي فيما زعموا " ٢ " ، وقيل أنه جرى له
حديث مع الفزالي " ٣ " . وأخرى يغلب عليها طابع الأسطورة فمثلاً يذكر ابن
زرع " ٤ " أن الفزالي قال عن ابن تومرت : « لا بد لهذا البربر من دولة
أما أنه يثور بالمغرب الأقصى ويظهر أمره ويعلو سلطانه . . . فان ذلك ظاهر
عليه في صفاته ومائن طيه في شمائله » وردت بذلك الأخبار ودلت عليه العلامات —
والآثار « ، وأن هذه العلامات والآثار موجودة في كتاب يمتلكه الفزالي يسمى
السر المكنون وكشف ما في الدارين . " ٥ "

والمقابل للروايات التي تؤكد اللقاء يجد أنها غير مشجعة على الأخذ بها
لأنه يحتمل أن يكون وصوله إلى المشرق أثناء وجود الفزالي خارج الشام والعراق ،
فقد عاد الفزالي إلى وطنه طوس عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م " ٦ " .
ولعل جميع الروايات التي نسجت حول هذه القضية من قبل اتباع ابن تومرت
ما هي إلا من أجل ربط اسم ابن تومرت باسم أبي حامد الفزالي ليكسب شهرة —
ما بعد ها شهره .

وتذكر بعض المصادر الموحديـه " ٧ " أن الفزالي دعا على المرابطين
سلطان

-
- ١ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ .
 - ٢ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٥ — ٤٦٦ .
 - ٣ — ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٦٩ .
 - ٤ — روض القرطاس : ص ١٧٢ .
 - ٥ — محمد بن تومرت : كتاب محمد بن تومرت ، ص ٣٨ — محمد عبد الله
عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٦٢ .
 - ٦ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١٧ — ٢١٩ —
أبو حامد الفزالي : أحياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ج — و —
حيدر بامات : مجالي الإسلام ، ص ٢٤٩ .
 - ٧ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

بقوله : ((لينذهبن عن قليل ملكه وليقتلن ولده)) وما أحسب المتولي لذلك الأمر الا حاضر مجلسنا)) ، وذلك بعد أن أخبره ابن تومرت باحراق كتاب احياء علوم الدين . " ١ "

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل تأثر ابن تومرت بمؤلفات الغزالي ؟ لقد حاول الاجابة على هذا السؤال المستشرق جولد سيهر () فأكد أن التأثير لم يكن كبيرا بحجة أن الغزالي كان ميالا الى الاتجاه التصوفي وابن تومرت لم يكن ميالا لذلك الاتجاه () " ٢ " .

ولكن المتفحص لكتاب احياء علوم الدين ، والمتتبع لسلوك ابن تومرت في دعوته لا يجد مناصا من الترجيح بأن ابن تومرت قد تأثر بشكل غير قليل بالغزالي خاصة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أفرد له الغزالي في كتابه احياء قسما لا بأس به ، رسم فيه الأسس التي يقوم عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي اعتبره اهم ركيزة يقوم عليها الاسلام حيث قال : ((فان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم من الدين)) كما بين أن من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يقوم باحياء السنة من جديد معززا ذلك بعشرات الآيات والأحاديث والآثار التي توضح أن من مميزات الفئة المؤمنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . " ٣ "

وتمكن ابن تومرت خلال اقامته في المشرق من اشباع نهجه من العلوم فحفظ كثيرا من الأحاديث النبوية ، ونسخ في العلوم الشرعية ، والعربية ، والكلامية ، وخط الرمل " ٤ " ، وشهد له بذلك كل من ابن الأثير " ٥ " وابن أبي زرع " ٦ "

-
- ١ — سنمعرض لقضية احراق كتاب احياء علوم الدين في الفصل الخاص بالحياة الفكرية .
 - ٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٦٣ .
 - ٣ — ابو حامد الغزالي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ — ٣١٠ وما بعده .
 - ٤ — الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٩ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٢ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٦ .
 - ٥ — الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٩ .
 - ٦ — روض القرطاس ، ص ١٧٣ ، ١٨١ .

والسلاوي "١" وابن خلدون "٢" والمراكشي "٣" .

وتفاطت هذه الد. راسات في نفس ابن تومرت لتجعل منه رجلا مؤهلا للقيام بدعوته في بلاده ، ولكن الطريق صعب وشاق ، لأنه كان يريد هدم أركان دولة المرابطين التي لم تنزل في ريعان شبابها . وعلى الرغم من ذلك صمم على المضي من أجل تحقيق هدفه ، وعند ما عزم على العودة إلى بلاده وبدأ رحلة الأياب في يوم الجمعة أول ربيع الأول من عام ٥١٠ هـ / ١٤ يوليو من عام ١١١٦ م "٤"

حاصل في ذهنه برنامجا لدعوة ثورية على المرابطين من ضمن نقاطه :-

امانة المنكر ، واحياء العلوم ، واخماد البدع عن طريق الوعظ والارشاد والمناظرة تارة ، وأخرى عن طريق تغييرها باليد "٥" . واتخذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة لتحقيق برنامجه ، وطريقا لجمع الأتباع واثبات مفاصل المرابطين .

وخلال مروره بمكة المكرمة لأداء فريضة الحج وقف بالحجيج خطيبا معلنا ثورته على سوء الأوضاع في الدولة الفاطمية التي كان يحكمها غارقين في الملذات وحياة الترف في الوقت الذي كان فيه الصليبيون ينتهكون حرمة المسلمين في بلاد الشام . وبعد الانتهاء من خطبته بادر شريف مكة أبو فليحة القاسم محمد ابن جعفر الموالي للفاطميين "٦"

- ١ - الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٣٧ .
- ٢ - تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٦ .
- ٣ - المعجب ، ص ٢٤٧ .
- ٤ - محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٣٨ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٣ - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١١ - السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣١ - ١٣٥ - عبد العزيز الطروزي : نظم السلوك في تاريخ الأنبياء والخلفاء والملوك ، ورقة ١٥٠ .
- ٥ - سعد عبد الحميد : محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس ، ص ١٥ - ١٦ .
- ٦ - انظر زامباور : معجم الأنساب والآسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ص ٣١ - احمد السباعي : تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

باعتقاله ، ولما تيقن من عدم وجود اتباع له أُنْفِج عنه فرحل الى مصر عام ٥١١ هـ /
 ١١١٦ م "١" . وما أن حل بالخاصة الفاطمية (القاهرة) حتى أخذ يأمر
 بالمعروف وينهي عن المنكر فطاردته السلطات ففر منها الى الإسكندرية "٢" .
 واستمرت ملاحظته هناك حتى قبض عليه وصدر أمر بنفيه الى بلاده في نفس العام "٣"
 وفور وصوله الى مدينة المهديـه أخذ بتغيير المنكر فيها ، فكسر جدران
 الخمر ، وأدوات اللهو ، وأنكر على الناس ما هم عليه من أحوال غريبة عن
 الأسلام . عندها طلبه صاحب المهديـه العزيز بن الناصر علي بن يحيى بن
 تميم (٥٠٩ — ٥١٥ هـ / ١١١٥ — ١١٢١ م) ، فلما رأى صلاحه
 أكبره وطلب منه الدعاء "٤" . وما لبث أن غادر المهديـه الى بجاية "٥" واستقر
 في مسجد الريحانة ، فاجتمع عليه الناس وأعجبوا به لسعة ثقافته الدينيـة ،
 ومعرفته باصول الجدل والفصاحة . وأخذ كعادته يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ما

-
- ١ — سعد عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ١٥ .
 - ٢ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ — سعد عبد الحميد :
 المرجع السابق ، ص ١٥ .
 - ٣ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧ — ابن أبي زرع :
 المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
 - ٤ — البينق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ١١ ، حاشية رقم ١ —
 ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧ — ابن الأثير :
 المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٥٠ — الزركشي : المصدر السابق ،
 ص ٤ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣١ —
 مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
 - ٥ — مدينة كبيرة ، وهي ميناء تجارى ومركز لصناعة السفن وقد نالت في ذلك الوقت
 من رقة الحياة قدرا كبيرا مما جعل ابن تومرت ينكر على الناس هذا التصرف ،
 واختلاط النساء بالرجال في الأعياد فأخذ يضربهم بعصاه انظر : الحميرى :
 المصدر السابق ، ص ٨٠ — ٨١ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب
 الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٧٢ — ٧٧٥ — عبد الله عـلام :
 المرجع السابق ، ص ٥٦ .

أغضب حاكم بجانه يومئذ المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد فاضطر ابن تومرت
الى الفرار مذعورا الى ملاله على فرسخ من بجايه ودخل في بني ورياكل من قبائل
صنهاجه الذين كانوا يتمتعون بقسط وافر من القوة والمنعه فحموه من السلطان
الذى يطاردونه واستمر بينهم يلقي دروسه على الطلبة الوافدين عليه . " ١ "

وفي مدينة ملاله التقى ابن تومرت بمحمد المؤمن بن علي " ٢ " الذى كان
متجها الى الشرق لطلب العلم برفقة عمه يعلو فاستطاع أن يصرفه عن وجهته ويقنعه
بملازمته بعد أن أخبره بحقيقة ما ينوى القيام به " ٣ " فبايعه على مؤازرته ففى
الشدّة والرخاء والأمن والخوف . " ٤ "

-
- ١ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ - ابن خلدون : تاريخ
ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ - السلاوى : المصدر السابق ،
ج ١ ، ص ٣٧ - الزركشي : المصدر السابق ، ص ٤ - ٥ .
 - ٢ - ينتمي الى قبيلة كومية ، ولد في قرية تاجرا من اعمال مدينة تلمسان في الثلث
الاخير من القرن الخامس الهجرى ، كان مقبلا على العلم اقبالا شديدا ،
وقد حظي عند ابن تومرت بمكانة مرموقة وسماه صاحب الوقت واختصه بفرس أخضر
وتوفى في ٢٧ جمادى الثاني عام ٥٥٨ هـ بعد أن تولى خلافة الموحديين
٣٣ سنة انظر : البيهقي : المقتبس من كتاب الأنساب ، ص ١٣ ، ١٧ ،
٣٠ - ابن خلدان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ -
ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ق ٣ ، ص ٢٧١ - ابن أبي زرع :
المصدر السابق ، ص ١٨٣ .
 - ٣ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ - عبد العزيز سالم :
المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٧٤ - ٧٧٥ .
 - ٤ - محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٣٩ - ابن أبي زرع : المصدر
السابق ، ص ١٧٣ - ابن أبي دینار : المصدر السابق ، ص
١١١ - ١١٢ .

وتسجت حول لقاء الرجلين رواية يغلب عليها طابع الخيال والدعاية من أجل ترسيخ مكانتهما في نفوس الأتباع ، فالرواية تقول أن الدلائل والاشارات كانت تبشر بقرب ظهور عبد المؤمن الذي على يديه يتحقق النصر ، وأن صفاته موجودة في كتاب يمتلكه ابن تومرت يسمى الجفر " ١ " ، وأنه رأى فيه أنه لا يتم هذا الأمر الا على يد رجل هجاء اسمه (عبد مومن) ويجاوز وقته المائنة الخامسة وتستمر الرواية في سرد قصة اللقاء الأسطوريه بينهما وكيف استطاع ابن تومرت أن يتعرف على عبد المؤمن ويشره قبل قدومه . " ٢ "

ومن المرجح أن الأمر لم يكن يتعدى أن طلبة تلمسان لما توفي شيخهم عبد السلام التوانسي ندبوا زميلهم عبد المؤمن للذهاب الى المشرق بقصد استقدام شيخ جديد لهم ، فالتقى عبد المؤمن بابن تومرت وتعرف عليه ، وبدلا من أن يعود به الى

١ - أصله أن هارون بن سعيد المجلي رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق ، يذكر أن فيه علم ما سيقع لأهل البيت عموما وبعض الأشخاص منهم على الخصوص ، وكان مكتوبا عند جعفر الصادق على جلد ثور صغير فراه عنه هارون المجلي وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد فصار الاسم علما لهذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير باطني للقرآن . على أي حال فالقوان يطل زعمهم بأن الجفر فيه علم الغيب فقد قال سبحانه وتعالى : (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون) النحل آية ٦٥ ، انظر : ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ - ١٤١ - السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ - عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٩١ ، حاشية رقم ١ .

٢ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧ - ٤٨ - السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣١ ، ومن الجدير بالذكر أن ابن تومرت لم يكن اول من قام بعملية الاستدلال بالحروف ، فيظهر أنه أخذها عن بعض الفرق الباطنية خلال اقامته في المشرق ، فقد كانت الباطنية تهتم اهتماما كبيرا في هذه الأمور مما دعا الفزالي الى مناقشة هذه القضية باسهاب في كتابه الذي خصصه لفنائح الباطنية حيث اثبت زيف الادعاءات التي تقوم على اساس الاستدلال بالحروف والأرقام . انظر : أبو حامد الفزالي : فنائح الباطنية ص ٦٦ - ٧٠ .

تلمسان ليأخذ عنه هو ورفاقه العلم رافقه الى جبال المضامده بأقصى المغرب
ليث معه الدعوة ويتولى بعده الملك " ١ " .

ويستفاد من الروايات التي تتحدث عن احلام عبد المؤمن ، والتي تدور حول
العظمه والسلطه " ٢ " ، بأن الرجل كان يحدث نفسه بالخروج على السلطان
ولكن هذه الفكرة كانت في طور التكوين وباجتماعه مع ابن تومرت نضجت هذه الفكرة ،
ومن ثم أخذوا يعملان سويا من أجل تقويض اركان دولة المرابطين .

ومن الذين انضموا الى ابن تومرت ولعبوا دورا هاما في دعوته عبد الله
الونشريشي " ٣ " الذي كان على درجة كبيرة من الثقافة . وقد اتفق معه
ابن تومرت على أن يتستر على ما هو عليه من العلم والقصاحة عن الناس ، ويظهر
المعجز والغباء والتعمرى من الفضائل مما يشتهر به عند الناس على أن يداوم على
أخذ العلم في السر ثم يفصح عن ذلك دفعة واحدة عندما يطلب منه المهدي ذلك
فيكون بمثابة المعجزة فيصدقها الناس ويزداد ايمانهم بدعوته ، فقام الونشريشي
بذلك أحسن قيام " ٤ " .

ورحل ابن تومرت مع مجموعة من طلبته من بجانه الى فاس ، واستمر في
القاء دروسه فيها حتى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م " ٥ " . وكان خلال هذه المدة

- ١ — البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ١٥ ، حاشية رقم ١ .
- ٢ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .
- ٣ — : نسبة الى نشرش ، وهو ابو محمد عبد الله بن محسن بن يكنيمان بن
الحسن بن الحسين ، من أهل العشرة كان قائدا للموحدين في البحيرة
في ٢ جمادى الأولى ٥٢٤ هـ / السبت ١٢ ابريل ١١٣٠ م انظر : البيهقي :
المقتبس من كتاب الأنساب ، ص ٢٣ — ٢٤ — مؤلف مجهول : المصدر
السابق ، ص ١٠٦ .
- ٤ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٨ .
- ٥ — محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٣٩ — ٤٠ — ابن أبي
زريق : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

ملتزمًا ببرنامجه الذي وضعه لنفسه والذي كان من ضمن نقاطه المصل على تقريب اشخاص من ذوي القوة الجسمانية قليلي التجربة ، اضافة لاستمراره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما أفضى الى طرده من فاس ، فتوجه الى مراكش "١" مقرر حكم المرابطين . وخلال رحلته اليها كان ينهه عبد المؤمن بن علي للمواقع ذات الأهمية الاستراتيجية "٢" ويدل ذلك على أنه كان يخطط لحرب طويلة الأمد ضد المرابطين .

ودخل ابن تومرت مدينة مراكش في عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م "٣" في زى الزهاد وعلى عادته خرج مع تلاميذه الى اسواق مراكش يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر دون اذن أمير المسلمين أو اذن أحد قضاة أو وزراءه ، لأنه شاهد في مراكش من الفساد ما لم يره في مدينة ثانيه "٤" وصدق أن رأى أخت أمير المسلمين علي المسماة (الصورة) حاضرة قناعها على عادة قومها فوخها فشكته الى أخيه ثم توجه ابن تومرت الى مسجد علي بن يوسف في صلاة الجمعة "٥" فوجد أمير

١ - محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ - البيذق : أخبار

المهدي بن تومرت ، ص ٢١ - ٢٦ - المراكشي : المصدر السابق ص ٢٥١

٢ - البيذق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢١ - ٢٢ .

٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٧ - ٤٦٨ -

مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ - البيذق :

أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٤ - ٢٥ - محمد عبد الله عنان :

تراجم اندلسيه ، ص ٢٤٤ .

٤ - الكتبي : المصدر السابق ، ج ١٣ ، ورقة ١٩٣ - ١٩٤ - حسن

ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

٥ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ - ابن كثير : المصدر

السابق ، ج ١٢ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ - ابن خلدون :

تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ ويذكر فليب حتي (تاريخ

الحرب مطول ، ج ٢ ، ص ٦٤٩) أن التعرف للصورة كان

في مدينة فاس .

المسلمين جالسا وحوله الوزراء وقوا فاستنكر عليهم ذلك وعاب عليهم لبس النقاب " ١ " وخطب عليا قائلا : ((الخلافة لله وليس لك يا علي بن يوسف)) " ٢ " .

ولما كثر نشاط ابن تومرت في مدينة مراكش خاصة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والطعن في أمير المسلمين علي بن يوسف " ٣ " استدعاه علي للاطلاع على حقيقة أمره . فلما حضر بين يديه استطاع ابن تومرت أن يقتنصه بأنه زاهد وليس له أى مطمح دنيوى ، وإنما يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتقضي المفسد والبدع في ملك أمير المسلمين الذى هو مكلف بإزالتها ، والعمل على احياء السنة ، وكان يتحدث بأسلوب مؤثر وقع في نفس أمير المسلمين فذرفت دموعه على وجنتيه . " ٤ "

ولم تعم فصاحة واسلوب ابن تومرت المؤثر أمير المسلمين علي بن يوسف عن خطورة دعوته فدعا العلماء من كل صوب لمناظرته لمعرفة حقيقة هذا الرجل ، فان كان على حق اتبع وان كان على جهل أذب . " ٥ " وكانت المناظرة فرصة لا تعوز لابن تومرت ، لأنها ستتيح له إبراز ما لديه من علم ، واظهار علماء مراكش بمظهر العاجزين امام سطوع حجته وفصاحته . وهى أيضا وسيلة دعائية ممتازة لدعوته لأن ما ستسفر عنه ستتناقله الألسن ، وستطير أخبار هذه المناظرة ونتيجتها في الآفاق ، فهي بحق بطاقة تعريف جيدة لداعية مشهور . وسيدفع الفضول كثيرين من الحضور وأفراد الرعية الى مقابلة الداعية الجديد للاستفسار عن حقيقة دعوته ، وعن بعض القضايا التي أثيرت في المناقشة مما يتيح له فرصة ممتازة لتوضيح فكره . وهذا ما يسعى اليه لضم اعداد جديده

١ - البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٧ - الزركشي : المصدر السابق

ص ٤ - ٥ .

٢ - سعيد عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ١٨

٣ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٧ .

٤ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٤ - ابن أبي دينار :

المصدر السابق ، ص ١١٢ .

٥ - البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٧ - محمد بن تومرت : المصدر

السابق ، ص ٣٩ - ٤١ .

الى صفوفه .

وقبل بدء المناظرة في مجلس أمير المسلمين علي العاصم بالعلماء والأعيان ،
قدم علماء الدولة المرابطيه — الذين كانوا يجهلون علم الأصول والجدال — عنهم
قاضي المريه محمد بن أسود ليمثلهم في هذه المناظرة .

وأخذ ابن تومرت يسخر كل كلمة في المناظرة لتصوير فساد الأوضاع في
الدولة المرابطيه ، فأوضح أن الخمر تباع جهارا نهارا ، وأن الخنازير تمشي
في الشوارع ، وأن أموال اليتامى تؤكل ، وسين أن الذي يتحمل المسؤولية هم
حاشية أمير المسلمين لا خفائهم تلك الأوضاع عنه . " ١ " .

ومعد أن كشف عن سوء الأوضاع أراد أن يثبت عجز علماء مراکش عن مجاراته
في العلم ، فطرح عليهم بعض الاسئلة التي لم يستطيعوا الاجابة عليها . فلما
رأى عجزهم عن الاجابة بدأ يوضح لهم ما عجزوا عنه بأسلوب أخاذ ، سخر له كل
ثقافته وفصاحته ، وهكذا انتهت المناظرة لصالح ابن تومرت . " ٢ " .

وادركت حاشية أمير المسلمين علي خطورة هذه الشخصية التي فاقتهم
علما ، ووصفتهم وصفا عارلا تمحى عندما أظهرهم بمظهر العاجزين ، فتدارسوا
أمرهم ، وأجمعوا على وصفه بالحقق ، وأنه انسان خارجي ، صاحب جدل ،
وإذا بقي في المدينة أنسد عقائد أهلها " ٣ " . ولكن الذي ادرك هدف ابن
تومرت البعيد ، وعرف أنه ليس طالب آخره ، وإنما هو طالب سلطان . الفقيه

١ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٨ — ٥٠ .

٢ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٤ — ١٧٥ .

٣ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام : ق ٣ ، ص ٢٦٦ —

ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

مالك بن وهيب الأندلسي "١" الذي أشار بقتله ليكتفى شره ، لأنه اذا وقع في بلاد المصامدة البهم على المرابطين "٢" ، ولكن وزير علي بن يوسف ينتان بن عمر ، وسير بن ورييل ، أقنعا أمير المسلمين علي بن يوسف بعدم الأخذ برأى مالك بن وهيب ، وكانت حجتها أنه كيف يقتل أو يسجن رجل هو أعرف أهل الأرض بالله . "٣"

وألح مالك بن وهيب على أمير المسلمين بتخليده بالسجن اذا لم يقتله ، وقال له : ((أجعل عليه كبلًا كي لا تسمح له طيلاً)) فوافق عليه ذلك "٤" . وحال ينتان مرة ثانية دون الأخذ برأى مالك بن وهيب والذي خاطب أمير المسلمين قائلاً : ((يا أمير المسلمين هذا وهن في حق الملك أن تلتفت لهذا الرجل الضعيف فخلي سبيله أنه رجل لا يملك سد جوعه "٥")) وحركت كلمات ينتان عزة نفس أمير المسلمين فاستصغر شأنه وأمر بإطلاق سراحه على شرط أن يخرج من بلاد أمير المسلمين ليقضي الله أمرا كان مفعولا . "٦"

ولجأ ابن تومرت إلى مقبرة ابن حيدوس ، بالقرب من مراكش ومنى فيها

.....

١ — كان فقيها فيلسوفا مشاركا في جميع العلوم له كتاب سماه ((قراطة الذهب في ذكر لثام الحرب)) وله تحقيق من اجزاء في الفلسفة ، انظر : المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥١ — البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٧ ، حاشية رقم ٣٢ .

٢ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥١ — ٢٥٤ .
٣ — البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٨ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .

٤ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٩ — ٥٠ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥١ — ٢٥٤ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٢ — البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ،

ص ٢٧ — ٢٨ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠١ .
٥ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

٦ — البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٨ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٩ — ٥٠ .

خيمته "١" . وكان اختياراً موقفاً يدل على ذكاء خارق ، فهو ايطاءة لأمير المسلمين بأنه رجل يريد الآخرة فيقطع بذلك دابر كل وشاية عليه من قبل المناوئين له . كما أن اختيار هذا المكان سيدفع الكثير من الفضوليين الى القدوم اليه للاستفسار عن أحوال هذا المأبد الذي نهد الحياة وزخرفها وارضى الحياة بـبين الأموات فيث أفكاره بينهم فمن أقتنع ضمه اليه .

والمقبرة من ناحية أخرى مكان مناسب وهادئ ، بعيد عن الأعين ، فيتحدث هناك بما يشاء الى تلاميذه ، وفصلاً توافد عليه الطلاب حتى كثر جمعه . "٢"

وفي هذه المقبرة بدأت المرحلة الثانية من مراحل دعوة ابن تومرت . فالمرحلة الأولى كانت دعائية اعلاميه بالدرجة الأولى ، أما هذه المرحلة الثانية فهي مرحلة التنظيم من أجل الخروج على المرابطين ، فقد التفت حوله الجموع التي امشأت قلوبها بمحبته ، وأعلم الخواص منهم بمقصده . "٣"

وأراد ابن تومرت أن يبدأ معركته بالطن في عقيدة المرابطين فرماهم بالتجسيم "٤" وأوضح لأتباعه بأن غزوهم أوجب من غزو النصارى والمجوس ، وسمى أتباعه بالموحدين ، وهم المؤمنون حقاً لأنهم يوحدون الله وينزهونه عن كل تشبيه له بالخلق على خلاف أصحاب التشبيه والتجسيم . "٥"

-
- ١ - البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٨ .
 - ٢ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .
 - ٣ - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٢ .
 - ٤ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧١ - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١١ - ١١٢ .
 - ٥ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٥ - التجسيم : تشبيه الله بخلقه وهذا مخالف لمذهب السلف فقد قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : ((لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث)) .
 - انظر : محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيميه ، ص ٢١ .

ولما سمع أمير المسلمين بتحركات ابن تومرت أرسل اليه من يذكره بشرطه عليه
عندما أخرجه من السجن وهو أن يخرج من بلاده . فرد ابن تومرت على الرسول
بأنه مع الموتى وليس في بلد أمير المسلمين . وبعد أن تأكد أمير المسلمين من نوايا
ابن تومرت قرر قتله ، ولكنه فجأ بواسطة أحد تلاميذه الذي أخبره بالأمر قبل
تنفيذه . " ١ "

وتشير بعض الروايات أن وزير علي بن يوسف ينتان كان يتردد على ابن تومرت في
القبره لما شعر أن أمير المسلمين مصر على طرده ، فكان يرجوه بأن يرخص له ،
ومما قال له : ((يا فقيه سر حيث شئت وأمرك لله ولا تجعلنا نهلك بين يديك)) " ٢ " .
لقد جاء موقف أمير المسلمين الحازم من ابن تومرت متأخرا ، بعد أن اشتد
عوده ولم يعد بتلك اللقمة السائفة التي يمكن ابتلاعها بسهولة . فقد التف حوله
ما يزيد على ألف وخمسمائة من المؤمنين بدعوته ، وأصبح اقصاؤه عن البلاد لقتل
حركته اجراء لا يجدى . " ٣ "

وعندما ايقن ابن تومرت أن أمير المسلمين جاد في طلبه لقتله ، غادر مراكش
إلى أفمات " ٤ " . ولكن مقامه فيها لم يطل لأن أهلها اتصلوا بأمير المسلمين مخبرين
بوجوده بين ظهرائهم " ٥ " ، عندما هرب إلى جبل ايجليز " ٦ " من بلاد هرقنة

- ١ - عبد الحميد المبادي : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .
- ٢ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٦ - الساكوي : المصدر السابق ،
ج ١ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .
- ٣ - البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٢٨ - ٢٩ - ابن أبي دينار :
المصدر السابق ، ص ١١٢ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .
- ٤ - تقع بالقرب من مراكش ، وتشتهر بوفرة مياهها ومساتينها ، وسها قبر المعتمد
ابن عباد انظر : ابن الخطيب : معيار الاختيار في ذكر المعاهد
والديار ، ص ١٦٤ حاشية رقم ١٠٦ .
- ٥ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠١ - ابن خلدون : تاريخ
ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ .
- ٦ - جبل عند مدخل مراكش ارتفاعه ٥٢٧ م ، وقد سمي في الكتابات الموحدية =

بين أهله وعشيرته "١" .

وكان اختياره لهذا الموقع اختيارا موقعا ، لوقوعه على مدخل مدينة مراكش
فمن طريقة يتمكن من أن يلتقي بالداخلين والخارجين منها ، ليستطلع أخبارها
ليعرف ما يعدة أمير المسلمين من تجهيزات للإيقاع به ، هذا علاوة على وجوده
في منعة وقوة بين قومه .

ويظهر أيضا أن هذا الجبل كان مزارا للجهلاء من البربر لوجود بعض الخلوات
لمدد من الزهاد أمثال أبي المباس السبتي "٢" . ومن المرجح أنه كان يستغل
زيارة تلك الجموع لهؤلاء الزهاد لبث دعوته بينهم ، فكانوا لا يجدون بدا أمام
رجل مثل ابن تومرت من تصديق دعوته فالتفوا حوله بأعداد كبيرة ، وبالغية
في تعظيمه إلى حد أنه لو أمر أحدهم بقتل أخيه أو ابنه لما تردد "٣" .
ولما رأى ابن تومرت إقبال البربر على دعوته بدأ بتنظيم الجبل ، وقام
ببناء رباط للعبادة لبث أفكاره بين الوافدين عليه ، وليكون منطلقا لرسالة
البعثات إلى القبائل "٤" .

-
- = باسم الجبلين أو جبل الجبلين وهو وعرض صعب المسالك ، انظر : ابن عذاري :
المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٨ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام :
ق ٣ ، ص ٢٧٠ ، حاشية .
١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٧
٢ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٣ ، ص ٢٧٠ ، حاشية رقم ١ .
٣ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .
٤ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٤ - مؤلف مجهول : المصدر
السابق ، ص ١٠١ - ١٠٢ - السلاوي : المصدر السابق :
ج ١ ، ص ١٣٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ،
ص ٤٦٩ .

ولعل انشغال أمير المسلمين في هذا الوقت بثورة قرطبة التي خرج لخمادها عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م قد اتاح لابن تومرت فترة من الأمن والطمأنينة ، فذاع صيته وتسامحت به القبائل في الجبل وخارجه . ١

ومعد عودة أمير المسلمين من الأندلس انزعج من أخبار ابن تومرت ، فاتصل بعامله على السوس أبي بكر بن محمد اللمتوني ليعمل على قتل ابن تومرت ، إلا أنه فشل في تحقيق هذا الهدف . ٢

ولم تبهر ابن تومرت كثرة الواردين عليه والمؤيدين له ، بل استمر في استكمال جميع نقاط برنامج دعوته التي ترمي في نهاية الأمر إلى إعلان مهادنته ، والشروع في محاربة دولة المرابطين حتى إسقاطها . ولكن هذه الجموع المتدفقة عليه أعطته ضواً أخضرا ليسير في الخطوة التالية وهي إعلان مهادنته ، فأخذ يهـيئ الناس لاستقبال هذا الحدث ، ويشوق من حوله بقرب ظهور المهدي المنتظر مستشهداً بالأحداث المتعلقة بهذه المسألة ، ويقوم بشرحها وتحليلها للناس لترسخ في عقولهم وتكون محورا اهتمامهم . ٣

وأخذ ابن تومرت يثد دعائه المخلصين بين القبائل بعد أن أوصاهم باتباع أسلوب اللين والمدارة مع من سيد عونته " ٤ " ، لأن أسلوب العنف الذي كان مجدياً في الحواضر الكبرى أمثال : فاس ، ومراكش ، والمهديه ، لا يجدي عند القبائل ذات الأنفة وعزة النفس ، والتي لا تبالي بمقابلة العنف بالعنف ، فهم بحاجة لمداواة ورفق لكسبهم .

-
- ١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠١ - ١٠٢ .
 - ٢ - الزركشي : المصدر السابق ، ص ٦٥ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٩ .
 - ٣ - حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ١٧٧ - ١٧٨ - عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٦٥ .
 - ٤ - عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٦٤ - ٦٥ .

وهذه الخطوة ان دلت على شيء انما تدل على دهاء ومقدرة ابن تومرت الذي كان خبيراً بطبائع الجماعات التي يث بينها دعوتها ، فكان يتخذ لكل فئة اسلوباً مناسباً لها ، لعلمه أن الأمزجة والعادات تختلف باختلاف البيئات ، وهذا لا يفتن اليه الا من أوتى حظاً وافراً من الفطنة والدهاء .

ونجح دعاة ابن تومرت في تشويق الكثير من افراد القبائل للرحيل الى ابن تومرت عن طريق وصفهم لآخلاقه وسجاياه فكان يتفخخهم ابن تومرت ويضمهم الى صفوفه . " ١ "

ورسخ دعاة ابن تومرت في أذهان القبائل بأن الفساد والظلم والجور ، لا تزال الا بالمهدي لذا فالإيمان به واجب ، ومن يشك فيه فهو كافر ، وأن هذا الوقت وقته وأنه سيفتح المشرق والمغرب ، ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . " ٢ "

ولما اقتنع ابن تومرت بأن جهوده قد أثرت ، وأن نفوس اتباعه قد تشربت بفكرة المهدي ، قرر أن يعلن بأنه هو المهدي المنتظر . فبعد أن جمع أصحابه قام فيهم خطيباً موضحاً لهم ان جميع صفات المهدي متوفرة فيه " ٣ " ، فبادر اليه العشرة الملازمين له " ٤ " فبايعوه على الوقوف بجانبه في المسير واليسر ، وتتابع بعد ذلك عليه البربر بايعين على نصرته وبذل مهجهم دونـه ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي القائم بأمر الله ، وكان قبل ذلك يلقب بسبب

١ - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٦ - ١٧٧ - المراكشي :

المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

٢ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٤ - حسن محمود : قيام دولة

المرابطين ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

٣ - عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .

٤ - وهم الونشويشي ، وعبد الله بن طويات ، وابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي ،

وابو حفص عمر بن علي أصناك ، وسليمان بن مخلوف ، وابراهيم بن اسماعيل

الخرزجي ، وابو محمد عبد الواحد الحضرمي ، وابو عمران تماري ، وأبو

يحيى بن يكيث ، والبيذق ، انظر : محمد عبد الله عنان : عهد المرابطين =

بالامام • "١"

واختلفت المصادر في تحديد تاريخ ومكان هذه البيعة (٢) • ولمل ذلك عائد الى أن ابن تومرت كان مطاردا من قبل السلطات المرابطية مما جعله يختفي في بعض الظروف في أماكن متعددة •

ويرجح أن البيعة تمت في جبل ايجليز "٣" في عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م • وهو العام الذي انتقل فيه الى تينمل • لأنه لا يعقل ان يعلن مهديته فور وصوله الى ايجليز بل الأمر كان يحتاج الى وقت • وهذا ما حدث فعلا اذا استمر يسـروج هو ودعائه لهذه الفكرة فلما تقبلها القوم أعلن مهديته •

وبنجاح ابن تومرت في لباس قناع المهديه يكون قد حقق خطوة عظيمة في سبيل نجاح دعوته • فمنذ ان فكر في الخروج على دولة المرابطين كان يصـارح بعض القلائين بحقيقة نواياه • وتسعفنا بعض المصادر ببعض الاشارات التي تؤكد أنه منذ اللحظات الأولى كان يخطط ليتقنع بقناع المهديه • فتعبر لنا اصدق تعبير بعض أبيات كان قد قالها قبل خروجه بالمغرب عما كان يجول في

= والموحدين • ص ١٧٤ وذكر المراكشي (المصدر السابق) ص ٤٢٠ -

٤٢٢ • والزركشي (المصدر السابق) ص ٦ (وابن خلدون :

(تاريخ ابن خلدون • ج ٦ • ص ٤٦٩ - ٤٧٠) وابن الخطيب :

(اعمال الاعلام • ق ٣ • ص ٢٦٧ - ٢٦٩) اسـماء أخرى •

١ - ابن خلدون : المقدمة • ص ٢٣٠ - تاريخ ابن خلدون • ج ٦ • ص ٤٧٠

ابن الاثير : المصدر السابق • ج ١٠ • ص ٥٧١ - القلقشندي : صبح

الأعشى • ج ٥ • ص ٩١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق • ص

١٠٧ - ١٠٩ •

٢ - البينق : أخبار المهدي بن تومرت • ص ٣٤ - ابن الخطيب : اعمال -

الاعلام • ق ٣ • ص ٢٦٩ - ابن أبي زرع : المصدر السابق • ص

١٧٦ - الزركشي : المصدر السابق • ص ٦ - القلقشندي : صبح الأعشى

ج ٥ • ص ١٩١ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون • ج ٦ • ص

٤٦٩ - ٤٧١ •

٣ - ابن عذاري : المصدر السابق • ج ٤ • ص ٦٨ - ابن الاثير : المصدر

السابق • ج ١٠ • ص ٥٧١ •

نفسه ، وما كان يسمى ويخطط للوصول اليه حيث قال :-

اني وفي النفس اشياء مخبأة لألبسن لها درعا وجلبابا
كيما أظهر دين الله من دنس وأوجب الفضل للسادات ايجابا
ثالله لو ظفرت كفي بمطلبهم ما كنت عن ضرب اعتاق الوري أبي "١"

وأخذ ابن تومرت بعد مبايعته بالمهدية ينظم جيسته الداخلية بمنايا
فائقه ، فقسم اتباعه الى طبقات حسب أسبقيتهم الى بيعته ، وسمى الأتباع بشكل
عام بالموحدين تعريفا بالمرابطين الذين عدلوا عن التأويل وطالوا للتجسيم . "٢"
ومعد أن فرغ من تثبيت الركائز اللازمة لدولته المستقبلية رأى أنه من غير
المناسب بقاءه في جبل ايجليز لقربه من العاصمة المرابطية فانتقل الى تينمل "٣"
في قلب جبال الأطلس الكبير عام ٥١٨ / ١١٢٤م واتخذها قاعدة لدولته الناشئة ،
وقد بقي فيها حتى وفاته عام ٥٢٤ هـ / ١١٢٩م . "٤"

-
- ١ - العماد الأصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ١٩٥ .
 - ٢ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٩ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧١ - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧١ - وعن طبقات الموحدين انظر : البيهقي : القتب من كتاب الأنساب ، ص ٣٢ - ٣٥ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٤٢٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٠٧ - ١٠٩ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧٦ .
 - ٣ - جبل يمتاز بخصاته ، فالطريق اليه صعب وطويل ، وله قدرة على مقاومة الحصار الطويل لتوفر الثمار والزروع ، انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧٢ - ٥٧٣ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٧٨ - ١٧٩ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٢ - ١١٣ .
 - ٤ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٨ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٧٠ .

ومن مقره الجديد شدد من حملته الاعلاميه على المرابطين واصفا اياهم بأقذع الأوصاف . ولم يجد أمير المسلمين افضل من الحسام لاختاد نار تلك الحملة ، فوجه اليه وزيره ينتان بن عمر على رأس جيش كبير للقضاء عليه . " ١ "

وتعيين ينتان قائدا لأول حملة توجه ضد ابن تومرت تحمل أكثر من معنى . فقد رأينا في الصفحات السابقة كيف وقف ينتان بجانب ابن تومرت وحال دون قتله أو تخليده في السجن ، فلعلهم عندما يلتقيان تعمل خيوط المودة عملهم فتضع الحرب أوزارها ، وتحقق دماء المسلمين ويعود ابن تومرت الى حضيرة دولة المرابطين . ويمكن الافتراض أن أمير المسلمين علي بن يوسف أراد من ذلك التأكد من ولاء ينتان اليه ، فالركون الى وزير يكن المحلف والود الى عدو الدولة اللدود أمر خطير جدا له تأثير على سير الأحداث .

على أي حال التقى ينتان بجيشه مع ابن تومرت في منطقة يقال لها تاودرت " ٢ " ولما انتظمت الجيوش فزع اتباع ابن تومرت لمرأى جيش ينتان فهذا ابن تومرت روعهم ، وبشرهم بالنصر ، وما هي الا برهة من الوقت حتى انسحب ينتان بجيشه الى مراكش . " ٣ "

١ — ابن الخطيب : الأحاطه ، ج ١ ، حاشية رقم ٢ — محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ — ٢٦٦ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١١ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٨٢ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٧٢ — ٧٤ — سعد عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

٢ — مدينة بناها المرابطون بالجنوب وهي تنسب الى قبيلة كانت تسكنها تسمى تاودا ، انظر : عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٧٦ ، حاشية .

٣ — البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٣٥ .

ويظهر أن يفتان عندما رأى اصرار صديقه ابن تومرت على القتال ، وتنكره لآياديه البيضاء عليه آثار الانسحاب — ولعله اراد من هذه الخطوة اطلاق علي بن يوسف على الموقف ، أو أنه لم تكن لديه أوامر بالقتال ، ولعله أقدم على هذا العمل اعتمادا على اجتهد شخصي ، وهذا ليس غريبا عليه ، فقد كان صاحب آراء في بعض الأحيان لأمر المسلمين نفسه ، ولحاشيته • واستغل ابن تومرت هذه الفرصة ، وأخذ يروج بين اتباعه بأن عمل يفتان لم يكن انسحابا وإنما كان هروبا وهذه منه منها الله عليهم • "١"

وعندما رأى أمير المسلمين علي بن يوسف تعاظم خطر ابن تومرت أخذ يرسل الحملات تلوح الحملات لاستئصال شأفته ولكن جميعها كان مصيره الفشل والهزيمة ، ومن هذه الحملات حملة أبي اسحاق ابراهيم الذي وجهه اليه على رأس جيش كبير ولكنه انهزم امام ابن تومرت دون قتال وتحقبتهم القوات الموحدية وقتلت أعدادا كبيرة منهم وغنموا هملتهم • وقد اغتم أمير المسلمين لهزيمة جيشه • فبادر بارسال حملة أخرى بقيادة الأمير سير بن فردلي اللمتوني الذي أضاف هرو أيضا هزيمة الى سجل الهزائم المرابطية على يد الموحدين • "٢"

والذي يستوقف الباحث هو فكرة هزائم المرابطين على يد الموحدين على الرغم من أن قادة جيوش المرابطين كانوا من أفضل قادة الدولة ، وفي الوقت الذي كانت فيه الجيوش المرابطية تصد أعنى وأقوى الجيوش النصرانية في الأندلس ، وتعميث بين الفينة والفينة في أحواز طلميطلة وتتجاوزها في بعض الأحيان نحو الشمال والشرق والغرب •

١ — عبد الله غلام : المرجع السابق ، ص ٧٦ — ٧٧ •

٢ — مؤلف مجهول : المصدر ، ص ١١٠ — محمد عبد الله عثمان : عصر

المرابطين والموحدين ، ص ١٧٩ •

يبدو أن هناك عدة عوامل اسهمت في صنع هذه الهزائم ، منها الاستراتيجية العسكرية التي اتبعها ابن تومرت في قتاله مع المرابطين ، وقد ساعدته وعسورة ارضه على عدم مواجهة اعداد كبيرة من جيوش المرابطين دفعة واحدة • كما أن الجيوش المهاجمة عادة تحتاج الى وقت للتأقلم مع ساحة المعركة الجدد يتسبب في ذلك ، بينما كان ابن تومرت واتباعه يقاتلون على ارض خبروها وعرفوا مسالكها • وهذا عامل مهم من عوامل نصر الجيوش • والأهم من ذلك أن أتباع ابن تومرت كانوا يقاتلون بمعنويات عالية بعد أن بايعوا ابن تومرت على أنه المهدي في الوقت الذي كانت فيه معنويات الجند المرابطي منهارة • فكانوا ينهزمون دون قتال لفلبة التردد عليهم وعدم وضوح الهدف • فالجند المرابطي كان في حيرة فهو يقاتل مسلمين من أبناء جلدته • وهو يسمع كل يوم بأن القبائل تتوافد على ابن تومرت وتبايعه • بعدما شاعت الأخبار عما يتمتع به من علم وزهد وتكشف وأنه هو المهدي • كل هذه الأمور كانت تجعل الجند المرابطي مضطرب النفس تردداً في اقدامه على قتال ابن تومرت ولذلك كان يفضل الفرار على الصدام •

وزدادت ثقة ابن تومرت بنفسه بعد تحقيقه تلك الانتصارات ، فبادر بإرسال رسالة الى المرابطين يعرض عليهم الدخول في طاعته وأما القتال مهديداً ومتوعداً من عدم الانقياد له • وما جاء فيها : ((الى القوم الذين استزلهم الشيطان ، وغضب عليهم الرحمن ، الفئة الباغية ، والشرذقة الطاغية اللامتونة أما بعد : فقد أمرناكم بما نأمر به أنفسنا من تقوى الله العظيم ولزوم طاعته • وأن الدنيا مخلوقة للفناء ، والجنة لمن اتقى ، والعذاب لمن عصى • وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة فان اديتموها كنتم في عافية والا فنستعين بالله على قتالكم حتى نمحو أثاركم ونهدم دياركم • وحتى يرجع العامر خالياً والجدي يد باليا • وكتابنا هذا اليكم اعداواً وانداز • وقد أعذر من أنذر والسلام عليكم سلام السنة لا سلام الرضى)) " ١ " •

وتعتبر هذه الرسالة مؤشرا على انتقال ابن تومرت من دور الدفاع إلى دور الهجوم ، وقد ارتكزت استراتيجيته في هذه المرحلة على استنزاف قوى الدولة المرابطية باستخدام أسلوب حرب العصابات وتجنب الدخول معها في معارك فاصلة . فأخذت جيوش ابن تومرت تتروح وتغزو على محلات المرابطين القريبة من مقره مكبده أياها خسائر فادحة ، وبلغت الجراءة بها أنهما أخذتا تراوح مراكز مقر حكم المرابطين . " ١ "

١ - يذكر البيهقي تسع غزوات لابن تومرت : الأولى المسماة تاودارات والتي انسحب فيها ينتان . والثانية كانت جيوش المرابطين بقيادة سليمان ابن يكلد وابن أبي فراس وعبد الرحمن قاضي السوس ويانسو وفيها دارت الدائرة على المرابطين . والثالثة دارة في موقع يقال له تالات آن ميزك وفيها هزم المرابطون أيضا ، والرابعة كان المرابطون بقيادة يانو ، وآكدي بن موسى ، وكان الموحدون بقيادة عبد المؤمن وانتصر فيها الموحدون . والخامسة كان قائد الموحدون فيها المهدي نفسه ، وكان المرابطون بقيادة عمر بن ديان ، وجرح المهدي فيها ، ولكن الدائرة في النهاية دارت على المرابطين وكان ذلك في موقع يقال له آنسا آن يما ديدن . وحدثت السادسة في مكان يقال له تيفنوت ، وكان المرابطون بقيادة أبي بكر بن علي وكان النصر فيها حليف المرابطين . ثم حدثت موقعة عسكوره ، وأخرى في تراكورت وانتصر فيها الموحدون ، واستطاعوا في عام ٥١٧ هـ الاستيلاء على قلعة تاسفيموت والتي حملت أبوابها إلى تينغل ، عن هذه الغزوات انظر : البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٣٥ - ٣٩ ، ٩١ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٣ ، ص ٢٧٠ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٧ - ١٢٩ - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٣ - عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

وقبل أن يعطي ابن تومرت الأمر لجيوشه بالانقضاض على المرابطين للاستيلاء على عاصمتهم مراكش أراد أن يظهر صفوفه من بعض الأشخاص الذين يشك في ولائهم له . فأوعز في عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م لصديقه الحميم الونشريشي — الذي كان يظهر البلاهة بينما هو عالم من مشاهير العلماء ، أن يظهر ما لديه من علم دفعة واحدة ليكون ذلك بمثابة المعجزة لابن تومرت .

وكان الونشريشي باتفاق مع ابن تومرت قد حفظ أسماء من شعر أنهم يشكون في مهديّة ابن تومرت ، وكان أيضا ابن تومرت قد طلب من القبائل تزويده — بأسماء المشاغبيين عندهم فدفعها الى الونشريشي فحفظها .

وبعد صلاة الفجر تقدم الونشريشي (البشير) وأعلن أنه جاءه البارحة ملكان وشقا قلبه وغسلاه وحشواه علما وحكمة ، فاخبره القوم فعجبوا من شدة حفظه ثم شهد لابن تومرت بالمهديّة . ثم قال اعرض علي أصحابك حتى أميز أهل الجنة من أهل النار ، وقد انزل الله تعالى ملائكته الى البئر التي في المكان الفلاني يشهدون بصدقني . وكان المهدي قد وضع فيها رجلا لهنا الفرض فسار المهدي وأتباعه الى ذلك البئر ، وبعد أن صلى على رأسها قال : ((يا ملائكة الله ان عبد الله الونشريشي قد زعم كيت وكيت)) فقال من فيها : صدق ، فصدقه الناس ، ثم امر بطمر البئر بحجة انها مقدسة . وواضح أن طمره للبئر كان بسبب خوفه من أن يفضحوا أمره مما سيكون له اسوأ الأثر على دعوته وكشف زيفها .

ونادى ابن تومرت في أهل الجبل للحضور للتمييز ، وأخذ الونشريشي يعتمد الى الرجال الذين يخافون ناحيتهم ويضعهم على يساره فيقول هؤلاء من أهل النار ويضع الى يمينه الفخر " ١ " ، فيقول هذا من أهل الجنة . ثم أمر القبائل بقتل الأفراد الذين قيل أنهم من أهل النار وكان عددهم حسب بعض

١ — الفخر : هو غير المجرب ، انظر : الزمخشري : اساس البلاغة ، ص ٦٨٦ مادة (غمر) — الأوهري : تهذيب اللغة ، ج ٨ ، ص

الروايات سبعين ألفا ، فلما فرغ من ذلك أمن ابن تومرت على نفسه واصحابه واستقام أمره . " ١ "

وعلم ابن تومرت ان الباقيين من أهل وأقارب المقتولين لا تطيب قلوبهم بذلك ، فجمعهم وبشرهم بانتقال مراكز اليهم واقتنام أموال المرابطين ، فسـرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم " ٢ " ، ثم ندبهم لقتال المرابطين قائلا : ((أقصدوا هؤلاء المارقين المذلين الذين تسماوا المرابطين فادعوهم الى اماتة المنكر واحياء المعروف وازالة البدع ، والاقارب بالامام المهدي المعصوم فان أجابوكم فهم اخوانكم لهم مالكم وعليهم ما عليكم وان لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت السنة قتالهم)) " ٣ " .

وبدا ابن تومرت يرسل جيوشه وطلائعه لمهاجمة معاقل المرابطين فوصلت عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م الى اسوار مراكز " ٤ " ، ويظهر أنه منذ هذا التاريخ تحول موقف المرابطين من الهجوم الى الدفاع . فيذكر ابن عذارى " ٥ " أنه في هذه السنة أمر أمير المسلمين علي بن يوسف ببناء المراصد بقرب مراكز ، وأن تسد الطرق التي ينزل منها أتباع المهدي الى الأوطية .

ونذكر هنا البيهقي " ٦ " أسماء عدد كبير من الحصون ، وكأن لسان حاله يقول أنه على الرغم من هذه التحصينات فقد انتصرنا عليهم .

-
- ١ - عن التمييز انظر : ابن عذارى ، المصدر السابق ج ٤ ، ص ٦٩ -
 - ابن الاثير : المصدر السابق ج ١٠ ، ص ٥٧٤ - ٥٧٦ - السلاوي :
 - المصدر السابق ج ١ ، ص ١٣٤ - ابن خلكان : المصدر السابق ج ٥ ، ص ٥٢ - ٥٣ - البيهقي : اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٣٩ - محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٨٣ - عبد الله
 - علام : المرجع السابق ، ص ٨٠ .
 - ٢ - ابن خلكان : المصدر السابق ج ٥ ، ص ٥٣ .
 - ٣ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ .
 - ٤ - ابن عذارى : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٧٥ .
 - ٥ - البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٧٥ .
 - ٦ - أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٩١ - ٩٣ .

وبعد سلسلة من الحملات الناجحة التي قام بها ابن تومرت على معاقل المرابطين أراد أن يحسم الأمر باسقاط عاصمة المرابطين مراكش * ونضطرب الروايات حول تحديد تاريخ هذا الزحف ، وسبب ذلك يعود الى أن المعركة الفاصلة بين الطرفين جاءت بعد سلسلة معارك دامية . فالوصول الى اسوار مراكش لم يتم بسهولة بل كلف الموحدون اختراق كل الخطوط الدفاعية التي أقامها المرابطون وحصنها بالقلاع . على أي حال صمم ابن تومرت على القضاء على المرابطين باسقاط عاصمتهم مراكش ، فأخذ يستدعي القبائل الى تينمل ليحشدهم ويوجههم الى ذلك الهدف المنشود .

وأخذت القبائل تتوافد على ابن تومرت وهي في غاية الاستعداد ، وتجمع منهم نحو اربعين ألفا منهم الفرسان والغالب منهم رجاله . وقدم عليهم الونشريشي ووجههم نحو مراكش " ١ " ف ، فبدأوا بالزحف نحوها عام ٥٢١ هـ / ١١٢٢ م " ٢ " وقبل وصولهم الى اسوار مراكش خاضوا معارك عديدة مع المرابطين كانت جميعها لصالحهم . " ٣ "

وضرب الموحدون الحصار حول مدينة مراكش مدة اربعين يوما على ارجح الروايات " ٤ " . وطوال فترة الحصار كانت تدور رحى معارك ضارية بين المرابطين

- ١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٤
- ٢ - ابن عذاري : نفس المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٥ ، يذكر المراكشي (المعجب ، ص ٢٥٩) ان بداية الزحف كان عام ٥١٧ هـ ولكن هذا بجانب للصواب لأنه بدأ بعد عام التمييز ٥١٩ هـ .
- ٣ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٤ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٣ - ٨٤ - البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٤٤ - الزركشي : المصدر السابق ، ص ٦ - ٧ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- ٤ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٦ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٤ .

المدافعين عن عاصمتهم والموحدين الذين كانوا يتمتعون بروح معنوية عالية لكثرة انتصاراتهم على المرابطين . " ١ "

ومن المعارك الحاسمة التي دارت خلال فترة الحصار الواقعة التي خرج فيها أمير المسلمين علي بن يوسف لفك الحصار عن عاصمته ولكنه لم يوفق وتشتت شمل جيشه ، وفرت مجموعة من جنده ، عندما لم تسمحها ابواب مراكش لشدة مطاردة الموحدين لها حتى وصلوا وادي ام الربيع ، ولما عادوا عاقبهم أمير المسلمين بحلق لحاهم ومثل بهم حتى يكونوا عبرة لبقية جنده . " ٢ "

أنه لمن الخزي والعار أن يبقى أمير المسلمين مع جنده محصورين داخل اسوار مراكش ، وهذا ما كان يحز في نفس القائد عبد الله بن همشك الذي كان مع اصحابه الأندلسيين المته محصورا داخل المدينة ، فخطب أمير المسلمين علي قائلا ((ما نعيم الا بالمقام تحت الحصار)) . فأوضح اليه أمير المسلمين أن قتال المصامدة ليس مثل قتال النصارى ، فأكد اليه ابن همشك بأنه يعرضهم لوجود نخبة منهم في الأندلس ، وبين لأمر المسلمين أنه ما زال يملك العدد الكافي من الجند وخاصة الرماة ، وأن البقاء على هذا الحال لا يكون الا مع قلعة العدد ، ثم عرض رغبته عليه بأن يعطيه ثلاثمائة فارس ليخرج بهم فسمح له . وقبل خوضه للمعركة اراد أن يعدل اسلحة جنده لتتلاءم مع طبيعة المعركة المقبلة ، فرأى أن يقصروا بطاحهم ، ثم برز للموحدين فما انتصف النهار حتى دخل بثلاثمائة رأس من رؤوس المصامدة فارتفعت معنويات الجند وصمموا على تخليص مدنتهم من الحصار . " ٣ "

-
- ١ - مؤلف مجهول : ص ١١٤ - ١١٥ .
 - ٢ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٥ - ٧٦ .
 - ٣ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٤ - ١١٥ .

وطير أمير المسلمين علي بن يوسف رسائله الى سائر ولايته وقواده طالبا
المدد والعون ، فجاءت اليه النجدات من كل صوب ، وكان اعظمها القادم من
سجلماسه بقيادة واليها وانودين بن سير . وخرج علي بن يوسف من المدينة
وانضمت اليه النجدات ، وقدم ابو محمد بن سير قائدا عاما للقوات المرابطية ،
وقبل قدم الزبير بن علي بن يوسف . " ١ "

وقبل بدء القتال دارت أحداث بين الطرفين الغرض الأساسي منها
تحظيم نفسية الخصم قبل مقارنته بالسنان . فبادر الموحدون بارسال رسالة
الى المرابطين يطلبون منهم الاعتراف بمهدي ابن تومرت والانصياع اليه ، فرد
أمير المسلمين عليهم محذرا اياهم من عاقبة مفارقة الجماعة ، وهكذا لم يستجب أي
طرف للآخر .

• وأخذ النوشريشي القائد العام للقوات الموحدية وعبد المؤمن امام الصلاة
لهم ينظم ان القوات الموحدية لخوض المعركة الفاصلة . وما هي الا مدة وجيزة حتى
اشتبك الطرفان في معركة مروعة استمرت من الصباح حتى الغروب قتل فيها في بداية
النهار النوشريشي ، فخلفه عبد المؤمن في قيادة الجيش . ولما رأى المصامدة
كثرة المرابطين وقوتهم اسندوا ظهورهم الى بستان هناك ، والبستان عندهم يسمى
البحيره " ٢ " ، وما أن جن الليل حتى قتل معظم المصامدة ففر عبد المؤمن

-
- ١ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ - محمد عبد الله
عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٨٨ .
 - ٢ - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٣ - ابن الأثير : المصدر
السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٧٦ - ٥٧٧ - ويذكر ابن كثير
(البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٨٧ ، أن قائدا
الموحدين عبد الله التومرتي .

بنفر يسير لا يتجاوز الاربعمائة ما بين فارس وراجل • وبعد انتهاء المعركة بحث
الموحدون عن جثة الونشريسي بين جثث القتلى فلم يعثروا عليها لأن عبد المؤمن
كان قد واراها فورا فأشاعوا فيما بينهم أنه رفع الى السماء • "١"

وتابع عبد المؤمن مع من نجا من القتل سيره نحو تينطل • وعندما وصل
الى هيلانه "٢" استعاد انفاسه وحشد حشوده واعاد الكرة على مراکش فهزم —
أيضا وقتل من اتباعه نحو من اثني عشر الفا فعاد أدراجه مع خمسين رجلا من اتباعه
الى تينطل "٣" • وكان البيذق قد سبق عبد المؤمن الى ابن تومرت وأخبره
بخطر الفاجعة التي حلت بهم في البحيرة • فسأله ابن تومرت عن عبد المؤمن
فقال هو حي • فرد معزيا الأمر باق • وأوصاهم بعدم الجزع • "٤"

١ — عن وقعة البحيرة • انظر : ابن عذاري : المصدر السابق ج ٤ •
ص ٧٥ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام : ق ٣ • ص ٢٦٨ حاشية
رقم ٥ — البيذق : اخبار المهدي بن تومرت • ص ٣٠ — الذهبي :
تاريخ دول الاسلام • ورقة ١١٤٤ — مؤلف مجهول : المصدر السابق •
ص ١١٦ — الزركشي : المصدر السابق • ص ٦ — ٧ — ابن خلدون :
تاريخ ابن خلدون ج ٦ • ص ٤٧١ — ابن خلكان : المصدر
السابق ج ٥ • ص ٥٣ — ابن الاثير : المصدر السابق : ج ١٠ •
ص ٥٧٦ — ٥٧٧ — وقد اختلف في تاريخ هذه الواقعة فيذكر ابن أبي
زرع : (المصدر السابق • ص ١٧٩) انها حدثت في رجب عام ٥٢٤ هـ /
يونيو — يوليو ١١٣٠ م • وهناك من يحددها بيوم السبت ٢ جمادى الأولى عام
٥٢٤ هـ / ١١ أبريل ١١٣٠ م • انظر : الزركشي : المصدر السابق •
ص ٦ — ٧ — البيذق : اخبار المهدي بن تومرت ص ٣٩ — ٤٠ — ولم
يصح ابن أبي زرع وابن أبي دينار بنتيجة هذه الواقعة واكتفوا بالقول :
((ورجعوا الى تينطل فخرج المهدي الى لقاءهم)) •

٢ — اسهقيلة بربريه كانت تسكن بالقرب من مراکش وقد بنيت مراکش على الحسدود
بينهما وبين قبيلة هنزمره • انظر : البيذق : اخبار المهدي بن
تومرت • ص ٧٠ • حاشية رقم ١٥٤ •

٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ج ٤ • ص ٧٦ •

٤ — البيذق : اخبار المهدي بن تومرت • ص ٣٩ — ٤١ — مؤلف
مجهول : المصدر السابق • ص ١١٦ •

واستثمر المرابطون فوزهم في البخيره وأسرعوا بإرسال أربعة جيوش بقيادة أربعة من مشاهير قوادهم وهم : سير بن وارييل ، ومسمود بن ورتيخ ، ويحيى ابن سير ، ويحيى بن كانجان الى تينمل للقضاء على الموحدين في معقلهم الحصين . وتقابل الطرفان بموقع يقال له اكرمتاع بني كوربيت ، الا أنه لم يحدث قتال بينهما . ويعمل البندق " ١ " ذلك بأن المرابطين قد حطت في قلوبهم الرهبة من جموع الموحدين التي تدقت عليهم النجدات من هتانة وكفيسه ومزاله فرجموا الى مراكش .

وعلى الرغم من ذلك فقد ترددت أصدااء هزيمة البحيرة بين قبائل الموحدين فزلزت ثقتهم بابن تومرت ، فالمهدي مؤيد من السماء فكيف يهزم من كان حليفه الله . وترتب على هذا التساؤل اعادة النظر في عقيدة المهدي وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها ابن تومرت لاقتناعهم بأن قتلاهم في الجنة . " ٢ " فقد بقيت رواسب الشك في مهديته تساور نفوسهم . عندها لجأ ابن تومرت الى اسلوب المكر والخداع حتى يعيد الثقة بدعوته وقيادته ومهديته . فاتفق مع مجموعة من اتباعه على أن يدفنهم أحياء وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وأوصاهم بأن يقولوا اذا سئلوا " قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من منافع الثواب على جهاد لمتونه وعلو الدرجات التي نلنا بالشهادة فجدوا في قتال عدوكم فان ما دعاكم اليه الامام المهدي صاحبكم حق " ، ووعدهم اذا نفذوا ذلك بأن يخرجهم ويجمع لهم منزلة رفيعة . ولما ذهب اكثر الليل اجتمع بأشياخ الموحدين وأوضح لهم بأنهم حزب الله وانصار دينه وطالبهم بالجد في قتال اعدائهم ، وطلب منهم

١ - أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٣٩ - ٤١ .

٢ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

ان كانوا في شك مما يقول أن يذهبوا سوا الى قبور قتلاهم في معاركهم مع المرابطين ليحدثوهم بما لقوا من خير ونعيم ، وذهب معهم الى مكان احدى المصارك التي نشبت مع المرابطين وسقط فيها عدد كبير من الموحدين ، والتي يوجد فيها ذلك النفر الذين دفنهم احياء ولقنهم ما يقولون . ولما وصل رفع صوته في القبرة قائلا : يا معشر الشهداء خبرونا ما لقيتم من الله عز وجل . فقالوا : وجدنا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر ، اضافة لما لقنهم اياه ابن تومرت ، عندهما ذهل الناس وعادت ثقتهم بالمهدي ، وبدلا من أن يخرج المدفونين قام باغلاق المنافس التي كان قد تركها لهم فماتوا من فورهم ، لأنه خشي أن يخرجوا فيذيعون سره فيفتضح أمره فتكون كارثة عليه . ١٠

ورأى ابن تومرت في قرارة نفسه ان الهزائم التي منيت بها قواته ما هي الا نذير شوم للاطاحة بكل مخططاته التي سخر حياته من أجلها ليقم دولته المنشودة ، فتفاعلت هذه الأحداث في نفسه لتورثه المرض الذي أودى بحياته بعد فترة وجيزة . .

وتكاد تجمع معظم المصادر على أن وفاته كانت عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م "٢" . وتذكر المصادر الموحدية أنه لما شعر بدنو أجله استدعى أصحابه المسمين بالجماعة وأهل الخمسين ، فلما حضروا أخذ يعظهم واعد اياهم بالنصر على المرابطين ، ومحذرا اياهم من الفرقة والتناحر ، وأمر عليهم عبد المؤمن ، وطلب منهم السمع والطاعة له ما دام مطيعا لربه . ٣

-
- ١ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٨٢ — محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص ٥١ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٨ — الذهبي : تاريخ دول الإسلام ، ورقة ١٤٤٤ أ .
 - ٢ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٤ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٧ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٨ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٨ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٣ .
 - ٣ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٦٢ — ٢٦٣ .

بهذه المواعظ ودع ابن تومرت أصحابه معلما إياهم بأنه راحل إلى ربه
في هذه السنة . ولما اشتد عليه مرضه قدم عبد المؤمن بن علي للصلاة " ١ " -
وأمره بإخفاء وفاته حتى تجتمع كلمة الموحدين على أمير ، وإن يتكفل بنفسه ودفنه
بجامع تينمل . " ٢ "

وعندما توفي ابن تومرت كفنه عبد المؤمن بن علي وصلي عليه ، ودفننه
سرا بمسجده كما أوصاه ، وقد كتم أصحابه وفاته مدة ثلاثة أعوام ولم يعلنوها إلا في
عام ٢٧ هـ / ١١٣٢ م بعد أن اتفقت كلمتهم على عبد المؤمن بن علي . " ٣ "

وهكذا انتهت حياة ابن تومرت ومسير دعوته مجهول بسبب ما حاق بأتباعه
من هزيمة نكراء في موقعة البحيرة ، ولكنه قد نجح في ترسيخ دعوته في قلوب
اتباعه حتى صدقوه وآمنوا بمهديته ، واطاعوه ولو في قتل ابنائهم ، وهذا ما
حصل فعلا في عملية التمييز التي تقشعر لهولها الأبدان حيث قتلت كل قبيلة بعض
فلذات أكبادها دون تردد أو حيرة .

لقد كان ابن تومرت شخصية فريدة في التاريخ لما امتاز به من صفات المكر
والدهاء واستغلاله كل الفرص ، واستخدامه كل الأساليب من أجل تحقيق حلمه
بإقامة دولة يكون هو زعيما ومرشدا روحيا لها ، وليدفع بقبيلته مصوذة إلى مركز
الصدارة بعد أن سلبتها لمتونه ذلك الشرف .

واجتمعت في شخصية ابن تومرت صفات فلما تجتمع في شخصية قيادية في
ذلك الوقت . فقد كان على قسط وافر من العلم ، وقد ساعده ذلك على

-
- ١ - ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١١٣ - ابن أبي زرع : المصدر
السابق ، ص ١٢٩ - مؤلف مجهول : المصدر
السابق ، ص ١١٧ .
 - ٢ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٣ ، ص ٢٧٠ - ابن أبي زرع :
المصدر السابق ، ص ١٨٠ .
 - ٣ - البليدي : أخبار المهدى بن تومرت ، ص ٤٣ - الزركشي : المصدر -
السابق ، ص ٧ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٧ -
عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٠٠ - ١٠٥ - السيد
عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

الأستفاده من كل الأفكار المطروحه في العالم الاسلامي لينتقي منها ما يلائم دعوتيه
الجديده ويساعد على تقوية مركزه بين اتباعه . كما مكنه تكوينه العلمي من
أن يرد على أى انتقاد أو اتهام يوجه ضده من قبل الخصوم ، يساعد في ذلك
فصاحة لسان وسطوح حجة وسخريان يأخذ الألباب . وذلك جمع القلوب حوله
وأملى عليها ما يريد من فكر فانقادت له مبهورة بأسلوبه وسعة علمه .

ومن حسن الموافقات التي حظي بها ابن تومرت أنه الفى مجتمعا ساذجا
جاهلا عشمشت في ذهنه الأساطير والخرافات حتى عاد غريبا عن منهل الاسلام
الصابي ، فعلى الرغم من الجهود الكبيره للمرابطين لافهام هؤلاء أمور دينهم
فقد بقي قطاع كبير منهم متمسكا بعلائق الجاهلية مما أوقعه فريسة سهلة لمخططات
ابن تومرت فأملأ عليهم تعاليمه البعيدة كل البعد عن عقيدة السلف الصالح فقبلوها
دون نقد أو تمحيص ، وقدما ارواحهم دفاعا عنها بعد أن أوهمهم أنه المهدي
المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا .

ومن افتراءات ابن تومرت أنه ادعى أنه مأور بنوع من الوحي والالهام " ١ " ،
وأن من لا يؤمن بمهديته فهو كافر ، وألف لهم عقيدة أوجب حفظها على اتباعه " ٢ " ،
وأحدث في آذان الصبح " أصبح ولله الحمد " ، وتناول وادعى أنه يعلم الغيب " ٣ " .

-
- ١ - السلاوى : المصدر السابق ج ١ ص ١٣٨ .
 - ٢ - من أشهر المؤلفات التي وضعها لاتباعه : المرشده ، والموطأ ، والقواعد ،
وأعز ما يطلب ، وغيرها ، انظر : محمد بن تومرت : المصدر السابق ، ص
٢٤٥ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٤٦٦ - مؤلف
مجهول : المصدر السابق ، ص ١١٧ - ١١٨ .
 - ٣ - الزركشي : المصدر السابق ، ص ٧ - ابن خلدون : تاريخ ابن
خلدون ج ٦ ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ - محمد عبد الله عنان :
عصر المرابطين والموحدين ، ص ١١٦ ، وعن عقيدته انظر :
ابو شامه : مجموعة الرسائل ، ص ٤٥ - ٦٢ .

ان دعوة تقوم على الخداع والزيف وتذكيها المصيبة القبلية لا يمكن ان تستمر فترة طويلة دون اكتشاف حقيقتها . لقد وصفه بحق لفيق من المؤرخين بأنه منتحل ومبتدع ، وانبرى له شيخ الاسلام ابن تيمية يهدم عقيدته ودعوته الفاسده فألف كتابا خاصا في الرد على كتابه المرشده . " ١ "

واكبر دليل على فساد عقيدته وزيف مهادته أنه ما كاد يمضي على وفاته قرن من الزمان حتى خرج احد خلفائه الملقب بالمأمون " ٢ " على الملأ معلنا في مدينة مراکش من فوق منبر مسجد ها بطلان عقيدة المهدي بن تومرت لاوتكارها على الزيف والخداع ، كما اسقط اسمه من السكة ومن الخطبه ، وقال لا ندعوه بالمهدي ، وكتب بذلك الى الآفاق " ٣ " . وبناء على هذا الاعلان حذف اسم " المهدي " من السكة الموحدية واستعفى عنه بـ (القرآن حجة الله) في المركز ، وفي الهامش نقش اسم خليفة الموحدين المأمون . " ٤ "

لقد أوحى ابن تومرت للعامة المنهج بأن حركته حركة اصلاحية جاءت في وقت بدأت فيه الدولة المرابطية تنحرف عن قواعد الشريعة الاسلامية ، فتزعم حركة

١ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٧ — ٤٧١ — ٤٧٢ — محمد المنتصر الكتاني : الفزالي والمغرب ، ص ٧١٤ — ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ج ١١ ، ص ٤٩٢ .

٢ — هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (ت ٦٣٠ هـ) انظر : ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، حاشية رقم ١ ، ص ١٢٧ .

٣ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ٢١٦ — ٢١٧ .
٤ — عبد النبي : مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال افريقيا والاندلس ، ص ١٩١ دينار رقم ٦٩٠ (رسالة ماجستير مقدمة لقسم الحضارة في جامعة الملك عبد العزيز — مكة المكرمة — لم تطبع) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم تدرج في دعوته حتى وصل في نهاية الأمر إلى ادعاء المهديه وإلى رمي المرابطين بالكفر ، وأن قتالهم أولى من قتال اليهود والنصارى والمجوس .

وبدأ ابن تومرت يعمل على هدم أركان دولة المرابطين ، تلك الدولة التي قامت على تعاليم الإسلام النقية ، واتخذت من جهاد النصارى في الأندلس هدفاً أساسياً لوجودها ، فما أقنعهم من مقر حكمهم في مراكش إلى الأندلس سوى الفيرة على الإسلام عندما أخذت معاقلة المسلمين تتهاوى تحت مطارق القونوسو السادس وذلك أخذوا سقوط الأندلس بيد النصارى هدة قرون .

ولكن لما أن بدأت ثورة المهدي بن تومرت حتى أخذت تشغلهم ببعض الشيء عن واجبهم المقدس في الأندلس ، فأخذ أمير المسلمين يستصيح قواده العظام من الأندلس أمثال تاشفين بن علي لمقارعة الموحدين ، وأدى ذلك إلى ازدياد ضغط النصارى على المسلمين في الأندلس ، وبدأوا يلتمسون المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى في هذا الوقت استطاع ابن تومرت بواسطة المؤمنين بمهديته أن يطيحوا بدولة المرابطين ، فأتلج ذلك قلوب النصارى الذين ادركوا أن الخلاص من الوجود الإسلامي في الأندلس أصبح وشيكاً .

الحرب بين المرابطين والموحدين (٥٢٤ - ٥٣٧ هـ / ١١٢٩ - ١١٤٢ م)

=====

كما رأينا في الصفحات السابقة توفي ابن تومرت وشيخ الانحلال والاندثار - يهدد كل مبادئه التي اضي حياته من أجل بلورتها ضمن جماعته . فهزيمة **البحر** كانت بمثابة الاختبار العسير لتلك الدعوة ، فكل بيت كان فيه بكاء وعويل ، ومن نجا منها راعه هول المصيبة ، وأخذت تساوره شكوك وشكوك في عقيدة المهدي . في هذه الظروف الحالكه المنذرة بالفتنة تولى عبد المؤمن بن علي قيادة الموحدين فلم يخيب فراسة استاذة ابن تومرت فيه . فقد استطاع عبد المؤمن

ابن علي على امتصاص نفخة القبائل وتطهيرها من تلك الشوك التي تسببت اليها حول صحة عقيدة المهدي مسخرا كل مواهبه ولباقته وقوة شخصيته ، وحسن تصرفه ، في اعادة الصفاء المقدي ، والوحدة التي طالما تمتعوا بها في حياة ابن تومرت . كما استطاع خلال فترة وجيزة أن يعيد تنظيم جيشه استعدادا للمواصلة محاربة المرابطين . ولكنه رأى أن المواجهة المفتوحة مع المرابطين لا تجدي لمدى تكافؤ الطرفين من ناحية العدد والمدد ، إذ أن الموحديين ما زالوا يضمّدون — جراحات البحيرة ومن ثم رأى أن يقتصر في تلك المرحلة على الخيارات السريعة الخاطفة على معانقل المرابطين بهدف استنزاف طاقتهم قبل خوض معركة حاسمة معهم .

وبدأ عبد المؤمن بن علي حربه الاستنزافية ضد المرابطين بغزو إحدى المحلات الحصينة الواقعة في شرق وادي درعة والمسماة (تادلا) ففتحها وختم وسبى ما فيها في ربيع أول من عام ٥٢٦ هـ / يناير ١١٣٢ م على الرغم من دفاع قائدها يدرين ولجوط . " ١ "

وهناك من يذكر أنه قصد أول ما قصد مدينة مراكش فلما عجز عن دخولها توجه الى تادلا " ٢ " ، وبعد ما توجه الى درعة فاستولى عليها وعلى أحوازها " ٣ " ، ثم غزا عدة مناطق من بينها بلاد فازار وبلاد غياث " ٤ " ، وفي هذا العام (٥٢٦ هـ) نجح أيضا في فتح حصن تاسستفيوت وقتل قائده أبا بكر بن وارصول ومن معه

١ — ابن أبي دینار : المصدر السابق ، ص ١١٤ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٨٦ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ص ٢٢٥ .

٢ — عبد الله غلام : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ويذكر الذهبي (تاريخ دول الاسلام ، ج ٤ ، ورقة ١٤٦) أن فتح تادلا كان عام ٥٢٨ هـ .

٣ — مدينة تدقع في جهة سجلماسه انظر : الحميري ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

٤ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١١٤ ، ١٨٦ .

من المرابطين ، كما فتح حصن جلاد ، وحصن همرجه ، وحصونا متعددة أخرى . " ١ "

وفي نفس العام أيضا حدث حادث خطير يحمل في طياته مغزى عظيما ومبشرا بقرب أفول نجم المرابطين ، فقد انضم القائد المرابطي المشهور الفلاكي " ٢ " ومعه طائفة من جنده الى الموحدين ، وكان الفلاكي يقوم بحراسة مخارج جبل درن التي كان يهيئ منها الموحدون الى السهل ليموق سيبلهم ، كما وجه الى السوس لمكافحة الموحدين فجاء في قتالهم ، ولما فسد ما بينه وبين أمير المسلمين علي بن يوسف انضم الى الموحدين ، وأخذ يغير على معاقل المرابطين واستمر على ذلك عدة اعوام ثم تخلى عن طاعة الموحدين . " ٣ "

وحقق الموحدون في عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م عدة انتصارات على المرابطين ، وفي احداها استطاع (عمرأصناك) قائد الموحدين أن يقتل القائد المرابطي المشهور ابن عائشه " ٤ " في موضع يقال له تيزي ن الانيات . " ٥ "

- ١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٢٢٦ .
- ٢ — وهو من أهل اشبيلية ، كان في بداية أمره قاطع طريق ثم تاب فعفا عنه والي اشبيلية وقدمه على الرماه والرجاله وطار خبره الى علي بن يوسف فاستقدمه الى مراكش وقدمه على فرقة من الجند المرابطي ، انظر : محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .
- ٣ — المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .
- ٤ — هو ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ، عرف باسم أمه ، وكان من كبار قادة المرابطين ولي لأخيه علي عدة ولايات في الاندلس والمغرب ، انظر : البيهقي : أخبار المهدي بن تومرت ، ص ٤٤ ، حاشية رقم ٧٤ .
- ٥ — الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٤٦ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٢٠ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ .

ويبدو أنه في هذه السنة ازداد ضغط الموحدين على المرابطين مما حدا
بأمير المسلمين علي بن يوسف إلى استدعاء ولده تاشفين من الأندلس ليقدمه على
جيوشه ليتولى مقارعة عبد المؤمن بن علي . " ١ "

وحدثت بين الطرفين عدة معارك غير حاسمة فيما بين عامي ٥٢٨ و ٥٣١ هـ /
١١٢٣ و ١١٣٦ م . وفي عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م توجه عبد المؤمن بن
علي نحو أراضي (كدميوميه) جنوب غرب تينمل فاعترضه قائد الجيش المرابطي
البربريتر (" ٢ " ولم يسفر اللقاء عن نتيجة لصالح أي طرف " ٣ " .

ووقعت عدة صدامات دامية بين الطرفين عند ما توجه عبد المؤمن بن علي إلى
حصن تينيلين عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م الذي دافع عنه حاكمه المرابطي يوجيين
ابن ويدرن حتى هب البربريتر لنجدته فهرب الموحدون نحو الجنوب واستولوا على
ايرمناد ميمون وتاسلوات ، ودخلوا تارودانت قاعدة السوس الأدنى ثم استولوا على
ايجلي قاعدة بلاد السوس الأقصى . وأما البربريتر فقد انقض على قرية تينخيفا بين
الموحديه وسبي كثيرا من نساءها ومن بيلهن زوجة القائد الموحدى يعزى بن مخلوف

- ١ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١١٢ — ١١٤ .
- ٢ — قائد قطلوني مشهور ، وأصله من فرسان النبلاء في برشلونه أسرة أمير البحر
المرابطي علي بن ميمون ز وسبق إلى مدينة مراكش ، فدخل في خدمة أمير
المسلمين علي بن يوسف فجعله قائدا لفرقة الروم (النصارى) المرتزقة التي
كانت تعمل في صفوف المرابطين ، وتوفي البربريتر عند تلمسان عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤
— ١١٤٥ م انظر : ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٩٣ ،
حاشية رقم ٢ .
- ٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٢٢٩ — عبد الله
علام : المرجع السابق ص ١٦٤ .

اعتدل وسار في وسط المغرب ، ثم اتجه شمالا • ثم شوقا متخذاً من الجبال بيوتا وحصونا وكان اذا ما انتهى الزاد ارسل الى القبائل بعض السرايا داعية الى التوحيد فان استجابات استعان بمالها ورجالها • وان أبت اغتصب الموحدون أموالها ومواشيها ووزعوها على أنفسهم • وقد تنبه المرابطون الى خطة الموحديين الجديدة فساروا بالزحف في السهول • الا أن الموحديين لم يكلوا من مواصلة الكفاح حتى انتصروا • " ١ "

وعن هذه الفزوة قدم البيهقي تفصيلا شافيا بصفته شاهد عيان ومشارك في الأحداث ، فذكر كل موقع وكل قرية وصل اليها الجيشان المتحاربان ، ووصف المناوشات والمعارك التي حدثت بين الطرفين " ٢ " • وكانت أغلب تلك المناوشات والمعارك لصالح الموحديين •

في هذه الظروف توفي أمير المسلمين علي بن يوسف في رجب ٥٣٧ هـ / كندا وغيظا لكثرة هزائم جيوشه " ٣ " ، وتولى الحكم بعده تاشفين الذي كان متفرغا في حياة والده لقتال الموحديين ، لذلك خف الضغط على الموحديين لان تاشفين عنهم بعض الوقت بشئون الحكم الداخلي والمحافظة على هيبة المرابطيين في الأندلس •

ومما زاد الأمر سوءا أن النورمان أدركوا حرج الدولة المرابطية في ذلك الوقت ، ودلحوا سبته باسطول يتألف من نحو مائة وخمسين سفينة حربية في عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، فتصدى لهم الأسطول المرابطي بقيادة علي بن ميمون وأنزل بهم هزيمة نكراء • " ٤ "

وفي هذا الوقت أيضا حدث خلاف بين لمتونة ومسوفة من قبائل المرابطيين فانضمت مسوفة الى الموحديين • وفي عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م تمكن عبد المؤمن ابن علي من قتل القائد المرابطي الشهير البربريدود دخل تلمسان • وفي ٢٧ رمضان من نفس العام قتل تاشفين ودخل الموحدون وهران ، وفي ١٤ ذي القعدة ٥٤٠ هـ / دخل الموحدون فاس • وفي ١٨ شوال تمكنوا من دخول مراكش • " ٥ "

- ١ — المرجع السابق نفسه • ص ١١٦ — ١١٧ •
- ٢ — البيهقي : أخبار المهديين بن تومرت ، ص ١٥٢ — ١٦٩ •
- ٣ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٦٠ •
- ٤ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٢٢ — ١٢٦ •
- ٥ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٨٣ — ٧٨٦ •

وهكذا نجح الموحدون في اسقاط دولة المرابطين بعد سلسلة طويلة من الصراع الميراستخدم فيه الطرفان مختلف الخطط ضد بعضهما البعض . ولكن خطط الموحدين كانت أحكم من خطط المرابطين ، فقد اعتمد الموحدون أسلوب الحرب الطويلة مستخدمين أسلوب حرب العصابات فقصوا على اقتصاديات دولة المرابطين . كما شجع هذا الوضع الأسبان النصارى على تشديد الضغط على المرابطين لتحويل المعركة لصالحهم . وقد صور صاحب الحلل الموشيه . " ١ " ذلك بقوله :

((وتأججت نار الفتنة بالمغرب ، وسبب هذه الفتنة اتصلت الحرب ، وغلست الأسعار وتوالت الفتن ، وعم الجذب وقلت المجابي وكثر على أهل الأسلام المحن بالمدوتين ووجه كثير من حماة الأندلس الى العدو ونقل اليها كثير من أسلحتهم وعددها فكان ذلك أعظم فساد حل بالأندلس واختل عليهم وألح النصارى بالضرب على جهات بلاد الأندلس حين علموا عجز الامارة بالمغرب عن الدفاع لما فيه من الفتن حتى تغلبوا على كثير من بلادها ، وكان الاسلام بها عزيزا والكفر مقهورا والجزية مرتفعة منذ ملكها يوسف بن تاشفين الى زمان خروج المهدي فساءت الأحوال وكثرت الشدائد والأحوال .))

الباب الثاني

العلاقات السياسية للمرابطين مع العالم الاسلامي

الفصل الأول

العلاقات السياسية للمرابطين مع بني هود في سرقسطه وروطه

الفصل الثاني

العلاقات السياسية للمرابطين مع الدول الاسلاميه في المغرب

والمشرق •

ا - مع بني زيري في افريقيه

ب - مع الدولة العباسيه

ج - مع الدولة الفاطميه

ان دولة باتساع وسلطان دولة المرابطين لا بد أن تكون عسكراً فعالاً في الاسرة الدولية التي كانت تعيش بينها ^{تقد} ربطتها بكل من دولة بني هود في سرقسطه وروطه ، ودولة آل زيري في أفريقية ، والدولة المباسية ، والدولة الفاطمية ، علاقات سياسية وكانت السفارات والرسائل تتبادل ما بين الدولة المرابطية وهذه الدول .

واتصفت علاقات بني هود بالمرابطين بالود والصفاء طوال عهد يوسف بن تاشفين ، والسنوات الثلاث الأولى من حكم علي بن يوسف حتى اذا بدأوا في التعامل مع ملوك الاسبان النصارى تقدمت الجمافل المرابطية وأجلوهم عن سرقسطه الى روطه حيث أقاموا فيها دولة محمية بحراب الاسبان النصارى وما هي الا برهة من الوقت حتى تنازل ملك بني هود في روطه سيف الدولة عن هذا المعقل الحصين الى اعداء امته وارضى لنفسه الخزي والعار ولعنة التاريخ الى الأبد .

وحدث الاخطار الخارجية جمهود بني زيري حكام أفريقية والمرابطين ضد غارات النورمان المتكرره على سواحل افريقية ، فهب الاسطول المرابطي لنجدة بني زيري لرد النورمان على أعقابهم يل تعدى الأمر ذلك الى قيام الاسطول المرابطي بغزو النورمان في عقر دارهم .

ولم تسعفنا المصادر بتفاصيل شافيه عن العلاقات المرابطية مع اماره بني حماد في الجزائر ويبدو أنه كان يغلب عليها طابع عدم الود حتى وفاة علي بن يوسف عام ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م ، ولكن خطر الموحدين وجد جهود الطرفين في عهد تاشفين بن علي بن يوسف . " ١ "

١ - لمزيد من التفاصيل عن نشأة اماره بني حماد ، وتحالفها مع قبائل بني هلال في عهد يوسف بن تاشفين وتأمرهم على هذه الدولة ، وعن تعاونهم مع تاشفين لصد غادية الموحدين انظر : خليل ابراهيم صالح البشير : علاقة المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس والدول الاسلاميه ، ص ٣٥٤ - ٣٧٠ (رسالة دكتوراه لم تطبع) .

واصبغت العلاقات المرابطية المباسية بالود والوفاق ، ذلك أن الدولة
المرابطية تبعت من الناحية الاسمية للخلافة المباسية ، وأقام المرابطون الخطبة
باسم الخليفة المباسي من فوق منابرهم ، كما نقشوا اسمه على عملتهم . .

أما العلاقات المرابطية الفاطمية فقد كان يغلب عليها طابع العداء حتى
وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م وذلك بسبب الخلاف لمذهبي ،
الا أن الأوضاع السياسية في عهد علي بن يوسف فرضت على هذه العلاقات بين
الطرفين بعض التغيير ، إذ نجد إحدى الوثائق الجديدة تشير إلى ميلها نحو
التحسن .

=====

الفصل الأول

العلاقات السياسية للجرابطين مع بني هود في سرقسطه وروطيه

تعتبر مملكة سرقسطة من أعظم ممالك الطوائف في الأندلس من حيث المساحة التي تشغلها ، وأهمية موقعها وغناها الاقتصادي ودورها الثقافي . ويطلق على هذه الرقعة اسم ولاية الثغر الأعلى التي كانت عاصمتها مدينة سرقسطة التي استمرت عاصمة للمملكة أيضا . " ١ "

" ٢ "

وما زاد في أهمية هذه المملكة انتشار القلاع والحصون في طول البلاد وعرضها والتي ساعدتها على الصمود فترة طويلة أمام الأسبان النصارى الطامعين في انتهاب أراضيها .

وتمثل مملكة سرقسطة الضوء الاسلامي الساطع في قلب الاراضي النصرانية التي تحديق بها من كل جانب ، فتحدّها من الشمال اربع ممالك نصرانية هي : مملكة قطلونية ، ومملكة ارغون ، ومملكة بالبارس (Pallars) ، ومملكة شرطانية ، أما في الشرق فكانت تتصل حدود مملكة سرقسطة بحدود مملكة نبرسه (Navarra) ، وبحدود مملكة ليون كبرى الممالك النصرانية وأشدّها خطرا على مسلمي الأندلس ان لعب ملكها فرناندو الأول (٤٢٦ - ٤٧٠ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٦٥ م) وابناؤه من بعده دورا خطيرا في تاريخ الأندلس . " ٣ "

-
- ١ - عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ، عن أهم المناطق التي تحويها هذه المنطقة أنظر : ابن عذاري : المصـدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ - ٥٥ - محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٥٥ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ٩٩ .
 - ٢ - ياقوت الحموي : معجم البلدان : ج ٣ ، ص ٢١٣ .
 - ٣ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ٩٨ - ٩٩ .

وقد فرض على مملكة سرقسطة موقعها الخطير بين الممالك النصرانية المتحفزة للانقضاض عليها اتباع سياسة خاصة تحفظ لها سيادتها واستقلالها ، وتفوت على الذئاب المحيطة بها فرصة الانقضاض عليها ، وأخذها على حين فره ، فقد اتبعت ازاء الممالك الاسبانية النصرانية المجاورة لها سياسة تجنح الى السلم في أغلب الأحيان ، والملتق والخضوع أحيانا في صورة أداء الجزية لتأمين شر جيранها ، وفتحت ابوابها للمرتزقة الأوربيين ليعملوا في جيوشها ، فقد رجبت بكل قائد طموح فار من بلاده ، ومن أشهر هؤلاء الذين لجأوا اليها السيد القبيطور . كما لجأت أحيانا الى التحالف مع ملوك النصارى اذا دأهمها دأهم من أرض المسلمين .^١

وساعد ابتعاد سرقسطة عن العاصمة التقليدية للأندلس قرطبة ان جعلها فريسة مغرية للطامعين الى السلطة فكثرت المنتزونات بها غير آبهين بالسلطة المركزية التي كانت تحسب ألف حساب قبل أن توجه جيشا لاخضاع هذا الثائر أو ذاك الذي كان يتخذ من الممالك النصرانية عنيدا له عند الضرورة .

في هذه المملكة التي تعتبر بمثابة الخط الدفاعي الأول للممالك الإسلامية في الأندلس ، والتي تمثل أيضا الحاجز الطبيعي ما بين الأراضي الإسلامية والأراضي النصرانية^٢ استقل المنذر بن يحيى بن مطرف بن عبد الرحمن بن هاشم التجيبي (٤٠٨ - ٤١٤ هـ / ١٠١٧ - ١٠٢٣ م) ، واتخذ من سرقسطة عاصمة لامارته ، وتلقب بالمنصور وبقي هو وابناؤه من بعده يحكمونها حتى عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م حيث تمكن أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود المستقل بتطيلة ولارده من أول الفتنه (٤٧٠ هـ / ١٠١٩ م) من قتل المنذر بن يحيى معز الدولة (٤٢٠ - ٤٣٠ هـ / ١٠٢٩ - ١٠٣٩ م) معلنا بذلك انتهاء حكم

١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٨٧ .

٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٨٧ - ٨٨ .

٣ - القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

التجسيين في الثغر الأعلى وقيام ملكة بني هود مكانها عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م) "١"
التي استمرت قائمة حتى سقط آخر معقل من معاقلهم هناك * فبمسببي روطه في عام
٥٢٤ هـ أو ٥٢٥ هـ / ١١٢٩ أو ١١٣٠ م "٢"

وبقيام ملكة بني هود في سرقسطه تبدأ مرحلة جديدة من حياة هذه الرقعة
من العالم الاسلامي . وقد استطاع بنو هود أن يطلعوا بهذا الدور الخطير في
حماية الزاوية الشماليه الشرقيه من الأندلس من الخطر النصراني فترة من الوقت
وحالوا دون انسياج النصارى الى الاراضي الاسلاميه ، وفضل ما أنجب بنو هود
من امراء اقوياء استطاعوا أن يحافظوا على استقلال مملكتهم امام القوى الطامعه
فترة طويله .

— دولة بني هود في سرقسطه في عام (٤٣٠ — ٤٧٨ هـ / ١٠٣٩ — ١٠٨٥ م)

=====

بعد أن ارتقى أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود (٤٣٠ — ٤٣٨ هـ /
١٠٣٩ — ١٠٤٦ م) عرش سرقسطه "٣" بدأت علاقاته تسوء مع المأمون بن ذي
النون صاحب طليطله فاستعان كل واحد منهما على صاحبه بالنصارى الأسبان ، وقبل
وفاته قسم مملكته بين ابناءه الأربعة "٤" فوق بذلك في الخطأ التقليدي الذي وقع
فيه كثير من ملوك العالم في مختلف فترات التاريخ ، إذ خلق بعمله هذا أربع امارات

-
- ١ — المصدر السابق نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٦ — حسين مؤنس :
الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ٩٨ — ٩٩ .
 - ٢ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٨ — ١١٩ —
ابن الآبار : الحطة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .
 - ٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ — ٥٥ —
رزق الله الصدفى ، ج ٢ ، ص ٧٧ .
 - ٤ — انفراد ابو جعفر أحمد بسرقسطه وتلقب بعماد الدوله القتدر بالله ، =

متناخره ودارت الحرب ما بين الأخوة واستطاع أحد المطبق بالقتدر من التغلب على
بنتية اخوته ، واستطاع أن يعيد للمملكة وحدتها ، وطارت شهرته حتى أنه عد من
أقوى امراء بني هود ، ومن أوسمهم ذكرا ، فقد كان أقدر حكام سرقسطة على
التكيف مع وضع امارته فحافظ على استقلاله بالدهاء والحسام ، وأصبحت سرقسطة
في عهده درة الأندلس ، وعلى الرغم من كل ذلك كان يؤدي الجزية لمطوك النصارى
في قشتاله . " ١ " .

" ٢ " .
وبعد حياة مليئة بالجهاد والاعمار توفي أحمد القتدر عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م
بعد أن حكم ستا وثلاثين سنة اضاعها في مقارعة اخوانه ، والممالك النصرانية ،
الا أنه لم يتعلم درسا من والده فكرر نفس الخطأ فقبيل وفاته قسم مملكته بين ولديه
يوسف والمندر ، فتلقب الأول بالحاجب المؤتمن (٤٧٤ - ٤٧٨ هـ / ١٠٨١ -
١٠٨٥ م) واستقل بمدينة سرقسطة وغربي الاماره كله وانفرد المندر بطرطوشه ،
ودانيه ، والجزء الساحلي من الاماره وتلقب بالحاجب عماد الدولة . " ٣ " .

وتجددت الفتنة بين الأخوين واستنجد كل واحد منهما بالنصارى ، واعتمد
المؤتمن على السيد القمبيطور " ٤ " الذي قدم لاجئا الى سرقسطة بعد أن نفاه
الفونسو السادس ملك ليون من بلاطه فانضم الى جيوش يوسف المؤتمن ومضي يحارب
اعداءه ، واستطاع أن ينزل بالكونت رامون بيريجير الثاني صاحب قطلونيه هزيمة
نكراء عند المناره ، التي وقع فيها الكونت في أسرابن هود ، واستمرت اقامه السيد

-
- = واستقل ابو عمر يوسف بالارده وتلقب بعماد الدولة المظفر ، وأخذ محمد قلعة
أيوب وتلقب بعضد الدولة ، وكان نصيب المندر تطيله وتلقب بالحاجب انظر:
حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .
١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٦ - القلقشندي : مآثر الأناضول ،
ج ٢ ، ص ١٠ - ١١ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ١٢٧ ،
حاشية رقم ٢ - عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ - حسين
مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .
٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ - ٥٥ .
٣ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .
٤ - عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .

في سرقسطه الى عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م "١" ، وفي عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م توفي يوسف المؤتمن "٢" فخلفه ابنه أحمد بن يوسف المطقب بالمستعين والذي نهض بأوزار الحرب الاهلية ومضى يحارب عمه المنذر فاستعان كل واحد منهما على صاحبه بالنصارى "٣" ، وفي هذه الظروف استطاع الفونسو السادس ان يحتل مدينة طليطلة عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م "٤" فازدادت ثقته بنفسه وزاد الحماس عند اتباعه وأخذ يخطط لالتهام سرقسطه خاصة بعد وفاة أبي عامر يوسف المظفر حسام الدولة في بلاطه . وكان المظفر حسام الدولة الذي اودعه ابو جعفر المقتدر بالله في سجن روطه قد فر من سجنه ايام ابني أخيه يوسف وأحمد في اوائـل ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م واحتسب بالفونسو السادس وتوفى عنده بعد قليل . فرغم الفونسو ان المظفر قد تنازل له قبل وفاته عن نصيبه في الملك ، فهب هو ورجاله وفيهم ابن عمه راميرو نحو روطه ، الا أن يوسف المؤتمن وحليفه القبيطور تمكنـا من ايقاع هزيمة شنيعة بالفونسو السادس الذي لم ينج منها الا بصعوبة . "٥"

-
- ١ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .
 - ٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ - ٥٥ .
 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
 - ٣ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٤ - ٥٥ .
 - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .
 - ٤ - ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٤٣ - القـرى :
 - المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٨٨ .
 - ٥ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٢ -
- ١٠٣ .

واستعد ابو جعفر أحمد المستعين بالله لمواجهة مخططات الفونسو السادس التي أخذت ترمي الآن الى اسقاط ملكة بني هود في سرقسطه ، وحتى يقوى من مركزه الدفاعي تحالف مع جاره مووان بن عبد العزيز صاحب بلنسية "١" وفعلا قام الفونسو السادس بفرض الحصار على سرقسطه عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م من اجل اسقاطها فصده ببساله "٢" ، في هذا الوقت كانت هناك تطورات خطيرة تجرى في الأندلس فقد اجتمعت كلمة ملوك الطوائف على استقدام المرابطين الذين لبوا النداء مسريين في الجواز الى الأندلس لايقات الزحف النصراني نحو الجنوب ، وتخليص البلاد مما كانت تعانيه من ظلم وجور النصارى فجاز المرابطون في ربيع أول ٤٧٩ هـ ، وأخذت الجيوش الاسلاميه المشتركة تزحف نحو الشمال "٣"

ويبدو أن أخبار هذا الزحف قد وصلت الى اسماع أهالي المدينة المحاصره فارتفعت معنوياتهم ، وظن الفونسو انهم لم يسموا بذلك فشدد الحصار عليها بقصد اسقاطها ليتفرغ لمواجهة الزخوف الاسلاميه المتقدمه نحوه ، ولما استعصت عليه طلب من المستعين بن هود المال الذي رفضه في البداية عندما فاضله المستعين عليه "٤" فاضطر الفونسو السادس الى فك الحصار لمواجهة الحلف الاسلامي بحلف نصراني فتوجه الى طليطله لهذا الغرض لصد الخطر القادم من بلاد السدوه "٥"

-
- ١ - عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ - حسين مؤنس :
الثغر الأعلى ، مع ١١ ق ٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .
 - ٢ - محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمه ، ص ١٧٥ .
 - ٣ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٢ - ابن
خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .
 - ٤ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٩٢ - السلاوي : المصدر
السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠ .
 - ٥ - ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ٩٢ - ابن أبي زرع : المصدر
السابق ، ص ١٤٥ - ١٥٠ - السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ،
ص ١١١ .

"١"

وعندما التحمت الجموع الإسلامية بالجموع النصرانية في الزلاقة عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م لم تشارك مملكة بني هود في هذه الموقعة مع بقية ممالك الطوائف لحراجه موقعها بين الممالك النصرانية فحرصت على الحياد حتى لا تعقد علاقاتها مع تلك الممالك .

لقد كان دخول المرابطين إلى الأندلس يعني دخول قوة جديدة إلى شبه الجزيرة الأليبيرية يحتم على دولة بني هود أن تحدد طبيعة علاقاتها مع هذه القوة النامية ، ولعل الظروف التي أعقبت الزلاقة هي التي رسمت خطوط هذه السياسة ، فبعد الزلاقة خاضت مملكة بني هود معارك غنيمة وميريه مع جيرانها النصارى الذين لم يدخروا وسما في محاولة إسقاطها . "٢"

وفي هذه الفترة توثقت علاقة المستعدين بالفونسو السادس ، ونجده يقف موقف المتفرج عما كان يحدث في مدينة بلنسية التي كان يعيش فيها القبيطور مفسداً مقفلاً كاهل أهلها بالضرائب حتى تمكن من إسقاطها عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م على الرغم من مؤازرة المرابطين لأهلها . "٣"

-
- ١ - ابن الآبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٠١ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٣ ، ص ٢٤٢ .
 - ٢ - لمزيد من التفاصيل عن أوضاع سرقسطه بعد الزلاقة انظر : الطرطوشي : سراج الملوك ، ص ٣٠٢ - ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ١٧٢ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٤١ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٦٣ - أشباح : تاريخ الأندلس ، ص ١٠٥ - ١٠٨ - حسين مؤنس : الثغرا الأعلى ، ج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٠ .
 - ٣ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣١ - ٣٩ - ياقوت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .

وخلال هذه المدة أعطى يوسف بن تاشفين إشارة البدء للقضاء على مالئك الطوائف في الأندلس عندما ثبت لديه استحالة توحيد كلمتهم لاتساع الهوة بين ملوكها ، فالمداء مستحكم حتى بين الأخوة ، وقد صاحب التنافس والتطاحن فيما بينهم ارتكاب خيانات عظمى بحق الأمة باتصالاتهم مع اعداء امتهم الاسلامية عن طريق عقد المعاهدات مع الممالك النصرانية ودفع الأتاوات الضخمة لملوكها ، وبعد أن بارك فقهاء المغرب والأندلس والمشرق وعلى رأسهم الغزالي ، والطرطوشي مشروع اسقاط ملوك الطوائف ، أمر يوسف قواته بالانقضاض على معاقل ملوك الطوائف فلم تمض ثلاثة عشر عاما حتى أخضعوها جميعا خلا مملكة سرقسطة . * ١ *

على ضوء هذه التطورات التي جرت على الساحة الأندلسية - أخذ المرابطون يستفزون حكام سرقسطة عندما حاول قائد المرابطين سير بن أبي بكر فتح احد معاقلهم في روطه ، ولكنهم فشلوا في التخطيم لمناخهم وتوتر الموقف فيه ^٢ ، كما أصبح ابن هود يشعر بخطورة الموقف عندما أصبح المرابطون مجاورين له في مرسية ودانيه ^٣ عندها رأى ابن هود أن يعزز علاقاته مع النصارى والمرابطين في آن - واحد ، فاستغاث بالقببيطور وعقد معه حلفا جديدا ، وقد القببيطور بدوره سلسلة

-
- ١ - لمزيد من التفاصيل حول احوال ملوك الطوائف بعد الزلافة وبعد حصار حصن لبيط وما برز خلال ذلك من خلافات فيما بينهما واتصالات بعضهم مع الفونسوس السادس انظر : عبد الله بن بلقين : التبيان ، ص ١٠٩ - ١١٣ ، ١٢٥ - ١٢٧ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٠ - ٢٥٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٦٩ - ٧٠ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٢ - ١٥٣ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٥ .
 - ٢ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢١ - ١٢٢ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .
 - ٣ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٣٢ .

معاهدات مع ملك ارغون وملك بركة ، وكان الغرض من هذه الاخلاف هو التصدي للمرابطين وايقاف زحفهم ، وانقاذ شرقي الأندلس من الوقوع في قبضتهم ، فأخذ القمبيطور وابن هود ينظمان الوسائل الدفاعية لسرقسطه . " ١ "

وفي الوقت ذاته أخذ يمد خيوط المودة بينه وبين يوسف بن تاشفين حتى تكاد تجمع المصادر الاسلامية على أن العلاقات اليهودية المرابطية في عهد المستعدين كانت على أفضل ما يكون . وتذكر أن ابن هود كان يتحف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالهدايا الثمينة من نفيس الذخائر ، واليواقيت والجواهر ، ورفيع الدنانير " ٢ " ، ويؤكد ابن الأثير " ٣ " على أن هذه الصداقة تمود الى ما قبل جواز يوسف الى الأندلس فرعى يوسف للمستعدين بن هود ذلك ولم يتعرض لبلاده ، وأوصى خليفته علي عندما اشرف على الموت بأن لا يتعرض لبني هود وأن يتركهم حاجزا بينه وبين العدو لأنهم يمتازون بالشجاعة .

وهناك من يذكر أن المستعدين قد اتصل بيوسف بن تاشفين مرتين الأولى غداة الزلافة لتبرير تقاعسه عن نصرته المجاهدين ، والثانية عقب سقوط بلنسية " ٤ " .

ومن مكاتبات المستعدين ليوسف ما جاء في إحدى رسائله : ((نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل اليكم منه ضرر ومناعين تطرف وقد قنعنا بمسالمتكم فاقنعوا منا بها الى ما نعينكم به من نفيس الذخائر)) ووجه اليه ابنه عماد الدولة أبا مروان عبد

- ١ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٩٣ .
- ٢ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٦ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٦ .
- ٣ - الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٩٣ - ابو الفدا : تاريخ ابو الفدا ، ج ٢ ، ص ٢١٠ .
- ٤ - حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

الملك فأجابه يوسف الى ما أراد وما جاء في الرد : ((٠٠٠٠ الذي عندنا أيديك
الله لجناحك الكريم وحرك الطامي ومجدك الصميم وحكك المعلوم فود صريح وعقد فسي
ذات الله تعالى صحيح ٠٠٠ وجملته الوفاق وجماعة الانتظام في سلك ما يرضي الله
تعالى ٠٠٠)) " ١ "

ولما سقطت بلنسية بيد المرابطين عام ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م " ٢ " ترتب
على ذلك انهيار الجبهة النصرانية في شرق الاندلس فاستثمرت القوات المرابطية الفوز
بعد دخول المدينة واستولت على مريبطر " ٣ " والمنازة والسهلة وغيرها من القلاع
والحصون المنتشرة في هذا الاقليم ٠ " ٤ "

ويظهر أن المستعين بعد سقوط بلنسية التي كان يأمل أن تبقى فيها اماره
تحول بينه وبين المرابطين جعلته يميل أكثر الى المرابطين فنجد في عام ٤٩٦ هـ /
١١٠٣ م عندما جاز يوسف بن تاشفين جوازه الاخير لأخذ البيعة لولده علي يرسل
ولده عبد الملك الى قرطبه بتهديفة سنه من بينها أربعة عشر ربما من آنية الفضة
مطرزة باسم القنطرة بن هود الى أمير المسلمين يوسف قبلها ووزعها بعد أن أمر
بضربها قراريط على رؤوس المرابطين ليلة عيد الأضحى وحضر عبد الملك حفل البيعة

١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٤ - ٧٥ .

٢ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢ ، حاشية رقم ٢ -

ياقوت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩٠ - الحميري : المصدر

السابق ، ص ٩٧ - ويذكر ابن الخطيب (الاخطه ، ج ٣ ، ص

٢٧٤) ان استرجاع بلنسية كان عام ٥٠٥ هـ .

٣ - حصن على جبل بالقرب من طرطوشه انظر : الحميري : المصدر السابق ،

ص ٥٤٠ .

٤ - حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

لعلي بن يوسف ثم عاد الى سرقسطه . " ١ " .

ويبدو أن المستعين كان حريصا أن لا يترك مناسبة الا ويظهر ليوسف ولاءه — وصداقته لا سيما في هذه الفترة التي شعر فيها أن المرابطين أخذوا يخططون للاستيلاء على إملأكه ، وهذا الذي اتضح من خلال شروط يوسف بن تاشفين على ولي عهده فيما يختص بالقوات المرابطية في الأندلس حيث خصص أربعة آلاف مقاتل لشرق الأندلس " ٢ " ، ولعل تخصيص هذا العدد الضخم من المجموع العام الذي خصصه للأندلس ككل (١٧ ألف) يعني أن المرابطين كانوا يعتنون بالشرق عناية خاصة ، ولعلهم كانوا عازمين على تنفيذ مشروع توسعي آخر ، كما أن هذه السفارات جاءت في وقت أخذ فيه المستعين يعاني من كثرة غارات جيرانه النصارى خاصة من قبل — الفونسو السادس الذي شدد من هجماته على سرقسطه فنجد المستعين في عام ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م يطلب المعون من يوسف بن تاشفين الذي بادر بإرسال قائده أبي محمد عبد الله بن قاطمه في ألف وخمسمائة فارس فهاجم أراضي قشتاله وغنم الكثير ورجع الى بلاده . " ٣ " .

تحت ضغط كل هذه التطورات التي حدثت بعد موقعة الزلاقة كان المستعين ابن هود مضطرا الى تحسين علاقاته مع المرابطين والتقرب اليهم أكثر من النصارى ، كما أن المرابطين لم يكونوا متشجعين لاسقاط مملكة بني هود لادراكهم كبر المسؤولية التي ستلقى على عاتقهم في الدفاع عنها وحمايتها من النصارى ، إضافة الى انشغال

-
- ١ — ابن الأبار : الحطة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢ — ٤٣ .
 - ٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٠ .
 - ٣ — ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١١٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢ — ٤٤ .

المرابطين في المراحل الأولى من دخولهم للأندلس عن الثغر الأعلى في توطيد حكمهم في الأراضي التي اهلكوها من طوك الطوائف فضلوا ان يتركوها حاضرة بينهم وبين النصارى . " ١ "

ويظهر أن ما كانت تتمتع به سرقسطه من حصانة وانقياد الرعية لحكم بني هود اضافة لما كان يتمتع به حكامها امثال المستعين من دهاء سياسي ، الذي كان يهدد النصارى بالمسلمين ويهدد المسلمين بالنصارى " ٢ " بجملة لظان بقيت هذه المطقة هذه المدة دون أن يخضعها المرابطون .

وفي عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م خرج المستعين بعد أن جدد البيعة لنفسه ولولده عماد الدولة عبد الملك وجمع الجيوش واتجه لغزو النصارى المجاورين ، فدخل ارنه (ارنيط) وغلب على ارباضها ، واعتصم أهلها منه بكلية مليحة ثم صالحهم على ما يؤدون اليه وأخذ منهم رهائن ثم انصرف قافلا عنهم . وفي طريق عودته كان يشن الغارات على من بذلك الصقع من النصارى فهدم وبي وحرق ، ولما اشرف على بلاده لحقت به خيل النصارى في أول يوم من رجب ونشبت بينهما معركة حامية الوطيس بالقرب من فالتيرا (Valtierra) " ٣ " ، استشهد فيها المستعين مع جمع كبير من المسلمين . " ٤ "

-
- ١ - ابن سعيد المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ .
 - ٢ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٧٤ - ٧٦ .
 - ٣ - تقع بالقرب من تحليله .
 - ٤ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٢ - ٥٤ - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٦ - ابن الأبار : الحطية ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ - الطرطوشي : المصدر السابق ، ص ٣٣٠ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٤١ - ميرنده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، ص ١٦٠ - ١٦١ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ج ١١ ، ق ٢ ، ص ١٠٦ .

وموفاة المستعين (الصغير) فقدت مملكة بني هود آخر زعمائها الأقوياء الذين حافظوا على استقلالها وحماية دمارها مدة ثلاث وسبعين سنة • وتعتبر وفاته بداية لمرحلة جديدة من مراحل حياة هذه المملكة التي أخذت تلتفت أنفاسها في سوقه • وقد انتخب عبد الملك المطبق بعماد الدولة خليفة لابيه • على شرط ان لا يلجأ الى النصارى مستنجدا أو مخالفا • " ١ "

واستغل المرابطون فرصة وفاة المستعين وحاولوا دخول سرقسطه • فقد ارسل محمد بن الحاج والي بلنسية قائده محمد بن فاطمه في جيش صغير نحوها • فلما اقترب منها خشي أهلها أن يسرع أميرهم بالاستنجاد بالنصارى • فأشاروا عليه بأن ينصرف عنهم حتى لا يجني عليهم باستغاثة أميرهم بالنصارى فانصرف عنهم • " ٢ "

وزادت حركة المرابطين تلك من مخاوف عماد الدولة فبادر بإرسال رسالة الى أمير المسلمين علي بن يوسف يطلب منه أن تبقى علاقاته معه مثلما كانت في العهد السابق بين والديهما يسودها الود والألفة • ولكن أمير المسلمين كان قد اتخذ قراره باستئصال شأفة بني هود بعد أن اقنعه الفقهاء بذلك لمسالمتهم للنصارى " ٣ " ووجه الأمير أبا بكر بن ثيفلويت على رأس جيش لفتحها • ولما سمع ابن هود بقدومه تحصن في بلاده " ٤ " • وأخذ يتودد للنصارى لحمايته من المرابطين ومن رعيته التي استشرع ميلها لهم • " ٥ "

-
- ١ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام • ق ٣ • ص ١٧٥ — ابن عذارى : المصدر السابق • ج ٤ • ص ٥٤ — ٥٥ — القلقشندي : صبح الأعشى • ج ٥ • ص ٢٥٤ — ٢٥٥ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى • ج ١١ • ق ٢ • ص ١٠٥ — ١٠٦ •
 - ٢ — ابن عذارى : المصدر السابق • ج ٤ • ص ٥٣ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى • ص ١١١ — ١١٢ •
 - ٣ — ابن سعيد : المصدر السابق • ج ٢ • ص ٤٣٨ •
 - ٤ — مؤلف مجهول : المصدر السابق • ص ٩٨ — ٩٩ •
 - ٥ — ابن الأبار : الحلة السيرة • ج ٢ • ص ٢٤٨ •

وقد وصل كتاب ابن هود الى علي بن يوسف في الوقت الذي كان قد أصدر فيه أمره بالقضاء عليه ، فلما قرأ الكتاب عدل عن رأيه السابق ولكن بعد فوات الأوان .
ومما جاء في هذه الرسالة : ((وقد كان المستمعين بالله خاطب أياك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رحمة الله عليه ، يسأله الدعاء ويغيب في الهدوء والاستعانة على العدو فأقام وأقما معه مريحين ومن تعب النفاق فرحين فنحنمنا بنور الهداية الساطع الاشرار واغتنمنا الدعة والأمن في هذه الآفاق ثم دهضا من جهنم داهم ولا يمكننا تسليم ما بأيدينا اليكم فيتحكم فينا الاندال ولم تقدم منكم اليكم اساءة جهرت عليكم بالقول ولا أشارت ولا أخلت بجنابكم ولا عدت ولا ضرت وقد كان لكم فيط فمله أبوكم أمير المسلمين أسوة حسنة)) " ١ "

وفتح أهالي سرقسطه ابواب مد ينتهم للمرابطين صبيحة يوم السبت العاشر من ذي القعدة سنة ٥٠٣ هـ " ٢ " ، وطرد عماد الدولة منها بعد خلافته لوالده بأربعة اشهر " ٣ " ، وكتب محمد بن الحاج والي بلنسية الى علي بن يوسف بذلك " ٤ " . وأما عماد الدولة فقد اعتصم في روطه (Rueda) " ٥ " تحت حماية ملك أرفونسة الفونسو المعارب " ٦ " .

-
- ١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ٥ ص ٩٨ - ٩٩ ، (انظر الرسالة في الملاحق) .
 - ٢ - ابن الآبار : الحلة السيرة ٥ ج ٢ ، ص ٢٤٨ - يحدد ابن أبي زرع (روى القرطاس ٥ ص ١٦٠) تاريخ دخول سرقسطه عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م .
 - ٣ - ميرانده : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ٥ ص ١٦٠ - ١٦١ .
 - ٤ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ٥ ص ١٦٠ .
 - ٥ - ابن سعيد : المصدر السابق ٥ ج ٢ ، ص ٤٣٨ ، وروطه حصن منيع جدا على وادي شلون (انظر : ياقوت : المصدر السابق ٥ ج ٣ ، ص ٩٦ - ٩٧ - ابن الآبار : الحلة السيرة ٥ ج ٢ ، ص ٢٤٦ ، حاشية رقم ٢ - عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ٥ ص ٣٥٦ - ٣٥٧ .
 - ٦ - حسين مؤنس : الثغر الأعلي ٥ مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١١ - ١١٢ .

وسقوط سرقسطة بيد المرابطين تبدأ مرحلة جديدة من العلاقات المرابطية اليهودية في روطه من جانب ومن جانب آخر مع الممالك النصرانية التي حدثت فيها تطورات خطيرة قبيل عهد موقعة (Valtierra) فقد توفي الفونسو السادس بعد فجيعته في ابنه الوحيد الذي سقط في موقعة أقليمش بفترة يسيرة فمضى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م ولم يترك إلا ابنة واحدة اسمها آراكه (Urraca) وريثة لعرشه واستطاع بعض النبلاء تزويج آراكه من الفونسو المحارب (الأول) ملك ارغونة في عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م ، وذلك اتحدت قشتالة وأرغونة تحت سيادة الفونسو المحارب . وفي نفس الوقت احدث هذا الزواج شرخاً عظيماً في الجبهة النصرانية لاهماله حقوق الفونسو السابع (Alfonso Raimundez) ابن آراكه وولي عهد ها الشرعي وورث الفونسو السادس ولذلك قام انصاره يطالبون بحق ولي العهد الشرعي وحدثت سلسلة حروب بين حزب الفونسو المحارب (الأول) والفونسو السابع الذي كان يسانده اسقف طليطلة برناردو الذي سعى عند البابا بسكال الثاني لفسخ زواج الفونسو المحارب من آراكه ، فتم ذلك عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م على أن يكون الفونسو المحارب ملكاً على ارغونة وقشتالة وأن تكون آراكه ملكة على ليون وجليقية . وعند ما توفيت آراكة خلفها ابنها الفونسو السابع الذي كان يسميه أهل الأندلس بالسليطين (أى الملك الصغير) لتولية العرش وهو صغير السن ، وبدأت بتولية العرش دولة جديدة " ١ " . كل هذه التطورات كانت لصالح سرقسطة فأخرت سقوطها في يد النصارى في فترة مبكرة بعد موقعة (Valtierra) لانشغال الفونسو المحارب وغيره من ملوك النصارى في الحرب الأهلية التي دارت بينه وبين زوجته . " ٢ "

١ - ابن الأبار : الحطة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، حاشية

رقم ١ .

٢ - حسين مؤنس : الثغر الأعلي ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٠ - ١١١ .

واستغل المرابطون حكام سرقسطه الجدد تفسخ الجبهة النصرانية عقب استقرارهم فيها ، فأخذوا إليها الجديد محمد بن الحاج يشدد من غاراته على الأراضي النصرانية وخاصة برشلونة " ١ " . وقد استمر على ذلك حتى عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م حيث استشهد في هذه السنة " ٢ " بعد أن نجح في صد محاولات الفونسو المحارب لاقتلاع أجزاء أخرى من سرقسطه التي لم يكن قد بقي من أعمالها سوى تطيلة ولاردة ، وإفراغة ، وطرطوشه " ٣ " فبعد استقرار ابن الحاج مباشرة في سرقسطه عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م تحالف عماد الدولة مع الفونسو المحارب وتقدم نحو سرقسطه حتى أصبح على فرسخين " ٤ " منها واستعد ابن الحاج مع أهل سرقسطه لصد المهاجمين ولكن أهل سرقسطه تخلوا عنه وأخذوا يتسللون إلى داخل المدينة فانتهز الفونسو المحارب الفرصة وانقض على محمد بن الحاج وابنه يحيى ففترق شمل المسلمين ، واستشهد يحيى يوم الأحد ١٥ ذى الحجة ٥٠٣ هـ / ٥ يوليو ١١١٠ م " ٥ "

والذى يلفت الانتباه هو تخلي أهالي سرقسطه عن ابن الحاج في هذا الموقف العصيب وهم الذين رحبوا بالأمن به .

- ١ — مدينة حصينة خربة تكثر فيها الحنطة واليهود وهى على البحرينها وبين طرفونه خمسون ميلا انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ١١٠
- ٢ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٠
- ٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٨٨ .
- ٤ — الفرسخ ثلاثة أميال والميل ألف باع ، وكل باع أربعة أذرع شرعية ومذلك فطول الفرسخ حوالي ٦ كيلومتر انظر : فالترهتس : المكاييل والأوزان الاسلاميه ، ص ٩٤ .
- ٥ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٥ — ميرانده : علي بن يوسف وأعماله في الأندلس ، ص ١٦١ — ١٦٢ .

يبدو أنه ما زالت هناك فئات موالية لعماد الدولة المظنود من سرقسطه الى روطه وأن هؤلاء قد استغلوا مدا همة قوات زعيمهم عماد الدولة وحليفه الفونسو لسرقسطه فانسحبوا ليحدثوا شرخا في جيش ابن الحاج ليسهلوا على المهاجمين دخول المدينة اضافة الى ذلك فمن المحتمل ان يكون الجيش المرابطي عندما دخل مدينة سرقسطه قد قام ببعض الاعمال مثل النهب ومحاكمة بعض العملاء مما أدى الى تدمير الرعية السرقسطيه عليهم وتخليهم عنهم في ذلك الموقف الحرج .

ويظهر أن المرابطين حاولوا بعد فشل غزوة عماد الدولة وحليفه الفونسو لسرقسطه أن يقوموا بغزوة تأديبية لعماد الدولة في عقرداره ، فتوجه علي بن كنفاط اللمتوني في فصيلة من المرابطين الى قلعة أيوب ، وعسكرا أمام قلعة لعماد الدولة فحاصرها حصارا شديدا . واستغاث أهل القلعة بسيدهم فأغاثهم بكتيبة نصرانية استطاعت أن تفك الحصار وتأسر علي بن كنفاط وتسوقه الى روطه ، وقد بقي في الأسر بعض الوقت ثم أطلق سراحه اثر ابرام صلح لوقت معلوم . " ١ " ومن جهة أخرى حاول عماد الدولة دخول سرقسطه عام ٥٠٥ هـ / ١١١٢ م فرده محمد ابن الحاج على اعقابها . " ٢ "

وشدد النصارى في عام ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م من ضغطهم على منطقة الثغر

الأعلى ، فحاصر الكونت رودريجونويد (Rodrigo Nunez)

١ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٥ ،

١٦١ - ١٦٢ .

٢ - المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٥ - ٥٦ .

صاحب مدينة سالم ، فسار اليه مزدلي "١" واضطره الى الفرار تاركا عسكره
واثقاله ثم عاد مزدلي مسرعا ليلتقي مع الفونسو المحارب في معركة عنيفة بالقرب من
حصن قسطنطين في يوم الثلاثاء ١٧ شوال ٥٠٨ هـ حيث خر شهيدا "٢"

وفي هذا الوقت خلفه ابو بكر بن تافلويت "٣" محمد بن الحاج على سرقسطه ،
وقد فوضت عليه هذه الظروف السابقة ان يخوض الحرب دفاعا عنها ففي أواخر سنة
٥٠٨ هـ / ١١١٥ م خاض معركة مستميتة مع صاحب برشلونه رامون بيرنجير هزم
فيها المرابطون "٤" ، ورد ابن تافلويت على ذلك بغارات انتقامية ضد عماد الدولة
في روجة ، فتحرك عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م ، وعاش في املاك عماد الدولة ثم
تحرك الى برجة وفيها عماد الدولة وضيق عليها وبالغ في نكايتها حتى صالحه أهلها
ثم رجع عنها الى سرقسطه "٥" . وقد توفي ابو بكر بن تافلويت في هذه السنة ،

-
- ١ - هو مزدلي بن تيولتكان بن حمى محمد بن ترقوت اللموني ، بطل عظيم
الصيت عظيم الجلد أصيل الرأي ، طال عمره ، وعظمت في العدو وقائمه ،
ومن مناقبه استرجاع بلنسية من أيدي النصارى ، ولي غرناطة ، وقرطبة
سنة ٥٠٥ هـ / ١١١٢ م ، واستشهد عام ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م انظر /
ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
 - ٢ - المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ - حسين
مؤنس : الثغر الأعلي ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ .
 - ٣ - اقام خلال اقامته في سرقسطه بلاطا فخما وخاض حياة باذخه فخمة من حوله
الأدباء والندماء وأسهمك في الملذات والشراب على الرغم مما كانت تمر به
سرقسطه من ظروف حرجة ازاء غارات النصارى المتكررة عليها انظر :
محمد عبد الله عثمان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٨٨ - ٨٩ -
ابن الخطيب : الاحاطه ، ج ١ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٨ .
 - ٤ - حسين مؤنس : الثغر الأعلي ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٣ - ١١٤ .
 - ٥ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٢ .

ولما وصل نبأ ذلك إلى الأمير أبي اسحاق إبراهيم بن يوسف وإلى مرسية بادربالسير إلى سرقسطة وضبط شئونها ، وبعد أن اطمأن على أحوالها عاد إلى مقر ولايته ولم يعين في تلك الآونة المصينة وال يظف أبا بكر بن تافلويت على الفور علماً أن أمير المسلمين علي بن يوسف كان موجوداً في تلك الفترة (٥١١ هـ / ١١١٧ م) في الأندلس ، وبعد مدة ندب عبد الله بن مزدلي لولاية بلنسية وسرقسطة وكان ذلك فيما يبدو في أواخر عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م . " ١ "

وفي هذه الفترة شدد الفونسو المحارب من ضرباته لسرقسطة طامعاً في امتلاكها ، فكان يحاصرها ويضيق على أهلها . وأخذ ابن مزدلي يدافع الفونسو حتى اضطره إلى رفع الحصار " ٢ " ولذلك رأى الفونسو المحارب الذي طارت سمعته في قتال المسلمين إلى أوروبا أن يطبع حربه للمسلمين بطابع صليبي بحيث ليتمكن من جلب فرسان أوروبا إليه لمساعدته في إسقاط سرقسطة ، لا سيما وأن الحرب الصليبية في المشرق قد كللت بالنجاح بإسقاط بيت المقدس وأجزاء كبيرة من الشام . وكانت هناك فئات كبيرة من الفرسان الذين اشتركوا في تلك الحرب واكتسبوا خبرات عسكرية جيدة خاصة في مجال الحصار قد عادوا إلى موطنهم في أوروبا . ويبدو أن كل هذه الاعتبارات كانت تدور في خلد الفونسو المحارب ، فبحث إلى طوائف النصارى يستصومهم على سرقسطة فجاءوا في أمم كثيرة " ٣ " ، ولقيت الدعوة لحرب صليبية جديدة أذننا صاغية في فرنسا وإسبانيا .

-
- ١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٨٨ — ٩٠ .
 - ٢ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٤ .
 - ٣ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

ففي عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م عبرت حملة قوية من الفرنج (أهل بيارن) بقيادة جاستون دي بيارن وأخيه سانتولو إلى أسبانيا لمساعدة الأوغونيين في فتح سرقسطة .

وبارك رجال الدين المسيحي في مؤتمرهم المنعقد في مدينة طولوش (تولوز) عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م الخماس الديني الذي لاقته دعوة الفونسو المحارب لحرب صليبية جديدة في أسبانيا وقرروا أن ترسل حملة صليبية جديدة إليها بقيادة الكونت دي تولوز . كما حشدت قوات كبيرة من البشكنس ، وقطلونيه ، وأوقله تحت إمرة سادة هذه المناطق . وكان بين المقاتلين كثير من الأساقفة ورجال الدين الذين انضموا لقوات الفونسو المحارب وضربوا الحصار حولها في شهر صفر من عام ٥١٢ هـ / مايو ١١١٨ م وأحكموا الطوق عليها "١" . وقد جلبوا معهم أبراجا خشبية عالية تجرى على بكرات حتى يستطيع المهاجمون بها محاذاة الأسوار العالية لينصبوا فوقها الرعدات وجاءوا كذلك بمشرين منجنيقا ضخمة لسدك الأسوار وكان يشرف على استعمال هذه الأدوات نخبة من أهل بيارن ممن اشتركوا في حصار بيت المقدس وتمرسوا في استخدامها "٢" .

وظال الحصار اشهرا حتى فثيت الأقوات وهلك أكثر الناس جوط "٣" داخل المدينة المحصورة في الوقت ذاته كان المحاصرون يعانون أيضا من نقص المؤن وطول المدة حتى فكروا في فك الحصار لولا مساعدات اسقف وشقه وزملائه الذين قدموا

- ١ — عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٩٠ — ٩١ .
- ٢ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٦ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٩٥ .
- ٣ — ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١١٧ — ١١٨ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٧ — ١١٨ .

ذخائر كنائسهم من أجل شراء الأقوات لهم مما شجعهم على مواصلة الحصار واحكامه
على المدينة للحيلولة دون وصول أى امداد لأهلها "١" . وما زاد الأمر سوءاً
وفاة عبد الله مردلي داخل المدينة المحصورة في اوائل جمادى الآخرة ٥١٢ هـ /
سبتمبر ١١١٨ م ان أصبح الأمر فوضى بعده "٢"

وعقد الأمر أكثر وأكثر تقاعس الأمير تميم واحجابه عن الصدام مع العدو
المحاصر للمدينة على الرغم من الرسالة المؤثرة التي بعث بها قاضي المدينة ثابت بن
عبد الله وجماعة من أعيان المدينة المحصورة اليه يلومونه على تقاعسه في الوقت
الذى كانوا يعانون فيه ويلات الحصار ويحثونه من مخبة هذا الجبن الذى سيجرب
عليه سقوط معقل من معاقل المسلمين المهمة وما يترتب على ذلك السقوط من نتائج .
وقد جاءت هذه الرسالة في يوم الثلاثاء ٢٧ شعبان عام ٥١٢ هـ أى بعد ستة
أشهر ونصف من الحصار "٣"

ويظهر أن أهل سرقسطه في الوقت الذى بحثوا فيه هذه الرسالة للأمير
تميم بحثوا برسالة أخرى الى أمير المسلمين علي بن يوسف في مراكش ، ان نجد
أنه بعد سقوط سرقسطه وصل جيش من ارض العدو مكون من عشرة آلاف فارس -
لاستئقاذ سرقسطه فوجدوا قد سقطت في يد الأعداء "٤"

-
- ١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ٥ ص ٩٥ .
 - ٢ - ابن خاقان : المصدر السابق ٥ ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .
 - ٣ - السلاوى : المصدر السابق ٥ ج ١ ص ١٢٦ .
 - ٤ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ٥ ص ٩٨ .

وعندما يئس المحاصرون في سرقسطه من نجدة اخوانهم المرابطين راسلوا
الفونسو المحارب على أن يرفع عنهم القتال الى أجل فان لم يأتهم من ينصرهم أخلوا
به البلد وأسلموه اليه ، واخذت المواثيق على ذلك ، ولما تم الاجل ولم يأتهم احد
دفعوا اليه المدينة بشروط " ١ " منها : ان تترك للمسلمين الحرية في الاقامة مع
دفع الجزية أو المفادرة الى أى جهة شاءوا ، وأن يسكن المسلمون بغير الدباغين ،
والنصارى المدينة ، وأن من يفلت من الأسرى المسلمين ويحصل عند دار الاسلام
فلا سبيل لمالكه اليه ولا اعتراض لمالكه عليه ، وسلمت المدينة على هذه الشروط
ولكن ما أن دخلها العدو حتى غادرها ما يقرب من خمسين الفا من اهلها " ٢ " في
يوم الاربعاء ١٢ رمضان من عام ٥١٢ هـ متجهين نحو مرسية وبنسبة " ٣ " .

وهكذا سقطت قاعدة من قواعد الأندلس الكبرى والتي كانت بمثابة قلب الاسلام
الناخب وسط الممالك الاسبانية النصرانية بعد أن استشهد على ارضها اقدان قادة
المرابطين .

ونلمح من كلام ابن سعيد " ٤ " أن سبب سقوط سرقسطه بيد النصارى هو رفض
أمير المسلمين علي بن يوسف تعاونه مع عماد الدولة كما كان يتعامل ابوه مع أبيه
وأن يتركه حاجزا بينه وبين النصارى ، فيقول : ((..... فرغب اليه عماد
الدولة أن يجرى معه على ما كان عليه سلفه مع سلفه ، ويتركه حاجزا بينه وبين
النصارى فأبى ولج فكان ذلك سببا الى أن استعان عماد الدولة بالنصارى وخرج من
سرقسطه وملكها المرابطون ثم حصرها النصارى فأخذوها منهم)) .

-
- ١ - السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .
 - ٢ - ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١١٧ - ١١٩ .
 - ٣ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤١٦ - السلاوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ - ياقوت : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢١٣ - ابن الأبار : الحطة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .
 - ٤ - المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ .

ويصل محمد عبد الله عنان * ١ * الى تفسير تقاعص المرابطين عن نصرة سرقسطة تفسيراً عسكرياً فيذكر أن تميم لم يكن من صف القادة العسكريين الكبار وأنه عندما رأى كثرة خشود النصارى خشي أن يدخل معركة غير مأونة الصواب لتفوق المدو — الظاهر ، كما يمكن أن يقال ان موقع سرقسطة البعيد عن مراكز تموين الجيش المرابطي في بلنسية ومرسية ، وقرطبة لم يكن مشجعاً لخوض معركة حاسمة . ويذكر أيضاً أن الحرب التي دارت منذ دخول المرابطين الأندلس في جهات الثغرا الأعلى قد افنت زهرة قوادهم من أصحاب الخبرة والدراية أمثال سبرين أبي بكر ، ومزدلي ، وعبد الله ابن فاطمة ، ومع ذلك فان محمد عبد الله عنان يرجح سبباً رئيسياً آخر لهذا التقاعص ، وهو أن المرابطين أدركوا أنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بهذه المنطقة التي تحف بها الممالك النصرانية من كل جانب ، وأن الاحتفاظ بها سيكلفهم ثمناً باهظاً .

ويبدو أن هناك اسباباً أخرى غير تلك دفعت المرابطين لأن يلقوا هذا الموقف المزري من المدينة الشهيدة منها : حدوث بعض المشاكل الداخلية في العاصمة المرابطية مراكش ، ويظهر أن هذه الاضطرابات كان محورها ابن تومرت الداعية الجديد الذي وصل في هذه الفترة الى مراكش وأخذ يبت أفكاره وصايدته ، مما أحدث بلبلة في المدينة ودعا ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف الى جمع الملطاء اليه ومناظرته كما بينا في الفصل الخاص بثورة ابن تومرت . وهذا أيضاً ما أشار اليه حسين مؤنس * ٢ * عندما ذكر أن تميماً اشتبك مع النصارى المحاصرين لسرقسطة إلا أنه لم يستطع الاستمرار في القتال لأن أمور المرابطين اضطرت في مراكش فاضطر الى العودة اليها .

١ — عصر المرابطين والموحدين ، ص ٩٩ .

٢ — الثغرا الأعلى ، مج ١١ ، ق ٤ ، ص ١١٥ .

على أى حال اتخذ الفونسو المحارب من مدينة سرقسطه عاصمة له وأخذ ينظم شؤونها ، وحول المسجد الجامع فيها الى كنيسة سميت لاسيو (Laseo)
أوسان سالبادور (San Salvador) ، وجعل من سرقسطه مركز
اسقفيه ومنع سكانها النصرى امتيازات الأشراف كما عين جاستون دى بيارن سيدا —
للمدينة المفتوحة في ظل الفونسو " ١ " واستطاع النصرى باجراءاتهم هذه التى
قاموا بها في المدينة المفتوحة أن يمسخوا صورتها الاسلامية في فترة مكررة وأن يطبعوها
بالطابع النصراني " ٢ "

وعلى الرغم من هذه الاجراءات وما كان يعانى به المرابطون من مشاكل داخلية
في الأندلس والمغرب فقد بقي السرقسطيون طامعين في نجدة اخوانهم ، فتوالت
رسائلهم على أمير المسلمين علي بن يوسف في مراكش مصورين فيها ما يعانونه من
ظلم وعسف حاضين على المسارعة في نجدتهم . ومن هذه الرسائل تلك الرسالة
التي تفيض ألما ولوعة مزوجة بجور الأسر وذلة التي كتبها ثابت بن عبد الله على لسان
قاضي سرقسطة والجمهور الى الأمير أبي طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين عامل
الأندلس أمير المسلمين علي بن يوسف ومما جاء فيها ((. وعظم الخطب ،
وأظلمنا الهلاك والعاب فيا غوثاه ثم يا غوثاه الى الله ويا حمرته على خيرة
قد اشفت على سفر الهلاك ، طالما عمرت بالايان وازدهت باقامة الصلوات ، وتلاوة
القرآن ترجع مراتع للصلبان ومشاهد ذميمة لعبدة الأوثان ، وياويلاه على مسجد جامعها
المكرم ، وقد كان مانوسا بتلاوة القرآن المصظم تطؤه الكفرة الفساق بذميم اقدامها
. ويممروه بعبادة أصنامها ويتخذوه معاطن لخنازيرها ومواطن لخماراتهم

١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٠١ .

٢ — محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية ، ص ١٠٤ .

ومواخيرها)) " ١ " ثم يختم رسالته بتأكيد على أن سرقسطة ثغر من ثغور المسلمين الهامة التي يترتب على ضياعها ضياع بلاد المسلمين في الأندلس .

لقد جاءت هذه الرسالة بعد فوات الأوان ، فالنصارى استثمروا فوزهم في سرقسطة وتمكنوا عقب استيلائهم عليها بثلاث سنوات من احتلال طروكوه ، وقلعة أيوب ، ودرقه ، وتجردوا على بقية حصون الثغر الأعلى واستولى خلفاء الفونسو المحارب على أفرغه " ٢ " ، وبذلك أحكم تحصين سرقسطة ولم يعد من اليسير على المرابطين استردادها . وإذا أضفنا إلى ذلك ما كانت تعانيه دولة المرابطين من مشاكل داخلية خاصة من قبل محمد بن تومرت لأدركنا استحالة تلبية نداء اهالي سرقسطة .

وسقوط سرقسطة وما ترتب عليه من سقوط الثغر الأعلى كله فقد المرابطون خطا دفاعيا من أهم خطوطهم الدفاعية في الزاوية الشمالية الشرقية من جبهتهم الأندلسية مع النصارى في الوقت الذي ارتفعت فيه معنويات النصارى ، فقد شجعهم سقوط معقل الثغر الأعلى على الاندفاع نحو الأراضي الإسلامية لالتهام المزيد منها . لقد كان جنودهم يقاتلون بطرح معنوية عالية وحما من ديني مطلق النظير تذكية وترجحه مشاركة الاساقفة ورجال الدين في هذه الممارك الفاصلة مع المسلمين .

وانعكس سقوط سرقسطة في يد النصارى سلبا على المرابطين ، فخسروا الأرض وخسروا ثقة الرعية الأندلسية فيهم والتي أخذت تتمرد على سلطانهم محدثة اخراجهم من الأندلس . وقد تجسد ذلك من خلال الثورات المتوالية التي قاموا بها في هذه الآونة والتي تحدثنا عنها في الباب الأول .

-
- ١ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١ ، ق ٢ ، ص ١٢١ - ١٢٦ .
 - ٢ - المقال السابق نفسه ، ص ١١ ، ق ٢ ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

وبحق يعتبر سقوط سرقسطة بيد الفونسو المحارب عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م نقطة تحول في تاريخ المرابطين في الأندلس في الوقت الذي أصبح فيه نفس التاريخ (٥١٢ هـ / ١١١٨ م) نقطة تحول خطية في تاريخهم في المغرب بظهور محمد بن تومرت ، فبعد هذا التاريخ أخذ نجم المرابطين في الأفول وأخذ نفوذهم في الانحسار تحت مطارق النصارى من جانب ومطارق الموحديين من جانب آخر • فلم تفض سوى ثلاثين عاماً على سقوط سرقسطة في يد النصارى حتى سقطت مراكش في يد الموحدين وانطفأت بذلك شعلة المرابطين التي اعتقدت أكثر من ثمانين عاماً • لقد كانت مأساة سرقسطة بداية لسلسلة من الهزائم التي مني بها المرابطون على أيدي خصومهم في بلاد الحدود والأندلس •

بنو هود في روطه :-

=====

ونعود الآن الى الحديث عن بني هود في روطه التي لجأ اليها عماد الدولة بعد سقوط سرقسطة في يد المرابطين عام ٥٠٣ هـ / ١١١١ م ، وان كان ابن الكرد يوس يذكر أن عماد الدولة لجأ الى روطه بعد دخول النصارى لسرقسطة عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، وهي رواية فريدة لم تؤيدها أي رواية أخرى لذا لا يمكن الأخذ بها •

على أي حال كان بنو هود أيام عز دولتهم قد بنوا حصن روطه على بعد خمسة وثلاثين كيلومترا من سرقسطة ، وحصنوه وزودوه بالأقوات والسلاح والمياه الدائمة عن طريق حفر قناة تتصلبه من الوادي • وكان المستعين (الصغير) يقصد من تحصينه أن يكون ملجأ لبني هود عند الضرورة • " ٢ "

١ - تاريخ الأندلس ، ص ١١٩ •

٢ - ابن الكرد يوس : المصدر السابق ، ص ١١٩ - ١٢٠ - محمد عبد الله

عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٢٧ •

وأقام عماد الدولة من عام ٥٠٣ حتى عام ٥٢٤ هـ / ١١١١ م حتى ١١٣٠ م في روضة بعد سقوط عاصمته سرقسطة يرقب التلاحن بين المرابطين والنصارى على امتلاك سرقسطة ، فلما سقطت في يد الفونسو المحارب عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م وضع نفسه في خدمته واستمر على ذلك حتى وفاته . " ١ "

وكان عماد الدولة هذا ضعيفا شديدا الحرص على أن يبقى حاكما لمنطقته ، ولو كان ذلك على حساب كرامة المسلمين ، فحالف الفونسو المحارب ملك ارفونة " ٢ " دون أن يفكر في نتائج هذا التحالف وضراره على الجبهة الاسلامية ، ولم يفكر في أن الفونسو لن يقنع منه بالمال بل أن أهدافه أبعد من ذلك ترمي الى امتلاك جميع الأراضي الاسلامية في الأندلس لتعود الى نصرانياتها القديمة وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد .

وتضطرب الروايات حول تطور العلاقات بين حكام بني هود في روضة والممالك النصرانية ، وبالتالي تختلف في كيفية انتهاء ملكهم في هذه الإمارة التي كانت تشغل مساحة لا بأس بها تمتد شمالا حتى برجة الواقعة على مقربة من تطيلة .

لقد استمر عماد الدولة في حكم إمارته نحو من عشرين عاما حتى توفي في حصن روضة في شعبان عام ٥٢٤ هـ " ٣ " ، وخلفه في حكمها ابنه ابو جعفر أحمد الملقب بسيف الدولة ثم المستنصر بالله ثم المستعين بالله وهو آخر حكام بني هود فيها " ٤ " .

-
- ١ - محمد عبد الله عنان : دولة الطوائف ، ص ٢٨٢ .
 - ٢ - ابن الآبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ حاشية رقم ٣ .
 - ٣ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٢٧ .
 - ٤ - عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .

ويذكر ابن سعيد " ١ " أن المستعين بالله لما شعر بعدم استطاعته حماية أمارته سلمها إلى النصارى وعلى الرغم من إجماع المصادر على هذا التسليم إلا أنها تختلف فيها بينها حول ظروف هذا التسليم وتاريخ هذا التنازل .

فبعض الروايات تذكر أن الحاكم الجديد لروطة قد ضاق ذرعا من حليف والده الفونسو الجارح صاحب أرغونة فتركه ودخل في تبعية خصمه الفونسو السابع ملك قشتاله وتنازل له عن روضة مقابل منحه بعض الأراضي المجاورة لطيطلة بصفة إقطاع فيما بين ٥٢٥ و ٥٢٦ هـ / ١١٣٠ - ١١٣١ م " ٢ " ، ولكن ابن الأثير " ٣ " يذكر لنا ظروف التنازل بتفاصيل تختلف عما تقدم ويحدد تاريخ التنازل بحام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م ، كما يذكر أن الفونسو السابع دأب على غزو أراضي سيف الدولة في روضة حتى دوحها ، فأضعف سيف الدولة الذي عجز عن رد عاديته ، فاستقر رأيه على هالحته ، فسعت الرسل بينهما واستقر الأمر على أن تضع الحرب أوزارها مدة عشر سنوات وأن يسلم سيف الدولة إلى الفونسو السابع روضة ، فسلم الحصن له عام ٥٢٩ هـ ؛ ١١٣٤ م .

ويضع ابن الآبار " ٤ " ضمن شروط هذا الصلح تمويض سيف الدولة عن روضة من قبل الفونسو السابع بنصف مدينة طليطلة التي انتقل إليها بحشمه وأمواله وأقام بها إلى أن هلك . " ٥ "

-
- ١ - المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ .
 - ٢ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، مج ١١ ، ق ٢ ، ص ١١٨ - ١١٩ .
 - ٣ - الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣ .
 - ٤ - الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .
 - ٥ - رزق الله المدني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٨ .

وينقل لنا محمد عبد الله عنان "١" عن بعض الروايات اللاتينية والتي تعرف سيف الدولة معرفة جيدة وتسمية اسفاد ولا ما نصه أن سيف الدولة عندما اشتد عليه ضغط المرابطين أرسل الرسل إلى ملك قشتالة يعرض عليه فكرة التحالف والانضواء تحت لوائه ، وأنه قام بزيارة الملك النصراني في طليطلة الذي عامله معاملة الملوك فتنازل له عن روضة وغيرها من المواقع المنيعه واعطاه مقابل ذلك عدة اماكن في قشتالة وليون عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م .

اما ابن الكرد يوس "٢" فيذكر أن الفونسو السابع اتصل بسيف الدولة فسي روضة وعرض عليه أن يرحل من روضة ويعوضه بدلا عنها اراضى في قشتالة فقال له : ((ارحل عن روضة واعوضك عنها بقشتالة ما هو أحسن وأفيد وتقرب من غرب الأندلس ، وأخرج معك بنفسى واجنادى ، وابطالى وأطوف معك على تلك البلاد وندعوهم إلى طاعتك فمن أجابك ودخل في جماعتك تركت عنده ثقاتك ولستمعلمت عليه ولا تسك وأمنته أنا من غارات الروم ، وكنت لهم كالأب المشفق الرحيم فأرجو أن لا يتوقف عن اجابتك أحد ان قد أنقذهم المرابطون العذاب الأشد فكرهم جميع مودهم أن يضحى ملكهم وهو صريح ، ولو ظفرت بك ما أبقوا منهم بشرا في نادى بهم ان لم يبق لهم في ابنا ، الأملاك أحد سواك)) . فأجابه سيف الدولة لذلك وتنازل له عن روضة وأمر له بقشتالة من قرى ومزارع وأرضين ذات مراجم ثم خرج معه إلى غرب الأندلس في جيوشه فما استجابت لدعوة سيف الدولة أية قرية لأنهم خافوا ان أطاعوه أن يغلبه العدو ويمتلكهم فرجع خاسر الصفقة .

١ - عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

٢ - تاريخ الأندلس ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

ويرى محمد عبد الله عنان "١" في ضوء الرواية السابقة أن الفونسو السابع كان يقصد من وراء تشجيع سيف الدولة في اقامة دولة له في غرب الأندلس متاخمة لقشتالة من ناحية الجنوب الغربي ان يجعل منها قاعدة امامية لعدوانه على الاراضي الاسلامية ، وأن تكون هذه الدولة رأس ربح موجه الى الجبهة الاسلامية .

ويضع ابن الآبار "٢" تاريخ تنازل سيف الدولة عن روضة لألفونسو السابع في شهر ذي القعدة عام ٥٣٤ هـ . ولكن يبدو أن التنازل عن روضة حدث في السنوات الأولى من حكم سيف الدولة لأننا نجد اسمه قائدا لأحد جيوش الفونسو السابع التي قامت بحملتها المخربة في الأندلس عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م والتي وصلت الى احواز اشبيلية . "٣"

ومن البدهي أن لا يركن الفونسو السابع لسيف الدولة وأن يوكل اليه قيادة إحدى حملاته الا بعد ان اختبره خلال مدة لا بأس بها ، ومن ثم فمن المرجح أن يكون تاريخ التنازل ما بين ٥٢٤ هـ و ٥٢٩ هـ / ١١٢٩ و ١١٤٤ م .

وبقي سيف الدولة بعد أن فشل هو وسيداه الفونسو السابع في اقامة امارة في غربي الأندلس يستغل الاراضي التي اقطعت له في نواحي طليطلة لمدة عشر سنوات انتهت في عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م "٤" وفي عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م قتل سيف الدولة في موقعة اللج قرب جنجالة في شرقي الأندلس عند بلنسية في إحدى معاركه مع الروم المغيرين على تلك النواحي . "٥"

١ - عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٠ .

٢ - الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ - ابن الخطيب : الاخطاه ، ج ٣ ، ص ٤٣٤ ، حاشية رقم ١ - محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٨٣ - الآثار الأندلسية الباقية ، ص ١١٣ .

٣ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٤١ - ١٤٢ .
(نقلا عن ابن عذاري وروايات نصرانية) .

٤ - ابن الآبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ، حاشية رقم ٣ .
٥ - عبد الرحمن الحجي : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ ، ويكمل =

وموافاة سيف الدولة وتنازله عن روضة لألفونسو السابع يسدل الستار على دولة بني هود في الثغر الأعظم ليصودوا إلى الثورة من جديد في عهد الموحيدين " ١ " .

وهكذا عشنا مع أحداث الثغر الأعظم في أوج سلطان بني هود فيه ، وفي مرحلة الضعف والعمالة مع النصارى ، ورأينا تذبذب العلاقات المرابطية مع حكام بني هود حتى انتهى الأمر إلى اجتلال المرابطين لسرقسطة ، ثم رأينا كيف أن المرابطين لم يستطيعوا حمايتها فترة طويلة فسقطت في يد النصارى عام ٥١٦ هـ / ١١١٨ م .

وما تلا ذلك من انحسار النفوذ المرابطي في الثغر الأعظم حتى خرجوا منه ، وكيف أن المرابطين بسبب مشاكلهم الداخلية في المغرب لم يستطيعوا اجابة استغاثات أهل سرقسطة بعد أن ملكهم الفونسو المحارب ، ثم رأينا أخيراً عمالة سيف الدولة الذي أصبح عبداً طائعاً للنصارى يشترك معهم في غاراتهم المخزية على أراضي المسلمين .

ومن المصادفات الغريبة أن يوافق مقتل سيف الدولة في عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م نفس الفترة التي كانت فيه الدولة المرابطية تلفظ أنفاسها الأخيرة ، إذ بعد عام واحد سقطت مراكش في يد الموحيدين وكان القدر قد انزل عقابه على بني هود والمرابطين لتفرقهم وتنازعهم وتناحرهم مما كان سبباً لبوادهم وانقراضهم .

=====

- = رزق الله الصديقي (تاريخ دول الاسلام ج ٢ ص ٢٨ - ٢٩)
تاريخ وفاته عام ٥٣٦ هـ .
- ١ - رزق الله الصديقي : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨ - ٢٩ ،
(ظهر منهم محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان
المستعين بن هود) .

الفصل الثاني

العلاقات السياسية للمرايطيين مع

الدول الإسلامية في المغرب والمشرق

١ — العلاقات المرابطية مع امارة بني زيري في افريقية (تونس)

=====

كانت الظروف مواتية في عهد يوسف بن تاشفين لضم امارة بني زيري في افريقية الى دولة المرابطين ولكنه فضل سياسة المهادنة مع امرائها لعدة اعتبارات منها :
كون بني زيري سنة على المذهب المالكي ، ومن ناحية أخرى انهم ينحدرون من
صنهاجة القبيلة الأم أيضا للمتونه . " ١ "

هذا وقد تفرع من دولة بني زيري في عهد أميرها المنصور بن يوسف بلكين
دولة بني حماد في الجزائر ، وذلك بعد ان استقل بها اخوة حماد بن يوسف
بلكين بها في عام ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م وكون بها امارة مستقلة نسبت اليه . وغالبا
ما اتسمت العلاقات بين الامارتين بالعداء الا ان اواصر القربى والانتماء الاسرى
كانت كثيرا ما تخفف من حدة هذا العداء . وكان حماد قد سبق بني زيري في خلع
طاعة الفاطميين واقامة الخطبة باسم الخليفة العباسي القادر بالله أبو العباس واعلن
العودة الى مذهب مالك وذلك في سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م . وأما بنو زيري فقد —
عادوا الى مذهب مالك بعد ان خلع اميرهم المعز بن باديس في عام ٤٤٣ هـ / ١٠٥٢ م
طاعة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، واقام الخطبة باسم الخليفة العباسي القائم
بأمر الله . " ٢ "

وقد اتسمت علاقات المرابطين بالحماديين بالعداء على الرغم من صلة الجوار
التي تجمع بينهما ، بينما اتسمت علاقاتهم ببني زيري في تونس بالود . وكيفما
كانت طبيعة هذه العلاقات بين بنو زيري في تونس ، وبنو حماد في الجزائر فان —

١ — خليل ابراهيم صالح البشير : علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالاندلس
والدول الاسلامية ، ص ٣٥٤ — ٣٥٧ * (رسالة دكتوراه لم تطبع) .

٢ — نفس المرجع السابق والصفحات .

انشغال المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين بحروب الاندلس وتوطيد نفوذهم فيها وكذلك في الجنوب المغربي هو الذي حال دون توسع المرابطين في المغربيين الأوسط والادنى على حساب الصنهاجيين ، وجعلت علاقات المرابطين بالصنهاجيين عامة تتسم بالود . وفي المقابل فان هذه السياسة الودية هي التي جعلت الصنهاجيين يمدون المرابطين بالعموم عندما طارد قواتهم عبد المؤمن بن علي فسي نواحي وهران وتلمسان ، ولكن هذه المساعدات لم تؤثر على مجرى الاحداث ولم تحل دون الانتصار النهائي للموحدين على المرابطين . " ١ "

وفيما يختص ببني زيري في تونس فقد كانت علاقات يوسف بن تاشفين بهم طيبة ، وقد تحلى ذلك في تبادل الرسائل بينهم والتي كانت تحمل انباء انتصارات المرابطين على الاسبان النصارى ، فبعد انتصار يوسف بن تاشفين في موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦ م ارسل الى الامير تميم بن المعز بن باديس (٤٥٣ - ٥٠١هـ / ١٠٦١ - ١١٠٧ م) يخبره بذلك . " ٢ "

ويبدو أن هذه العلاقات الطيبة استمرت حتى وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠هـ / ١١٠٦ م على افضل ما يكون ، بل وتوثقت اكثر في عهد علي بن يوسف خاصة بعد أن فشلت الحملة البحرية التي جردها روجر الثاني ملك النورمان في عام ٥١١هـ / ١١١٢ م لمساعدة رافع عامل الامير علي بن يحيى (٥٠٩ - ٥١٥هـ / ١١١٥ - ١١٢١ م) على مدينة قابس ، والذي كان قد خرج عليه . فقد قام الامير علي بن يحيى بالاتصال بعلي بن يوسف لوضع الخطط المشتركة لمواجهة الخطر النورماني . " ٣ "

١ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

٢ - خليل صالح البشير : المرجع السابق ، ص ٣٧١ .

٣ - نفس المرجع السابق والصفحة .

كما أدت هذه الحملة الى أن يدرك المرابطون مدى الخطر المقترب على دولتهم من وجود النورمان وقوتهم البحرية الضخمة في صقلية ، ولذلك وجه المرابطون اسطولهم بقيادة أبي عبد الله محمد بن ميمون عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م الى جزيرة صقلية فافتتح منها مدينة نقوطره (وطاسمحممير بالبحير) من الفنائم والميهايا . وقد أيقن روجر الثاني أن هذه الغزوة لصقلية هي من تحريض صاحب المهدية الأمير الحسن بن علي ، عندها قام باعداد حملة ضخمة بقيادة جرجي بن ميخائيل الأنطاكي بقصد احتلال المهدية ، وقد وصل الأسطول النورماني المكون من ثلاثمائة سفينة تحفل على ظهرها نحو ألف فارس في أواخر جفادى الأولى من عام ٥١٧ هـ الى ساحل أفريقية . وبعد أن فتح النورمان جزيرة قوصره " ١ " قصدوا المهدية حيث حققوا بعض النجاحات إلا أن الدائرة دارت عليهم وعاد من سلم الى صقلية " ٢ " .

وبعد عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م أصبحت دولة المرابطين عاجزة عن تقديم أية مساعدة لصاحب المهدية ، وكان من نتيجة ذلك أن تعرضت السواحل التونسية الى هجمات متكررة من الأسطول النورماني الذى توج انتصاراته بدخول جزيرة جربة عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ، والمهدية عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م " ٣ " .

-
- ١ - جزيرة صغيرة لا تزيد مساحتها على ١٠٠ كم تقع بين صقلية وتونس ، وتبعد عن الأولى ١٠٠ كم ، وعن الثانية ٧٠ كم ، فتحها المسلمون أيام عبد الملك ابن مروان ، وهي اليوم تتبع لايطاليا رغم قربها من تونس وتعرف باتنيليرا : انظر : الحميرى : المصدر السابق ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ - محمود شاكر : المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية ، ص ٢٥ .
 - ٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٥ - ٦٨ - ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦١١ - ٦١٢ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٦٧٨ - ٦٧٩ - خليل ابراهيم صالح البشير : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ - ٣٧٥ .
 - ٣ - خليل ابراهيم صالح البشير : المرجع السابق ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

أما بالنسبة للعلاقات المرابطية الحمادية، فكان يغلب عليها طابع الصداقة حتى وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م ، ولعل أبرز مثال على سوء العلاقات في هذه الفترة أن الحماديين استغلوا انشغال يوسف بن تاشفين بالنصارى في معركة الزلاقة وتحالفوا مع قبائل بني هلال لمهاجمة الأراضي المرابطية. إلا أن يوسف فوت عليهم ذلك برجوعه بسرعة متناهية بعد انتهاء المعركة ، وقام بتحصين المغرب الأوسط والأقصى ، ثم بعث برسالة إلى الأمير الحمادي الناصر بن غناس (٤٥٤ — ٤٨١ هـ / ١٠٦٢ — ١٠٨٨ م) يعاتبه على فعلته ، وفي عام ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م حاول المنصور بن الناصر الحمادي (٤٨١ — ٤٩٨ هـ / ١٠٨٨ — ١١٠٤ م) أن يسترجع مدينة تلمسان من يد المرابطين إلا أنه فشل في ذلك ، ولكن بعد عام ٥٠٠ هـ / ١١٢٦ م تحسنت العلاقات بين الطرفين خاصة بعد ظهور محمد بن تومرت لشعور الطرفين بالخطر المشترك ، لذا نجد أن المرابطين يستجدون بالحماديين لصد هجمات الموحدين عندما اشتد خطرهم فلم يتوانى الحماديون في إرسال قواتهم لمساعدة تاشفين بن علي الذي اشتبك مع القوات الموحدية في معركة عنيفة إلا أنه هزم فيها ويبدو أن سبب الهزيمة كان بسبب تواطؤ قائد قوات الخطابين طاهر بن لباب مع عبد المؤمن بن علي قائد الموحدين ، إذ اتصل الأول بالثاني بطريقة سرية وأدلى له الولاء " ١ " ، وبعد هذا الحادث بقليل سقطت الدولة المرابطية .

ب — علاقات المرابطين مع الدولة العباسية

=====

رأينا في التمهيد، كيف كان العالم الاسلامي منقسما على نفسه، يعتريه الضعف وتفوق الكلمة نتيجة للصراعات المذهبية، خاصة بين الشيعة والسنة، وكيف أضحت الخلافة العباسية اسيرة لسلطان السلاجقة، وهذا الخليفة العباسي مطلوب السلطة، الا انه مع ذلك بقي رمزا للخلافة الاسلامية السنية تتجه اليه الأنظار وتقام باسمه الخطبة من فوق المنابر.

وكذلك كانت الخلافة الفاطمية قد دخلت دورها الثاني وهو دور الضعف والانحلال، وانتقلت السلطة من الخلفاء الى الوزراء، وانقسم البيت الفاطمي على نفسه، ودخلوا في صراعات مريرة. ١٠

ولكن على الرغم من وهن الخلافتين العباسية والفاطمية في الفترة المعاصرة لدولة المرابطين فقد كانت الدعوة لاحداهما تعني تبني اتجاه مذهبي معين واتباع سياسة تتماشى والاعتقاف بالتبعية لهذه الخلافة أو تلك، وان كانت هذه التبعية امرا صوريا بحتا لم يكن له أية قيمة من حيث تمتع الدول الاسلامية التي استقلت عن سلطان العباسيين أو الفاطميين بسلطانها الفعلي في بلادها.

وكان المغرب كما هو معلوم مركز الخلافة الفاطمية الأول الذي انتقلت منه الى مصر، ولذلك كان أهل المغرب منقسمين على انفسهم، فقسم منهم يؤيد الخلافة العباسية وهم السنة المالكية، وقسم ^{آخر} يؤيد الخلافة الفاطمية، وهم الشيعة الذين تأثروا بالدعاة الفاطميين خلال اقامتهم بين ظهرا نبيهم. فخطب حكام دولة بني زيري، وبني حماد للخلافة الفاطمية فترة من الزمن ثم تخلوا عن الخلافة الفاطمية وأعلنوا ولاءهم للخلافة العباسية كما أشرنا مسبقا. وكان انقسام أهل المغرب الى سنة وشيعة يعني من الناحية السياسية أن قيام دولة قوية في بلاد المغرب على مذهب السنة أو الشيعة، انما كان يعني تغييرا كبيرا في ميزان القوى.

ابن ياسين لم يلقب الا بالألقاب التالية : (الامام ، والشيخ ، والفقير) ، وكذلك خلفاءه لم يلقبوا بأمر المؤمنين بل لقبوا ، بالأمير ، وأمير المغرب ، وأمير المسلمين " ١ " ، في حين أن عددا لا بأس به من خلفاء الدولة العباسية قد تلقبوا أو سموا بحمد الله ومن أمثلة ذلك : (السفاح : عبد الله بن محمد بن علي ، والمهدي : أبو عبد الله محمد بن المنصور ، والأمين : محمد أبو عبد الله ، والمأمون أبو عبد الله ، والمنتصر بالله : محمد أبو عبد الله ، والمعتز بالله : أبو عبد الله ، والمهتدي بالله : محمد أبو عبد الله ، والمستكفي بالله عبد الله) . بل أن الخلفاء المعاصرين للدولة المرابطية كانت أسماءهم عبد الله أو كانوا يكون بأبي عبد الله ، فالقائم بأمر الله عبد الله (٤٢٢ — ٤٦٧ هـ / ١٠٣٠ — ١٠٧٤ م) ، والمقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد المتوفى عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م . " ٢ "

ومما يدعم ما ورد على السكة من أن المقصود هو الخليفة العباسي أن الخليفة المستظهر بالله لقب نفسه بحمد الله في الرسالة التي بعثها إلى علي بن يوسف " ٣ " على الرغم من أن اسمه المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله . " ٤ " ويتصدر ابن الأثير " ٥ " والمراكشي " ٦ " والساوي " ٧ " الفريق

-
- ١ — خليل إبراهيم صالح البشير : المرجع السابق ، ص ٣٨٤ .
 - ٢ — المرجع السابق نفسه ، ص ٣٨٧ .
 - ٣ — إبراهيم حرركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ .
 - ٤ — السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٦٧٨ .
 - ٥ — الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٥٥ ، ٤١٧ .
 - ٦ — المعجب ، ص ١٤٧ .
 - ٧ — الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

الذي يؤكد على أن الاعتراف بالخلافة العباسية من قبل حكام المرابطين لم يتم إلا في عهد يوسف بن تاشفين الذي استجاب لرغبة علماء وفقهاء ووجهاء رعيته الذين خاطبوه بوجوب الاعتراف بالخليفة العباسي لتجب طاعته .

وتختلف الروايات حول بداية العلاقات بين يوسف بن تاشفين والخلافة العباسية ، ولكنها تجمع على أنها كانت علاقات طيبة . وهذا ما أكدته ابن عذاري " ١ " عندما أورد رفض يوسف لاقتراح أشياخ القبائل عليه في عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م بأن يلقب بأمير المؤمنين فرد عليهم بقوله : ((..... حاشا لله أن اتسمى بهذا الاسم إنما يتسمى به الخلفاء وأنا راجل الخليفة العباسي والقائم بدعوته في بلاد المغرب)) .

وفي عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م وصل إلى يوسف بن تاشفين خبر وفاة الخليفة العباسي القائم بأمر الله وسبعة الخليفة القادر بالله في الثالث عشر لشعبان من السنة المذكورة " ٢ " . ويحدد السيوطي " ٣ " تاريخ بداية الصلات بين الطرفين بعام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م فيذكر أنه في هذه السنة بعث صاحب سبته ومراكش إلى الخليفة العباسي يطلب منه أن يسلطه على ما تحتيده من البلاد فرحب الخليفة العباسي بذلك وبعث إليه بالخلق والأعلام ، والتقليد ولقبه بأمير المسلمين ففرح بذلك وسربه فقهاء المغرب . . وهناك من يحدد بدايته هذه العلاقات بعام ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م " ٤ " ومن يحددها بعام

-
- ١ - البيان المغرب ج ٤ ص ٢٧ .
 - ٢ - ابن عذاري : المصدر السابق ج ٤ ص ٢٨ .
 - ٣ - تاريخ الخلفاء ص ٦٧٥ .
 - ٤ - حسين مؤنس : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ج ٢ ص ١ - ٢ ١٩٥٤ ص ٦٣ - ٦٥ .

٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م عندما بحث يوسف بن تاشفين بحثة دبلوماسيه مكونة من عبد الله بن العربي ونجله القاضي أبي بكر إلى أبي المباس أحمد المستظهر بالله الخليفة العباسي في بغداد الذي استقبل الوفد في عام ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م "١" بحضور الوزير العباسي ابن جهير "٢" ، وقد أسفرت المقابلة عن اعتراف الخليفة العباسي بشرعية إمارة يوسف بن تاشفين وعاد الوفد يحمل التقليد لـه وحاملا اليه أيضا رسائل من أبي حامد الغزالي ، والطرطوشي يحثانه فيها على مواصلة خدمة الاسلام والمسلمين ويفتيانه في الحكم على ملوك الطوائف بوجود الخلف . "٣"

ولما ورد التقليد إلى يوسف بن تاشفين من الخليفة المستظهر بالله ضرب السكة باسمه "٤" ، واتخذ السواد شعارا للمرابطين في ملابسهم واعلامهم كما أقام الخطبة له على منابر بلاده . "٥"

- ١ - خليل ابراهيم صالح البشير : المرجع السابق ، ص ٣٩٠ - ومن الجدير بالذكر أن رحلة ابن العربي بدأت في يوم الأحد مستهل ربيع الأول من سنة ٤٨٥ هـ وانتهت عام ٤٩٣ هـ ، انظر : عبد الجليل الطيار : الدراسات اللغوية في الأندلس ، ص ١٦ .
- ٢ - عبد الهادي التازي : جامع القرويين ، ج ١ ، ص ١٤٣ حاشية رقم ١٠٥
- ٣ - ابراهيم حرکات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠١ - ١٠٢
- ٤ - عبد النبي محمد : المرجع السابق : انظر (الجدول) - سرهنك : دول البحار ، ج ١ ، ص ٢٩٠ ،
- ٥ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٣١٤ .

ومقيت العلاقات المرابطية العباسية طيبة طوال حياة يوسف بن تاشفين ،
وآخر إشارة تدل على ذلك تعود الى عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م عندما بحث يوسف
ابن تاشفين رسالة الى المستظهر بالله العباسي يخبره فيها أنه خطب له على
منابر مملكته ويطلب منه الخلع والتقليد فبحث اليه بما طلب . " ١ "

ويظهر من الرواية السابقة أن يوسف بن تاشفين كان يرسل بين الفينة
والفينة رسائله الى الخليفة العباسي لتجديد العهد له وتوكيده اواصر العلاقات
الطيبة بينهما .

وفي عهد علي بن يوسف غلب على العلاقات المرابطية العباسية طابع
الود والألفة وهذا يتضح من خلال الرسائل المتبادلة بين الطرفين التي كان
يؤكد فيها أمير المسلمين علي بن يوسف على حرصه على التبعية للخليفة العباسي
واخباره بأوضاع بلاده وما يقوم به من جهاد ضد الأعداء وحرصه على نشر
العدل والمساواة بين رعيته .

وقد دأب الباحثون عند الإشارة لهذه العلاقات على الاستشهاد بالبرود
العباسية دون ايراد اية رسالة صادرة عن أمير المسلمين علي بن يوسف الى
الخليفة العباسي ، وكان البحث بحمد الله اسفر عن العثور على رسالة موجهة
من علي بن يوسف الى الخليفة المستظهر بالله العباسي والتي يمكن أن نعتبرها
نموذجاً لرسائله للحضرة العباسية .

ويبدو أن المكاتبات بين أمير المسلمين علي بن يوسف والخلافة العباسية
تعود الى فترة مبكرة من حكمه ، وهذا ما يرجحه الدكتور حسين مؤنس مستشهداً
برسالة موجهة من الخليفة العباسي المستظهر بالله الى علي بن يوسف ، وهي
بدون تاريخ ، ولكنه يرجح أنها كتبت في السنة الأولى من حكم علي بن يوسف

١ - ابن تفرى بردي : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٩١ .

سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م هـ وهي جواب على كتاب ارسله علي بن يوسف يطلب فيه التقليد فرد عليه الخليفة العباسي بما طلب هـ وأوصاه بالاستمرار في الجهاد في سبيل الله. ومن فصول هذه الرسالة : ((من عهد الله أبينسي العباس المستظهر بالله أمير المؤمنين الى تميم الدولة العباسية وزعيم جيوشها المغربية علي بن يوسف بن تاشفي هـ . . . أما بعد فالحمد لله مقدما على كل قال هـ . . . وعرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك الموضح لاختلاف عقيدك هـ المطبوع بطابع الدين المعربة عن تمسك بحمل الله مثنين وتجرد للدفاع عن الاسلام والمسلمين ، ومع اعراض العاجلة بالمغفرة من رب العالمين ، وأعلن بالدعاء لأمر المؤمنين على ذوائب المطاير تكن الظافر بالاعداء والظاهر)) " ١ " .

ومن الرسائل التي بعث بها علي بن يوسف الى الخليفة العباسي المستظهر بالله رسالة يبدو أنها كتبت بعد أن جاءه التقليد من بغداد هـ فهو يؤكد فيها على تمسكه بولائه للخلافة العباسية ومخبرا اياه بحال بلاده واستمراره في اقامة الحق ومقاومة الأعداء عن ثغور المسلمين والرسالة غير مؤرخة هـ ويظهر انها ارسلت بين عامي ٥١١ هـ و ٥١٢ هـ / ١١١٧ م و ١١١٨ م هـ وذلك على ضوء رسالة ارسلت من قبل الخليفة العباسي المستظهر بالله عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م يظهر انها كانت ردا على الرسالة تلك والتي سنورد بعضا من فصولها بعد رسالة أمير المسلمين علي التي من فصولها : ((. ونسأله الصلاة على محمد رسول الله المنتخب للباب من أكرم الأنساب وأن يختص حضرة أمير المؤمنين سليل الخلائف بصفايا الموارف ويجمع على الأقدار بحقها والاعتزاز بفضلها كلمة المخالف والمخالف وعقيدة المتجانف والموافق عن أوفى عهد وأقوى عقد في التمسك بعلائق طاعتها والتقليد لقلائد امامتها بعد أن وصل اليه

١ — حسين مؤنس : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم فسي

كتابها العزيز من مراسمها العاليه على أنه ما زال يحمل مشايعتها ومبايعتها معتصما ومعلما أمامها وخلافتها معلما والاحكام سنتها المادلة متقلدا ملتزمًا وفي مجاهدة اعداء الدين وحماية ارجاء المسلمين مجتهدا يشيد بالدعاء لها على منابر بلاده)) " ١ " ثم يوضح اليه أنه جعل تقوى الله تعالى اساسا لسياسته ومعاملاته وجعل القرآن والسنة دستورًا لدولته ، وأنه قطع دابر الظلم ومخبط اعمال مملكته ، ووفر الجند من أجل الجهاد في سبيل الله ففضى على أطماع الكفار في بلاد المسلمين عازيا ما تتمتع به بلاده من أمن وقوة الى بركة تبعيته الى الخلافة العباسية .

وفي عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م رد الخليفة العباسي ^{فيما بعد} على رسالة أمير المسلمين ^{السابقه} ومما جاء فيها بعد المقدمات التقليدية : ((. . . وأما ما أنهيتكم من توفير الأجناد ومثابرتكم على الجهاد لدفع ادناس الكفره فيما يليك من البلاد فانك وطأفتك من " حزب الله وحزب الله هم الغالبون " . . . وتجرد للدفاع عن الاسلام والمسلمين وحطم صاعدك في نحور اعداء الله الكافرين ، وأعلن بالدعاء لأئمة المؤمنين على المنابر تكن الظافر بالأعداء . . . " ٢ " ويبدو أن تلك العلاقات التي رأيناها تقيية صافية بين الدولة المرابطيه والدولة العباسيه في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ومداية عهد علي بن يوسف قد طرأ عليها بعض التخخير في أواخر عهد علي بن يوسف إذ أننا لم نجد اسم الخليفة العباسي على دينار ضربه الأمير تاشفين ولي عهد علي بن يوسف " ٣ " ، وهذا ما أكدته المراكشي " ٤ " عندما قال : " وانقطعت الدعوة بالمغرب لبني العباس بموت أمير المسلمين وابنه " .

-
- ١ — محمد بن ابراهيم بن خير الموعاني الاشبيلي : ربحان الألباب وريحان الشباب في مراتب الآداب ، ورقة ٣٥ ب ، ١٣٦ (انظر الرسالة في الملاحق) .
 - ٢ — مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ٨٨ — ٨٩ .
 - ٣ — محمد ولد داداه : المرجع السابق ، ص ١١٣ .
 - ٤ — المصجب ، ص ٢٧٢ .

ج — علاقات المرابطين مع الدولة الفاطمية

=====

لم يفكر المرابطون في الاعتراف بالخليفة الفاطمي في القاهرة لسبب
اعتقادهم في الفاطميين فيهم ولعداوتهم لهم . وهذا يتفق مع موقف الدولة
المباسية التي يخطبون باسمها في المغرب فقد كانوا ينظرون إلى الخليفة المباسي
على أنه الخليفة الشرعي الذي يجب أن يخطب له على منابرهم ، وفي المقابل
كانوا لا يعترفون بشرعية خلافة الفاطميين (١).

وحاول أمير الجيوش بدر الجمالي تحسين علاقاته مع الفخاريه إلا أنهم
لم يعملوا إليه ، وعندها أمر بقتل من ظفريه منهم . ولكن ابنه الأفضل بن بدر
الجمالي نجح في استقطاب الفخاريه إلى بلاده ، ولحسن معاملته لهم أخذ
المديد منهم يرحلون إلى مصر ، وقد شارك بعضهم في حروب الأفضل ضد
الصليبيين ، فيذكر في هذا الصدد أن رجلين أحدهما يلقب بالفتية قد حضرا
مع الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش بمصر مؤتمرا مع الإفنج "٢" ، وأبليسا
بلاء حسنا ثم توجه الفتية إلى بغداد فوعظ في جامع القصر واجتمع له العالم العظيم
وكان يعظ وهو مثلث "٣" لا يظهر منه غير عينيه "٤" .
ويظهر أن هيمنة الفاطميين في مصر على طريق جميع المغرب والأندلس
إلى مكة وخاصة بعد نجاح الصليبيين في إقامة ملكة بيت المقدس والسيطرة على

١ — ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤١٤ .

٢ — محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٥٩ .

٣ — هذا يعني أنه من المرابطين لأنه من عادتهم التلمس .

٤ — ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤١٤ .

الكرك اضافة لسيطرة الفاطميين على العجاز في فترات مقطعة " ١ " ، جمل
المرابطين ينجحون الى سياسة مسالمة الخلافة الفاطمية ليضمنوا سلامة حجاجهم ،
وهذا ما دلت عليه احدى الوثائق التي عثرت عليها وهي عبارة عن رسالة موجهة
من قهل علي بن يوسف بن تاشفين الى الأفضل بن بدر الجمالي يخبره فيها عن
أحوال الدولة المرابطية ، وما حققه من انتصارات على الممالك النصرانية خاصة مملكة
برشلونة ثم يثني على الأفضل بن بدر الجمالي وعلى خدماته التي يقدمها للحجاج
المارين في هرو ويوصيه على شخصية كريمة من المرابطين اشتهرت في الجهاد تريد
الحج الى بيت الله الحرام ، وزيارة المدينة المنورة ، وتعود أهمية هذه
الوثيقة الى أنها الوحيدة التي نملكها عن العلاقات المرابطية الفاطمية .

ومن فصول رسالة أمير المسلمين علي بن يوسف الى الأفضل بن بدر الجمالي ،
" الى الأفضل صاحب هرو من حضرة المضرب مقر سلطاننا
اشرقولنا من الفزوة الطافية وقد حسنت لنا آثار وأناخت جيوشنا بمد ينة
برجلونه أعزهم بلادهم دارا وأجلها مقدارا ولما كان بيننا وبين حضرتهم
الكريمة وجب أن تهدي اليها حتى أمكننا رسول وتأتي لنا في مطالعتها سؤل
جملا من أخبارنا ولما من آثارنا ويتأدى كتابنا غدا الى حضرة العزيزة ..
من يد فلان وأحد كهزأ اسرتنا وأعيانها رأى أن ينتقل من حسن
الى حسن وأن يجمع بين الفزوة والحج " ٢ " .

-
- ١ - محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣٦ .
 - ٢ - ابن خيرة المواعيني : المصدر السابق ، ورقة ٣٦ ، انظر الرسالة
كاملة في الملاحق .

الباب الثالث

جهاد علي بن يوسف بن تاشفين ضد الممالك والأمارات الأسبانية والنصرانية

الفصل الأول

- جهاده ضد مملكة قشتالة وقلمريسه -

لقد اتخذ الصراع بين النصارى والمسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية صفته

الجهاد المقدس من قبل المسلمين ، وصفة حركة الاسترداد من قبل النصارى ،

وكان كل طرف يجمع بأن يسود دينه في هذه الرقعة ، وقد استطاع الهلال ان

يرتفع على الصليب عدة قرون بفضل جهود حكام الأندلس المخلصين . وكان الأمير

هشام بن عبد الرحمن (١٧٢ - ١٨٠ هـ / ٧٨٩ - ٧٩٦ م) أول من بدأ

حركة الجهاد ضد الجليقيين فكان أول من جهز الصوافي والشواتي ضدهم ،

وانزل بهم في سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م هزيمة منكرة والحق بهم خسائر كبيرة ففي

الارواح والمتاد في معركتين كبيرتين " ١ " . وتمكن ابنه الحكم بن هشام

الريضي (١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢ م) من تحقيق انتصارات رائمة

عليهم عام ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م ، وكذلك نجح في التصدي لجيوش الفرنجيه

بقيادة لويس بن شارلمان عام ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م عندما حاولت احتلال مدينة

طرطوشه وفي عام ١٩٧ هـ / ٨١٣ م ، افتتح عدة حصون ، وفي العام التالي

أغار على اراضي برشلونه " ٢ " ، أما عبد الرحمن الأوسط فلم يكن أقل حماسا

للجهاد من سابقه ، فتصدى للنورمان في عام ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م بكل بسالة

واجلاهم عن الأندلس ، وقام أيضا بعدة حملات ناجحة في اعوام ٢٠٨ هـ ، ٢١٠ هـ ،

٢١١ هـ ، ٢١٢ هـ ، ٢٢٤ هـ ، ضد الاسبان النصارى وكبدهم خسائر فادحة .

وتابع الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٣٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦٢ م) جهاده

للمملك الاسبانية النصرانية بحماس ملقطح النظير فبعد أن نجح في توحيد جبهته

١ - كانت الموقعة الأولى عند ألبه ، والثانية مع برمودا الكبير ملك استوريش عند

نهر بوريا انظر السيد عبد الميز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في

الاندلس ص ٢١٦ .

٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

٣ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

الداخلية ، أخذ يجهش الجيوش ويقودها في بعض الأحيان بنفسه ضد هذه الممالك حتى دوحها وأذفنت له بالطاعة ، وهادنته ، ومعثت اليه بالسفارات والهدايا لخطب وده ليك عن غزو بلادها . " ١ "

أما المنصور بن أبي عامر فلم تشغله أمور الدولة عن الجهاد ، فقام بخمسين غزوة ضد الممالك النصرانية لم تنكس له فيها رايه ، ففرض في قلوب اعدائه الذعر والهلع وشرد جيوشهم ، وهدم حصونهم ومعقلهم ، وأذلهم بانتصاراته العديدة وغزواته المتكررة ، ففي عام ٣٧١ هـ / ٩٠١١ م تمكن من اسقاط سموره في جنوب مملكة ليون ، وكذلك تمكن من الاستيلاء على برشلونه واحرقها ، وفي عام ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م وصل الى شنت ياقوب في كوستلا ، والتي تعتبر الثالثة المواضع التي يقصدها الحجاج النصارى ، بعد بيت المقدس وروما ، ولكنه لم يتعرض للكنيسة نفسها التي يدعي الاسبان النصارى ان القديس يعقوب مدفون بها ، وفي عام ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م اقتحم قشتاله وهزم النصارى هزيمة نكراء . " ٢ "

وبعد وفاة المنصور بن أبي عامر عام ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م تابع خليفته عبد الملك بن المنصور الجهاد ضد الممالك النصرانية فأوغل في عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م في اراضي برشلونه وفي عام ٣٩٤ هـ / ١٠٠٣ م احتكمت اليه ملوك النصارى في شجر بينهم من خلافات حول العرش ، فتوسط عبد الملك بين قومي قشتالة شانجه بن غرسيه وبين قومي غليسيه مندس جنثالك (Menendo Gonzalez) الوصي على الفونسو الخامس ملك ليون الصغير ، وقصد قومي قشتالة شانجه بن غرسيه قرطبة لطلب مودة عبد الملك وعرض خدماته للتحالف معه ضد الممالك النصرانية

١ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

٢ - ستيفن ريشيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٣٤ - السيد

عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس

ص ٣٣١ - ٣٣٢ - وعن شنت ياقوب انظر : شكيب ارسلان :

الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ٦١ - ٦٢ .

الأخرى ١٠٠

ولكن بعد وفاة عبد الملك بن المنصور في عام (٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م) تفتتت
الأوضاع لصالح الممالك النصرانية . وتوقف الزحف الإسلامي نحو الشطال الإسباني
فترة وجيزة من الزمن " ٢ " . فبعد هذا التاريخ انتشر عقد الأندلس ، خاصة
بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م ، إذ انتزى المقرون
الطامعون في السلطة كل منطقتهم وأدبنا أما مجموعة كبيرة من دول الطوائف ديديها
التنافس والتناحر على السلطة ، وأعمالها هذا التنافس عن رسالتها الجهادية ،
فأخذت كل دولة تستعين بالنصارى على اختها ، ودفع مصطنع الأتاوات لطوك
النصارى بكل خسة ونذاله كما أوضحنا في التمهيد .

وفي هذا الوقت الذي كان يعاني فيه الأندلس ويلات التفكك والتخبط في حمايات
دماء الحروب الأهلية كانت الممالك النصرانية في الشمال الإسباني وأوروبا تعد نفسها
للقيام بعطيات منظمة ضد المسلمين في المشرق والأندلس . ووضع بابوات أوروبا
خططهم لاحتواء الصراع الدائرين الممالك النصرانية الشمالية والمسلمين وصبغوه
بالصبغة السليبية بدلا من الصبغة القومية ، واستغلوا مكانتهم لالهاب عواطف النصارى
الأسبان والأوروبيين ضد المسلمين في الأندلس . ومن ساهم بشكل جدي في هذا
المجال البابا إيرمان الثاني الذي أصدر فتواه للحجاج الأوروبيين العازمين على
التوجه لاداء فريضة الحج الى بيت المقدس بأنه خير لهم أن ينفقوا أموالهم في
عمارة المدن الإسبانية التي خربها المسلمون . وبادر البابا الاسكندر الثاني الى
اصدار صك غفران لكل من قاتل من أجل الصليب في اسبانيا ، وقام بتجنيد الجيوش
لمواصلة قتال المسلمين في الأندلس ، وأخذت جموع المتطوعة من الأوروبيين خاصة
من الفرنسيين تتدفق على الممالك النصرانية الشمالية .

١ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص

٣٣٦ - ٣٣٩ .

٢ - ستيفن رنسيان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

وأصدر البابا جريجوري السابع نداء إلى أوروبا يذكر فيه أن إسبانيا تنتمي إلى المقر المقدس ، وأن المسيحيين سوف ينعمون بما يفتحونه من أيدي المسلمين من الأراضي ، وأخذ يؤيد ويشجع كل حملة تتوجه من أوروبا إلى إسبانيا .^١

وأنت هذه الجهود ثمارها برفع معنويات نصارى الشمال الأسباني ، ونجح الفونسو السادس في احتلال مدينة طليطلة عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م . عندها استيقظ ضمير ملوك الطوائف فنهضت صرخات الاستغاثة منهم تطلب العون والمساعدة من دولة المرابطين فلم يتوانى يوسف بن تاشفين عن مساعدتهم ، ثم تقدم بجحافل إلى الأندلس ليقهر النصارى في موقعة الزلاقة في عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، ثم يعود إلى بلاده غانما كما أوضحته في التمهيد .

وبعد هذا النصر المؤزر الذي أحرزه يوسف بن تاشفين على النصارى ، انطلقت صرخات الاستغاثة من نصارى الشمال الأسباني مدوية في أنحاء أوروبا داعية إلى حرب صليبية جديدة ضد المسلمين فتدفقت المتطوعة من أوروبا إلى الشمال الأسباني منذ عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م .^٢ مما ألهم نفوس نصارى الشمال حماسا لمواصلة محاربة المسلمين ، في الوقت الذي يأس فيه يوسف بن تاشفين من توحيد كلمة ملوك الطوائف لمواجهة الحلف الصليبي . عندها لم يجد بدا من إسقاط ملوك الطوائف ليجبث مخططات النصارى التي كانت تهدف إلى طرد المسلمين من الأندلس ، فتم له ذلك ، وأصبح وجهها لوجه معهم كما أوضحته في التمهيد .

لقد حمل المرابطون راية الجهاد وخاضوا معارك مشرفة ساهمت في تأخير سقوط الأندلس عدة قرون ، وفي نفس الوقت كان الحماس الديني قد وصل إلى القمة

١ — المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٦ — ١٣٧ .

٢ — المرجع السابق نفسه والصفحات .

عند النصارى خاصة بعدما نجح الصليبيون في احتلال بيت المقدس عام ١٠٩٢/١٠٩٨ م^١ ذهب الأسبان للانضمام الى الحملات الصليبية المتوجّهة الى الشرق للمشاركة فسي شرف القتال "٢". ولكن رجال الكنيسة الأوروبية رفضوا مشاركة الأسبان في هذه الحملات لادراكهم خطورة الجبهة الأسبانية مع المسلمين ، لأن الممارك الدائسرة في اسبانيا تدور على أبواب أوروبا ذاتها . وكان من الممكن أن تتغير الخارطة السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية لو قدر للمجاهدين المسلمين أن ينجحوا في اختراق الممالك النصارانية الشمالية في اسبانيا ، أما في الشرق فكان الحال مختلف فلو لم يحالفهم الحظ قنعوا بالعودة الى ديارهم . "٣" . ويظهر أيضا أن الصليبيين كانوا يهدفون من وراء اشغال حرب في شبه الجزيرة الايبيرية اشغال مسلمي الأندلس عن اخوانهم في المشرق فلا يقدمون لهم اية معونة "٤" . أجل لقد تحولت الدعوة البابوية لحرب صليبية في اسبانيا الى اتجاه عظمي ، وتجسدت تلك الدعوة بشكل جلي عندما حشد الفونسو المحارب حملة صليبية ضخمة شارك فيها عدد كبير من الأوروبيين أمام سرقسطة لاسقاطها فكللت جهودهم بالنجاح فأمن بابا روما بعد ذلك على سلامة الحجاج المتوجهين لزيارة كنيسة سانت ياقوب "٥".

-
- ١ - ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٥٦ .
 - ٢ - عبد الكريم التواتي : مأساة انهاء الوجود العربي في الأندلس ، ص ٦٠٠ .
 - ٣ - حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٤٧ .
 - ٤ - عبد الكريم التواتي : المرجع السابق ، ص ٦٠٠ .
 - ٥ - رنسيان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥ - الفصل الخاص بعلاقات المرابطين مع بني هود في سرقسطة .

بهذه الروح المجبولة بالتعصب والحقد كانت الممالك النصرانية تحارب المسلمين في الأندلس وتسمى لطردهم من ديارهم. إلا أنه يجب عدم تجاهل دور العامل الاقتصادي في تحريك نصارى الشمال نحو الجنوب الاسلامي ، فقد كان سكان الشمال اسباني جفاة غير مثقفين ، وقليل من امرائهم من كان له حظ من مبادئ العلم ، وكانوا من الفقر وعصر الحال اعجز من أن يتمتعوا بفنون الرخاء والدعة التي كان يتمتع بها أهل الأندلس الاسلامي ، غير أنهم كانوا رجال حرب وجلادة ، وكانوا يبيعون شجاعتهم لمن يدفع أغلى ثمن لأنهم كانوا يحاربون ليميشوا. ^{وطأة} هذه الظروف الاقتصادية المزوجة بالروح الطليعية كان النصارى يحاربون المسلمين في الأندلس . " ١ "

ولقد استجاب المرابطون للتحدي الصليبي واحيطوا الكثير من مخططاتهم التوسعية في الفترة الأولى من حكمهم للأندلس ^{فقد} حقق يوسف بن تاشفين انتصارات رائعة عليهم ولما قضى نحبه سار ولده علي بن يوسف على خطاه في الجهاد فخاص سلسلة من المعارك الحاسمة مع اعداء امته ربح بعضها وخسر بعضها الآخر ،

ولكن اوضاع المرابطين بدأت تضرب بعد خروج محمد بن تومرت عليهم مما ادى الى رجحان كفة النصارى ونشاط حركة الاسترداد ، وأخذ المرابطون يفقدون الكثير من مواقعهم الاستراتيجية في الأندلس وكان ^{ذلك} بداية لأفول نجم المسلمين في هذه البلاد ولنتحدث بشيء من التفصيل عن جهاد علي بن يوسف ضد هذه الممالك الاسبانية النصرانية .

جهاده ضد مملكة قشتالة

=====

لقد حالت الظروف دون توغل الجيوش الإسلامية في المناطق الشمالية الغربية من شبه الجزيرة الأيبيرية والمعروفة باسم *Asturias* (أستوريس) ، مما أتاح للنصارى فرصة لإقامة مملكة لهم في منطقة ليون . وحتى تحمي هذه المملكة الناشئة نفسها من غارات الجيوش الإسلامية قامت بإنشاء حزام من القلاع والحصون خاصة من جهة الشرق والجنوب ، وقد عرفت هذه القلاع والحصون في المصادر الإسلامية باسم القلاع بينما الأسبان كاستيلوس (Castellos) أي الحصون . وقد تمتعت هذه القلاع بشبه استقلال ذاتي عن مملكة ليون للتمكن من اتخاذ التدابير السريعة لمواجهة أي هجوم يقع فجأة ودون الرجوع للحكومة المركزية في ليون . " ١ "

وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي اتحدت هذه القلاع تحت قيادة فرنان جوثالث (Fernan Gouzaiez) ، الذي كان مقتنما بضرورة تحرير قشتاله من سلطان ليون ، وفعلاً أعلن الحرب على ملك ليون راميرو الثاني ، وانتهى الأمر باستقلال فرنان في قشتاله " ٢ " .

وتنقسم مملكة قشتالة الى قسمين ، قشتالة القديمة وهي المنطقة الشمالية التي نشأت فيها والمقاطعات التي حولها مثل برغش ، وشقوبيه " ٣ " . وقشتالة الجديدة التي تتكون معظمها من أراضي مملكة طليطلة بعد سقوطها عام ٤٧٨ هـ /

١ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، حاشية رقم ١ .

٢ - Abdurrahman Ali El-Hajji, Andalusian Diplomatic relations with Western Europe During the Umayyad period, A.H.138 - 366/A.D. 755-976 , P.49.

٣ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، حاشية رقم ١ .

١٠٨٥م والتي تمتد جنوبا الى جبال الشارات * ١ *

ثم ما لبثت قشتالة أن التهمت مملكتي أرغونة ونبرة وسطت نفوذها ولغتها رسميا على جميع اسبانيا فيما بعد * وكذلك امتدت لغتها جنوبا الى جنب مع حركة الكشف الجغرافية * ٢ * وقد وصفها الفلقشندى * ٣ * بأنها مملكة عظيمة ذات عمالات متسعة *

ومن حسن حظ أمير المسلمين علي بن يوسف أنه ما أن ارتقى عرش دولته حتى كان نجم الفونسو السادس قد أفل فجأة في عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨م * ٤ * ، ولم يترك الفونسو السادس خليفة له الا ابنة واحدة تسمى أورাকা (Urraca) التي لم تلبث أن تزوجت من الفونسو الأول المعروف بالمحارب وبذلك اتحدت قشتالة وأرغونة تحت سيادته * ولكن هذه الوحدة لم تدم طويلا إذ سرعان ما دب الشقاق بين الزوجين * واستمرت عدة سنوات * واستقر الأمر على فسخ زواجهما عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤م على أن يكون الفونسو المحارب ملكا لأرغونة وقشتالة * وتكون أورাকা ملكة

-
- ١ — احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٨٢ .
 - ٢ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٨ — ٢٣٩ حاشية رقم ١
 - ٣ — صح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٠ .
 - ٤ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

الميون وجليقية " ١ " .

وقد منحت النزاعات الداخلية في مملكة قشتالة أمير المسلمين علي بن يوسف فرصة طيبة ليسدد ضرباته الى اعماق هذه المملكة التي كانت تترنح في عباب حروبها الأهلية والتي قضت على اقدان ابطالها امثال البارهايس " ٢ " ، قائد قشتالة الكبير الذي كان صفوا للقائد الشهير القمبيطور " ٣ " .

وقبل أن يقدم أمير المسلمين علي بن يوسف على تنفيذ جهاده ضد الممالك الأسبانية النصرانية اراد أن يطمئن على الجبهة الأندلسية التي ستكون مركز انطلاقه نحو الشمال ، ومخطاً من خطوط تموينه الهامة في حملاته تلك — ولذلك جاز الى الأندلس بعد تولية السلطة بمدة يسيرة في منتصف عام ٥٠٠ هـ / اوائل ١١٠٢ م ، وبأدرا الى نقل العاصمة الأندلسية من قرطبة الى غرناطة . ولعل ذلك يعود لأسباب استراتيجية وأمنية أهمها : أن معظم سكان غرناطة كانوا من البربر فهم اكثر انقياداً وتعاطفاً مع ابناء جلدتهم من الأندلسيين ، وانها من الناحية العسكرية أقرب الى مسرح العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها القوات المرابطية في شرق الأندلس ، كما أنها أقرب الى بلاد العدو ومصدر التموين والامداد للمرابطين في الأندلس " ٤ " .

-
- ١ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٠٦ — ١١١ .
 - ٢ — اسمه البارفانيث ابن أخي السيد القمبيطور كان من أكبر قواد القونس السادس وقد توفي عام ٥٠٨ هـ انظر : ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٤٥ ، حاشية رقم ٨٦ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم ٢ .
 - ٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٣ .
 - ٤ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٠٧ .

وقد نبه قائد المرابطين الشهير يحيى بن غانية "١" لأهمية غرناطة قائلاً :
 ((وهى دار منعة وكرسى ملك وقام حصانه)) ، كما ذكر المرابطين بأهميتها وهو
 على فراش الموت قائلاً : ((الأندلس دقة وغرناطة قبضتها فإذا جشمت يامعشر
 المرابطين القبضة لم تخرج الدقة من أيديكم)) "٢" . لكل هذه الاعتبارات
 كانت غرناطة عاصمة ملائمة للمرحلة المقبلة .

كما قام أمير المسلمين علي بن يوسف بتعيين شقيقه تميم والياً للعاصمة الجديدة
 غرناطة ، وجعله قائداً عاماً للقوات المرابطية في الأندلس ، وعين محمد بن أبي
 بكر اللمتوني على قرطبة . ثم مالبت أن عين محمد بن الحاج على ولاية بلنسية
 وشرقي الأندلس ، حيث استطاع منها أن يدخل مدينة سرقسطة ، كما تقدم
 في الباب السابق . وبعد أن اطمئن أمير المسلمين علي بن يوسف على الجبهة
 الأندلسية . اعطى في عام ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م إشارة البدء بالجهاد لآخيه
 تميم ضد ملكة قشتالة . "٤" .

ولم يكن اختيار هذا التاريخ المبكر من بداية حكمه اختياراً عشوائياً بل كانت
 له صبراته . فبالإضافة للاعتبارات التي ذكرناها وهى تعزيز الجبهة الداخلية القشتالية
 كان علي بن يوسف يتوق للرد على غارات الفونسو السادس الذى أخذ يعيش في اراضي
 المسلمين في الأندلس ، وخاصة بعدما شاع خبر مرض أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
 عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م . ففي هذا التاريخ ارسل الفونسو السادس حملة مكونة
 من ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل وصلوا في غاراتهم الى احواز اشبيلية . فلما ارتقى
 علي بن يوسف عرش دولة المرابطين لم ينس هذه الأعمال التي قام بها الفونسو السادس

١ - هو ابو زكريا بن غانية من كبار قواد المرابطين في الأندلس وقد بقي على ولائهم
 حتى بعد سقوط دولتهم . فعندما سقطت مراكش بيد الموحد بن امتنع في غرناطة
 فلم يدخلوها الا على اشلائه عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٩ م انظر ابن الخطيب :
 الاحاطة ، ج ١ ، ص ٩٧ - ٩٨ .

٢ - نفس المصدر السابق والصفحات .

٣ - انظر : الباب الثاني الفصل الأول .

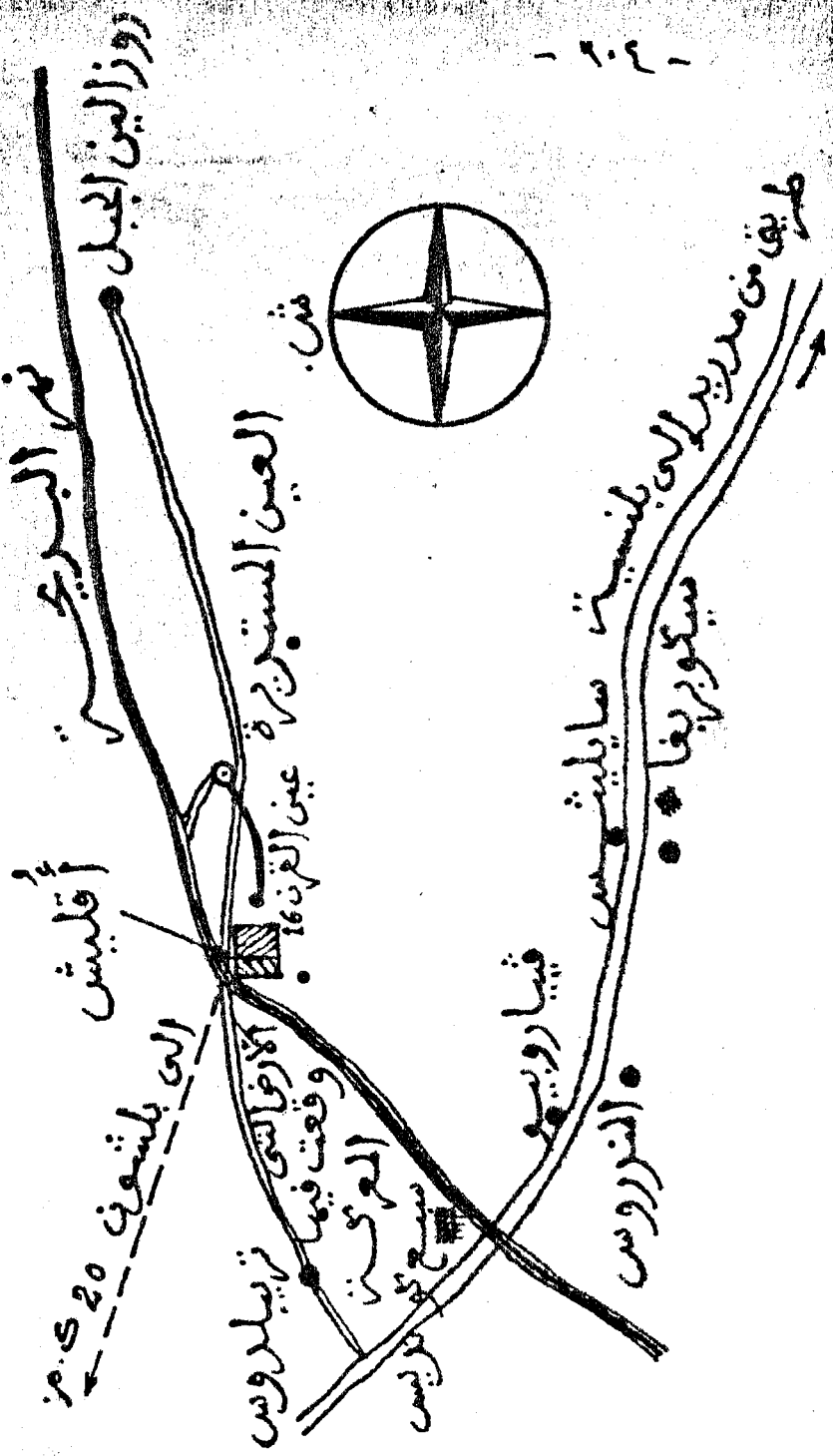
٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

واراد أن يبادره بالهجوم معاقبة له على ما فعله في ديار المسلمين . " ١ "

ولعله توجد اعتبارات أخرى جعلت أمير المسلمين علي بن يوسف يقوم
بإعلان الجهاد في هذه الفترة المبكرة ضد الممالك النصرانية . ولعل أهم هذه
الاعتبارات هي محاولته صرف الجهود والطاقات نحو الجهاد بدلا من أن تستغل
في النزاعات الداخلية ، فقد لاحظنا أنه منذ اللحظات الأولى لتولية للحكم
عارضه يحيى بن أبي بكر ، وابن الحاج ، ومن ثم فمن المرجح أنه رأى أن انصراف
المرابطين للجهاد خير موحّد للأمة بدلا من السحناء والبغضاء .

= محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٠-٦١ .

١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٠ - ٦١ .



الليش وضواحيها

طريق من مدريد الى بلنسية

موقعة اقليش (Ucles) : —

=====

وبدا تميم يعد العدة للغزو واستطاع أن يجهز جيشاً جيد الاعداد والعدة .
 وخرج من غرناطة في العشر الاواخر من رمضان عام ٥٠١ هـ / العشر الاوائل من
 مايو ١١٠٨ م متوجهاً لغزو اراضي قشتالة ، فتوجه الى جيان " ١ " ولبت فيها
 أياً قلائل . وكانت الامدادات تتوالى على قواته خلال الطريق فالتحقت به
 قوات من قرطبة بقيادة أبي عبد الله محمد بن رنق . ثم سار تميم من جيان الى
 بياسة في الشمال الشرقي ، ومنها تابع مسيرته شمالاً صوب اراضي قشتالة ، وفي
 الطريق اليها وافته حشود مرسية بقيادة فاتحها المشهور ابن عائشة شقيق علي بن
 يوسف ، ثم لحقت به قوات بلنسية بقيادة واليها محمد بن فاطمة . " ٢ "

ومعد مسيرة عشرين أو خمسة وعشرين يوماً وصلت كل تلك القوات أمام
 اقليش " ٣ " في يوم ١٤ شوال / ١٦ مايو . وحاصرت القوات المرابطية المدينة ثم
 اقتحمها دون كبير غناء . ولجأ بعض المدافعين عنها الى قصبة المدينة وتحصنوا فيها
 وانتهى خبرهم الى الفونسو السادس . " ٤ "

١ — ميراندا : وقعة اقليش وحصن الأميرضون شانجه ، مجلة تطوان ، العدد

الثاني ، ص ١٢٢ — ١٢٣ .

٢ — المقال السابق نفسه ، ص ١٢٢ — ١٢٤ .

٣ — مدينة لها حصن في ثغر الأندلس وهي قاعدة كورة شنتبريه (Santaver)

وهي محدثة بناها الفتح بن موسى بن ندى النون ، وفيها كانت ثورثه

وظهوره عام ١٦٠ هـ ، وهي على نهر منبعت من عين على رأس المدينة :

انظر الحيمري : المصدر السابق ، ص ٥١ — ٥٢ — شكيب أرسلان :

الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ٤٥ — ٤٧ .

٤ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٩ — السلاوي : المصدر

السابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ،

ص ٤٩ — ٥٠ .

فبعث لاغاثتهم ولده شانجه (Sancho) البالغ من العمر إحدى
عشر عاماً يساعده القائد الكبير البرهانس (Alvarhanes) ، وقادة آخرين
أمثال الفارفانيث ، وغرسيه أوردونيت ، ووالي قلعة النصور ، وقلعة
عبد السلام في سبعة آلاف ٠ " ١ "

ولما علم تميم بقدوم جيش الفونسو السادس لنجدة اقليش شاور قادة قواته
لمواجهة المرحلة المقبلة ، وكيفية مواجهة زخوف قوات الفونسو المتوجهة لفك الحصار
عن اقليش ، ويدو انهم اتفقوا على تناديم القوات المرابطية على النحو التالي :
رأس حربه للجيش ، واهل مرسيه وبلنسية في الجناحين ، وتميم مع قواته الفرناطية
في القلب . وهذا التنظيم خرج الجيش المرابطي في ساعة مبكرة من صباح يوم الجمعة
١٧ شوال / ٦٩٠ م لمواجهة القشتاليين على مسافة قريبة من اقليش ٠ " ٢ "

واستطاع الجيش الاسلامي قبيل الصدام المسلح ان يحصل على معلومات
غاية في الخطورة عن قوات العدو والقادمه عندما تمكن احد المسلمين الذي كان قد
اسر وقدم مع الحطة النصرانية الفرار من الجبهة النصرانية الى الجبهة الاسلاميه ،
وأخبرهم عن القوات القادمه لنجدة اقليش . فهذا ما يتضح من رسالة تميم لأخيه
علي بن يوسف بعد الانتصار في اقليش حين قال : ((ونرج " ٣ " الفتى النينا

١ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٦٥ .

٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩ — ٥٠ — ميراندا :

وقعة اقليش ، ص ١٢٣ .

٣ — لفك نزح مستعمل هنا استعمالاً خاصاً لأن النازح في الاصطلاح الأندلسي هو
الجندي الذي يندس في جيش الأعداء أو يدخل معهم حينهم متكرراً في
زيهم حتى يتصرف أخبارهم أو يثبط همهم ، ثم ينزح الى قومه ساعة الحاجة
اليه ، وكان في الأنظمة الحربية الأندلسية ديوان خاص لهؤلاء يعرف بديوان =

من معسكرهم منبئاً بهم دالاً عليهم)) " ١ "

فعلى ضوء هذه المعلومات نظم المرابطون جيوشهم واستعدوا للقتال وهم على بصيرة بحقيقة عدوهم المندفع نحوهم . وقد بدأت المعركة بانقضاض القوات القشتالية على قوات قرطبة التي كانت رأس حربة الجيش الاسلامي ، فتخلخلت صفوفها وتضعف رجالها ، الا أن جناحي الجيش الاسلامي المكونين من قوات مرسية وبلنسية قاما بعملية التفاف حول القوات المهاجمة ودخلوا عليها معسكراً مما أربك قوات العدو وأتاح لقوات قرطبة نوصة طيبة لاعادة تنظيم صفوفها ثم للهجوم على القشتاليين مما اضطرهم الى التراجع ليجدوا انفسهم محاصرين من قوات جناحي الجيش الاسلامي " ٢ "

وعمل السيف عمله في رقاب النصارى وتهدد شملهم . وقد حاول سبعة من كوفات النصارى ومنهم غرسيه أوردونييت الالتجاء الى حصن بلشون القريب للاختفاء فيه فهب المسلمون المتواجدون فيه عليهم واستأصلوا شأفتهم ، بينما نجح — الفارقانييت في الانسحاب مع بعض قواته الى مدريد وطميلة . ثم جمعت رؤوس — القتلى فكانت ثلاثة آلاف قتيل وقد أذن من فوقها للصلاة كما هو معمول " ٣ "

وكان من بين جيث القتلى جثة الأمير شانجه بن الفونسو السادس وولي عهده ، فكان ذلك انتصاراً رائعاً يذكرنا بنصر الزلاقة " ٤ " . وكان القدر شاء ان يجمع —

-
- = النزاع . انظر حسين مؤنس : الثغر الاعلى ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم ٤ .
- ١ — المقال السابق نفسه ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .
- ٢ — ميراندا : وقعة اقليش ، ص ١٢٣ .
- ٣ — حسين مؤنس : الثغر الاعلى ، ص ١٣٠ يحدد ابن أبي زرع (روض القرطاس ص ١٥٩ — ١٦٠) عدد القتلى بحوالي ٢٣ الف قتيل وهذا مبالغ فيه لأن ابن عذارى (البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٤٩ — ٥٠) يذكر أن مجموع من قدم مع شانجه كان سبعة آلاف .
- ٤ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٣ .

الفونسو السادس يتجرع كأس هزيمته في الزلاقة ويرى ابنه في اقليش يتجرع كأساً
أمر من كأسه ٥ لأن كأس اقليش مضاف اليها دماء ابنه ودماء سبعة من خيرة قادته
وهم الكونتات السبعة ٥ "١"

وبعد أن جمعت الفئائم من ساحة المعركة من مال وخيل وسلاح وغيرها "٢" ٥
وبعد أن أعيد لأقليش طابعها الاسلامي باعادة تعمير مساجدها ٥ وتحويل بعض
كنائسها الى مساجد "٣" ٥ بعد ذلك كله غادر الأمير تميم ساحة المعركة الى
غرناطة ٥ وكان قبل أن يغادر اقليش قد طير الأمير المسلمين على بن يوسف خبير
هذا النصر مبيناً له كيف دارت المعركة ٥ وما أن غادر تميم اقليش حتى تمكن والي
مرسية وبلنسية من دخول قلعة اقليش التي استعصت عليهم في بداية الأمر ٥ "٤"

وبعد هذا العرض الموجز لموقعة اقليش يتساءل الباحث لماذا لم يكن الفونسو
السادس كمادته على رأس الجيش القشتالي المتوجه لفك الحصار عن اقليش ؟ وهل
عدم خروجه لقيادة الجيش كان بناء على نصيحة زوجته ٥ التي اشارت

-
- ١ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ٥ ص ٤٢٥ — حسين مؤنس :
الثغر الأعلى ٥ ص ١٠٧ — ١٠٨ ٥
 - ٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ٥ ص ٦٣ — ٦٤ ٥
 - ٣ — ميراندا : وقعة اقليش ٥ ص ٢٢ (يتوقع أن هذه الكنائس كانت
أصلاً مساجد وحولها النصارى الى كنائس) ٥
 - ٤ — المقال السابق نفسه ٥ ص ١٢٣ — ١٢٤ ٥

عليه بالاكثفاء بأرسال ابنه شانجه بد منه لأن قائد المرابطين ابن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ؟ ثم كيف نفسرا حجام تميم عن مطاردة فلول القشتاليين في قلب قشتاله وعدم محاولته بعد هذا النصر الانقضاء على طليطلة لاعادتها إلى الحضيرة الإسلامية ؟ وأخيرا ما هي أهم نتائج هذه الموقعة ؟ •

أما بالنسبة للتساءل الأول فيبدو أن السبب الرئيسي لعدم خروج الفونسو السادس على رأس جيشه هو أن العظم قد وهن منه ولم يعد بمقدوره قيادة الجيوش لكبر سنه ، فقد توفي في سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م السنة التالية لموقعة أقليمش •

أما عن نصيحة زوجته له بأرسال ولده شانجه " ١ " فيبدو أن هذه القصة يغلب عليها طابع الأسطورة ، لأنه لو كان بمقدور الفونسو السادس قيادة الجيش لما توانى لحظة واحدة عن ذلك ولعل الدافع لأرسال شانجه كان خطة من الفونسو لبث الحماس في نفوس جنده وقادته في المعركة ولكي يستلميتوا في الدفاع عن الأمير الصغير •

ويمكن تفسير اشراك شانجه في هذه الموقعة على أن الأمر كان مؤامرة دبرت باحكام من قبل بعض أعيان بلاط الفونسو السادس المتشوفين إلى السلطنة ، لأنه اذا قضى على شانجه في المعركة خلا لهم الأمر ، ولا سيما أن الفونسو السادس كان في آخر أيام حياته وكان شانجه وحيد •

١ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٥٩ — ١٦٠ — السالوي :

المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ •

ومن المرجح ان المؤامرة قد دبّرت من بعض عملاء الفونسو المحارب الذين اقنعوا الفونسو السادس بأرسال ولي عهد ه الى ساحة اقليش ليتخلصوا منه ليخلصوا الجو لالفونسو المحارب فيضم قشتالة الى ملكه بعد وفاة الفونسو السادس . والا كيف نفسر سعي اعيان ووجهاء قشتالة بعد فترة وجيزة من وفاة الفونسو السادس لسزواج الفونسو الأول المحارب من اوراكا ولية عهد الفونسو السادس وبعد اتمام الزواج اتحدت ارغونة وقشتالة . فهل كان هذا الزواج فصلا من فصول مؤامرة دبّرت ضد ملكة قشتالة كان أحد فصولها التخلص من ولي عهد الفونسو السادس الأمير شانجه ؟ .

أما عن احجام الأمير تميم عن التوفل في اعماق قشتالة ، واحجامه عن محاصرة طليطلة العاصمة القشتالية فأمر يثير الاستغراب والحيرة في آن واحد . فهذا الموقف لم يكن الأول في تاريخ المرابطين ، فقد رأينا مثل هذا الموقف بعد انتصارهم في موقعة الزلاقة ، وقد فسروقتها سبب احجام يوسف بأسباب عسكرية ، ولكن تكرار الموقف في اقليش أمر يلفت الانتباه . فلعل ضراوة المعركة وتكبد الطرفين خسائر فادحة قد حال دون المرابطين واعادة تنظيم قواتهم قبل ان يقوموا بمطاردة فللول قشتالة .

على أي حال من أهم نتائج هذه الموقعة انها فتحت أمام المرابطين الطريق الى بلنسية وسرقسطة ، لأن اقليش كانت على الطريق تحول بينهم وبين القيام بأي عمل حاسم في هذه المناحية " ١ " . وترتب أيضا على سقوط اقليش بيد المرابطين الاستيلاء على عدة حصون ومدن منها بنده وقونقه ، وقونيه وغيرها " ٢ " . كما اسهم هذا

١ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .

٢ — محمد عبد الله عثمان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٦ — ٦٧ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٣٤ —

النصر اسهاما فعلا في رفع معنويات المسلمين وشجع ذلك أمير المسلمين علي بن أبي طالب
معاودة غزو قشتالة ومحاصرة عاصمتها طليطلة كما سنرى .

ومن نتائج هذه الموقعة بالنسبة للقشتاليين ، إضافة الى خسائرهم القادحة
في الأرواح ، انهم خسروا بعض المناطق . كما لم يتحمل الفونسو السادس هــول
تلك الفاجعة ومنظر ولده وهو يتجرح كأس الهزيمة والموت في آن واحد فتصارت دقات
قلبه واضطربت احساؤه ، ولم يلبث سوى مدة قصيرة حتى توفي في عام ٥٠٢ هـ /
١١٠٩ م " ١ " .

واذا كان الفونسو السادس خسروا ولده وبعض املاكه فقد خسرا ايضا بعض
قواده بعض اراضيهم ، فمثلا خسر البرهانس بعد أن سيطر المسلمون على قوتقـه
() اقطاعيته في قرية توريتا () " ٢ " .

ومن آثار وقعة اقليش في الأدب الاسباني كثرت الأهازيج والأغاني التي
تشيد ببطولات النصارى في هذه الموقعة ومشكل خاص الأمير شانجه والكونت فرسيه .
وقد قام الأسقف (ضون رودريغو) بجمع هذه الأهازيج في كتابه " التاريخ " " ٣ "

١ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٠ .

٢ — حسين مؤنس : الشعر الأعلى ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم ٢ .

٣ — ميراندا : علي بن يوسف واعماله في الأندلس ، مجلة تطوان ج ٣ — ٤ ،

١٩٥٨ — ١٩٥٩ م ، ص ١٥٧ .

ويمكن اعتبار وقعة اقليش نقطة تحول في تاريخ الممالك النصرانية الشطالية . ان بعد هذه المؤقمة ، وهد وفاة الفونسو السادس بدأت احوال هذه الممالك تضطرب ، فقد اندلعت الحرب الأهلية بين الفونسو المحارب وزوجته اوركا . كما أن السنوات الثلاث التي تلت وقعة اقليش تمثل قمة الانتصارات التي حققها المرابطون في الأندلس ، ان بعد عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م بدأ النفوذ المرابطي ينحسر في الأندلس تحت مطارق الممالك النصرانية .

لقد كان انتصار المسلمين في اقليش بداية لخطة منظمه وضمتها علي بن يوسف لغزو الممالك النصرانية ، ولعله كان يقصد من هذه الخطه أن يربوعه والده لرعيته عندما قال بعد اخضاع ملوك الطوائف ((.....)) ولئن عشت لأفيدن جميع البلاد التي ملكها الروم (٠٠٠) " ١ " ، فقد أخذ علي بن يوسف بعد هذه المؤقمة يث جيوشه لتحرير الأرض الاسلاميه التي استولى عليها النصارى في فترات سابقه ، ولم يكتف بذلك بل كان يجوز الى الأندلس ويقود بنفسه الحملات ضد هذه الممالك .

غزو اراضي قشتالة عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م

=====

تشجع أمير المسلمين علي بن يوسف بعد نصر اقليش للقيام بحملة يقودها بنفسه ضد مملكة قشتالة ، ولعله كان يود استعادة طليطلة منهم ، خاصة أنه رأى أن الوقت مناسباً جداً للقيام بهذه الخطوة في سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م لانشغال الفونسو المحارب بحربه الاهليه مع زوجته اوركا . " ٢ "

١ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

٢ - اشباح : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٤٠ -

واستنفر أمير المسلمين قواته في المغرب والأندلس لهذا الغرض ، وفي منتصف محرم من السنة المذكورة عبر من سبتة إلى الأندلس في جيش جرار تقدره بعض الروايات بما يزيد على مئة ألف " ١ " . وبعد أن مكث فترة وجيزة في غرناطة تحرك إلى قرطبة وأقام بها أياما " ٢ " ، ومن قرطبة تختلف المصادر في تحديد المنطقة التي قصدتها أمير المسلمين أولا . فيذكر ابن عذاري " ٣ " أنه تحرك من قرطبة إلى مدينة طليبره " ٤ " ففتحها ودخل قصبتها ، وطهرها من برائث الشرك ، وترك عليها حامية من المشاة وحاملي السهام وعين عليهم أحدا المرابطين ورحل عنها ، ويهم شطر طليطلة فحاصرها ثلاثة أيام ثم بدأ بالقول محملا بالغنائم بعد أن قضى أربعين يوما في تلك الفزوة .

هذا وتذكر بعض الروايات الإسلامية والنصرانية أن هدف أمير المسلمين علي بن يوسف من هذه الفزوة كان محاولة استعادة طليطلة . فيذكر صاحب الحل الموشية " ٥ " أن أمير المسلمين جاز في عام ٥٠٣ هـ / ١٠٩٦ م برسم الجهاد ونصر

-
- ١ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٥ — ٨٦ — ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٢٠١ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٢ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٦ — ٣٨٧ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٢٥ .
 - ٢ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٢ — ويذكر السلاوي : (الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٥) ، ورتق الله الصدفي (تاريخ دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٥٦) أنه أقام في قرطبة شهرا .
 - ٣ — البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٥٢ .
 - ٤ — يوجد في الأندلس ثلاث مدن بهذا الاسم الأولى : مدينة كبيرة حصينة على نهر تاجه غربي طليطلة وهي المقصودة في المتن . والثانية قرية إلى الجنوب منها يقال لها طليبرية الموحج ، والثالثة قرية بالقرب من بطليوس على ضفة وادي أنه يقال لها طليبرية أيضا انظر ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٤ ، حاشية رقم ١ .
 - ٥ — مؤلف مجهول ، ص ٨٥ — ٨٦ .

اللمة ، فقصده طليطلة ونزل على بابها ، وحاز النية المشهورة بخارجها وانتشرت جيوشه على تلك الأقطار ودوخ بلاد المشرقيين فلأذوا بالفوار إلى المعقل ، واعتصموا بالحصون المنيمة ونزل على طليطلة وافتتحها عنوه .

وينقل لنا محمد عبد الله عنان * ١ * الرواية القشتالية عن هذه الفزوة ، والتي يفهم منها أن أمير المسلمين كان معداً نفسه لدخول طليطلة ، ويتضح ذلك من خلال جلبه لأدوات الحصار . وتذكر الرواية أيضاً بأنه ضرب الحصار حول أسوارها مدة سبعة أيام . * ٢ * ضرب المرابطون خلالها الأسوار بالمجانيق ضرباً شديداً ، وحاولوا إحراق بعض أبراجها . ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل لحصانة المدينة وقوة الحامية المتواجدة داخلها والتي كان يقودها البارهايس الذي مالئ أن خرج واصطدم مع المرابطين في معركة حامية الوطيس اضطرتهم إلى فك الحصار والرحيل عنها بعدما أحرقوا أدوات الحصار . ومنها ساروا إلى طليطلة — فاقترحوها ، ثم ساروا بعدها شمالاً واستولوا على مدريد ، ووادي الحجارة ، وهنا دب الهول بالجيش المرابطي فاضطر إلى مفادرة أرض العدو والعودة إلى قرطبة .

ويمكن قبول منطقية الرواية التي تقول أن الهدف من هذه الفزوة هو الاستيلاء على طليطلة ، لتضييق الحصار على طليطلة من جهة الغرب بعدما نجح المرابطون في الاستيلاء على أقليم من جهة الشرق حتى يتسنى لهم استعادة طليطلة ^٣ أي أن محاصرة طليطلة لم يكن إلا نتيجة حتمية لسقوط طليطلة .

-
- ١ — عصر المرابطين والموحدين ، ص ٦٨ — ٦٩ .
 - ٢ — يذكر السلاوي (الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٥) ، وابن أبي دينار (المؤنس ، ص ١٠٩) ، وابن أبي زرع (روض القرطاس ، ص ١٦١) أن الحصار دام شهراً ونصف .
 - ٣ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٥ — ٨٦ — ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٩ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص

ويمكن أيضا قبول رواية صاحب الحلل الموشية والرواية القشتالية والسني
تنص على أن أمير المسلمين علي قصد أول ما قصد طليطلة إذا ما افترضنا أنه قد
استفاد د رسا عليا مع وقعة اقليش • فقد سبق أن رأينا أنه عند ما قصد تهم اقليش
وحاصرها • هب القشتاليون من طليطلة لنجدة مد ينتهم •

ويمكن الذهاب أبعد من ذلك إذا ما افترضنا أن الأخبار التي وصلت
إلى أمير المسلمين في مراكش عن الأوضاع الداخلية لقشتالة خاصة بعد وفاة الفونسو
السادس وزواج الفونسو المحارب من اوراكا • وما نتج عن هذا الزواج من حروب
أهليه هي التي شجعت على الخروج بنفسه على رأس هذه الغزوة بقصد استعادة —
طليطلة من القشتاليين •

على أي حال لقد كانت حملة أمير المسلمين علي بن يوسف حملة موفقة •
فقد تمكن خلالها من الحبث في احوال قشتالة " ١ " • كما أخضع ٢٧ حصنا •
ومدينة مجريط (Madrid) • ووادي الحجارة • وقلعة هنارس وغيرها •
ولم ينس القشتاليون هذه الغزوة التي لاقوا خلالها المذاب والدمار •
فما أن انسحب أمير المسلمين من أراضيهم وعاد إلى بلاده حتى قاموا بحملة انتقامية
قتلوا فيها ألفا من المسلمين • كما دمروا إحدى وستين قرية " ٣ " • وقصدوا مدينة

-
- ١ — نفس المصدر السابق والمسفات •
 - ٢ — ابن أبي زرع : المصدر السابق • ص ١٦١ • السلاوي : المصدر
السابق • ج ١ • ص ١٢٥ — ميراندا : علي بن يوسف وأعماله فسي
الأندلس • ص ١٥٧ — ١٥٨ •
 - ٣ — ميراندا : علي بن يوسف وأعماله في الأندلس • ص ١٥٧ — ١٥٨ •

سرقسطه وهاجموها وفي هذا الهجوم هزم حماتها من المسلمين وسقط صاحبها ابن هود شهيداً "١".

غزو الأمير سير بن أبي بكر لغرب الأندلس

=====

يدو أن أمير المسلمين خلال غزوته للبيبريه وفشله في اقتحام طليطلة رأى أنه لا يمكن أن يتسنى له الاستيلاء على طليطلة إلا بعد تجريد ها من كل معاقلها ، ومن كل ناحية يتوقع أن يأتيها منها مدد . ولذلك نجده يوجه قائده سير بن أبي بكر إلى قلمرية "٢" ، التي كانت تتمتع بحماية قشتاله لأن أميرها هنري البرجونسي كان زوجاً لأتريسا الابنة غير الشرعية لألفونسو السادس . "٣"

واستطاع سير في شهر ذي القعدة من عام ٥٠٤ هـ / ١١١٥ م أن يفتح من غرب الأندلس برتقال "٤" وإيبره "٥" وأشبونه "٦" وشتنرين "٧" وغيرها من المواقع . "٨"

وكانت شتيرين من أحصن المواقع التي اعترضت القائد سير ، إذ يتضح من الرسالة التي بحث بها إلى أمير المسلمين علي بن يوسف والتي يخبره فيها كيف أن المسلمين

١ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٥ ج ٦ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ -

(وقد تحدثنا عن هذه الموقعة في الباب السابق) .

٢ - وهي تعني مملكة البرتغال انظر : ابن عذاري : المصدر السابق ٥ ج ٤ ص ٦٤ ، حاشية رقم ١ .

٣ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ٥ ص ٦٩ - ٧٠ .

٤ - تقع في أقصى شمال قلمرية انظر المرجع السابق نفسه ٥ ص ٧٠ .

٥ - مدينة من كورباجه انظر الحميري : المصدر السابق ٥ ص ٦١٥ .

٦ - من كورباجه المختلطة بها تقع إلى الغرب من باجه ، وهي مدينة قديمة على سيف البحر انظر المصدر السابق نفسه ٥ ص ٦١ .

٧ - مدينة معدودة من كورباجه وهي على جبل عال بينها وبين بطليوس ثلاث مراحل انظر المصدر السابق نفسه ٥ ص ٣٤٦ .

٨ - ابن أبي روج : المصدر السابق ٥ ص ١٦١ - السلاوي : المصدر =

اتخذوا شتى الوسائل من حيل وحرب نفسية وفارات على هذه المدينة حتى تمكنوا من فتحها . وما جاء فيها ((٠٠٠٠ وكانت قلعة شنترين — ادا م الله أمر أمير المسلمين من أحسن المعاول للمشركين ، واثبت المعاول على المسلمين ٠٠ فقتلنا بساحة القوم فساء صباحهم ذلك اليوم فلم نزل نطاولهم مطاولة المحتسب المؤتجر ٠٠٠٠ ومن الفارات على جميع الجهات فتورد جيوشنا عليهم خفافا وتصد رالينا ثقالا وامرنا بإقامة مصوق سبيهم وأموالهم على مرأى ومسمع من نساءهم ورجالهم فازدادت ربحهم بذلك ركودا ٠٠ ولما ضمهم لضيق ولاجة الحصار ٠٠٠ أختاروا الدنية على المنية ورضوا بالاستسلام للعبودية ٠٠٠ واستولينا على أقطارها ٠٠)) " ١ "

ومعد غزوة الأمير سير للغرب وفد على أشبيلية المنصور بن عمر المتوكل بن الأفطس قادما من قشتالة التي كان قد سار إليها بأمواله ونذائره عندما دخل عليه المرابطون بطليوس سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م وقتلوا أباه عمر المتوكل وأخويه . ولما وصل الى أشبيلية ارسل الى أمير المسلمين في مراكش فكانت له عنده منزلة جيدة " ٢ "

— غزوات المرابطين لأراضي قشتاله (٥٠٤ — ٥٢٦ هـ /

(١١١١ — ١١٣٢ م)

=====

وفي نفس العام الذي قام به الأمير سير بغزو الغرب الأندلسي قام الأمير يحيى بن أبي بكر ومعه عز الدولة أبو مروان عبد الله بن المعتصم بغزو طليطلة ، ولكن هذه المحاولة لم توفق لتطير الجيش الاسلامي من سقوط أحد الوتية وانكسار أحد

= السابق ج ١ ص ١٢٥ — رزق الله الصديقي : المصدر السابق ج ٢ ،

ص ٥٦ — حسين مؤنس : الثغرا الأعلى ص ١٠٨ — ١٠٩ — محمد

عبد الله عثمان : عصر المرابطين والموحدين ص ٦٩ — ٧٠ .

١ — المراكشي : المصدر السابق ص ٣٢٨ — ٣٣٢ .

٢ — محمد عبد الله عثمان : عصر المرابطين والموحدين ص ٧٠ .

الرماح "١" • وفي رأيي أن هذا السبب غير مقنع لأن الجيوش المرابطية كانت دوماً تحوى بين صفوفها مجموعة من الفقهاء والمرشدين للجيش فلا بد أنهم أوضحوا لهم بأنه لا طيرة ولا تطير في الاسلام ، ولا بد أن هناك اسباباً أخرى أدت الي فشل هذه المحاولة لم تكشف عنها المصادر التي بين أيدينا •

وتمكن الأمير مزديلي في عام ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م من اكتساح منطقة وادي — الحجارة وما حولها ، وان يضيق على قاعدتها • وقد حصل في هذه الغزوة على غنائم وفيرة عاد بها الى مقره في مدينة قرطبه • "٢"

وبعد هذه النجاحات التي احرزتها الجيوش المرابطية ضد الممالك النصرانية خاصة ضد مملكة قشتالة صمم الأمير مزديلي علي توجيه ضربة قوية للعاصمة القشتالية طليطلة فأعد حملة ضخمة من القوات الاندلسية والمغربية مع اعداد من المطوعة ثم مالبث أن انضم اليه الامير سيربن ابي بكر اللمتولي وسارا على رأس هذا الجيش الضخم في عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م نحو طليطلة فبالغا في نكايتها وشنا على جميع تلك الجهات الفارات المحزنة والمدمره • "٣"

وخرج البرهانس في عشرة الاف من جنده لمدافعة المرابطين عن طليطلة فوقعت معركة حامية التوطيس دارت الدائرة فيها على البرهانس وسقط من جنوده سبعمائة فارس • "٤"

-
- ١ — ابن الآبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٩٠ — ٩١
 - ٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٦ •
 - ٣ — المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٧ — ٥٨ — ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٢١ •
 - ٤ — ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢١ •

غير أن السلاوي يذكر " ١ " أنه لم يحدث صدام بين البرهانس والمرابطين ،
وما أورده في هذا الصدد يتلخص في أنه بينما الجيوش المرابطية تفتح حصن أرجنه
أو أزلبه ويقتلون ويسبون اتصل الخبر بالبرهانس فأقبل لنصرتهم واستنقاذهم
فصمد القائد مزدلي للقائه ففر البرهانس امامه ليلاً وعاد مزدلي الى قرطبه .

ويظهر أن صاحب وادي الحجارة الكونت رودريجونو نينز (RodrigoNunez)
والذي يسميه ابن أبي زنج (بني الزند غرسييس) " ٢ " أراد أن يقوم بعطيات
انتقامية رداً على اعمال المرابطين في الاراضي النصرانية فقام بالانقضاء على مدينة
سالم وضرب عليها الحصار فذهب اليه مزدلي ، فلما سمع الزند غرسييس بمقدمه ولى
هارباً تاركاً جميع اثقاله ومضاهيه ففطنها مزدلي " ٣ " . وفي عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م
توفي الأمير مزدلي " ٤ " فخلفه على قرطبه ابنه محمد الذي اقام والياً عليها ثلاثة
أشهر . " ٥ "

ورد النصارى على غارات المرابطين على عواصمهم وثغورهم . فأغاروا في
عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م على قرطبة ، فتصدى لهم واليها محمد بن مزدلي
بجيشه ، ودارت رحى معركة دامية بين الطرفين سقط خلالها محمد بن مزدلي
شهيداً ، ومعه الأمير ابواسحاق وابنيه ، والأمير أبو بكر بن واسنيو ، كما

-
- ١ - الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٥ .
 - ٢ - حسين مؤنس ، الثغر الأعلى ، ص ١١٣ .
 - ٣ - ابن أبي زنج : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .
 - ٤ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
 - ٥ - ابن أبي زنج : المصدر السابق ، ص ١٦٢ - السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

استشهد معهم نحو الثمانين من وجوه المرابطين ، وحيلة كبيرة من الحشيم وأهل الأندلس ، وذلك يوم الخميس مستهل صفر ٥٠٩ هـ / ٢٧ يونيو ١١١٥ م .
لقد كانت الفاجعة مروعة ثأر فيها النصاري لقتلهم في اقلش . وقد بادر امير المسلمين علي بن يوسف بتعيين أبي بكر يحيى بن تاشفين وهو ابن عم له على قرطبة خلفاً لواليتها الشهيد بعد أسلام من وصوله اكتسح النصاري اصحاب الجولة على قرطبة اراضي ولايته ، فاستنفر جيوشه واستنجد بالامير عبد الله بن مزدلي والي غرناطة ، واصطدما مع العدو في منطقة قريبة من بياسه " فدارت الدائرة على المسلمين واستشهد منهم خلق كثير ، وذلك في يوم الأربعاء ٢٨ جمادى الثاني من عام ٥٠٩ هـ . " ٣

وفي أواخر محرم عام ٥١١ هـ / مايو ١١١٧ م قرر امير المسلمين علي بن يوسف ان يجوز الى الاندلس ليتجه منه الى الغرب . فجاز البحر واستراح في اشبيلية برهة من الوقت حتى تكاملت عساكره القادمة من المدونه ، كما اتاح للعسكر الأندلسية فرصة الاستعداد لمشاركته في غزوته تلك . وهب الفقهاء والعلماء لتلبية نداء الجهاد ، واقبل المطوعة من جميع ارجاء الاندلس خاصة من غرناطة واشبيلية . وقصد امير المسلمين علي بن يوسف بهذه الجموع قلمرية وضرب حولها الحصار عشرين يوماً وضيق عليها ثم انصرف عنها الى اشبيلية . كما استطاع عبد الله ابن فاطمه ، والمنصور بن الافطس ان يغيروا على بعض النواحي النصرانية وأن يعودا

-
- ١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦١ .
 - ٢ - بينها وبين جيان عشرون ميلاً وهي على كديه من تراب مظهره على النهر الكبير المنحدر الى قرطبة (انظر الحميري : المصدر السابق ، ص ١٢١ - ١٢٢ .
 - ٣ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦١ .

الى اشبيلية" محملين بالخنائم والاسرى . "١"

وفهم من الرواية السابقة ان امير المسلمين قد فشل في دخول قلمريه ،
ولكن صاحب الحلل الموشيه "٢" يذكر انه افتتح مدينة قلمريه ، كما عومد
الرواية النصرانية رواية صاحب الحلل الموشية وتذكر انه دخلها عنوة "٣" . ويملل
محمد عبد الله عنان "٤" ان سبب عدم احتفاظ امير المسلمين علي بن يوسف بقلمريه
هو موقعها البعيد والمتوسط بين النصارى .

"٥"

وبعد تسع سنوات من غزو امير المسلمين لغرب الاندلس عبر ابنه تاشفين
في عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م الى الاندلس في خمسة الاف جندي ، ثم استصرخ
اهل الاندلس فاتوه مسرعين فسار بهم الى طليطلة ففتح بعض حصونها بالسيف
وقام بالبيت في احوازها . وفي نفس السنة فتح تاشفين ثلاثين حصناً من حصون
غرب الاندلس وكتب بالفتح الى ابيه . "٦"

١ — المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

٢ — مؤلف مجهول ، ص ٨٦ .

٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٨١ .

٤ — نفس المرجع السابق والصفحة

٥ — انظر عن حياة تاشفين : ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٤

— اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ — القلقشندي : صبح

الاعشى ، ج ٥ ، ص ٢٥٨ — ٢٥٩ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ

الاندلسي ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨ — محمد عبد الله عنان : عصر

المرابطين والموحدين ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ، ١٤٥ .

٦ — ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٤ — السلاوي : المصدر

السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ — ومن الجدير بالذكر انه في ٢٧ صفر

من هذه السنة عين الامير ابي بكر بن علي بن يوسف والياً عاماً للاندلس

وقائداً لجيوشها ، انظر عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ،

ص ٤٣٨ — ٤٣٩ .

كما تمكن المرابطون بقيادة عبد الله بن ورقا من استرداد حصن كواليه في عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م "١" . وفي نفس السنة تقدمت جيوش قشتالة الى الأندلس ووصلت في زحفها الى مقربة من قلعة رباح ، فخرج الأمير تاشفين للقائها فارتدت الى بلادها "٢" .

وفي عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م سار واعدى بن عمر بن سيرا اللصوني في جيش اشبيلية الى اطراف قشتالة ، والى في النكاية فيها ، ولكن تهاونه ادى الى هزيمته فالزمه أمير المسلمين بدمية من أسروا أنفذ عزله "٣" وولى مكانه ابا زكريا يحيى بن علي بن الحاج . "٤"

وتمكن القشتاليون في عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م من التوغل في الاراضي الاسلامية حتى غدوا على مشارف مدينة قرطبة ، فاستغاث واليها عبد الله بن تينمصر بالامير تاشفين الذي هب مسرعا لنجدة عند ما أثرت القوات القشتالية الانسحاب على الاشتباك مع القائد الفد تاشفين . "٥"

وبدأت القوات القشتالية تضايق المسلمين بانشاء الحصون وشحنها بالقاتلة الذين يسسين كانوا يداومون على الاغارة على الاراضي الاسلامية والعيث فيها . ومن هذه الحصون التي تضرر منها المسلمون حصن انمكة التابع لطليطلة ، فقد شحنه القشتاليون بحدود خم من المقاتلة على رأسهم قائد مشهور اسمه فوندا .

١ — حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين الى الموحدين ، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ١ ، ع ٣ ، ١٩٥٥ م ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٣ .

٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٠ .

٤ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٣ .

٥ — المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٤ .

ولم يجد تاشفين بدءاً من التخلص من هذا الحصن ، فخرج في رمضان من عام ٥٢٤ هـ بجيش غرناطة ، وانضم إليه قرطبه في الطريق ، وهرع المطرعة للالتحاق بالقوات المتقدمة نحو حصن السمكة من عمل طليطلة ، فحاصره تاشفين ، وتمكن من دخوله عنوة وقتل من كان فيه واسرقائه تليو فرنانديث . " ١ " . ثم عرج تاشفين على حصن بارجاس فقتل من رجاله خمسين ، واستمر في تقدمه حتى وصل الى سان سرفادور من ضواحي طليطلة ، ومعه ارتد بقواته جنوباً عائداً الى غرناطة ليجد حشود المستقبلين في انتظاره . " ٢ " .

وتواترت الاخبار في ١٥ رجب عام ٥٢٤ هـ " ٣ " الى والي اشبيلية ابراهيم بن عمر بن الحاج اللقوني ببدء قتاله بقيادة رديجوجنثالث تحركاتها لغزو اشبيلية ولم يشمر الا وقوات العدو تمبث في الشرف " ٤ " . فخرج عمر بن الحاج لمدافعة العدو ووقف على الضفة الوادي ومحت سراياه لتناوش العدو فعادت ببعض الاسرى فقام عمر بن الحاج بحطية استفزازية للعدو بتنفيذه حكم الاعدام بالاسرى على مراءى من اخوانهم في الضفة الاخرى من الوادي فثار حميتهم واقتحموا الوادي واطبقوا على المرابطين ، فسقط عمر بن الحاج شهيداً وتبدد شمل المسلمين ، وتقدم القشتاليون نحو اشبيلية وهم ينهبون ويسبون ويقتلون واستمروا في السير على هذه الحال حتى غدوا على فرسخين منها فذهب تاشفين لانقاذ اشبيلية وجد السير اليها بعد ان قتل

-
- ١ — ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥١ .
 - ٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٤ .
 - ٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٢ — ٨٣ .
 - ٤ — وهو جبل خصب التربة بينه وبين اشبيلية ثلاثة اميال وسمى بذلك لان مشرف من ناحية اشبيلية وهو ممتد من الجنوب الى الشمال انظر الحميري : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .

زعيمها وفض جمعها "١"، ولكن القشتاليين عدلوا عن مهاجمة اشبيلية وعادوا م
حيث أتوا محطمين بالفنائم م عند ها ساو تاشفين نحو الغرب ومعه ابن قنونه والي
قرطبة والتفوا بقوة من النصارى كانت قد افارت على احوال يابرة فهزمها المرابطون
وقتلوا معظم رجالها وانفذوا منها الفنائم والاسرى "٢"

"٣"
وفي عام ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م احدثت القوات النصرانية بحصن ارنيط (ارنيه)
بهدف الاستيلاء عليه عن طريق التجويع بمنع الميرة عنه ، لضايقة هذا الحصن
لهم ، فاستنجد والي قرطبة المصميين في هذه السنة ابو محمد عبد الله بن ابي
بكر بتاشفين بن علي لفتك الحصار عن الحصن فأسرع اليه بقوة يقودها بنفسه . كما
سارع يحيى بن علي بن غانية بالالتحاق بالقوات المتوجهة الى الحصن . فلما علم
النصارى بذلك ارسلوا صرخات الاستغاثة فجاءتهم النجدات ، فاستمد تاشفين وابن
غانية لمواجهتها وما ان جن المساء حتى كانت الدائرة على النصارى ، وبعد هذا
النصر المؤزر عاد تاشفين الى غرناطة في ربيع اول من عام ٥٢٦ هـ / يناير ١١٣٢ م .

وما ان عاد تاشفين من غزوة حصن ارنيط حتى علم ان القشتاليين قد خرجوا
من عاصمتهم طليطلة قاصدين قرطبة فأسرع الى قرطبة لصد هم قبل وصولهم اليها ،
ورأى ان الامر لا يد له من خفة حركة فترك إيقاله بأرجونه "٥" . وخلال ذلك

-
- ١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٢ - ٨٣ .
 - ٢ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .
 - ٣ - وهو حصن منيع عظيم بينه وبين تطيلة ثلاثون ميلا . انظر الحميري : المصدر السابق ، ص ٢٧ .
 - ٤ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٤ - ٨٥ .
 - ٥ - ابن الخطيب : الاطراف ، ج ١ ، ص ٤٥١ .

لجح الجيش القشتالي في احتلال شنت اسطيين ، والوادي الأحمر . الا ان
تاشفين استطاع ان يلحق بالعدو في قرية براشه حيث دارت رحى معركة حامية
الوطيس بين الطرفين استولت فيها شاقة النصارى . " ١ " واسرقائد القسوات
القشتالية مع عشرين من زعمائهم وامثلاث ايدى المرابطين بالغنائم من اسلحة ودواب
وثياب . وسارتاشفين بالاسرى والغنائم الى قلعة رباح القرية من ميدان المعركة
فأصلح احوالها وسد خللها وترك الاسرى لدى اهلها ليفتدوا بهم من يستطيعون
من اسراهم ، ثم عاد في قواته غانماً الى غرناطة . " ٢ "

موقعة قرب الزلاقه

=====

وفي عام ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م جاس القشتاليون في الاراضي الاسلامية ،
فنهبوا وقتلوا " ٣ " . وقام الفونسو السابع المعروف بالسليطين في هذه السنة
مع ابن هود بغزو الاراضي الاسلامية حتى وصلا الى اشبيلية ، وتمكنا من الوصول
الى شريش " ٤ " فاقتحموها وقتلوا من وجدوا فيها واستباحوها والخواتمي
النكاية بالمسلمين ثم قفلوا راجعين الى بلادهم دون ان يعترضهم احد من المسلمين .

-
- ١ - نفس المصدر السابق والصفحة .
 - ٢ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٥ - ٨٦ - محمد
عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .
 - ٣ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ .
 - ٤ - من كورشذونه بينها وبين روطه ستة اميال انظر الحميري : المصدر
السابق ، ص ٣٤٠ .
 - ٥ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

ويظهر ان الفونسو السابع تشجع بعد غزوته المشتركة مع ابن هود فيبادر في جمادى الاولى من نفس العام " ١ " الى تجهيز حملة ضخمة تضم بين صفوفها بعض مشاهير قادة النصارى وآلاف عديده من ابطالهم فعاثوا في احواز بطليوس ، واجسه ، ويابره ، ونكلوا وارعبوا نواحي ما كان يصل اليها عدو وعادوا على مهل .

وعندما علم تاشفين بذلك اخذ يعد المدة للصدام مع هذا العدو المتعجرف الذي خرج يصيث في ديار المسلمين . ويبدو انه استصخ اهل الاندلس للجهاد فتجمعت لديه الجيوش وسار بها على عجل متعقبا آثار العدو حتى ظفر به بفلاة قرب الزلاقة . ولما تراء الجمعان نظم كل طرف صفوفه ، فنظم تاشفين قواته على النحو التالي ، هو في القلب مع وجوه المرابطين وكانت اعلامهم بيضاء ومطرزة بالآيات القرآنية ، وفي الجانبين الكفاة والحماة من ابطال الاندلسيين تتقدمهم حمم الرايات ، وفي الجناحين اهل الثغور من اصحاب الجلاد والصبر ، وكان رأس حربة الجيش الاسلامي مشاهير زناته والحشم بالرايات المطيفة . " ٣ "

ولا نعلم كيف نظم النصارى صفوفهم ، الا انه قياسي على تنظيماهم في معاركهم السابقة ، فانهم كانوا عادة يقسمون جيشهم الى قسمين يقود كل قسم قائد مشهور من قوادهم معتمدين في قتالهم على الشجاعة الفردية عكس المرابطين الذين كانوا يعتمدون في قتالهم على اساس جماعي كل فئة تقاتل تحت راية خاصة بها .

١ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ - ويجعلها

ابن عذارى (البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٨٨ - ٨٩) ، وصاحب

الحلل الموشيه (مؤلف مجهول ، ص ١٢٢) عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م .

٢ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ - ابن

عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٨ - ٩٠ - مؤلف مجهول :

المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

وما هي الا برهة من الوقت حتى التحم الطرفان في معركة دامية تبدد فيها
شمل النصارى ، وكان يوماً مشهوداً للإسلام وفي ذلك يقول ابن الصيرفي :

أما وبيض الهند خصم ————— فالروم تبذل ما طباك تروم
خضعت طوك الروم في تيجانها لا غزوقام بتاجه التميميم "١"
ثم عاد تاشفين في جمادى الاولى سنة ٥٢٨ هـ / ١٢٣٣ م الى قرطبة ومنها
سار الى غرناطة . "٢"

موقعة فحص البكار :-

=====

وفي النصف الاول من شهر ذي الحجة من عام ٥٢٨ هـ اكتسح القشتاليون
الاندلس وطأوا فيه ، فاستنفر تاشفين أهل الاندلس فجاءت اليه النجادات من
غرناطة وقرطبة ، وجاءت جيوش اشبيلية بقيادة واليها نيتان بن علي طليبة النداء
ولحقت بتاشفين بفحص الريحانة ، ومنها اتجه الاثنان يتحقبان العدو واخذوا —
ينتظرانه في فحص البكار "٣" الواقع شمالي قرطبة في منطقة فحص البلوط وهي
بدروش () حاليا . وكان هذا الحصن على درجة كبيرة
من الاهمية لتحكمه في طريق وادي آنه المؤدى الى بطليوس "٤" ، أى على طريق
المدو التي لا محيص له عنها . ولما تقابل الجمعان عزم العدو على المكر والخديعة
فانتظروا حتى اذا أضحى الليل سدوله وركن الجند الاسلامي الى الراحة — لأن التقليد
المألوف في العصور الوسطى يحرم القتال في الليل الا ان النصارى هذه المرة خالفوه
لينتزعوا النصر من المسلمين ، فاخترأوا اربعة الاف من انجادهم الفان من الفرسان

-
- ١ — ابن الخطيب : اعمال الاعمال ، ق ٣ ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨ .
 - ٢ — نفس المصدر السابق والصفحة — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٨ — ٨٩ .
 - ٣ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٠ — ٩١ .
 - ٤ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٩ ، حاشية رقم ١ .

ومثلهم من الرجال^١ وانقضوا على معسكرات المسلمين فهدوا شملهم وانهدمت الاخبية^٢ ونفرت الدواب وقطعت مقاورها فوق القتل والنهب وفر الجند المرابطي عن اميرهم تاشفين^٣ .

ويدوان احد قادة تاشفين قد نصحه بالهرب فبادر بالرد عليه قائلاً :
 ((لا اسلم واسلم الامة ولا ابرح او تنجلي عما انجلت هذه الخمره)) . عندها احدث به عبيده^٤ ورجال من اهل الاندلس^٥ وافذان من المرابطين دون الاربعين رجلاً فحالوا بينه وبين النصارى^٦ واستطاع احد عبيد تاشفين ان يخير مسيرة المعركة بطعنة وجهها الى قائد الجيش القشتالي فأرداه قتيلاً^٧ . عند ذلك انتشر عند محطة النصارى وما بان الفجر حتى دارت الدائرة عليهم^٨ .

وقبل ان يعود تاشفين الى مقره في غرناطة توجه الى حصن قشرش^٩ "٣" وهو من حصون المسلمين ثم رحل الى قرطبة حيث اقيم مهرجان شعري احتفالاً بالنصر وسلامة الامير تاشفين^{١٠} ، فالقى الشعراء بين يديه عيون القصائد التي اشاد فيها اصحابها ببطلته^{١١} "٤" . ومن ابزما قدم قصيدة لابي بكر يحيى بن الصيرفي يهنئها فيها على ما احرزاه من نصر ويحمد الله على سلامته كما ضمنها نصائح قيمة في فنون الحرب وخدع الافداء وكيفية تجنبها وهي نصائح مجرب وتقع هذه القصيدة في ستين بيتاً وتصلح ان تكون نموذجاً لقنون وضروب الحرب في عهد المرابطين^{١٢} ، وتقتطف منها الابيات التالية :—

-
- ١ — ابن عذارى : المصدر السابق ج ٤ ص ٩٠ — ٩١ .
 - ٢ — المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٩٠ — ٩٢ — ابن الخطيب :
 - اعمال الاعلام ج ٣ ص ٢٥٨ — ٢٦٠ — عبد الرحمن الحجسي :
 - التاريخ الاندلسي ج ٤ ص ٤٣٨ — ٤٣٩ .
 - ٣ — قشرش أو قاصرش يقع جنوبي نهر التاجه وشمالى شرقي بطليوس .
 - ٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ج ٤ ص ٩١ .

يا ايها الملأ الذي يتقدم من منكم البطل الهمام الازرع
ومن الذي غدر العدو له جى فانفض كل وهو لا يتزهر
ثم يقول : واحذر كمين الروم عند لقاءهما واخض كمينك خلفها ان تدفع
لا تبقين النهر خلفك عند هذا تلقى العدو وفنشره متوقع
وصدمة اول وهلة لا تتردد بعد التقدم فالنكوص يضعف "١"

ولم يكف القشتاليون عن منازلة المرابطين في الاندلس على الرغم من الهزائم
التي منوا بها ، ولعل ذلك ينبع من حماسهم الديني الذي اذكته في نفوسهم الكنيسة
في روما ، اضافة الى نجاحهم في تحقيق بعض المكاسب المادية في غاراتهم على
اراضي المسلمين . فبعد موقعة فحص البكار بسنتين التقى تاشفين مع القشتاليين
في مكان يعرف بفحص عطيه حيث دارت الدائرة على النصارى وقتل منهم عدد
كبير "٢" . وفي نفس السنة ايضا هزمهم تاشفين في جبل القصر هزيمة نكراء "٣" .

وفي عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م قصد تاشفين بن علي احدى قلاع النصارى —
القريبة من قلعة رباح جنوبي نهر وادي بانه تسمى كركي وفتحها عنوة "٤" . وفي
السنة التالية قصد اشكونيه او شكلونه وفتحها ايضا عنوة ، وامتدت يده بالفتنات
التي حمل منها الى مراكش ستة الاف سبي "٥" وبعد هذه الحملة توقفت حملات
الامير تاشفين في مجاهدة النصارى اذا استدعاه في هذه السنة الى مراكش والسنة

١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٦٤ — ١٦٩

٢ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٤ — السلاوي : المصدر السابق
السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ — محمد عبد الله عزان : عصر المرابطين
والموحدين ، ص ١٤٦ .

٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٤ — ٩٥ .

٤ — ابن الخطيب : الاطاطه ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ ، حاشية رقم ١ .

٥ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٤ — السلاوي : المصدر السابق ،

ج ١ ، ص ١٦٦ .

أمير المسلمين • ١ •

وهكذا كانت الحرب سجلاً بين المرابطين والقشاليين في الأندلس ، فكان كل طرف يعميت في أراضي الآخر ، مما كان له اسوأ الأثر على رعايا الطرفين . وقد امت هذه الحرب الاستنزافية على أفذاذ الطرفين ، ففقد المرابطون عدداً كبيراً من مشاهير قادتهم أمثال مزدلي وولده محمد ، ومحمد بن الحاج ، وأبو بكر بن واسينو وغيرهم . وفقد النصارى أيضاً أعداداً كبيرة من قادتهم ، ففي موقعة أقليم فقط سقط سبعة من مشاهيرهم دفعة واحدة كما قتل الأمير شانجه وعدد كبير من القشاليين . ولكن النصارى كانوا يعوضون خسائرهم البشرية عن طريق الحاصل المتدفق عليهم من أوروبا ، أما المرابطون فكان المصير الممكن أن يعرضهم عن خسائرهم هو بلاد المدوه ، إلا أنها كانت في هذه الفترة مجاورة عن حمام من الدم ، إذ كان المرابطون يخوضون ضد جيوش محمد بن تومرت معركة حياة أوموت مما قضى أيضاً على أفذاذ أبطالهم في المغرب . لكل هذه المواقف نجس الأوضاع تضارب في الأندلس بعد استدعاء الأمير تاشفين إلى مراكش .

١ - عن استدعاء الأمير تاشفين إلى مراكش للاستعانة به في محاربة الموحديين
انظر الفصل الخاص بثورة محمد بن تومرت •

الفصل الثاني

- جهاده ضد مملكة أرغونة وإمارة برشلونة
- خضوع الجزائر الشرقية لسلطان المرابطين

جهادهم ضد مملكة أرغونة وإمارة برشلونة

=====

كانت مملكة نهر (نافار) التي قامت منذ أواخر القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي في المنطقة الفاصلة بين مملكتي قشتالة وبرشلونة ، من أشد الإمارات الإسبانية النصرانية مقاومة للمسلمين ، غزاها المسلمون مرارا ، ودخلوا عاصمتها بنبلونه (Pamplana) أكثر من مرة في القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين ، إلا أنها استطاعت أن تحافظ على استقلالها وتدافع عنه سواء ضد المسلمين أو ضد الفايكنج أو ضد جيوشها من النصارى .

واستمرت نهر على ما هي عليه من قوة ووحدانية حتى نهاية حكم سانتشو الثالث الملقب بالكبير ٣٩١ - ٤٢٧ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٣٥ م الذي قسم مملكته قبيل وفاته بين ابنائه الأربعة فرناندو ، وغرسيه ، وراميرو ، وكونزالوا . فخص أكبرهم غرسيه بالوطن الأصلي نهر وخص راميرو بأرغونة (ارجون) ، وهي رقعة تمتد بحذاء نهره ، وكانت قشتالة وبلطيقية وليون من نصيب فرناندو ، وكانت ولاية سورتابي ورياجرسا ، وهي منطقة ليست ذات شأن لصغرهما في الوسط جبال البرتات من نصيب كونزالوا .

Abdurrahman Ali Hajji : Andalusian Diplomatic Relations With Western Europe During the Umayyad Period. (A.H.138-366/A.D.755-976), P.50-51.

— ١ —

— محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٣٠٧ —

القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ .

— محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية ، ص ٣٠٧ — ٢ —

وكما هو معروف في مثل هذه الاحوال دب الخلاف والنزاع بين الأخوة الأربعة ، فاستمرت نيران حرب أهلية مريعة بينهم تمخضت عن تلاش مملكة سوبراني ، بمقتل أميرها عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م وضم أخيه راميرو أراضيها الى مملكته ارغون ، وبعد كسب هذه الاراضي اخذ راميرو يسمي لضم نبره الى مملكته ، فتحالف مع امراء سرقسطة من بني هود من اجل تحقيق هذا الهدف الا انه هزم في لقاءه مع اخيه غرميه عام ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م .

ولم يمض وقت طويل حتى سقط ملك نبره مدرجا بدماؤه في احدى معاركه الأهلية مع أخيه فرناندو ملك قشتالة سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م . " ١ "

واذا انتقلنا الى الركن الشمالي الشرقي مما يلي جبال البرتات وجدنا امارة برشلونة ، ذلك الثغر الذي سلب من المسلمين في فترة مبكرة عندما انقض عليه شارلمان وضمه الى مملكته في عام ١٨٥ هـ / ٨٠١ م لتأمين حدود فرنسا الجنوبية من اخطار المسلمين . " ٢ "

وكان ملوك الأفرنج يعينون حكاماً من قبلهم لهذا الثغر ، فلما ضعف سلطانهم استقل هؤلاء الولاة بما تحت ايديهم ، وانقسم الثغر الى عدة امارات كان أهمها امارة برشلونة التي كان يحكمها في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي اسرة آل بوريل . وقد استطاع المنصور بن أبي عامر في عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م فتح برشلونة وتخريبها ، الا انه لم يحتفظ بها .

١ — محمد عبد الله عثمان : دول الطوائف ، ص ٣٦٤ — ٣٦٧ .

Abdurrahman Ali Hajji: Op.Cit, P.45.

ومنذ مطلع القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي خضعت
برشلونة لحكم آل برنجير ، فحكمها مؤسس هذه الاسرة الكونت رامون برنجير
الكبير حوالي اربعين عاما ٤٢٧ - ٤٦٩ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٧٦ م . وقد نجح
رامون برنجير خلال حكمه الطويل أن يأخذ بيد هذه الامارة نحو التقدم والازدهار ،
وان يوسع رقعتها على حساب المناطق المجاورة له .

وقبيل وفاته اوصى بحكم امارته الى ولديه برنجير ورامون على أن يحكموها
في آن واحد ، ولكن ما ان ادركته الوفاة حتى اشتعلت نيران الحرب الاهلية بين
الأخوين واستقر الامر في النهاية على ان يحكم كل واحد منهم مدة ستة اشهر على
التناوب ، ولكن بعد فترة قصيرة وجد رامون مقتولا غيلة فخلا الجو لبرنجير وحكم
الامارة منفردا الى ان تخطى عن حكمها عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م لابن اخيه
المقتول رامون برنجير الثالث . " ١ "

وفي خضم هذه الصراعات والمنافسات والدسائس من أجل الفوز بالسلطة
كانت تبرز بين الفنية والفنية بين ملوك وامراء الأسبان النصاري زعامات ذات وزن كبير ،
فقد رأينا في الفصل السابق كيف كان ملك قشتالة الفونسو السادس يصول ويجول
في شبه الجزيرة اليبيرية الى ان حلت الهزيمة بجيشه في اقليش والتي فقد فيها
ولده الوحيد شانه فمات غيظا وحزنا .

وبعد أن غربت شمس الفونسو السادس ملك قشتالة القوى الذي عانى منه
المسلمون في الأندلس معاناة قاسية تسلمت مملكة ارغونة راية حرب الاسترداد ضد
المسلمين خاصة بعدما تولى عرشها في عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٥ م الفونسو الأول الملقب
بالمحارب الذي كان لا نظير له في حماسه الديني في محاربة المسلمين ، والسعى

١ - محمد عبد الله عنان : دول اللوائف ، ص ٣٩٢ - ٣٩٤ - ومن الجدير
بالذكر ان امارة برشلونة دمجت في مملكة ارغونة في عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م انظر :

Abdurrahman Ali Hajji: Op. Cit, P.45.

تبد حياة النعموة ورخاء العيش ليتفرغ لقتال المسلمين ، ١ *

لقد كان الفونسو الأول فارساً جليلاً عالي الهمة شديد الأطماع فيسار جاوره من بلاد المسلمين ، فبعد فترة قصيرة من ارتقائه لعرش أرفونة تزوج من أوراكا ابنة الفونسو السادس ملك قشتالة الوحيدة فأنضم إليه بهذا الزواج ليون وقشتالة ، ودخلت في طاقته جليقية والبرتغال ، وكانت عديان إليه الأتاول وأصبح بذلك سيداً لمعظم شبه الجزيرة الأيبيرية لا يخرج عن سلطانه سوى الأراضي الإسلامية وقطالونية في الشرق . ٢ *

واستطاعت كنيسة روما أن تزيد من الهاب خطاس الفونسو المحارب ببشاراتها ومواعظها الدينية ، ومساعداتها المادية وموازرتها له بإرسال الحملات الصليبية من أوروبا ، ولذلك يمكن اعتبار ملكة أرفونة من الممالك الأسبانية النصرانية الرائدة بعد ملكة قشتالة لحركة الاسترداد النصرانية ، فقد استطاع الفونسو المحارب بحماسة الدينى وطموحه القومى الذى يفوق الوصف لاسترداد الأراضي الإسلامية أن يصبغ الحرب بين المسلمين والنصارى في اسبانيا بالصبغة الصليبية ، فبعد ارتقائه العرش بدأ الفونسو المحارب مشروعه فى استرداد الثغور والمعاقل الإسلامية بمحاولة التهام سرقسطة . وزاد طمعه فيها خاصة بعد استشهاد ملكها المستعين ابن هود ، ولم يلق سرقسطة من السقوط في يده سوى الحرب الأهلية التي نشبت بينه وبين زوجته أوراكا ، وفتح أهالي سرقسطة بعد استشهاد زعيمهم ابواب

١ - ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٣٣ - ٣٤ .

٢ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٠ - ١١١ .

مد ينتهم للمرابطين كما أوضحنا في الباب السابق • وما أن استقر المرابطون فيها حتى تجردوا للدفاع عن هذا الثغر الذي تتهدده الاخطار من قبل الممالك النصرانية المجاورة، فاستطاعوا بقيادة محمد بن الحاج ومحمد بن عائشة من رد الفونسو المحارب وحليفه عماد الدولة اللذين جاءا لفتح سرقسطة عام ٥٠٤ هـ / ١١١١ م على أعقابهما^١ •

وفي نفس الوقت كان المرابطون يقارعون رامون بيرنجير الثالث كونت برشلونه الذي كان كثير الاغارة على الاراضي الاسلامية • فبعد ان استقر المرابطون في سرقسطة شنوا حملة تاديية ضد كونت برشلونه • فخرج القائد المرابطي في سرقسطة محمد بن الحاج في جيش كثيف ميمما شطر برشلونه في عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م وفي طريقه اليها خرب حصن ثرفيرا (Cervera) " ٢ " أو البريه " ٣ " ، ولما وصل الى ظاهر برشلونه وجدها قلعة حصينة لا يمكن فتحها بسهولة • ومن ثم اكتفى بشن الغارات عليها وتدمير كل شيء يمكن ان ينتفع به العدو • ثم جمع اكبر قرد من الغنائم وأخذ طريقه عائدا الى سرقسطة •

موقعة البورت :

=====

واستقر رأى ابن الحاج على أن ييمت الغنائم ومعظم الجيش عبر الطريق الرطاني الكبير • اما هو فقد انتخب مجموعة من انجاده واراد اختصار الطريق عبر مفازة وعرة ومنعطفات خطره • وخلال اجتيازه لهذه المسالك الوعرة كمن له الأروغنيون عند عقبه وعرة قريبة من حصن كونجست دل مارتوريل (Congost del Martorell)

١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٤ •

٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٧٥ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص

١١٢ - ١١٣ •

٣ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٠ •

وما جموه فقاتلهم قتال من رأى أنه ملاق به فأراد أن يقابله على أفضل صورة وهو مدرج بدماؤه فكان له ذلك واستشهد معه جماعة من المطوعة "١" ، وكان ممن بينهم قاضي لارده المعروف بابن قبيوق "٢" ، وأما القائد محمد بن عائشة فقد تخلص من الكمين المنسوب بحيلة وعاد إلى بلاد المسلمين ، إلا أنه ما لبث أن فقد بصره بعدها بمده "٣" .

وتعرف هذه الواقعة باسم البورت وهي كلمة افرنجية تعني في اللغة العربية كلمة "الباب" "٤" . وقد اهتزت جنات الأندلس لهذه الفاجعة التي حلت بالمرايطين الذين جاءوا للمحافظة على الديار وحماية الذمار في الأندلس .

وعندما علم أمير المسلمين علي بن يوسف بخبر هذه الفاجعة انتدب لولايسة سرقسطة بدلا من واليها الشهيد ابن الحاج ، أما بكر بن ابراهيم بن تافلويت "٥" الذي كان عاملا علي مرسية "٦" . وقد صمم ابن تافلويت على الثأر لهزيمة ابن الحاج ، فسار في عام ٥٠٨ هـ / ١١١٥ م على رأس جيش ضخم مكون من قوات سرقسطة ، ونسيه ، وكل من يستطيع حمل السلاح واتجه إلى برشلونه ، وطأ في أحوازها ومزارعها "٧" ، وضرب حولها الحصار عشرين يوما ، فخرج أميرها لأمون برنجير في

١ — المصدر السابق نفسه ، ص ١٦١ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٢ — ١١٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطيين والموحدين ، ص ٧٥ .

٢ — هو يحيى بن محمد الأموي المعروف بابن قبيوق من أهل لارده ، وسكن شاطبة وولي قضاءها ثم استعفى وانتقل إلى بلنسية ، فشاور قاضيها حينئذ انتظر : ابن الأبار : المعجم ، ص ٣٠٩ .

٣ — المصدر السابق نفسه ، ص ٥٥ .

٤ — المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٤ — والمرب يطلقون كلمة الباب على بداية الدرب الذي يتحكم في عبور الجند له .

٥ — وهو مدوح ابن خفاجة ومخدوم أبي بكر بن باجه ، توفي عام ٥١٠ هـ . انظر : السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٣ — ١١٤ .

٦ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦١ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

٧ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطيين والموحدين ، ص ١٢٥ .

قوات عظيمة مكونة من برشلونة وأريونة ، ودارت رحى معارك عنيفة بين الطرفين
قتل فيها عدد كبير من النصارى ، واستشهد من المسلمين سبعمائة .^{١٢٠}

وفي الوقت الذي كان فيه ابن تافلويت يخوض غمار حرب دامية مع أمير
برشلونة ، انتهز الفونسو المحارب غياب الجيوش عن سرقسطة وقصد دخولها ، فتصدى له
عبد الله بن مزدلي ، الذي هب لنجدة المدينة واشتبك معه في معركة ضارية سقط
فيها عبد الله بن مزدلي شهيداً .^{١٢١}

لقد صمم الفونسو المحارب على الاستيلاء على قواعد الثغر الأعلى ، وركّز
جهوده على سرقسطة . وكما رأينا في الباب الثاني استطاع أن يجرد لهذا الهدف
 حملة صليبية ضخمة نجحت في دخول سرقسطة عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، ولم تبذل
 جهود مكثفة من قبل المرابطين لانقاذ هذه المدينة ، لانشغالهم بمحاربة الموحدين ،
 ان لم يعد في قدرتهم ارسال حملات ضخمة الى الأندلس لتحقيق مثل هذا الهدف .

ويظهر أن الفونسو المحارب ادرك وضع المرابطين الحرج فاستغل ذلك أحسن
 استغلال . كما أن انتصاره الكبير على المرابطين بدخول سرقسطة شجعه على
 السير قدماً في اسقاط بقية قواعد الثغر الأعلى . وما زاد في طموحه أيضاً تحسن
 علاقته مع أمير برشلونة عن طريق الصاهرة التي أدت الى اتحاد أريونة وبرشلونة .^{١٢٢}

= ص ٧٥ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٢ — ١١٣ .

١ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

٢ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٣ — ١١٤ .

٣ — إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

وحتى يضمن الفونسو المحارب خطاً دفاعياً جيداً لحماية عاصمته الجديدة
سرقسطة، كان عليه أن يستولي على كل القلاع ذات الموقع الاستراتيجي التي تهدده ،
ولذلك اتجهت أنظاره الى قلعة أيوب وهي من أمنع معاقل بلاد شرق الأندلس
فافتتحها عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م ، "١"

والغريب أنه في هذه الفترة كان أمير المسلمين علي بن يوسف قد جاز من
العدوة الى الأندلس ، وبدلاً من أن يكف جهوده لاستنقاذ سرقسطة ، أو قلعة
أيوب ، أو على الأقل تقوية الوسائل الدفاعية في منطقة الشفر الأعلى بزيادة عدد
الجند ، وتزويد المعاقل الحصينة بالمؤن والعدة والعتاد والرجال ، أو أن
يقوم على أقل تقدير بحملة استعراضية في الشفر الأعلى لرفع معنويات جنده ورعيته
في تلك المناطق ، وبدلاً من كل ذلك فقد توجه الى غرب الأندلس ، حيث قام بعدة
عطيات عسكرية . "٢"

موقعة كتنده :-

=====

لقد أخذ الفونسو المحارب ينفذ مخططة التوسعي بكل دقة واحكام ،
فبعد أن ملك قلعة أيوب الحصينة سار نحو كتنده من حيز دوقه (Daroca)
من عمل سرقسطة "٣" ، وضرب عليها الحصار وضيق على أهلها "٤" ، فانطلقت
صرخات الاستغاثة من أهل شرقي الأندلس طالبة العون والمساعدة من المرابطين ،
فهب الي نجدتهم من قرطبة الأمير ابو اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين على

١ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٣ - ١٦٤ - السلاوي :

المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

٢ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

٣ - ابن الآبار : المعجم ، ص ٧ - ٨ - المقرئ : المصدر

السابق ، ج ٦ ، ص ٢٠٥ .

٤ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٨٦ - الذهبي :

المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٣٣ ب .

رأس قوة صغيرة ، وعلى الرغم من ضعف هذه القوة ، إلا أن أهل شرقي الأندلس
تحسبوا بمقدورها حماساً منقطع النظير ، فما أن وطأت حوافر خيول هذه القوة أرض
شرق الأندلس حتى توافدت جماعات المتطوعة منضية إليها ، وبادر العلماء والفقهاء
أمثال أبي علي الصديقي ^١ ، وأبي بكر بن العربي يلبسون دروعهم للمششاركة
في شرف الجهاد — ^٢

ويظهر أن الفقهاء والمرافقين للقوة المرابطية أدركوا أهمية تعبئة الجنود
نفسياً قبل خوض المعركة الفاصلة مع العدو ، فكانوا لا يدخرون وسعاً في اغتنام الفرص
لبث المواعظ والارشادات طوال مسيرة هذه القوة من مرسية إلى كتندة . فكان
أبو علي الصديقي يواظب على اللقاء دروسه في أوقات الاستراحة ، فعنده ما توقف
الجيش بعض الوقت في شاطئ جنوب بلنسية المسمى هناك دروسه ، وربما في غيرها
من مدن الطريق ، وحتى في مدينة المعركة أو قريبها المسمى عدة دروس ^٣ .

وفي يوم الخميس ٢٤ ربيع أول عام ٥١٤ هـ / أواخر يونيو ١١٢٠ م ^٤
دارت رحى معركة عنيفة بين الجيش الإسلامي والقبائل للحارب عند كتندة ، وفي
هذه المعركة هزم المسلمون هزيمة نكراء وقتل عدد كبير من المتطوعة بلغ عدة آلاف —
بينما لم يتكبد الجند المرابطون خسائر جسيمة ، لأنهم فروا وتركوا المتطوعة يصلون
نيران المعركة وحدهم . ومن سقط شهيداً في هذه المعركة أبو عبد الله —

١ — هو حسين بن محمد بن فيره بن جيون يعرف بابن مكره الصديقي من أهل
سرقسطة وسكن مرسية . (انظر عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ،
ص ٤٢٩ — ٤٣٠) .

٢ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٥ — ١١٦ .

٣ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٣٠ — ٤٣١ .

٤ — ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٤ — ابن الآبار :

المعجم ، ص ٧ — ٨ .

الفراء قاضي المرية " ١ " ، وأبو عبد الله الصديقي " ٢ " . هذا ويقدر ابن الآبار " ٣ " عدد القتلى من المتطوعة بنحو عشرين ألفاً ، وقد عاهد من بقي منهم على أن يقيموا الحياة إلى بلنسية .

وقد عبر ابن العربي بمثل مغربي دارج عن مدى خسائر المسلمين — في هذه المعركة عندما سئل عن حاله فقال : ((حال من ترك الخياء والعباء)) ، أى أنه قد فقد جميع ما لديه . " ٤ " .

وطارت أخبار هذه الهزيمة في أرجاء المغرب والأندلس . ويبدو أن أمير المسلمين علي بن يوسف أدرك ما يترتب على هذه الهزيمة وما سبقتها من هزائم من تضعف لمركز المرابطين في الأندلس ، فأراد أن يعيد ثقتهم به ، فجاز عام ١٠١٥ هـ / ١١٢١ م ليأخذ بثأر هزيمة كتندة ، إلا أنه فشل في التقدم نحو سرقسطة " لأحكام حراستها من قبل الفونسو المحارب كعادته أن سيطر على معاقلها ، فالتقى بمناوشة نواحي طليطلة والبرتغال . " ٥ " .

ويظهر أن أمير المسلمين علي بن يوسف حمل أخاه إبراهيم بن يوسف مسؤولية هزيمة كتندة ، واعتبره مقصراً في اتخاذ التدابير والاستعدادات الكافية للمعركة ، ويبدو أيضاً أنه استمع لشكاوى أهالي المتطوعة وبعض من حضر هذه الموقعة عن موقف الأمير إبراهيم والجيش المرابطي المزرى كحين تركوهم نهياً لرمح وسيوف الأعداء ، ولذلك أصدر ^{أمه} بنزل ومعاقة أخيه إبراهيم " ٦ " .

١ — هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا المصروف بابن الفراء ، وهو من أهل المرية وقاضيا (أنظر : ابن بشكوال : المصدر السابق ج ٢ ، ٥٤٢٦) .

٢ — المقرئ : المصدر السابق ج ٦ ، ص ٢٠٥ — ابن الآبار : المعجم ، ص ٧ — ٨ .

٣ — المعجم : ص ٧ — ٨ .

٤ — المقرئ : المصدر السابق ج ٦ ، ص ٢٠٥ .

٥ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٥ — ١١٦ .

٦ — ابن عذاري : المصدر السابق ج ٤ ، ص ١٠٦ ، حاشية رقم ٣ — ابن الآبار : المعجم ، ص ٥٥ — ٥٦ .

ومن النتائج التي ترتبت على هزيمة كتندة وسقوط المدينة بيد الفونسو المحارب أنه أصبح في مأمن في سرقسطة ، لأن ذلك اتاح له أن يستولى على القلاع والحصون التابعة لها . وهذا ما حدث فعلاً بعد موقعة كتندة فلم تجرؤ القوات المرابطية على الاقتراب من سرقسطة ، " ١ "

غزوة الفونسو المحارب الكبرى للأندلس

=====

لقد لاقت انتصارات الفونسو المحارب المتلاحقة على الجيوش المرابطية واستمراره في التهام الاراضي الاسلامية ، اضافة لصرخات بابوات روما المدوية الداعية الى احياء الروح الصليبية في نفوس الاسبان من أجل اجلاء المسلمين عن الأندلس اننا صاغية من قبل رجال الدين النصاري الذين كانوا يعيشون تحت الحكم الاسلامي في الأندلس فقرأوا من واجبهـم الوطني الوقوف الى جانب الممالك النصرانية التي تحاول طرد المسلمين من الأندلس . هذا بالإضافة الى استيائهم من وضع النصاري (المستعمرين) الذين أقبلوا على الثقافة العربية اقبالا عظيما ، ولذلك كانوا يحاولون ايقاف هذا الاقبال بأي ثمن . " ٢ "

-
- ١ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٧ — ١١٨ .
 - ٢ — عن اوضاع اهل الذمة منذ الفتح الاسلامي حتى خروج المسلمين من الأندلس ، وعن بعض تحركاتهم ضد الدولة الاسلامية انظر : ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص ١١٩ — ١٢٧ — محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ص ٤١٠ — ٤١٢ — عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٠٧ — دول الاسلام في الأندلس ، ج ١ ، ص ٢٦٤ — لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ج ٢ ، ص ٢٧ — ٢٩ — علي الجارم : قصة العرب في اسبانيا ، ص ٧٢ — ٧٩ — أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس ، ص ١٩٤ — ١٩٥ ، ٢٠٣ — ٢٠٥ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

واقـد وجد المستعـربون في شخصـية الفونسـو المحارب مطلبهم لينخلصوا
انفسهم من الانجراف في التيار العربي ، فبعثوا اليه مندوبين عنهم يطلبون منه
القدوم الى غرناطة ليساعده في افتتاحها قاطعين له الوعود بأن يقدموا له كـل
عون ومساعدة من عده ومؤنة ورجال . " ١ "

ولعل سبب تزعم نصارى غرناطة لهذه المؤامرة دون غيرها من الحواضر ،
يعود لكونها أكبر حاضرة يتجمع فيها اكبر اعداد المستعربين ، من حيث العدد والشراء
والنفوذ . " ٢ " كما انها ايضا عاصمة المرابطين في الاندلس ، فسقوطها يعني ضربة
قاسية للمظهر للوجود المرابطي في الأندلس ، لا بل للوجود الاسلامي ككل فـي
الأندلس ، لما سيترب على ذلك من انتشار الذعر والخوف في قلوب المسلمين ، كما أن
سقوطها سيجعل المناطق التي لم تسقط بعد بين فكي كماشة الأعداء .

ويبدو أن الفونسو المحارب كان متردداً في تلبية نداء المستعربين فـي
غرناطة من أجل فتحها ، لذا تكررت عليه وفودهم ملحة في طلبها ، ووصفه له خيرات
غرناطة من محاصيل وثمار مختلفة من قمح وشعير . وكتان ، وكروم ، وزيتون ، وفواكه ،
وكثرة عيونها وأنهارها المنبثقة من قصبته ومرافقها وميرها ، وأنها بحكم موقعها
الاستراتيجي و ثرائها تعتبر سنام الأندلس . فلما لمسوا منه الابطاء بعثوا له باسماء
اثنى عشر ألف من انجادهم الذين سيكونون تحت تصرفه عندما يتقدم اليهم . " ٣ "

-
- ١ — عبد الرحمن الحجيبي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٣٢ — ٤٣٣ .
 - ٢ — محمد عبد الله عثمان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٠٦ .
 - ٣ — ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٠٨ — ١٠٩ —
ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٩ — مؤلف
مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ — ٩٢ .

وازاء هذه الاعراء عزم الفونسو المحارب على القيام بحملة ضخمة على
الاندلس من أجل دخول غرناطة ، فانتخب من قواته اربعة الاف فارس " ١ " من
أتجاده من أرغونة وتعاهدوا على الأنجيل أن لا يفراحد منهم عن صاحبه " ٢ " ثم
ما لبث أن أضاف الى فرسانه خمسة عشر ألف راجل " ٣ " وعزم على أن يحيط
غزوته تلك والهدف الذي تسعى اليه بالكتمان الشديد " ٤ " .

وفي أول شعبان عام ٥١٩ هـ / سبتمبر ١١٢٥ م " ٥ " خرجت جحافل
الفونسو المحارب من سرقسطة يتقدمها اسقفا سرقسطة ووشقه " ٦ " واتجهت نحو
بلنسية فوصلت في يوم الثلاثاء ٢٠ رمضان ٥١٩ هـ " ٧ " . وخلال تواجد الفونسو
المحارب على اراضي بلنسية هرع اليه المعاهدون للانضمام اليه وتقديم المساعدة
والعون له ، وأخذوا يدلونه على المسالك ، ويوشدونه الى عورات المسلمين
وكل شيء يضربهم . ومن بلنسية تحرك نحو مرسية عن طريق بسطة " ٨ " .

١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ — ٩٢ ، ويندكرابن
عذارى (البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦٩) ان عدد الفرسان
خمسة الاف .

٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ — ٩٢ .

٣ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٩ .

٤ — ابن الخطيب : الاخطاه ، ج ١ ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

٥ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٥ — وهناك خلاف حول
تحديد بداية الزحف فيذكر صاحب الحلل الموشية (مؤلف مجهول ،
ص ٩٥ — ٩٢) انه في منسلخ شعبان عام ٥١٩ هـ ، اما ابن
الخطيب (الاخطاه ، ج ١ ، ص ١٠٩ — ١١٠) فيذكر
أنه بداية شعبان عام ٥١٥ هـ .

٦ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٠٧ — ١١٠ .

٧ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٥ .

٨ — مدينة متوسطة تقع الى الشمال الشرقي من غرناطة وتبعد عنها نحو ١٢٥ كم ،

(انظر الحميري : المصدر السابق ، ص ١١٣ — مؤلف مجهول :

المصدر السابق ، ص ٩٢ ، حاشية رقم ٩١) .

التي طمع فيها لكونها غير محصنة ، ولأن أكثر عاراتها غير مسورة . ثم سار حتى وصل الى وادي آش " ١ " يوم الجمعة أول ذي القعدة وأقام يقاتلها من الجمعة حتى الاثنين " ٢ " ، وحدها أخذ يكرر محاولاته لدخولها مدة شهر " ٣ " .

وتابع الفونسو سيره في اتجاه غرناطة فسار حتى وصل الى قرية فنيانـه الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة وادي آش وأقام عليها شهرين " ٤ " . وخلال ذلك أخذ المعاهدون في استدعائه فافتضح أمرهم " ٥ " ، وحاول الأمر تميم السيطرة عليهم الا أنه لم يستطع ذلك لكثرتهم فأخذوا يتسللون الى الفونسو من كل فج فكـر ربطه وضخت قواته ، وأخذ يضايق مدينة وادي آش والمحلات الأخرى في طريقه " ٦ " .

- ١ — من أعمال غرناطة ، وهي مدينة كبيرة تحيط بها البساتين ، ومن أعمالها حصن جليانـه . وهو حصن عظيم ينتعد عنها ١٢ ميل (انظر ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١١٢ — ١١٣ — القرى : المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٤٢ — ١٤٣) .
- ٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ — ٩٢ .
- ٣ — محمد عبد الله عثمان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٠٨ — ١٠٩ .
- ٤ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٣ — ٩٤ — ويذكر ابن الخطيب : (الاخطه ، ج ١ ، ص ١٠٩ — ١١٠) أن المدة كانت شهرًا .
- ٥ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٠ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ .
- ٦ — ابن الخطيب : الاخطه ، ج ١ ، ص ١١٠ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

وفي هذا الوقت طارت أخبار هذه الفزوة الى اسطخ أمير المسلمين علي بن يوسف فأنفذ أمره على الفور الى سائر أقطار العدو به بتوجيه الجيوش الى الأندلس ، فجدت جيوش العدو السير لتحديق بالمدينة المستهدفة من قبل العدو ولأغوائه من المعاهدين وأخذت بها ، ثم أقبلت عساكر بلنسية ومرسية للفرض ذاته " ١ " ، وصارت الجيوش المرابطية كالنداء حول غرناطة وهي وسطها كالنقطة " ٢ " .

وتحرك الفونسو المحارب نحو قرية دجيم إحدى قرى غرناطة " ٣ " يوم عيد الأضحى فصلى الناس بالمصلى صلاة الخوف " ٤ " وهم في كامل أسلحتهم واستعدادهم ولما وصل الفونسو المحارب الى مدينة غرناطة كانت قواته قد بلغت خمسين ألفا حيث ضرب محلته بالقرب منها بضع عشرة ليلة لم يستطع فيها القيام بأى عمل عسكري ضد غرناطة لتوالي تساقط الأمطار وانخفاض درجات الحرارة ، إلا أن المعاهدين كانوا يجلبون اليه المؤن " ٥ " ، وخلال ذلك وصل اليه زعيم المعاهدين

١ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ — ٩٧ .

٣ — المصدر السابق نفسه ، ص ٩٤ .

٤ — فرضت صلاة الخسوف يوم الخندق وتؤدى على النحو التالي : طائفة تصلي مع الإمام ركعة واحدة وطائفة تحرسهم وتواجه العدو ، ثم يقف الإمام فترجع الطائفة الأولى لتحل محل الثانية ويتابعوا مع الإمام حتى إذا جلس انتظر حتى يأتوا بالركعة الثانية ، ثم يسلم فيسلموا ، أما الطائفة الأولى فتتم وحدها . والصلاة تؤدى قصرا . (انظر محمد بن إدريس الشافعى : الرسالة ، ص ٢٤٤) .

٥ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

٦ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٤ — ٩٧ .

ابن القلاس ، وحدث مشادة بين الفونسو المحارب وابن القلاس تبادل الطرفان فيها الاتهامات بالاخلاق في الشروط التي تم الاتفاق عليها ، فقد اتهم الفونسو المحارب ابن القلاس بأنه لم ينفذ بوعده التي قطعها له ، ورد ابن القلاس الاتهام بأن الفونسو تأخر حتى اقبلت الجيوش الاسلامية من الشرق والغرب وبلاد المندوب ، ثم حمل ابن القلاس الفونسو مسؤولية هلاك المعاهدتين اذا هو اقلع عن محاولة دخول غرناطة .

وفعلًا قرر الفونسو المحارب العودة الى بلاده بعد أن رأى حصانة غرناطة ، وكثافة الجيوش الاسلامية المحددة بها ، فتحرك عائدا لأربع بقين من ذي الحجة عام ٥٢٠ هـ / ٢١ يناير ١١٢٢ م "١" . وما أن تحرك عنها حتى تتبعته الجيوش الاسلامية أنياله تناوشه حتى اذا ما وصلت قواته حصن لسانه "٢" ، تقابل الجيشان في منطقة تابعة لهذا الحصن تسمى الزنيمول ، وحدثت مناوشات أثناء النهار كان النصر فيها حليف الجيش الاسلامي ، ولكن لما أن ارخي الليل سدوله حتى قام قائد الجيش الاسلامي بتصريف غير مسؤول عندما امر بتغيير مقر قيادته من مكان منخفض الى آخر مرتفع ، دون أن يدرك ما لهذا الاجراء من خطورة على نفسية جنده الذين ظنوا أن أميرهم قد عزم على الانسحاب فولوا مدبرين ممن معسكرهم فحدث الاضطراب والاختلال في المعركة الاسلامية "٣" .

ولم يصدق العدو ما يسمع وما يرى في المعركة الاسلامية ، وعلى الفور قام

-
- ١ - ابن الخطيب : الاخطاه ، ج ١ ، ص ١١٠ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٣١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ - ٩٦ .
 - ٢ - حصن من حصون غرناطة الدفاعية يقع على الشمال الغربي منها : (انظر مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ ، حاشية) .
 - ٣ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٣١ - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ - ٩٦ .

الفونسو المحارب باستنفار جنده وقسمهم الى اربعة ألوية وحمل على المسلمين فكانت الدائرة عليهم كما استولى على محلتهم "١" يوم الأربعاء ١٣ صفر ٥٢٠ هـ "٢" وتشجع الفونسو المحارب بعد هذا النصر غير المتوقع وقرر العودة مرة أخرى الى غرناطة بقصد دخولها فوصل اليها بعد أن مر على عدة قرى ومدن وحاصـون دمرها جميعها عـاك فيها ، وخرب أرباضها ، وحرق زروعها وجمع سبيها . وعلى ثلاثة قواسخ من غرناطة ضرب الفونسو محلته ، وأقام بها ثلاثة أيام "٣" . ويبدو أن حصانة المدينة وقوة الحامية المحيطة بها ، خيبت رجاء الفونسو فحزم خيامه وقفل راجعا الى بلاده وفي طريقه اليها كانت القوات المرابطية تتعقبه فنهبت وقتلت أعدادا كبيرة من جنوده . وما زاد الأمر سوءا بالنسبة له تفشي الهاء بين جنده فأخذ يطوى المسافات للحاق ببلاده تاركا في كل موقع حـلـل فيه هلكى ومرض الى أن عاد الى بلاده "٤" بعد أن عاك في الأرباض الإسلامية وجمع الفنائم الوفيرة منها "٥" مدة ستة وثلاثة أشهر "٦"

لقد عاد الفونسو المحارب الى بلاده دون أن يحقق هدفه الذى خرج من أجله وهو الاستيلاء على مدينة غرناطة . ولولا تباطؤه في الحصول اليها أول مرة والذى مكن الجيوش الإسلامية من جمع حشودها واستقدام نجادات جديدة من سائـر

-
- ١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٥ — ٩٦ .
 - ٢ — ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٦١ .
 - ٣ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧١ — ٧٢ .
 - ٤ — ابن الخطيب : الاطـه ، ج ١ ، ص ١١٠ — ١١٣ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٢ —
 - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٣١ .
 - ٥ — الذهبي : المصدر السابق ، ج ٨ ، ورقة ١٤٠ ب .
 - ٦ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

انحاء الأندلس والعدوه، ولولا أن أدركه فصل الشتاء لتمكن الفونسو من تحقيق هدفه الكبير لأنه دخل الأندلس بجيوش جراره، إضافة لآلاف المعاهدين الذين انضموا إليه .

وكشفت هذه الحملة عن تدهور الأوضاع في الأندلس . فقد أظهرت تمزق الجبهة الداخلية فيه . فالمعاهدون القاطنون في المدن الإسلامية أظهروا نواياهم الخبيثة تجاه المسلمين ، وأخذوا يحيكون الدسائس والمؤامرات ضدهم . غير أن هذه الحملة نهبت الدولة المرابطية والمسلمين في الأندلس إلى خطورة المعاهدين ، فأخذت تحسب لهم حساباً كبيراً كما شددت المراقبة عليهم وأنزلت أشد العقوبات بالمتآمرين منهم .

كما كشفت هذه الحملة عدم كفاءة قائد الجيوش المرابطية في الأندلس تميم ابن يوسف ، على أن أهم نتائجها بالنسبة للجبهة الإسلامية وهو ما كشفت عنه . من ضعف الوسائل الدفاعية في الأندلس وخاصة فيما يتعلق بالقلاع والاسوار .

كل هذه الأمور أدركها رجال الأندلس من علماء وفقهاء ، ويظهر أنه بعد مشاورات جرت بينهم استقر رأيهم على ندب ابن رشد للذهاب إلى مراكش ليخبر أمير المسلمين علي بن يوسف بما آلت إليه حال الأندلس ، وما اكتشفوه من خلل بمعد غزوة الفونسو المحارب .

وتوجه ابن رشد في يوم الثلاثاء أول ربيع أول ٥٢٠ هـ إلى مراكش وحدث أمير المسلمين بما يراه علماء الأندلس " ١ " من تخريب المعاهدين لموقفهم من الفونسو المحارب واستدعائهم له ومساعدتهم له " ٢ " ، وما يروونه من عزل أخيه

١ - ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٦٣ .

٢ - ابن الآبار : المعجم ، ص ١٥٥ .

تيمم وتقديم غيره "١" . كما اقترح ابن رشد ايضا على أمير المسلمين ضرورة ترقية
الأسوار والقلاع في الاندلس والمغرب ، وبناء سور لمدينة مراكش "٢" .
وفعلا قام أمير المسلمين بتنفيذ كل هذه الاقتراحات ، وكتب الى سائر
انحاء الاندلس بالنظر في الاسوار في جميع البلاد "٣" ، وقام والى غرناطة
الجديد باصلاح اسوارها ، وقام أهل قرطبة باصلاح سور مدنتهم ، وكذلك
فعل أهل اشبيلية ، وأهل المرية ، كما قام بمزل اخيه تيمم وعين بدلا منه
واليا جديدا اسمه عيـنـمـلـو "٤" . وفي شهر رمضان من نفس السنة اصدر
امير المسلمين امره بتغريب المعاهدين الى ناحية بكتاسه وسلا وغيرها من
بلاد المدوة "٥" .

ويظهر أن الذين غريبوا هم الفئات التي اشتركت في المؤامرة بشكل فعلي ،
ومما يبرهن على ذلك انه في عام ٥٢٢ هـ : ١١٢٨ م جاءت شكوى من المعاهدين
الى أمير المسلمين يشكون فيها ظلم واليهم عمر بن ناله "٦" .

-
- ١ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٦٨ .
 - ٢ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٣٤ .
 - ٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٣ .
 - ٤ — احسان عباس : تاريخ الادب الأندلسي ، ص ٣٠ .
 - ٥ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٣٤ — هذا وقد
عاد ابن رشد الى قرطبة في يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الاولى ٥٢٠ هـ ،
(انظر : ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٩٦٣ — مؤلف
مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ — ٩١) .
 - ٦ — ميراندا : علي بن يوسف واعماله في الاندلس ، ص ١٧٥ .

كما يبدو أن العدد الأكبر من المعاهديين الذين اشتركوا في المؤامرة قد

انسحبوا مع الفونسو المحارب عندما ايقنوا فشل مخططهم . " ١ " .

ولكن لماذا غلب هؤلاء المعاهدون الى سلا ومكناسة بشكل خاص ؟

لعل الدولة المرابطية فكرت في الاستفادة منهم باسكان قسم منهم في بعض المناطق الزراعية لاستغلالها كمدينة سلا مثلا المشهورة بخصوبة اراضيها " ٢ " ، أو بالاستفادة

من بعضهم كجند مرتزقة كما ضم امير المسلمين عدد منهم الى حرسه الخاص . " ٣ " .

وأما الفونسو المحارب فقد استفاد فائدة كبيرة من غزوته تلك فقد تعرف على

معاقل ومدن الاندلس عن قرب ، وعرف اماكن القوة والضعف فيها ، واستطاع

ان يوجد له فيها عملاء دائمين من المعاهدين ، وان يكتسب اعدادا منهم انضموا

الى جيشه ، كما توصل الى حقيقة هامة وهي أن افضل طريقة لطرد المسلمين

من الاندلس هي اجلاؤهم على مراحل بانتزاع معاقلهم الواحد بعد الآخر .

موقعة القلاع

=====

فبعد هذه الغزوة أخذ الفونسو المحارب يستكمل سيطرته على معاقل الشمال

التي لم يكن قد بقي منها في ايدي المسلمين سوى طرطوشة ، ولاردة ، وإفراغة ،

فأخذ يعمل على الاستيلاء على طرطوشة الميناء الهام على البحر الأبيض المتوسط ،

ولكن تحقيق هذا الهدف لم يكن بالامر اليسير ان لابد له أولا من الاستيلاء على

١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١١٢ .

٢ - القلقشندي : صبح الأعشي ، ج ٥ ، ص ٦٩ .

٣ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١١٤ .

لأردنه وإفراغه ، وأن يخوض في سبيل ذلك عدة معارك مع المرابطين . ومن أجل ذلك خرج من عاصمته سرقسطة عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م وزحف في اتجاه أفراغه ولأردنه ، وسار بقواته جنوباً نحو بلنسية .

وكان المرابطون بعد غزوة الفونسو الكبرى عام ٥١٩ هـ قد كفوا حامياتهم ونشأ عيونهم على حدودهم مع الفونسو المحارب . ولذلك استطاعوا أن يتمروا على نوايا الفونسو المحارب ، وأنه يزعم القيام بحملة كبرى كذلك التي قام بها على الأندلس في عام ٥١٩ هـ . فبادروا بإرسال هذه المعلومات إلى أمير المسلمين في مراكش ، طالبين منه المدد والمعون . فبادر أمير المسلمين بإرسال جيش من السود إليهم ، وأوعز إلى مدن الأندلس وحواضرها بأن تتكفل بنققات هذا الجيش كل ناحية حسب طاقتها . وقد وصلت هذه الحشود إلى مرسية تعزيزاً للجيش المرابطية في شرق الأندلس .

وتقابلت الجيوش الإسلامية مع جيوش الفونسو المحارب في منطقة يقال لها القلعة أو القليعة جنوب بلنسية . وهناك دارت الدائرة على الجيش الإسلامي ، بعد أن فقد من أفرادهِ اثنا عشر ألفاً بين قتيل وأسير ، واستولى الفونسو المحارب على القلعة وأقطعها لأحد أتباعه . ١٠

وعندما وصلت أخبار هذه الهزيمة إلى إسماع أمير المسلمين علي بن يوسف غضب لذلك غضباً شديداً ، وبادر بإرسال رسالة تهنيئ لجنده وقادته محملاً إياهم عبء الهزيمة .

ويستفاد من هذه الرسالة أن جيش المرابطين في هذه الموقعة كان أكثر عدداً من جيش الفونسو المحارب ، وأن قائد جيش المرابطين هو أبو محمد بن أبي بكر بن سير اللمتوني ابن اخت أمير المسلمين علي بن يوسف . كما يستفاد منها أيضاً أن هذه الموقعة وقعت في النصف الأول من عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م .

ومما جاء في هذه الرسالة التي كتبها ابن أبي الخصال على لسان أمير المسلمين علي بن يوسف إلى قادة المرابطين في شرق الأندلس في السابع من شهر شعبان ٥٢٣ هـ ما يلي : ((واتوا فقتلنا مع عدوكم ، وأنتم أوفر منه عدة ، وأكثراً جمعاً ٠٠٠ وكنتم في تلك الموقعة قرة عين الحاسد وشامة العدو والراصد ٠٠٠))^١ ونستطيع على ضوء هذه الرسالة والرسائل التالية التي وصلت إلى قادة الشرق الأندلسي من قبل أمير المسلمين أن نتعرف على أسباب هزيمة المسلمين في القلاع على الرغم من كثرة عددهم .

فيتضح أنه لم يكن هناك تنسيق بين القوات النظامية والمتطوعة ، فقد ترك النظاميون المتطوعة وهربوا تاركين إياهم نهباً لرماح وسيوف العدو . وإذا علمنا أن المتطوعة يشكلون جزءاً لا بأس به من الجيش الإسلامي علمنا مدى خطورة مثل هذا التصرف على وجود المرابطين في الأندلس ، إذ سينظر إليهم أهل الأندلس نظرة حقده وعداء لتسليمهم إياهم للأعداء على هذا النحو ، وسيدفعهم هذا الحقد والعداء على المرابطين إلى تحيين الفرص للتخلص من حكمهم . ومما يؤكد فرار الجند النظامي عن المتطوعة ما جاء

١ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١٣٩ — ١٤٣ — محمد عبد الله عنان :
عصر المرابطين والموحدين ، ص ٥٤١ — ٥٤٤ .

في رسالة أمير المسلمين الى قادة القلعة حيث يقول : ((..... فشغلته عنكم
من غررتموه من الرجل الذي اسلمتموه للقتل ، ونصبتموهم دريئة للروح ثــــم
طرتم)) " ١ "

كما يظهر أن الجيش الاسلامي كان منقسما على نفسه قبل المعركة ، وهذا
ما يلح من خلال تركيز أمير المسلمين في رسائله على وحدة الصف واتفاق الكلمة
فيقول : ((فكونوا بعد هذه الهبة لداعي الرشد بين مطيح وسامع ومن كلمة
الاتفاق والتآلف على امر جامع فانكم لو حسنت سريرتكم واطمانت على التقوى قلوبكم
لظهر أمركم ولما ذهب ريحكم)) " ٢ "

ومن الاسباب المهمة ايضا لهذه الهزيمة أهمال قادة شرق الأندلس وعدم
استعدادهم وتأهبهم لمواجهة أي طارئ يجد من قبل العدو ، فلم تكن لديهم
العيون التي ترصد تحركاته بعد اشتباكهم معه لتزويدهم بالمعلومات ليكونوا على
اهبة الاستعداد لمواجهة مكائد العدو خلال القتال . فمعرفة المعلومات الواقعية
عن العدو وقبل هجومه او اثناء تقدمه تتيح الفرصة للقادة المسلمين لوضع الخطط
الكفيلة لصد هجومه ، وهذا ما نهى اليه أمير المسلمين في رسالته حين قال :
((..... فلتضموا على مسالكه عيوننا تكلأ ، ولتكن آذانكم مصغية لما يطرأ فان
كان له مدد كما ذكر قطعتم به السبيل دون لحاقه ، وأقمتم الحزم على ساقه)) .

ومن الأسباب العامة التي أدت الى هزيمة المرابطين في هذه المعركة الهجوم عند هم
والتي كانت سببا في كثير من هزائهم . فقد كان المرابطون يندفعون على الأعداء
في الساعات الأولى من المعركة بحماس منقطع النظير فيندفعون العدو امامهم . ولما

١ - حسين مؤنس : الثغر الأطلسى ، ص ١٣٦ .

٢ - المقال السابق نفسه ، ص ١٤٠ .

كانوا يحاربون من غير درع ثقيلة في حين ان النصارى كانوا لا يدخلون أية معركة دون ان يلبسوا الدرع الثقيلة ، فكما هو معروف عند العسكريين ان القوات المتمركزة تكون خسائرها في الغالب اقل من خسائر القوات المهاجمة في الساعات الأولى ، وهذا ما كان يحدث فعلا ، فقد كان يسقط من الجنود المسلمين المندفعين في هجومهم عدد كبير في بداية المعركة ، وبعد أن يتمس العدو وقوة الصدمة الأولى يبدأ ميزان القوة يرجح لصالحه لأن صفوف المسلمين تكون قد تخلخلت لكثرة من سقط منهم . " ١ "

ولعل عدم تجانس القوات الاسلامية في معركة القلعة كان عاملا جوهريا في هزيمة المسلمين فيها . فقد رأينا أن النجدة القادمة من بلاد العدو كان أغلبها من السودان ، كما كانت هناك جيوش مرابطة من لمتونة وغيرها من قبائل البربر إضافة للمناصر الأندلسية . ان جيشا يتكون من هذه العناصر غير المتجانسة التي تجمع على عجل ليدفع بها لخوض معركة دون سابق تخطيط وتدبير مع عدو له خبرة ومقدرة حربية فائقة سيكون مصيره الهزيمة حتما وهذا ما حدث .

ويمكن إضافة عامل غير مباشر لهذه الهزيمة وهو تزعزع ثقة الأندلسيين في المرابطين الذين توالى هزائمهم ، ولذلك كان الاندلسيون يقاتلون بمعنويات منخفضة جدا مما قلل من حماسهم للقتال في هذه المعركة ، وفي نفس الوقت فقد حال اضطراب الأحوال في المغرب بسبب ثورة محمد بن تومرت وانشغال الدولة بمحاربته دون ارسال اعداد أو فر من النجدة التي ارسلت لشرق الأندلس .

وفي اوائل السنة التالية لمعركة القلعة ، أي عام ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م ، توفي والي بلنسية محمد بن يوسف بن بدر بن ورقا ، فعين مكانه ينتان بن علي بن يوسف ، وهو الابن الأصغر لملي بن يوسف . وما أن استقر الوالي الجديد في ولايته حتى وضع نصب عينيه الانتقام من مملكة أرغونة التي لا تتوقف عن الزحف على الاراضي الاسلامية . فخرج ينتان على رأس جيش بلنسية غازياً لأراضي أرغونة ، حيث التقى مع أحد قادتها الكونت جاستون دي بيارن والتي تسميه الرواية العربية غشتون ، فهزم الأرغونيون ، وقتل غشتون وحمل رأسه الي غرناطة في شهر جمادى الآخرة ، حيث رفع على رأس رمح وطيف به في الأسواق والطرقات على أصوات الطبول ، محمد ذلك ارسل هذا الرأس الى أمير المسلمين علي بن يوسف في مراكش . " ١ "

الا أن النصر الذي أحرزه المرابطون بقيادة ينتان والي بلنسية كان محدود الأثر لأنه لم يقترب باستعادة بعض الممتلكات الاسلامية التي كان قد استولي عليها الأرغونيون ، بينما نجحوا هم في هذه السنة في الاستيلاء على مدينتي تطليقة وطرسونة من المسلمين . " ٢ "

موقعة أفراغة :

=====

وفي أواخر سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م استأنف الفونسو المحارب خطته التوسعية في الثغر الأعلى ، فاستولى على مدينة مكناسة " ٣ " . ويبدو أن قيادة المرابطيين

١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨١ - محمد عبد الله

عنان : عصر المرابطيين والموحدين ، ص ١٣٤ .

٢ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٩٨ .

٣ - حصن بالأندلس من أعمال ماردة (انظر : ياقوت : المصدر السابق ،

ج ٥ ، ص ١٨١ . (ط دار صادر - ١٩٧٧ م) .

فقد واصلت الفونسو المحارب وأنه قبيل على معركة حاسمة ، ولذلك قاموا بتكثيف الجهود وتسخير كل الطاقات لصدده عن معارقلهم . وحتى يأمنوا غائلة أمير برشلونه ، ولكي لا يضطروا للقتال في أكثر من جبهة ، فقد عقدوا معاهدة مع أمير برشلونه رامون برنجير الثالث مقابل أن يدفعوا له أتاوة سنوية مقدارها اثنا عشر ألف دينار ، وذلك بايعاز من أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين . ولما علم الفونسو المحارب بأخبار هذه المعاهدة استشاط غيظا وأقسم أنه سوف ينتزع تلك البلاد ويقطع منفعتها عن الطرفين . " ١ "

" ٢ " وبدأ الفونسو المحارب عملياته العسكرية بالزحف على أفرافه (ولكن أفرافه لم تكن بتلك الغنيمة السهلة فقد كانت حصنا منيعا لا يرام " ٣ " . ومما زاد من حصانتها موقعها الطبيعي فوق الرسى العالية في نهاية وعرضيق تصعب مهاجمته ويسهل الدفاع عنه " ٤ " . فسار الفونسو إليها بجمع كبير وضرب الحصار عليها ، وكان بداخلها وقتذاك القائد سعد بن مردنيش " ٥ " الذي استغاث بالمسلمين . " ٦ "

-
- ١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٢١ — ١٢٢ .
 - ٢ — مدينة في أقصى حدود دولة المرابطين جنوبي المغرب الأوسط .
 - ثمانية عشر ميلا . (انظر الحميري : المصدر السابق ، ص ٤٨) .
 - ٣ — نفس المصدر السابق والصفحة .
 - ٤ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٢١ — ١٢٢ .
 - ٥ — هو سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي ، قال بعضهم أنه ينتهي إلى لجيب انظر : ابن الخطيب : الأحاطة ، ج ٢ ، ص ١٢١ .
 - ٦ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .
 - الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٤٥ .

ولما رأى الفونسو المحارب حصانة المدينة رأى أن يرفع من معنويات جنده حتى لا يدب اليأس في قلوبهم ، فتقدم أمام الجيش مع عشرة من خيرة رجاله وأقسموا على الموت أو الاستيلاء عليها ، وقام بتقديم عدد من القساوسة على بعض الصفوف حتى التهبت نفوس جنده حمية . " ١ "

واستجاب المرابطون والأندلسيون لنداءات قائد المدينة المحاصرة ابن مرنيش ، فأرسلت قرطبة قائدها الزبير اللقوني في ألفي فارس ، وسار يحيى ابن غانية من مشاهير قادة المرابطين ووالي مرسية وبنسية في خمسمائة فارس ، وتجهز والي لارده عبد الله بن عياض وسار في مائتين ، وقد اجتمع هؤلاء — وأولئك وحملوا المسيرة إلى أفرغة " ٢ " وغير ذلك من عدد القتال وأدوات الحرب . " ٣ "

ويبدو أن المرابطين علموا على استدراج قوات الفونسو المحارب للاشتباك معه في معركة محدودة حتى يتمكنوا من إيصال المسيرة للمدينة المحاصرة واختار المرابطون القائد عبد الله بن عياض صاحب لارده لشجاعته لتنفيذ هذه المهمة ، فلما برز للمدو الذي كان عدد جنده اثنا عشر ألفاً ، استهان به الفونسو المحارب وقال لأصحابه اخرجوا خذوا هذه المسيرة ، فتقدمت قطعة من جيشه لمهاجمة ابن عياض إلا أن ابن عياض تمكن من هزيمتها . ولما رأى الفونسو المحارب هزيمة رجاله اندفع بقواته الرئيسية نحو ابن عياض " ٤ " ، وبينما هو

-
- ١ — الحميري : المصدر السابق ، ص ٤٨ — ٤٩ — حسين مؤنس :
الشفرة الأعلى ، ص ١١٨ — ١١٩ .
 - ٢ — الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٤٦ ا — ابن
الخطيب : الإحاطة ، ج ٢ ، ص ١٢١ .
 - ٣ — ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .
 - ٤ — الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ورقة ١٤٦ .

في طريقه لمواجهة ابن عياض وصلت قافلة الشهيرة الى المدينة فارتفعت معنويات
اهلها ، وصموا على قتال العدو وقتال الموت * ١ *

كما استطاع المسلمون أن يستدرجوا الفونسو المحارب الى كمين نصبوه له في

الطريق ، ثم انقضوا عليه من كل ناحية ، وامتلكوا زمام المبادرة ومزقوا الجيش

الأرغوني شرمزق وكثر القتل في صفوفه * ٢ * . وخلال ذلك خرجت افراغه بصغيرها

وكبيرها من نساء ورجال الى محطة العدو واشتغل الرجال بتطهير المحلة من حراسها ،

واشتغلت النساء بالنهب فحمل جميع ما في المخيم الى المدينة من اقوات وعدد وآلات ،

وسلاح وغير ذلك . وفي هذا الوقت وصل القائد الزبير اللمتوني في عسكره فانهمزم

الفونسو المحارب وولى هاربا * ٣ * . وسيوف المجاهدين تأخذ منه وعزيمتهم لا تقلع

عنه حتى لجأ الى حصن خرب على رأس جبل شاهق مع بعض من نجا من أصحابه ،

واحذر المسلمون تلك الليلة بذلك الحصن يقيمونه ، ولما ايقن الفونسو المحارب انه

محاصر قرر الهرب في هجمة الليل من ذلك الموضع ونجح في ذلك * ٤ *

وكان تاريخ هذه الملحمة الشهيرة التي حفظت رفق الأندلس مدة من الزمن

في ٢٣ رمضان عام ٥٢٨ هـ / ٧ يوليو ١١٣٤ م * ٥ *

-
- ١ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
 - ٢ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٨ - ١١٩ .
 - ٣ - ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٣٣ - ٣٤ .
 - ٤ - الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٨ - ٤٩ .
 - ٥ - ابن الخطيب : الأخطه ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، حاشية رقم ٣ -
 - حسين مؤنس : الثغر الأعلى ، ص ١١٨ - ١١٩ - ويجمع
 - ابن الأثير (الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣ - ٣٤) تاريخها عام
 - ٥٢٩ هـ .

وقد اختلفت الروايات حول مصير الفونسو المحارب فيذكر الذهبي "١" أنه نجا من القتل في ساحة المعركة ولكنه مات غما بعد عشرين يوما منها على من فقد من جيشه وكبار قادته • وهناك من يذكر أنه سقط خلال المعركة • "٢"

وكان لنصر المرابطين في أفراغة صدى عميق في سائر أرجاء الأندلس وفي اسبانيا النصرانية بنوع خاص • فقد عادت سمعة المرابطين العسكرية في الأندلس الى سابق عهد ها • وذاع صيت يحيى بن غانية قائد المرابطين في ذلك اليوم • وقد قام شاعر الشرق الأندلسي ابو جعفر بن وضاح المرسي يمدح ابن غانية في قصيدة نقتطف منها ما يلي :-

شمرت برديك لما اسبل الوانني	وشب منك الأعادي نار غيبان
عقرتهم بسيف الهند مملكتـة	كانها شرقوا منها بنفـدان
وقفت والجيش عقد منك منتـشر	الا فرائد أشياخ وشـبان
والخيل تنحط من وقع الرماح بهـا	كان تصهالها ترجيح الحان "٣"

وبعد هذا النصر الذي حققه المسلمون في معركة أفراغة ارتفعت معنوياتهم وأخذوا ينتهزون الفرص للانقضاض على معاقل النصارى • ففي عام ٥٢٠ هـ / ١١٣٥ م خرج ابن مردنيش صاحب أفراغة وابن غانية صاحب بلنسية • واستنفرا - القوات الاسلامية في طرطوشة ولاردة • والحصون المجاورة لمداومة مكناسة واستعادتها من الأرغونيين • بعد أن علموا بنفاد المؤنة فيها • وحاول الاغونيون ارسال قوة من رجالهم لايصال المؤنة الى مكناسة • الا أن هذه القوة ما ان اشرفت

١ - تاريخ الاسلام • ج ٤ • ورقة ١٤٦ ا

٢ - حسين مؤنس : الثغر الأعلى • ص ١١٨ - ١١٩ •

٣ - الحميري : المصدر السابق • ص ٤٩ •

على المدينة وشاهدت القوات الإسلامية تفرض عليها الحصار حتى قذف الله في قلوب رجالها الرعب ونجوا بأنفسهم ، فانقضت القوات الإسلامية على المدينة ودخلتها ، ثم اتبعت ذلك بفتح عدة حصون منيعة أخرى . " ١ "

هذا ولم يقتصر جهاد المرابطين على مدافعة الأسبان النصارى في البر بل كانوا يقارعونهم في عجايب البحر ، ففي عام ٥١١ هـ / ١١١٢ م امر علي بن يوسف قائد أسطوله بتمهير السفن لخزويلاذ النصارى ، فأنشأ منها خمسة وعشرين نسمة من الفارة على مدينة قطرون ، فاستنح قسم من أهلها بقصبتها وهي وعرة المرقسى ، ولما اشرف المسلمون على افتتاحها حماهم الليل فانصرف عنها القائد المرابطي بأسطوله الى مدينة المرية بعد أن حصل على خمسين سبي . " ٢ "

-
- ١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٥ - ٩٦ .
 - ٢ - المصدر السابق نفسه ، ج ٤ ، ص ٩٤ .

خضوع الجزائر الشرقية لسلطان المرابطين :

=====

هذه الجزائر هي : ميورقه ، ومنورقه ، ويابسه ، والتي يسميها الجغرافيون المحدثون جزائر البليار "١" . وقد امتازت هذه الجزائر بخصوبة ارضها ووفرة انتاجها وطيب مناخها "٢" ، نجيزة يابسة مثلاً اشتهرت بكمية كرومها ، وصناعة المراكب لكثرة الغابات في ربوعها "٣"

على أن أهم هذه الجزر هي جزيرة ميورقه (Mollarca) ، فهي أكبر الجزر الثلاث مساحة "٤" إذ يبلغ طولها أربعين ميلاً "٥" ، وكانت عاصمتها مدينة بالم (Palam) "٦"

وعندما بدأ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إخضاع ملوك الطوائف كان يحكم هذه الجزائر مبشر بن سليمان الطنّيب بن ناصر الدولة ٤٨٦ - ٥٠٨ هـ / ١٠٩٣ - ١١١٤ م) "٧" الذي كان غيوراً على الاسلام والمسلمين ، فأملأ على

-
- ١ - المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢١٤ ، حاشية رقم ٢ .
 - ٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .
 - ٣ - ياقوت : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٢٤ .
 - ٤ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٥ .
 - ٥ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .
 - ٦ - ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٥ ، حاشية رقم ٢ .
 - ٧ - اصله من قلعة حمير من اعمال لارده ، اسرفني صباح من قبل نصارى برشلونه وعاش في كنفهم حتى تصرف عليه ذات مرة سفير عبد الله المرتضي (٤٤٢ - ٤٨٦ هـ) حاكم الجزائر الشرقية الى امير برشلونه برنجير في بعض الشئون فأعجب بمواهب مبشر فاقتداه من الاسر واخذه معه الى ميورقه الى المرتضي الذي اعجب به ايضا واخذ يستعين به في تصريف شئون الحكم ، فلمسا =

الذود عن بلاده بكل بسالة ضد النصارى الذين واظبوا على الاغارة عليه . كما كان عادلا منصفا بين رعيته فأجلوه واحترموه . " ١ "

لقد كانت الجزائر الشرقية بموقعها في البحر الأبيض المتوسط تجاه الجانب الشرقي من الأندلس شوكة في حلق الجمهوريات الإيطالية وامارة برشلونة لأن المسلمين بهذه الجزائر كانوا كثيرا ما يغيرون على شواطئ إيطاليا ، وعلى شواطئ امارة برشلونة ، ولذلك حاولت الجمهوريات الإيطالية وبرشلونة أكثر من مرة احتلال هذه الجزر ولكن دون جدوى " ٢ " . ولذلك لم يتعرض يوسف بن تاشفين لهذه الجزر لأنه وجدها تقوم بنفس الدور الذي كانت تقوم به مملكة بني هود في سرقسطة وهو مدافعة النصارى ومجاهدة تهمهم ومن ثم فضل ان تبقى حازبا بينه وبين النصارى . فقد كانت تتف بالمرصاد للمطليان ولا مارة برشلونة في البحر الأبيض المتوسط . وما دفعه الى اتخاذ هذا القرار هو ادراكه لحاجته الى اسطول قوى ليتمكن به من الحفاظ عليها ، ولتقوم بنفس الدور الذي تقوم به هذه الجزر في غربي البحر الأبيض المتوسط . فضلا عن ذلك فقد كانت هذه الجزر في هذه الفترة في أوج ازدهارها في عهد أميرها مبشر الذي كان محبوبا من رعيته ، ومقصداً للشعراء والأدباء يشدون الى بلاطه الرجال ليحظوا بمطاياها ، ومن جاز إليها الشاعر المشهور ابن اللبانه الذي مدح مبشر بقصيدة قال في مطلعها : -

= توفي المرتضى خلفه في الامارة (انظر ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ص ١٢٢ - ١٢٣ - محمد عبد الله عنان : دول الطوائف : ص ٢٠٠ - ٢٠١) .

١ - محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ٧ - ٨ سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ م ، ص ١٥٨ .

٢ - محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

ملك يروك في على ريمانيسه راقب بروتقه صفات زمانيسه "١".
ولكن النصارى أبوا الا ان يحولوا ايام اعراسها الى ايام ماتم . ففي اوائيل
عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م تعاقدت جمهورية بيزه وجنوه الايطاليتين صبح
امارة برشلونه على احتلال الجزائر الشرقية . وفعلًا خرج الفزاة بثلاثائة سفينة
من مياه جنوه متجهين صوبها . "٢"

وقصد الحلف النصراني اول ما قصد جزيرة يابسه فحرب الحصار حولها .
وضيق عليها . ورغم استيصال عاظمها أبي نصر الا ان كثرة جموع النصارى غلبته ودخلت
الجزيرة فامعنوا فيها نهبا وتخريبًا . وقتلاً بصورة مروعة . وبعد أن قرت اعينهم
بما كسبوا تركوها على ابشع صورة متوجهين نحو جزيرة ميورقة فحاصروها . "٣"

واشد الحصار على جزيرة ميورقة . وحسم الأمير مشر على ان لا يسلمها حتى
يسلم روحه . فدافع عنها دفاع من ايقن انه ميت . وعند ما شعر أن النصارى
مصممين على اقتحام جزيرته حاول الاتصال بهم من اجل عقد صلح معهم يتعهد فيه
بتحمل نفقات الحملة التي قدموا بها . وان يدفع اليهم ما لديهم من الاسرى . ولكن
النصارى رفضوا هذا العرض لأنهم لا يريدون بديلاً عن الجزيرة . عندها استمد
بمشر الحصار طول المدى وقرر الاستيلاء بالمرابطين لتخليصه من كارثة الوقوع في
قبضة الاعيان . فبعث مستصرخا بهم وحاثا اياهم على القدوم اليه في اسرع وقت

-
- ١ - نفس المرجع السابق والصفحات .
 - ٢ - الحميري : المصدر السابق ، ص ١٨٨ - ابن الكردبوس : المصدر
السابق ، ص ١٢٢ - القلقشندي : صبح الأعشي ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ .
 - ٣ - محمود علي مكسي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص

وحمل رسالة مشر إلى أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أحد القادة المرابطين اسمه أبو عبد الله بن ميمون الذي كان يقوده غراباً "٢" راسياً في ميناء ميورقه حينما وقع الهجوم النصراني عليها • وقد نجح أبو عبد الله بن ميمون فسي التسلل إلى غرابة تحت جنح الظلام • ومخرجه عباب البحر • فلما شعر به العدو كان قد قطع صافة لا بأس بها في البحر • فأرسلوا وراءه من يلاحقونه فطارده نحو عشرة أميال إلا أنه ابتعد عنهم في ظلمة الليل فمادوا دون فائدة "٣"

وفي أثناء فترة الحصار المصيبة تلك توفي الأمير مشر • ولكن ذلك لم يثبط من عزائم أهل الجزيرة • فحمل الراية على الفور أحد أقاربه المسمى أبي الربيع سليمان ابن لبون الذي تسميه المراجع الأجنبية (Burabe) وواصل مدافعة الأعداء المحاصرين لجزيرته فلم يكن أقل بأساً وصلابة من سلفه • "٤"

وخلال ذلك استطاع المسلمون في الثغر الأعلى بقاء ابن تافلويت والسي سرقسطة من غزو أراضي برشلونة والبيث فيها "٥" • فلما جاءت هذه الأنباء

- ١ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٥٠٥ — ٥٠٦ —
- القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٥٧ — محمد عبد الله
- عنان : دول الطوائف ص ٢٠٢ — ٢٠٣ •
- ٢ — والجمع أغربه • وهو سفينة شراعية صغيرة من طبقة واحدة ذات صار أو صارين وتستخدم عادة في الأغراض الحاجلة لسرعتها • (انظر ابن الكردبوس : المصدر السابق ص ١٢٣ • حاشية رقم ٤) •
- ٣ — المصدر السابق نفسه ص ١٢٢ — ١٢٣ — محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ص ١٥٩ — ١٦٠ •
- ٤ — ابن الكردبوس : المصدر السابق ص ١٢٢ — ١٢٣ •
- ٥ — ابن أبي زن : المصدر السابق ص ١٦١ — حسين مؤنس : الثغر الأعلى ص ١١٢ — ١١٣ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ص ٧٥ •

لقوات برشلونه المشتركة في حصار ميورقه ارادت الانسحاب قبل ان يتحقق هدف المتحالفين في الاستيلاء على ميورقه . الا ان هذه القوات تحت ضغط حلفائها تخلت عن العودة وبقيت معها حتى النهاية . " ١ "

ويبدو ان طول الحصار الذي استمر عشرة اشهر " ٢ " قد افقد المحاصرين الامل في وصول النجدة المرابطية اليهم . كما انه خلال هذه المدة تفشيت المؤونة الموجودة في الجزيرة ، فغلب على اهلها اليأس وايقنوا انهم هالكون لا محالة . وفعلا استطاع النصارى في ٢٧ ذي القعدة ٥٠٨ هـ / ١٣ ابريل ١١١٥ م دخول الجزيرة فعماثوا فيها ، وقتلوا دون شفقه ودمروا واحرقوا بكل عنف . " ٣ "

وطارت اخبار هذه المجازر والتدمير الذي لحق بهذه الجزيرة في افاق البلاد الاندلسية والمغربية . فقد ارسل القاضي ابو محمد عبد محمد عبد الحق بن عطية رسالة الى الامير مزدلي اوضح له فيها ما حل بأهل هذه الجزيرة قائلا : ((واوجب أن ينادى كل مؤمن واحرق قلبه . امر ميورقه . . . فيالله لما كان فيها من اعلان توحيدها عاد همسا وبارقه كفر طلعت شمس وصباح شرع الظلم بداجي الشرك وامسى ونجوم اصبح حرمها منتهبها وفرقتها يد الخلبة ايدي سبا والاوجه غفر منهم القتل مواعد وجباها . وفرقهم السيف كل ممزق ملهم هناك ارحام تشفق رحمهم الله ماتوا كراما)) " ٤ "

-
- ١ — محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠٣ .
 - ٢ — القلقشندي : صبح الأعشي ، ج ٥ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .
 - ٣ — الحميري : المصدر السابق ، ص ٥٦٧ — محمود علي مكي ، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦٠ — ١٦١ — عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ٢٤٣ — خليل السامرائي : الجزائر الشرقية في ايام الطوائف ، مجلة التربية والعلم ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٩٧٩ م .
 - ٤ — ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٢٤٤ .

ومعد أن حلت المأساة بجزيرة ميورقة بدخول للنصارى إليها ، وصل قائمهم
البحر المرابطي تاقرطاس بثلاثمائة قطعة بحرية لا تقاها ، ولكن هيهات فقد قضى
النصارى مأربهم وقرت أعينهم بما غنموا فلم يعد لهم مطمح بعد ذلك فلم شعروا بقصدوم
الاسطول الاسلامي لا تقاها الجزائر أثروا الانسحاب ولما عزموا على ذلك أضرموا النيران
فيها . وخلال رحلة العودة هبت عليهم ريح عاصف شتت شملهم فظفر المسلمون بثلاثة
سفن من سفنهم بينما غرقت سفينة أخرى امام ناظرهم . " ١ "

ووصل الاسطول المرابطي الى الجزيرة الكليمة فدخلها تاقرطاس مستقبلا بالنواح
والعويل بدلا من الزغاريذ والأهازيج ، وخط رحاله فيها في عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ -
١١١٦ م ليضمد جراحاتها . فأخذ تاقرطاس يصلح مدنها ويجدد عمرانها ، ويشجع
جنوده على الإقامة فيها ، فعاد اليها اهلها الذين كانوا قد فروا من وجه الفزاه
النصارى الى الجبال والأودية هربا من القتل والاسر " ٢ " لتعود للجزيرة نصارتها
وسهجتها السابقة .

ومعد فترة قصيرة من وصول تاقرطاس للجزائر الشرقية بعث امير المسلمين علي بن
يوسف بن تاشفين واليا جديدا عليها هو وانددين بن سير فحكمها نحو ثلاثة اشهر ،
ثم خلفه ابو بكر تاكرات الذي مال بث ان عزله امير المسلمين وبعث بدلا منه واليا
جديدا اسمه وانور بن أبي بكر من رجالات لمقونه وهم خمسمائة فارس ، وقد قلبي هذا
الوالي الجديد في معاملة اهل الجزيرة . عندما اراد استخدامهم في بناء

-
- ١ - عبد الرحمن الحججي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٢٧ .
 - ٢ - ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ٦٢ - محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦٠ .

مدينة أخرى " ١ " ، واشتد في ارهاقهم ، وظلمهم ، والجور عليهم زهاء عشرين سنوات " ٢ " ، الا انهم أصروا على عدم بناء مدينة أخرى غير مدينتهم ، فقام بقتل زعيمهم فثاروا عليه وجسوه وضوا الى امير المسلمين علي بن يوسف فأغفاهم منه " ، وولى مكانه أبا بكر علي بن ورقاء الذي توفى على الأرجح في عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م^(١)

ومين ايدينا وثيقة تثبت ظلم وانور لرعيته التي حاول اجبارها على بناء مدينة جديدة بعيدة عن البحر، والوثيقة عبارة عن رسالة وجهها أمير المسلمين علي بن يوسف الى احد ولاته على الجزائر الشرقية ، والذي يرجح أن يكون أبو بكر علي بن ورقاء يوصيه فيها باصلاح ما أفسده الوالي السابق واعادة الأهالي الى مدينتهم القديمة ، وقد جاء فيها : ((واسع بحسن سياستك في استرجاع مدين خرج من جيرانهم ، واجتهد في صرفهم الى أوطانهم حتى بكثر فضل الله عددهم))

وبعد وفاة ابي بكر علي بن ورقاء في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م عين أمير المسلمين واليا عليها محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية ، والذي ارتحل اليها مع اولاده (عبد الله ، وطلحه ، والزبير ، وعلي) واسحق ، وابراهيم) . وقد استمر ابن غانية في ولايتها عشرين سنين " ٥ " ،

-
- ١ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٥٠٥ — ٥٠٦ .
 - ٢ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٥٣ .
 - ٣ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٥٠٥ — ٥٠٦ .
 - ٤ — محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦٣ .
 - ٥ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٥٠٥ — ٥٠٦ .
 - القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

وفي رأى آخر انه استمر في ولايتها حتى وفاة أمير المسلمين علي بن يوسف بن

تاشفين عام ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م . " ١ "

-
- ١ - محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ١٥٣ -
١٥٤ - ومن الجدير بالذكر انه لما سقطت دولة المرابطين على
يد الموحدين لم يرضخ بنو غانية للموحدين واستقلوا بحكم الجزائير
الشرقية واستمروا على ولائهم للمرابطين والخلافة العباسية ، الا ان
النصارى الأرغون بقيادة خايمي الأول استطاعوا أن يدخلوا
ميورقه عام ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م ويستولوا عليها (انظر :
ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٥٥ ، حاشية
رقم ٢) .

الباب الرابع

أهم مظاهر التطور الحضارى فى دول—————المرايطية—————

فى عهد علي بن يوسف بن تاشفين

الفصل الأول : نظم الحكم والادارة

الفصل الثانى : الحياة الاجتماعية والاقتصادية •

الفصل الثالث : الحركة الفكرية

الفصل الرابع : العمارة والفنون الاسلامية •

الفصل الأول

نظم الحكم والاداره

— النظام السياسي والاداري :

=====

كما رأينا في التمهيد كانت دولة المرابطين بسيطة في نشأتها ، فهي كأي دولة ذات اصول بدوية كانت تعتمد في انتخاب زعمائها على اسس تعارفوا عليها منذ زمن ، مثل كبر السن ، والشجاعة ، والكرم ، والمصيبة لمن ينتخب زعيما لها دون حكر السلطة على ابناء الزعيم المنتخب . فقد بايع عهد الله بـ يـ ياسين يحيى بن عمر بالامارة لتحمله الدعوة ، وصدق جهاده ، فلما انتقل الى الرفيق الأعلى خلفه ابو بكر بن عمرو وهو من نفس البيت ومن نفس القبيلة . ولما تولى يوسف بن تاشفين الحكم بدأ مرحلة جديدة حيث جعل امارة دولة المرابطين حكرا على ابناءه تنتقل بينهم عن طريق الوراثة . " ١ "

ولكن بما ان الدولة قامت من اجل رد الامة الى تعاليم الاسلام الصحيحة فانها لا تستطيع ان تتغافل عن مكانة الشورى في اختيار الامير ، ولذلك اضفي المرابطون على دولتهم نوعا من الشورى في اختيار ولي العهد . فكانت تقام بيعة خاصة يبايع فيها افراد الاسرة الحاكمة من بني ورتنطق ثم زعماء لمتونه ، ثم شيوخ القبائل الاخرى حتى اذا اكتملت اسباب هذه البيعة تلي المقدر في المساجد وقرى على الرعية ، ثم بعد ذلك تطير الرسائل الى ولاء المرابطين في جميع اصهار . دولتهم لاخبارهم باختيار ولي العهد الجديد مطالبين بأخذ البيعة العامة له . " ٢ "

ويبدو من كلام ابن رشد (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) " ٣ " انه كان يطلب من الجايعين للامير المرابطي او لولي عهده ان يحلفوا بالايان اللازمة " ٤ " ، وهي

١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ — ٣٤٤ .

٢ — المرجع السابق نفسه ، ص ٣٤٢ .

٣ — ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٤٠ .

٤ — الايمان اللازمة : ايمان مهتدة احدثها الحجاج بن يوسف ، وابو جعفر =

ايمان مغلطة تشمل عدة اشياء كالطلاق ، والعق ، وتحريم المال ، وبراءة الذمة من الله ورسوله ، ولعل الهدف منها هو زيادة في الاستوثاق خوفاً من نكث البيعة . وكان اسم ولي العهد ينقش على السكة الى جانب والده . * ١ *

ومن الجدير بالذكر انه لم يحترم حق الابن الاكبر في ولاية العهد ، فاختار يوسف بن تاشفين ولده على لخارفته ولم يكن اكبر ابنائه ، وسار على هديه ابنه علي الذي اختار في عام ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م ابنه ابا محمد سير ليكون ولياً لعهدده على الرغم انه لم يكن اكبر اخوته ايها * ٢ *

وفهم من استقراء بعض النصوص ان حكام المرابطين كانوا يؤمنون بنظرية الجبر * ٣ * في الحكم . ويشنع ذلك من خلال محاورة دارت بين ابراهيم بن ابي بكر بن عمر الذي خرج من الصحراء يطلب ملك والده من يوسف بن تاشفين الذي بحث اليه قائده مزدلي لمفاوضته ، فعندما سأل مزدلي عن مطلبه اجاب : ((اطلب ملك ابي الذي غصبنا فيه عي يوسف)) . فرد عليه مزدلي ((ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء والله تعالى قد خض هذا الرجل بالملك دوننا)) * ٤ *

-
- = المنصور وقد وقف كبار الفقهاء ضد هذه اليمين وراوها غير ملزمة شرعاً فقال مالك رضي الله عنه : ليس على مستكره بيمين ، وقال داود : اليمين بخير الله لا قيمة لها انظر المصدر السابق نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٧٠ .
- ١ — لمزيد عن التفاصيل عن النقود المرابطية انظر : ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦ — ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٤٧ — ابن ابي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٩ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٢ — عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٢٤ — ٢٤٠ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .
- ٢ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٨ .
- ٣ — عن الجبرية انظر محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية ، ص ١٠٩ .
- ٤ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

وكان امير المرابطين يرى انه مسؤول امام الله في اختيار ولي عهده ،
وان هذا الامر ليس من الامور العامة . فهذا ما يفهم من كلام يوسف بن تاشفين
عندما اراد اخذ البيعة لولده علي حين قال / ((. . . فان امير المسلمين وناصر
الدين ابا يعقوب ، يوسف بن تاشفين لما استترعه الله علي كثير من عباد المؤمنين
خاف ان يسأله الله غدا عما استترعه كيف تركه هملاً لم يستتب فيه سواء ، وقد
امر الله بالوصية فيما دون هذه العظيمة وجعلها أوكد الاشياء الكريمة كيف وفي
عظام الامور ومصلحة الخواص والجمهور)) " ١ "

وكانت التقاليد المرابطية تتطلب من الامير المرابطي الجديد ارسال الرسائل
الى الخليفة العباسي والتي كانت تتضمن تأكيد الولاء له ، وكان الخليفة العباسي
بدوره يبارك هذه البيعة " ٢ " . ومن ضمن التقاليد المرابطية ايضا تجديد البيعة
لولي العهد بعد وفاة والده وهذا ما قام به علي بن يوسف بعد وفاة والده ،
والذي اوضحناه في الفصل الاول .

اما بالنسبة للقب الحاكم المرابطي ، فكما اوضحنا في التمهيد ان يوسف
ابن تاشفين اتخذ لنفسه لقب امير المسلمين وناصر الدين ، وهذا اللقب ، خطه
كل امراء المرابطين من بعده . الا انه بالاضافة الى هذا اللقب فقد وجدنا علي
بن يوسف يتخذ لقباً آخر غير اللقب السابق وهو "ولي الله" ، وقد نقش هذا اللقب
على بعض عطلته . " ٣ "

١ - انظر الفصل الاول .

٢ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

٣ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

وكان الأمير المرابطي يتمتع بسلطة تنفيذية قوية ، إلا أنه كان يدير دفة الحكم من مقره في مراكش الذي كان يطلق عليه اسم بيت الامة " ١ " بمساعدة بطانة من الفقهاء ، وكان لا يقطع في امر من الامور الا بمشورتهم حتى في بناء الاسوار والحصون وتوسعة المساجد . " ٢ "

وكان يساعد امير المسلمين علي بن يوسف في ادارة دفة الحكم مجموعة من الوزراء والكتاب وقد تمتع الوزير في عهد علي بن يوسف بمركز ممتاز ، فقد كان يأتي بعد امير المسلمين مباشرة ، ويشاركه في تدبير شؤون الدولة . وقد وثق علي بن يوسف بوزرائه ثقة مطلقة ، واطلق ايديهم في الشؤون المالية والادارية ، فيذكركم انه اطلق يد وزيره ابي محمد بن مالك واقطعه مال امير المسلمين في الاندلس " ٣ " . كما تمتع الوزير عمر بن نيتان بسلطات واسعة حتى نجده يحول دون اعتقال امير المسلمين علي بن يوسف للداعية الجديد ابن تومرت والذي استقر رأى الفقهاء على سجنه او قتله وذلك كما اوضحنا في الفصل الخاص بشورة ابن تومرت .

ومن وزراء علي بن يوسف ايضا محمد بن ابي الخصال الذي كان معروفًا بثقافته الموسوعية " ٤ " ، واسحق بن نيتان بن عمر بن نيتان الذي تولي الوزارة ولم يكن عمره يزيد عن ثمانية عشر عاما لما كان يتمتع به من ذكاء وقاد ، فمنحه علي بن يوسف صلاحيات واسعة ، وجعل له النظر في المظالم والشكايات . " ٥ "

١ — ارسمت كونل : الفن الاسلامي ، ص ١٢٦ .

٢ — انظر الفصل الخاص بالعمارة والفنون الاسلامية .

٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٦١ — ٣٦٢ .

٤ — انظر عن ابن ابي الخصال الفصل الخاص بالحياة الفكرية .

٥ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠١ .

أما عن النظام الإداري لدولة المرابطين فقد كانت مقسمة الى ولايتين كبيرتين • الاولى ولاية المغرب ، والثانية ولاية الأندلس • وكانت كل ولاية منهما مقسمة الى ولايات اصغر منهما ، فكان المغرب مقسما لعدة ولايات صغيرة اهمها مراكش ، وفاس وتلمسان ، وسجلماسة ، وهذه كانت تتألف ايضا من وحدات صغرى يتولاها رجال من قبل النواب والامراء • "١"

وكان الأندلس ايضا مقسما الى ست ولايات هي : اشبيلية ، وقرطبة ، ولنسية ، ومرسية ، وسرقسطة • وكانت عاصمة ولاية الأندلس في عهد يوسف مدينة قرطبة ثم انتقلت في أوائل حكم علي بن يوسف الى قرطبة ثم عاد في اواخر أيامه الى قرطبة • "٢"

وقصر علي بن يوسف حكم هذه الولايات على ابنائه واقاربه ، وقد لاحظنا ذلك خلال حديثنا على جهاد علي بن يوسف ضد الممالك النصرانية "٣" • فقد كان معظم قواد الجيش ، وحكام الولايات من ابنائه واقاربه امثال تاشفين بن علي ، وتميم بن يوسف ، وابن عائشة ، وابن فاطمة ، وابن غانية • الخ •

وكان من عادة امير المسلمين علي بن يوسف ان يكتب الى اهل الناحية المولى عليها الوالي الجديد موضحا لهم الصبر التي دفعت الى اختيار هذا الوالي كتوفر خبره والذكاء ، ومؤكدا لهم استمراره في مراقبته خلال ولايته ، وبالبا منهم المنح والطاعة والنصح له • "٤"

-
- ١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥ •
 - ٢ — عبد الرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص ٤٤٩ — ٤٥٠ •
 - ٣ — انظر الباب الثالث — ومن الجدير بالذكر أن الطرطوشي (سراج الطوك ، ص ٩٤) يضع وزنا كبيرا لعامل المحاباة في سقوط الدول فقد قال : ((وقالت الحكماء اسرع الخصال في هدم السلطان واعظمها في افساد وتفريق الجموع عنه اظهار المحابة لقوم دون قوم ، والميل الى قبيلة دون قبيلة فمتى اعلن يحب قبيلة فقد برئ من قبائل وقد يما قيل المحابة مفسده)) •
 - ٤ — اعمسداد الاصفهاني : المصدر السابق ، ص ٤ ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ — ٣٦٦ •

وكان امير المسلمين يضع للوالي الجديد الخطط التي يجب ان يسير عليها وكان طي الوالي ان يقدم تقارير عن كل ما يجد في ولايته الى امير المسلمين "١" وكانت ولاية الاندلس لا يتولاها الا اقرب المقرين من اقرباء أمير المسلمين وكثيرا ما كان ولاية العهد يتولونها ، فاذا اعتلى ولي العهد العرش ولى اخاه الاكبر هذا المنصب "٢" وكان الوالي يعين بعهد مكتوب باسم امير المسلمين يقرأ امام الجمهور في المسجد الجامع "٣"

وكانت صلاحيات الوالي في عهد علي بن يوسف صلاحيات واسعة ، فقد كان يتمتع بشبه استقلال في ولايته ، كما كان يتمتع بنفوذ كبير عند امير المسلمين ، وقد بلغ من قوة نفوذ بعض ولاة الاقاليم مثل مزدلي والي تلمسان ان ضمن العفو مسبقا لثائر فاس عند امير المسلمين علي بن يوسف عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م "٤"

وكان بلاط الولاة صورة مصغرة عن بلاط امير المسلمين علي بن يوسف في مراكش . فكما لامير المسلمين وزراء وكتاب يحررون المراسيم الاميرية "٥" ، وهيئة علمية تجالسه ليسترشد برأيها في بعض الامور ، والتي كان يرأسها في بلاط علي بن يوسف العالم الكبير مالك بن وهيب "٦" كذلك كان للولاة في المغرب والاندلس

-
- ١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ — ٣٥٨ .
 - ٢ — المرجع السابق نفسه ، ص ٣٥٠ — ٣٥٢ .
 - ٣ — ابن خاقان : قلائد الحقيان ، ص ١٢٧ .
 - ٤ — ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢١٢ — ٢١٣ .
 - ٥ — من اشهر كتاب علي بن يوسف : ابو محمد بن اسباط ، وابوبكر بن الصيرفي وغيرهم انظر : ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٠ — ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٥٧ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ص ٥٤ .
 - ٦ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦١ — وانظر الفصل الخاص بالحياة الفكرية ايضا .

وزراء وكتاب وعلماء يجالسونهم • بل ان عددا كبيرا من الكتاب والوزراء الذين خدموا بعض الولاة خدموا في بلاط امير المسلمين علي بن يوسف ، فكان ابن أبي الخصال كاتباً لامير بلنسية محمد بن الحاج ثم انتقل الى مراکش وغيره كثير " ١ " • واستوزر ابو بكر بن ابراهيم احد ولاة علي بن يوسف في الاندلس العالم المشهور ابن باجه الذي نظم عدة قصائد في مدحه ، لانه وجد في هذا الامير الذي تشبه بملوك الطوائف في بدخ بلاطه في سرقسطة مهتفاه " ٢ " •

ومن الكتاب الذين اختصوا بالامير ابي اسحق ابراهيم بن يوسف الكاتب الكبير الفتح بن خاقان الذي ألف كتاب ((قلائد الحقيان)) باسمه فجاء فيه ، ((رأيت ان اخدم مجلسه العالي (اي الامير ابراهيم) بزف الكتاب اليه ، وشيرف محاسنه بمثولة بين يديه فرسمته باسمه وكسوته نوروسمه)) • " ٣ "

وكان من ضمن صلاحيات الولاة في عهد علي بن يوسف الاستعداد لرد عادية الاعداء في لحظة من اللحظات مما جعل من ضمن مسؤولياتهم الحرص على توفير السلاح والعدد للجيش ، وتقوية الحصون ، وسد الثغور ، وبث الحيون لرصد تحركات الاعداء ، وتنشيط صناعة الاسلحة • ومن ضمن صلاحيات الوالي ايضا الاشراف على دور الضرب ، وان يضرب اسم امير المسلمين على الصكه • كما كان عليه مسؤولية رعاية مصالح رعيته والاستماع الى مطالبها وشكاياتها ، لذا كان يجلس للنظر

-
- ١ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٣ •
 - ٢ — ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦١ ، حاشية ابن سعيد :
 - المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٩ —
 - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٠٤ — ٤٠٥ ، ٤٠٨ •
 - ٣ — ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٤٠٣ •

في المظالم ، ويكتب التوقيعات ، ويتفرغ للمناظرة في يوم الجمعة ، وكان عليه
ان يولي العمال على الاقاليم التابعة له . " ١ "

على ان أمير المسلمين علي بن يوسف لم يخل عن تذكير ولايته ما بين الفينة
والفينة بواجب التزام الحق والعدل في سياسة رعاياهم ، طالبا منهم مداومة السهر
على مصالح الرعية . وهذا يتضح من خلال رسائله المتعددة الى ولايته في مختلف
الأصهار ، ومن هذه الرسائل رسالته الى ولده تاشفين في عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م
والتي يوصيه فيها بتقوى الله والعدل بين الرعية ومما جاء فيها : ((٠٠٠ ثم اعتمد
المعدلة في عباد الله فانما انت واحد منهم ، وكلنا عبيد الله الى تراب انتسابنا وإلى
الحساب مآبنا ، والناس كلهم سواء ٠٠٠٠٠ وانما يتميزون بالمساعي والاعمال)) " ٢ "
وتعدى الامر في بعض الاحايين ان يتدخل أمير المسلمين في تعيين بعض الولاة
التابعين لآعمال احدى ولايته ، وهذا ما يفهم من رسالة وجهها علي بن يوسف
الى ولده تاشفين في رجب ٥٢٦ هـ يطلب منه فيها ان يعين الزبير على غرناطة . " ٣ "

ومن أشهر ولاية علي بن يوسف الأمير تميم بن يوسف الذي تنقل بين عدة
ولايات في المغرب والاندلس . فقد عين على ولاية المغرب في عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م
ثم عزل عنها ، وتولى غرناطة " ٤ " ، ونقل منها الى تلمسان في عام ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م . " ٥ "

-
- ١ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٠ - حسن محمود : المرجع
السابق ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .
 - ٢ - ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ١٢٧ - ١٢٨ - ابن عذاري :
المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٧ - ٨٨ .
 - ٣ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٧ .
 - ٤ - السادوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
 - ٥ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٥ .

وفى عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م عين واليا عاما للاندلس وبقي في هذا المنصب حتى وفاته عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م فتولى مكانه تاشفين بن امير المسلمين علي "١". وقد تولى تاشفين بن علي عدة ولايات في الاندلس قبل ان يتولاها كلها فيما بعد عدا الجزائر الشرقية "٢". ومنهم ايضا مزدلي بن تاشفين سولنكان هـ وهو ابن عم امير المسلمين يوسف "٣" والذي تولى عدة ولايات كان من بينها قرطبة وغرناطة. وتولى الامير سير بن ابي بكر (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) اشبيلية "٤". وتولى ابو بكر بن ابي يحيى ابراهيم المشهور بابن قيفلويت شهر علي بن يوسف (ت ٥١٠ هـ / ١١١٦ م) غرناطة ثم سرقسطة "٥". وتولى عبد الله بن فاطمة فاس ثم اشبيلية "٦". وتولى ابو حفص عمر بن سير قرطبة عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م "٧". وتولى ابو زكريا يحيى بن علي عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م مرسية "٨". وتولى ابنى غانية الجزائر الشرقية "٩" ومن الذين تولوا قرطبة واجدى بن عمر بن سير "١٠". وتعاقب محمد بن يوسف بن بدروينتان بن علي على ولاية بلنسية. وهناك ولاية غيرهم أقل شهرة ذكرت كتب التراجم والتاريخ اسماءهم "١١".

-
- ١ — المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٦٧ — ابن ابي زرع : المصدر السابق ج ٤ ص ١٦٤ .
 - ٢ — ابن عذارى : المصدر السابق ج ٤ ص ٨٧ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٣٨٧ — السلاوى : المصدر السابق ج ١ ص ١٢٦ .
 - ٣ — ابن عذارى : المصدر السابق ج ٤ ص ٦٠ ، حاشية رقم ١ .
 - ٤ — المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٥٦ — ٦٠ .
 - ٥ — المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٦١ ، حاشية رقم ٢ .
 - ٦ — المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٦٢ .
 - ٧ — المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٥٦ .
 - ٨ — المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٦٧ .
 - ٩ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٣٨٧ .
 - ١٠ — ابن عذارى : المصدر السابق ج ٤ ص ٨٠ .
 - ١١ — المصدر السابق نفسه ج ٤ ص ٨١ — ٨٣ .

— الجيش والأسطول :

=====

أما بالنسبة للجيش في عهد علي بن يوسف فقد تعددت عناصره واستحدثت أساليب جديدة في تنظيمه وطريقة قتاله . فقد استخدم علي بن يوسف في جيشه لأول مرة في المغرب الأقصى الروم الذين لعبوا دورا بارزا في مقاومة الموحدين " ١ " ، وبرز منهم قادة لعبوا دورا مشرفا في الدفاع عن حياض دولة المرابطين ، ومن أشهر هؤلاء الـ **رڤرتير** (Reverter)

ومن العناصر المكونة للجيش المرابطي في عهد علي بن يوسف أيضا السودان أو الصبيد كما كانوا يسمون في بعض الأحيان * الذين كانوا يخدمون في الحرس الخاص للأمير المرابطي ، كما كانوا يشاركون في الحروب .

-
- ١ — محمد ولد داداه : مفهوم الملك في المغرب ، ص ١٢٠ — ١٢١ ، يرى المستشرق فرنسيسكو كوديرا أن استخدام النصارى في الجيش المرابطي كان أحد عوامل سقوط دولة المرابطين لأن هذا الإجراء ساء الرعية — الاندلسية فأخذت تعمل على التخلص من سلطان المرابطين ولعل تدمير الرعية ناتج عن محاباة بعض الولاة للجند النصارى إذ يذكر **أبـن الخطيب** : (الإحاطة ، ج ٢ ، ص ١٢٢ — ١٢٥) أن والي بلنسية محمد بن سعد بن محمد بن مردنيش قد صانع النصارى وابتنى لجيشه من النصارى منازل وحانات للخمر — انظر حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال ، ص ١٠٠ — ١٠١ .
- ٢ — عن هذا القائد انظر الفصل الخاص بثورة محمد بن تومرت .

"١"

كما ضم الجيش المرابطي بين صفوفه الصقالبة النصارى الذين استخذوا في حماية الحصون

١ — الصقالبة : كان الجغرافيون العرب يطلقون هذه التسمية على سكان البلاد المتاخمة لبحر الخزر بين القسطنطينية وبلاد البلغار ثم اكتسب اللفظ مدلولاً خاصاً في اسبانيا فصار اولاً يطلق على اسرى الحرب الذين كانوا يقومون في ايدي الجرمان ويبيعون الى المسلمين في الاندلس . ثم صار لفظ الصقلبي ينسحب في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى على الرقيق الذى من أصل أجنبي سواء في ذلك من كانوا من أوروبا أو من اسبانيا ذاتها ، وكان لتجار اليهود معامل للخصي اهمها معمل فردان في فرنسا ، فكانوا بعد خصيمهم يجلبون الى الاندلس ، ويبيعون فيها ويبرون تربية خاصة ، ويعلمون العربية ، وفنون الفروسية ويستخدم قسم منهم لحراسة الحريم ، وقسم آخر في الادارة ، وقد بلغ عددهم في عهد عبد الرحمن الناصر (١٣٧٥٠) . ولما توزعت الأندلس الى طوائف استأثر الصقالبة بشرق الأندلس وأنشأوا فيه ممالك لهم في طرطوش ، ودانية ، والمريه . ويذكر المستشرق خليان ريرا أن الصقالبة يمثلون العنصر الأوربي في المجتمع الأندلسي وعن طريقهم انتقلت بعض الصور الشعرية التي شاعت في البيئات الأوروبية وأثرت فيها .

(انظر : لطفي عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٣٦ — ٣٨ —

خالد الصوفي تاريخ العرب في اسبانيا ، ص ٣٢) .

التأقاما المرابطون لحماية اراضيهم • "١"

ويبدو ان اغلب العناصر النصرانية التي كانت تعمل في الجيش المرابطي بقيت متمسكة بنصرانيتها بدليل ما يروى من ان المرابطين قد تركوا لهم حرية العبادة وابعاهو لهم بناء الكنائس • "٢"

ومن دخل في صفوف الجيش المرابطي فرقة من الفز الاتراك اضافة الى قبائل البربر المتعددة التي كانت تخضع لسلطان المرابطين "٣". كما شارك عرب بني هلال في معارك الجهاد التي خاضها المرابطون ضد الممالك النصوانية "٤". كذلك اشتركت بطون من بعض القبائل العربية الاخرى في جيش علي بن يوسف الذي — كان يقارع جيوش الممالك الاسبانية النصرانية في الأندلس — وهذا ما اشارت اليه بعض الروايات التاريخية من اعتماد امير المسلمين علي بن يوسف على العرب في معركة جبل القصر عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م • "٥"

وكان الجيش المرابطي بشكل عام مقسم الى قسمين سى الأول منهما بالحشم والثاني بالداخلين • فكان جيش الحشم يتألف من جنود قبائل جزولية •

-
- ١ — ابراهيم حرکات : المرجع السابق • ج ١ • ص ٢٢٢ — ٢٢٣ •
 - ٢ — حسن محمود : المرجع السابق • ص ٣٧٩ — ٣٨١ — ومن الجدير بالذكر ان الشريعة الاسلامية لا تبيح لاهل الذمة ببناء كنائس جديدة او ترميم القديم منها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم — (لا تحدثوا كنيسة في الاسلام ولا تجددوا ما ذهب منها) • انظر اسماعيل بن محمد الانصارى : حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين • ص ١١ •
 - ٣ — ابراهيم حرکات : المرجع السابق • ج ١ • ص ٢٢٢ — ٢٢٣ •
 - ٤ — حسن محمود : المرجع السابق • ص ٣٧٩ — ٣٨١ •
 - ٥ — خليل ابراهيم صالح البشير : المرجع السابق • ص ٣٦٤ •

ولمطه ، وزناته ، ومصوده ، أما جيش الداخلين فيتألف من قبائل
صنهاجة ومن الأعلاج ، والعبيد السودان . " ١ "

أما بالنسبة لعدد افراد الجيش المرابطي ، فكان يزيد أو ينقص بحسب
الظروف ، فإذا كانت الدولة تتعرض للأخطار أو كانت تنوى الفزو عندها يرتفع
عدد افراد الجيش وتحشد الجيوش بواسطة العمال ، ويهرع آلاف المتطوعة من
مختلف الفئات ، وعلى رأسهم الفقهاء . فقد رأينا في الباب الثالث كيف أن أبدا
علي الصديقي ، وأبي بكر بن الحريبي كانا في مقدمة الجيوش القاطنة في موقعة
كغنديه عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م . الا انه كان هناك جيش نظامي مستعد لحماية
الثغور والمدن عندما تدعو الضرورة الى ذلك ، وفعلا حافظ هذا الجيش على الأمن
في الداخل حتى أن قطاع الطرق واللصوص الذين كانوا منتشرين في المهدي السابق
انقطع دابرهم في عهد المرابطين . " ٢ "

ويظهر انه كان هناك ديوان خاص بالجند النظامي ، اذ كانت
تصرف لهم رواتب شهرية مقدارها خمسة نانير للفارس مع نفقته وعلف فرسه " ٣ " ،
على ان الجند كانوا يعتمدون بشكل اكبر على ما يفتنونه من الاعداء لاستمرار حركة
الجهاد في عهد علي بن يوسف . الا ان الدولة كانت تلجأ في بعض الحالات الى
منح الجند اقطاعات زراعية يستقرونها مقابل رواتبهم " ٤ " ، كما كانت الدولة
تزود اهل الثغور التي أوكلت حمايتها الى اهلها لمعرفتهم بمواطن الضعف والقوة
لدى الاعداء ، بالخييل والسلاح كلما توفر شيء منها . " ٥ "

-
- ١ — محمد ولد داداه : المرجع السابق ، ص ١١٩ — ١٢٠ .
 - ٢ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .
 - ٣ — المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .
 - ٤ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤١٢ .
 - ٥ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

أما فيما يختص بقيادة الجيوش المرابطية فقد كانت حكرا على أبناء واقارب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أمثال تاشفين بن علي ، وتميم بن يوسف ، ومزدلي بن تاشفين ٠٠٠ الخ . ولما تعددت الجيوش المرابطية المشتركة في معركة الجهاد ضد النصارى في الشمال الاسباني ، كانت الضرورة تحتم في بعض الاحيان توحيد القيادة في الاندلس لقائد واحد هو حاكم الاندلس من قبل أمير المسلمين علي ابن يوسف ، مثلما حدث لتميم بن يوسف عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م ، ولتاشفين ابن علي عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م . وكانت لقائد الجيوش الاندلسية الموحدة حرية توجيه القوات التي تحت امرته في الاندلس الى اى جهة يريد ها . وكان قادة الجيوش المكونة للجيش الموحد بمثابة مجلس حرب القائد العام للجيش يجتمعون معه للمشورة في مختلف القضايا ويرسمون معه خطة الهجوم او الانسحاب .

وكانت عادة أمير المسلمين علي بن يوسف ان يجرى تنقلات مستمرة لقيادة جيشه " ٢ " ، ولعله كان يقوم بذلك من اجل الا يتيح لاي واحد منهم بأن يستبد ويغلب الجند عليه او يشجعه النفوذ الواسع على الانفصال .

وكان المنصب يمثل الحق الاستراتيجي بالمفهوم الحديث للجيوش المرابطية حيث كان بمثابة معسكر كبير ينفذ حركة الجهاد في الاندلس ضد الاسبان النصارى بما تحتاجه من جند ونجدات . وكانت سبته وطنجة بمثابة قواعد متقدمة ترابط فيها قوات مرابطية على اهبة الاستعداد لتلبية نداء الواجب اذا طلب منها التدخل من قبل القيادة الاندلسية لرد غادية الاسبان النصارى . " ٣ "

١ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٧ - ابن أبي زرع :
المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٥ ، ٨٧ -
الساوى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٤ - ابن خلدون : تاريخ
ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٧ .

٣ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٨٣ - ٣٨٦ .

وكان الفقهاء والقضاة يشاركون الجند في الجهاد ويواصلون انكاء وتشويقهم للشهادة ، وينتهزون كل فرصة لحثهم على بذل النفس من اجل رفع راية لا اله الا الله . " ١ "

وعلى نطاق التسليح والتعبئة وتطوير نظم الهجوم والدفاع في عهد علي بن يوسف فقد حدث بها بعض التطور لكثرة الاحتكاك مع النصارى في معارك دامية ساعدت على تفتق المبقرية العسكرية . فقد عمل القادة جل جهدهم لتطوير جيوشهم من اجل احراز النصر على اعدائهم ، واستعملوا معظم الادوات والاسلحة التي تمكنوا من الحصول عليها بمهارة فائقة ، فكانت الابل والخيول تشكل العناصر الرئيسية في اي جيش يجهز للاغارة على اراضي الاعداء او لصد اي هجوم على اراضيهم ، اما افراد الجيش فكانوا مجهزين بسيف الهند ومزاريق الزان ، والسهام ، والمطارد ، والرعدات ، والدروع ، والتروس ، والزبد . " ٢ "

اما بالنسبة لطريقة قتال الجند المرابطي والسمات العامة لتنظيماته قبيل الاشتباك وخلالها فقد وصفها الطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) " ٣ " ، أحد معاصري علي بن يوسف بن تاشفين خير وصف ، ومما جاء في وصفه لذلك : ((واما صفة اللقاء وهو احسن ترتيب رأيناه في بلادنا وهو ارجى تدبير نفعله في لقاء عدونا ان نقدم الرجال بالدق الكامله ، والرمح الطوال ، والمزاريق الممنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزون مركزهم ورماحهم خلف ظهورهم في الارض وصدورهم شارعه الى عدوهم جثيا في الارض وكل رجل منهم قد القم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون ، التي تمزق سهامهم الدروع ، والخيول خلف الرماة ، فاذا حملت الغزوم على المسلمين لم تزحزح الرجاله

١ - ابن الآبار : المعجم ، ص ٢٤٦ - وانظر موقعة كتندة (٥١٤ هـ) في الباب الثالث .

٢ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

٣ - سراج الملوك ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

عن هيئاتها ولا يقيم رجل منهم على قدميه فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب ،
والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تتلقاهم فأخذوا يمينه ويسره فتخرج خيل المسلمين
بين الرماة والرجالة فتنال منهم ما شاء الله تعالى)) •

وكان من ضمن التقاليد العسكرية في عهد علي بن يوسف أن يقوم الجنود
باستعراض عسكري قبل انطلاقه نحو أهدافه " ١ " ، وبعد العرض يتحركون وهم
بكامل اهبتهم نحو الهدف الذي انتدبوا اليه • وكانت الاقوات والخيام تحمّل
على ظهور الابل التي كانت تسير في مؤخرة الصفوف يتلوها الرماة يقودون قطعان
الماشية من كل صنف ، فإذا حط الجيش رحاله أقاموا معسكرا تخفي به الخنادق
والتحصينات • " ٢ " وعندما يقتربون من العدو تنشر الرايات ذات الالوان المختلفة
والمثلة لقطاعات الجيش ، ولعله كانت هناك راية كبرى أثناء الحرب • وكانت بعض
هذه الرايات التي كان عددها سبع رايات في عهد علي بن يوسف موشاة بالذهب " ٣ "
وكانت الجيوش المرابطة تسير على دوى الطبول التي كان مسمعا يدخل النغم
والرعب في قلوب الأعداء • " ٤ "

الا اننا يجب ان لا نفعل عن العوامل التي كانت تتحكم في ترتيب وتنظيم الجيش
قبيل الصدام والتي يمكن حصرها في عاملين : هما طبيعة الارض التي تم عليها
الصدام ، وتوعية العدو الذي يواجهه • لذا كان لكل معركة ظروفها التي تحكمت
فيها ، فتارة هي كما وصفها الطرطوشي ، واخرى يرتب فيها الجيش على شكل
خماسي على النحو التالي : المقدمة والتي كانت تتكون من جند المشاة اما الميسرة

-
- ١ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥ •
 - ٢ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٨٩ — ٣٩١ •
 - ٣ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٦ •
 - ٤ — محمد ولد داداه : المرجع السابق ، ص ١١٩ — ١٢٠ •

واليمينه اللذان يولغان جناحي الجيش فيتألفان من وحدات الفرسان الخفيفة وحملات القسي والنبال • وكان القلب يتألف من وحدات الفرسان الثقيلة التي يرجع اليها الفضل غالبا في احراز النصر في المعارك الحاسمة • اما القوى الخفيفة او الاحتياطية فكان يقودها القائد العام للجيش المرابطية • وتتألف من نخبة ممتازة من الجند المدرب المتميز بالشجاعة "١" • والتي كانت ترقب سير المعركة حتى اذا تمكن الاعياء من العدو انقضت عليه وانتزعت النصر منه •

واعتمدت الجيوش المرابطية ايضا في قتالها على نظام الكمان لمناسبة طبيعة البلاد الوعرة مع هذا الاسلوب من اساليب القتال • "٢"

وفي عهد علي بن يوسف برع المرابطون في فنون الحصار التي كانوا يجهلون في بداية قيام دولتهم • وقد اتضحت هذه البراعة خلال حصارهم لعدة مدن في غرب الاندلس واستيلائهم عليها • "٣"

أما فيما يتعلق بالروح القتالية عند الجند المرابطي فكانت تشبه الروح القتالية عند الجند الاسلامي في صدر الاسلام • لانهم كانوا يقاتلون من اجل اعلاء كلمة لا اله الا الله • فكانوا لا يبدأون قتالهم الا بعد ان يؤدون الصلاة واذا كتب الله لهم النصر اذاعوا هذا النبا من اعلى المآذن في جميع انحاء الدولة • "٤"

١ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي • ج ٤ • ص ٣٦٨ -

• ٣٦٩

٢ - انظر الباب الثالث (موقعة افراغة ٥٢٨ / ١١٣٤م) •

٣ - حسن محمود : المرجع السابق • ص ٥٥ •

٤ - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق • ج ٤ • ص ٣٦٨ - ٣٦٩ •

وقد اثنى صاحب الحلل الموشية "١" على الجند المرابطي فقال : ((فكانوا يختارون الموت على الانهزام)) ، لانه يجد في الفرار عارا فظا بالك اذا اعتقد ان الثبات سبيله الى الشهادة في سبيل الله . ؟

وكانت عزة نفس الجندي المرابطي البدوية تألف تعقب المدو الفار امامها "٢" وهذا ما رأيناه في اكثر من معركة في الزلاقة عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م وفي اقليش عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م وفي غيرها .

ومن التطورات التي جدت في مجال الاستراتيجية العسكرية في عهد علي بن يوسف التوسع في بناء الاسوار والحصون . فعندما شعر امير المسلمين علي بخدم — فعالية التحصينات التي اقامها والده ، والتي لم تعد تجدى في صد غارات الصامدة في المغرب والنصارى في الاندلس اقام اعدادا كبيرة منها في المغرب والاندلس . "٣"

أما بالنسبة للاسطول فقد اشرنا الى نشاطه في الباب الثالث عند حديثنا عن الجزائر الشرقية ، الا ان الذي اود ان اشير اليه هو ان الاسطول قد تضخم عدد قطعة في عهد علي بن يوسف ليصل الى عشرة اساطيل في عهد ابنه تاشفين عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م . "٤"

ويبدو ان من عوامل ازدهار الاسطول المرابطي سيطرة المرابطين على دور الصناعة ذات الشهرة العالمية في صناعة السفن ، ومن اهم هذه الدور دار الصناعة

-
- ١ — مؤلف مجهول : ص ٢٢ .
 - ٢ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٨٩ — ٣٩١ .
 - ٣ — انظر عن هذا الموضوع الفصل الخاص بالعمارة والفنون الاسلامية .
 - ٤ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٧ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧٦ — ٤٧٧ .

في مدينة المربه " ١ " . كما كان للأندلسيين اصحاب الخبرة في فنون البحرية —
دور كبير في ازدهارها وسيطرتها على مياه البحر الابيض المتوسط . " ٢ "
ويظهر ان الاسطول المرابطي في عهد علي بن يوسف كان مقسما
لعدة وحدات ترابط في موانئ الدولة وقواعد البحر المختلفة ، فهذا ما يتضح
من رواية الادريسي التي جاء فيها ((ان احمد بن عمر المصروف برقم الاوز كان
واليا لامير المسلمين علي بن يوسف على جملة من اسطوله)) " ٣ " . وما يؤيد
تقسيم الاسطول الى وحدات منتشرة في مياه الدولة الاقليمية ان جملة من هذا
الاسطول كانت ترابط في دانيه ، ويتضح ذلك من خلال رسالة وجهها امير المسلمين
علي بن يوسف الى عامل هذه المدينة ، والتي من فصولها : ((وانظر في امر
الاسطول والمستخلص لدانية حرسها الله واستنب في ذلك من ثراه)) " ٤ "
ويبدو ايضا ان الاسطول بوحداته المتعددة التي وصلت الي عشرة اساطيل كانت
تخضع لقيادة موحدة ، فهذا ما يفهم من الرواية التي تقول بأن محمد بن ميمون قد حضر
في عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م لمساعدة تاشفين بن علي بعشرة اساطيل . " ٥ "

-
- ١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٩٢ .
 - ٢ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة الاسلامية ، ص ٤٨ — ٥٠ .
 - ٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ .
 - ٤ — محمود مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .
 - ٥ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٧ — ابن خلدون :
تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧٦ — ٤٧٧ .

القضاء :

=====

يعتبر عصر المرابطين بحامة وعهد علي بن يوسف بن تاشفين بخاصة من المجهود التاريخية النادرة التي تمتع فيها القضاء بالسطوة والجاه ، اذ لم يكن منصب القضاء في هذا العهد مجرد منصب ديني فحسب بل ارتبط بالسياسة ، فقد تمتع القضاء بسلطات واسعة اغرت بعضهم في اواخر عهد المرابطين بالاستقلال عن دولة المرابطين امثال قاضي قضاة قرطبة ابن حمد بن الذي اعلن انفصاله في عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م ، وتلقب بنفس القاب امراء الدولة المرابطية (امير المسلمين ، وناصر الدين) ، وقام بتدوين الدواوين ، وتنظيم الجيش واستمر في عمله هذا ما يقرب من العام . " ١ "

وكان لا يتولى منصب القضاء في عهد المرابطين الا من ثبتت جدارته ونزاهته ، وتمتع بخلف وافر من العلم . واشترط الكفاءة ليس غريباً على تاريخ القضاء الاسلامي فقد تنبه فقهاء المسلمين لخطورة هذا المنصب فاشتروا عدة شروط لمن يتولاه تتفق وشروط من يتولى حكم الامة ، ومن هذه الشروط : الاسلام ، والعقل ، والذكورة ، والحرية ، والبلوغ ، والعدالة ، والعلم ، وسلامة الحواس ، اضافة للذكاء والفطنة والاناء . " ٢ " الى غير ذلك من الشروط التي ترمي الى اختيار افضل الناس لهذا المنصب الخطير لتعلقه بأمور الدين ، ولان امير المسلمين معرض للمثول بين يديه لو توجب عليه حكم " ٣ " . وقد نبه النباهي " ٤ " لخطورة خطة القضاء فقال : ((خطة القضاء من اعظم الخطط قدرا واجلها خطرا)) .

١ - ابراهيم حرکات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

٢ - النباهي : المرقبة العليا ، ص ٣ - ٤ .

٣ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

٤ - المرقبة العليا ، ص ٦ .

وكانت الاندلس مقسمة الى ثلاث مناطق قضائية كبرى هي : الشرق ، والمغرب ،
والموسوسطه ، وفي كل منها قاض للجماعة " ١ " . وهذا ما يفهم من الرسالة التي وجهها
علي بن يوسف في عام ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م الى اهل شرقي الاندلس لاعتراضهم على
احكام الفقيه قاضي القضاة عندهم مشيرا الى وجود منصب قاضي قضاة الشرق كما جاء
فيها : ((. . . وضح عندنا ان الفقيه الجليل الحافظ قاضي القضاة بالشرق . . .)) " ٢ "

ومن المحتمل ان يكون المغرب مقسما الى مناطق قضائية تشبه ذلك التقسيم
الذي رأيناه في الاندلس . وكانت اهم المناصب القضائية في المغرب والاندلس
هي منصب قاضي قضاة مراكش لقربه من السلطان ، وقاضي قضاة قرطبة مركز والسي
الاندلس من قبل امير المسلمين ، فكان الاول يستفتى في كل ما يتعلق بالمغرب
والثاني في كل ما يتعلق بالاندلس . " ٣ "

-
- ١ - قاضي الجماعة : هو اعلى منصب قضائي في الدولة ، ومصطلح قاضي الجماعة
مستحدث في الاندلس يعود لقاضي قرطبة يحيى بن يزيد التجيبي المتوفى عام
٢٤٦ هـ ان ان قاضي قرطبة قبله كان يسمى قاضي الجند ، والقصود بالجماعة
جماعة القضاة ، ويستمد قاضي الجماعة اختصاصاته من الخليفة او الامير
انظر : ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥ .
 - ٢ - محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص
١٦٣ - ١٦٤ .
 - ٣ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

وكانت سياسة امير المسلمين علي بن يوسف في تعيين القضاة لا تستند الى عصبية قبيلة كما فعل في تعيين الولاة وقادة الجيش ، وهي سياسة حكيمة برهننت على رغبة امير المسلمين علي في تحقيق العدالة بين جميع افراد الرعية من غير محاباة لأحد . " ١ "

ويظهر ان اختيار قاضي الجماعة كان في بداية عهد المرابطين يسير على ضوء التقاليد التي كانت متبعة في المهود السابقة ، فقد كان يعين من قبل امير المسلمين بعد استشارة الوزراء وكبار الشخصيات في بلاطه . " ٢ " الا ان هذا الوضع قد طرأ عليه تعديل في عهد علي بن يوسف واصبحت الرعية هي التي تنتخب القضاء ثم يبارك هذا الاختيار امير المسلمين . وهذا منتهى شورية حكم المرابطين او ما يعبر عنه بالمصطلح الحديث " بفاية الديمقراطية " ، كما يدل على استقلالية السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية . وعند تعذر اختيار الجماعة لقاضيهما كان يتمركز امر الاختيار لامير المسلمين ، وما يؤيد ما ذهبنا اليه رد امير المسلمين علي بن يوسف على الجماعة بأحدى النواحي التي ارسلت اليه باسماء رجلين رشحوهما للقضاء ليختار امير المسلمين واحد منهما ، فقد جاء في رد علي بن يوسف عليهم ((..... وصلت الينا مراجعتكم عما كنا خاطبناكم فيه من اختيار رجل منكم يصلح لولاية القضاء عندكم ووقفنا منها على اختلافكم في الرجلين المذكورين في المقدين الواصلين من قبلكم فرأينا التوقف في الامر حتى يقع اتفاقكم وان استمر الخلاف اخرجنا الامر عنكم واجتهدنا في الاختيار لكم ان شاء الله تعالى والسلام)) " ٣ " .

وقد انحسرت سلطات قاضي الجماعة في المهود السابقة لقيام دولة المرابطين في الامور التالية : قطع التشاجر والخصام بين المتنازعين ، واستيفاء الحق لمن

١ — ابراهيم حرركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥ — ٢١٦ .
٢ — ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥ .
٣ — محمود مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٦٣ — ١٦٤ .

طلبه ، والزام الولاية للسفهاء والمجانين ، والتحجر على المفلس حفظا للاموال
والنظر في الاحباس ، وتنفيذ الوصايا ، وتزويج الايامى من الاكفاء ، واقامة الحدود ،
والنظر في المصالح العامة من كف التعدى في الطرق والافنية " ١ " . ولكن
ما ان جاء المرابطون حتى توسعت صلاحياته ، ففي عهد يوسف بن تاشفين اصبحت
قاضي القضاة الرجل الاول في منطقته الذي يرجع اليه ، واصبحت سلطته تفوق
سلطة نائب امير المسلمين على الامصار ، وهذا هو الذي يتضح من خلال رسالة وجهها
يوسف بن تاشفين الى قاضي قرطبة ابن حديد والتي من ضمن فصولها : ((٠٠ وقد
عهدنا الى جماعة المرابطين ان يسلموا لك في كل حق تفضيه ولا يعترضوا عليك في
قضاء تفضيه ، ونحن اولا وكلهم آخرا ، صرنا قاضيا سامعون منك غير معترضين
في حق عليك ، والعمال والرعية كافة سواء في الحق ، فان شكت اليك بعاملا
وصح عندك ظلمه لها ، ولا يتجه في ذلك عمل غير عزله فأعزله ، وان شكك
العامل رعيته خلافا في الواجب ٠٠٠ فقومها له ومن استحق من كلا الطرفين الضرب
والسجن فأضربه واسجنه ، وان استوجب الخرم في ما استهلك فأغرمه واسترجع
الحق شاء او ابي من لديه ٠٠٠)) " ٢ "

وتعززت هذه السلطات اكثر في عهد علي بن يوسف وازيقت الى قاضي الجماعة
مهام اخرى عززت من مكانته ، واصبح علي بن يوسف لا يقبل شكاية احد من رعاياه الا
اذا كانت مؤيده بشهادة من قاضيه تؤيد ظلامته . وما لبث علي بن يوسف ان اوكل
النظر في الظلمات الى قضاة البلدان حتى لا يتجشم المظلومون مشقة السفر الى
العاصمة لعرض شكاويهم على السلطان ، وهذا ما اوضحه علي بن يوسف من خلال

١ - النباهي : المصدر السابق ، ص ٥ - ٦ .

٢ - ابن بسلام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

رسالته الى قاضي مالقه ابو محمد عبد الله بن احمد بن عمر القيسي المالقي المتوفي
عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ، وهي مؤرخه في ذى الحجة سنة ٥٢٣ هـ / ٢٨ ديسمبر
١١٢٩ م ، وما جاء فيها : ((وقد قلدناك تقليدا تاما ان تنظر بجهتك من
شكاوى العامة في اللطيف والجليل واى عذرك لقد شدنا من ازرك
واى عامل من عمال الرعية قامت الشهادة عندك بتعديده وعلمت صحة استهدافه وتصديده
فانه امره الى صاحب البلد مستعمله ومولية ، واشعره بما ثبت عندك فيه فان غل
يد اذ يته وانفذ عزله عن رعيته ، والا فأخف ذلك اليثا في سائر ما يتوقف لديك
من الامور التي تقصر عنها يدك . .)) "٢"

وكان امير المسلمين علي بن يوسف وولي عهده تاشفين يؤكدان على اعمالهما
بحماية جانب القاضي وعدم السماح للرعية بالاعتراض على احكامه ، كما كانا يؤكدان
عليهم باستمرار على واجب الاحتفاء بالقضاة حينما يعمرون في اعمالهم ، وكانا يوضحان
الوالي الذى لم يحتفل ببعض القضاة الذين مروا في اعماله ولم يكرم يكثر بهم ، وهذا
ما تبين من خلال رسالة بحث بها تاشفين الى احد ولاته حول هذا الموضوع . "٣"

ولم تكن تلك السلطات مجرد امور نظرية بل كانت تمارس عمليا ، وقد رأينا
في الباب الثالث كيف طالب ابن رشد امير المسلمين علي بن يوسف بعزل واليه
على الأندلس تميم فاستجاب له . "٤"

١ - محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص

١٧١ - ١٧٤ .

٢ - محمود علي مكي : المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٤ - ١٤٦ .

٣ - انظر الباب الثالث ، ص

وكان من ضمن صلاحيات قاضي الجماعة تعيين قضاة الاقاليم • وشكل
اجمالي لم يكن يخرج عن سلطان قاضي الجماعة الا اعداد الجيوش وجباية الخراج •
فقد كانت اختصاصاته تشمل ما يسمى في مصر الحاضر بالقضايا المدنية والتجارية
والجنايئة والادارية • "١" •

وكان يشرف على بيت المال • ويصلح المساجد •
ويقوم الصوامع • ويصنع المنابر • واذا ما دعا داعي الجهاد نجده في مقدمة
الصفوف • "٢" •

وكان يساعد القضاة مجموعة من الكتاب • وهذا ما اشارت اليه كتب
التراجم بايرادها مجموعة من اسماء من اشتهر بالكتابة للقضاة امثال : محمد بن
اسماعيل بن عبد الملك الجعفي المتوفى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م الذي عمل كاتباً
للقضاة في شاطبه • وبنسية "٣" • وبعد العزيز بن علي بن عيسى ابو الاصبع
المصروف بالشقوري المتوفى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م "٤" • وبعد العزيز بن
خلف بن ادريس السلمي المتوفى عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م وغيرهم • "٥" •

وكان يشترط في الكتاب الذين يكتبون للقضاة ان يكونوا على قسط وافر من
الثقافة ومعرفة بالقضاء والاحكام والشروط "٦" • وكان لقاضي الجماعة مند عهد علي بن
يوسف مستشارون من الفقهاء عددهم اربعة اثنان منهم يلازمان القاضي ليستشيرهم

١ — ابن رشد : مسائل ابن رشد • ج ١ • ص ١٥ •

٢ — المقرئ : نفح الطيب • ج ٢ • ص ٢٩٥ — ٢٩٦ — حسن محمود :

المرجع السابق • ص ٣٦٩ — ٣٧١ •

٣ — ابن الابار : المعجم • ص ١٥٧ •

٤ — المصدر السابق نفسه • ص ٢٥٥ •

٥ — المصدر السابق نفسه • ص ٢٥٦ •

٦ — المصدر السابق نفسه • ص ٢٥٥ — ٢٥٦ •

في اصدار الاحكام ، والاثنان الآخران يختصان باصدار المشورة للمتنازعين " ١ " ،
وكان للفقهاء المشاورين رئيس منهم ينظم شؤونهم " ٢ " .

واتخذ القضاة الحجاب على ابوابهم ليحولوا بين الناس وبين ان
ينالوا من هيبة المجلس ووقاره ، وكلوا يستعين بطائفة من الشرطة يسمون الاعوان
في بعض الاحيان . " ٣ " .

وكان كاتب الامير او وزيره حلقة الاتصال بينه وبين القاضي ، وكان —
اتفاق القاضي والامير يعني الهدوء والدعة ، واختلافهما يعني الاضطراب والفوضى .

وعلى الرغم من هذه السلطات الواسعة التي كان يتمتع بها القضاة
في عهد علي بن يوسف الا انه لم يغفل عن مراقبتهم ، وعزل القصر منهم . فقد
كانت تصله تقارير مفصلة عن جميع قضاائه في الامصار ، وهذا يتضح من خلال رسالته
الى اهل فاس في عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م والمتعلقة بعزل قاضيهم ابن ملجوم ،
ومما جاء فيها : ((. . . وقد انهي الينا وتحقق لدينا ان الجهول لمن الملجوم ،
اجهل بأحكام القضاء من الملجوم . . . فقد وليناه خلة الطوم ونهنااه بالعرء وهو
مذموم وجلعنا شهب العزلة الشيطانية كالرجوم . . .)) " ٥ " .

ومن اشهر من تولي منصب قاضي الجماعة في عهد علي بن يوسف ، محمد
ابن احمد بن رشد (٤٥٠ — ٥٣٠ هـ / ١٠٥٨ — ١١٣٥ م) قاضي الجماعة
بقرطبة " ٦ " . وهو من كبار فقهاء الاندلس وقضااتها ، وكانت ولايته لقضاء الجماعة

١ — المراكشي : المعجب ، ص ٢٣٥ — ٢٣٦ — ابراهيم حركات : المغرب
عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

٢ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ — ٣٦٩ .

٣ — المرجع السابق نفسه ، ص ٣٦٩ — ٣٧١ .

٤ — المرجع السابق نفسه ، ص ٣٧١ — ٣٧٢ .

٥ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٢ .

٦ — ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٢٧٠ — الضبي : بغية الطمئ ، ص ٥١ .

بقرابة عام ٥١١ هـ / ١١١٢ م ، ثم استقال منها في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م "١" .
وهو الذي اُفتي بتفريب النصارى جزاء غدرهم بالمسلمين عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م .
لمساعدتهم الفونسو المحارب وهو ايضا الذي اشار على علي بن يوسف بتسوير مراكش ،
وعزل تميم عن ولاية الاندلس . "٢"

والذي ابن رشد مجموعة قيمة من المؤلفات اهمها : البيان والتحصيل لما فسي
المستخرجه من التوجيه والتعليل ، وكتاب القدمات لاوائل كتاب المدونه ، واختصار
كتاب المبسوط ، واختصار كتابي ابي جعفر الطحاوي . "٣"

"٤"
ومنهم ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصي ،
المتوفى عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م "٥" . وهو سبتي الدار والميلاد اندلسي
الاصل "٦" ، وكان من ائمة وقته في الحديث ، والفقه ، والنحو ، والشعر ،

-
- ١ - ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧ - ابن عذارى : المصدر
السابق ، ج ٤ ، ص ٦٤ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ،
ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
 - ٢ - انظر الباب الثالث ، والفصل الخاص بالمصارة والفنون الاسلامية .
 - ٣ - الضي : المصدر السابق ، ص ٤٠ - ابن القاضي : جذوة الاقتباس ،
ج ١ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ،
ص ٧٤ - ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص ٢٧٠ .
 - ٤ - أبي عبد الله محمد بن عياض : التعريف بالقاضي عياض - ابن فرحون :
الدياج المذهب ، ج ٢ ، ص ٤٦ - ٤٨ .
 - ٥ - الحماد الأصفهاني : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢ ، ص ٥٥٠ -
ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥١ - ابن خلكان :
المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ - ٤٨٥ - أبي عبد الله محمد بن
عياض : المصدر السابق ، ص ٣ .
 - ٦ - ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

خطيباً فصيحاً صاحب ثقافة موسوعية "١" . ولي الشورى في بلدة سبتة ثم تولى القضاء في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م فقام بحملته احسن قيام ، وبنى الزيادة في جامع سبتة ، وبنى بجبل الميناء الرابطة ، وفي عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م تخذ خطة قضاء غرناطة الا انه فصل عنها في عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م ، ثم ولي قضاء سبتة مرة ثانية في اواخر عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م "٢" ، وفي عام ٥٤٦ هـ / ١١٤٧ م انتفضت سبتة بقيادته ، ولكن الامراتيين باستيلاء الموحديين عليها ، وغفا عبد المؤمن ابن علي عن القاضي عياض الذي ما لبث ان توفي في مدينة مراكش عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م "٣" أو في قول آخر في مدينة فاس . "٤"

ومن اشهر مؤلفات القاضي عياض كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وهو مطبوع ، وكتاب اكمال المعلم في شرح مسلم ، وكتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة (مخطوط) ، وكتاب ترتيب المدارك وتعريف المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك (مطبوع) ، وكتاب الاعلام بحدود قواعد الاسلام (مطبوع) ، وكتاب الالطاع في ضبط الرواية وتقييد السماع (مطبوع) ، وكتاب الفنون الستة في اخبار سبتة (مفقود) ، وغيرها . "٥"

-
- ١ - أبي عبد الله محمد بن عياض : المصدر السابق ، ص ٤ وما بعدها .
 - ٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ١٠ - ١١ .
 - ٣ - ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦ - ٤٨ - ابراهيم خركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .
 - ٤ - المطال الأصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٥٥٠ .
 - ٥ - أبي عبد الله محمد بن عياض : المصدر السابق ، ص ١١٥ - ١١٨ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ - ٤٨٥ - ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

ومن مشاهير القضاة أيضا خلوف بن خلف الصنهاجي المتوفى عام ١٥١٥هـ /
 ١١٢١م الذي تولى قضاء الجماعة في مراكش بعد ان تولى قضاء غرناطة عام ١٥١٠هـ /
 ١١٢٦م ثم قضاء فاس "١" . ومنهم أبو عمران موسى بن حماد الذي تولى القضاء
 بجهات شتى ثم عين بمرسوم من أمير المسلمين على بن يوسف في أوائل رمضان عام
 ٥٢٤هـ "٢" . وعبد الحق بن عليّ المتوفى عام ٥٤٦هـ / ١١٥١م والذي
 ولي قضاء قرطبة أو المرية عام ٥٢٩هـ / ١١٣٤م "٣" . واحمد بن ابراهيم
 ابن أحمد المتوفى عام ٥١٤هـ / ١١٢٠م والذي استقضى بشلب "٤" . واحمد
 ابن الجحاف المتوفى عام ٥٤٧هـ / ١١٥٢م والذي تولى قضاء بلنسية "٥" .
 ومحمد بن هشام الأموي المتوفى عام ٥٣٠هـ / ١١٣٥م وهو من مشاهير قضاة
 غرناطة "٦" . وعبد الله بن مروان بن عبد العزيز المتوفى عام ٥٣٥هـ / ١١٤٠م ،
 والذي تولى قضاء بلنسية عشر سنوات "٧" . وأبو الحسن علي بن اضحى الهمداني
 قاضي قضاة غرناطة المتوفى عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م "٨" . وأبو بكر بن العربي
 الذي تولى قضاء اشبيلية عام ٥٢٨هـ / ١١٣٣م . ومن قضاة اشبيلية أيضا أبو -

-
- ١ - ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .
 - ٢ - النباهي : المصدر السابق ، ص ٩٢ - ٩٨ .
 - ٣ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٣٩ - ٥٤١ - المقرئ :
 - المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
 - ٤ - ابن بشكوال : الضلة ، ج ١ ، ص ٧٧ - ابن الابار : المعجم ،
 - ص ٧ .
 - ٥ - ابن الابار : المعجم ، ص ٣٦ .
 - ٦ - المصدر السابق نفسه ، ص ١١٨ .
 - ٧ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢١٢ - ٢١٤ .
 - ٨ - ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ - ابن سعيد : المغرب =

الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني "١" . ومن القضاة المشهورين ايضا
محمد بن احمد بن خلف التجيبي المعروف بابن الحاج المتوفى عام ٥٢٩ هـ /
١١٣٤ م "٢" . وقاضي الجماعة بقرطبة محمد بن أصبح المعروف بابن الناصف
المتوفى عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م "٣" . وقاضي الجماعة بمراكش عبد الله بن محمد
ابن ابراهيم اللخبي المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م "٤" . وقاضي الجماعة
ابو القاسم احمد بن محمد بن علي بن حمد بن المتوفى عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م "٥"

ومن الخطط المهمة التي كانت تخضع لقاضي الجماعة خطة قضاء الكور ، فكان
يعين عليها قضاة يمثلونه في النواحي التابعة له ، والذين كانوا بدورهم يعينون
من ينوب عنهم في القرى التابعة لنواحيهم . وكانت اختصاصات قضاة النواحي
محدودة في قرية أو في حي كبير من أحياء المدينة وتسند اليه بمقتضى توكيل خاص
من لدن قاضي الكورة "٦" .

ومن الخطط التي كانت تخضع لسلطان قاضي الجماعة ايضا . خطة الأحكام ،
والشورى ، والافتاء ، والمظالم ، والحسبة ، والرد .
وكانت خطة الأحكام من اهم خطط القضاء في المغرب والاندلس ، ويطلق
على صاحبها لقب ((صاحب الأحكام)) . ويرجع وجود هذه الخطة الى أواخر

-
- = في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - ابن الأبار :
الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢١١ ، ٢١٥ - ٢١٦ .
١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٥ ، ٩٢ - ٩٣ .
٢ - النباهي : الموقبة العليا ، ص ١٠٢ .
٣ - ابن الأبالا : المعجم ، ص ١٣٠ .
٤ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠٤ .
٥ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
٦ - ابن رشد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥ - ١٦ .

عهد الخلافة الأموية في الأندلس ، إلا أن أول إشارة لهذه الخطة في عهد الدولة المرابطية تعود إلى عهد علي بن يوسف وذلك من خلال رسالة بحث بها إلى قاضيه الوحيدى يبين له أحكام هذا المنصب وصلاحيات صاحبه ، محددا له الشروط التي ينبغي أن تتوفر في قضاة الأحكام ، من ثقة ، وديانة وحناف ، وزهد وتحفظ ، كما يعطي لقاضي الجماعة سلطة مطلقة في تعيين قضاة الأحكام وعزلهم وعقابهم دون الرجوع إلى أمير المسلمين . ومن فصول هذه الرسالة المؤرخة في ذي الحجة ٥٢٣ هـ / ٢٨ ديسمبر ١١٢٩ م إلى قاضي مالقة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عمر الوحيدى (ت في ٢٦ محرم عام ٥٤٣ هـ) : ((٠٠٠)) ومدار هذا الأمر اختيار الحكام الذين استلقتهم في إقطارك القاضية ، ونصبتهم في الجهات النائية ، فشرطهم الثقة والديانة والصون والأمانة ٠٠٠ وبعد توليتك إياهم فأشرف عليهم أشرفا يتعقب أحوالهم ٠٠٠)) " ١ " .

ومن تولى خطة الأحكام في عهد علي بن يوسف محمد بن عمر بن محمد (كان حيا عام ٥١١ هـ / ١١١٧) من أهل مرسية وصاحب الأحكام فيها ، والذي كان من العلماء المشهود لهم بسعة الإطلاع " ٣ " . ومنهم محمد بن عبد الغفور ابن أحمد الكلابي المعروف بابن زغبة المتوفى عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م والذي تولى الأحكام في مدينة المرسية " ٤ " .

١ — محمود مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٧٤ — ١٧٤ ، ١٤٠ .

٣ — ابن الأثير : المعجم ، ص ١٢٢ — ١٢٣ .

٤ — المصدر السابق نفسه ، ص ١١١ .

أما خطة الشورى فهي خطة قديمة ، فالفقهاء المشاورون هم جماعة من كبار العلماء يختارهم الامير ليسترشد برأيهم في امر القضاة والاحكام . ولم يكونوا هيئة بمعنى الكلمة تجتمع معا في مجلس خاص ، بل كانوا فرادى يختار الامير من يراه صالحا للشورى ثم يعث اليه بما يريد ليفتي فيه ، وقد يستقدمه الى القصر ، وكان المشاورون لامير المسلمين اعلى مرتبة من القضاة بل كانوا في مراتب الوزراء من حيث المكان والجاه . " ١ " الا ان خطة الشورى في الاقاليم كانت اقل مرتبة من القضاء ، اذ اننا نلاحظ ان عددا من القضاة تولى منصب الشورى قبيل تولية منصب القضاء . ومن الأمثلة على ذلك عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف بن مرجي بن حكم الانصارى المتوفى عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م والذي تولى خطة الشورى ببلنسية ثم قلند قضاء مرسية واستمر في هذا المنصب حتى سقطت دولة المرابطين . ومنهم أحمد بن طاهر بن علي بن عيسى الانصارى المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م والذي تولى ايضا الشورى بدانية ثم عرض عليه قضاؤها فرفض . " ٣ "

-
- ١ - ابن الآبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، حاشية رقم ١ .
 - ٢ - ابن الآبار : المعجم ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
 - ٣ - ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٨ - ٧٩ .
- وعن خطة الشورى انظر : هشام سليم عبد الرحمن ابورميله : نظم الحكم في الاندلس في عصر الخلافة ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .
- (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاداب - قسم التاريخ ، كلية الاداب - جامعة القاهرة ١٩٧٥ م) . وهي مطبوعة على آلة كاتبة .

وكان يجمع في بعض الأحيان بين القراءة والخطبة والصلاة في جامع قرطبة
والمشورة في الأحكام ، فقد كان عبد الرحمن بن أحمد بن خلف بن أحمد بن رضا
المقرئ المتوفى عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م خطيبا بجامع قرطبة ، وصاحب صلاة
الفريضة به والمشاور في الأحكام . " ١ "

أما خطة الأفتاء : فكان يشترط فيمن تناط به أن يكون ذا خبرة ومعرفة
بالمسائل والنوازل والفتاوى ، بصيرا بحقد الشروط " ٢ " . ويظهر أنه كانت
هناك هيئة من الفقهاء يتولون الأفتاء في عهد علي بن يوسف ، لأنه كان يوجد
رئيس للمفتين " ٣ " . ومن تولى منصب الأفتاء في هذا العهد محمد بن حكيم
ابن محمد بن أحمد الجذامي المتوفى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م ، والذي كان
يمارس مهامه في مدينة فاس . " ٤ "

أما فيما يختص بالمظالم فقد كان يعين بواسطة أمير المسلمين شخصا ممن
بين الفقهاء المشاورين عنده ، وكان يطلق عليه صاحب المظالم ، وقد عرف
المقريزي هذه الخطة قائلا : ((اعلم أن النظر في المظالم عبارة عن قسود
المتظالمين إلى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهبة . . . وهي
خطة حدثت لفساد الناس وهي كل حكم يعجز عنه القاضي فينظر فيه من هو أقوى

-
- ١ - ابن الآبار : المعجم ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .
 - ٢ - ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٨ - ٧٩ .
 - ٣ - ابن الآبار : المعجم ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
 - ٤ - ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٥ - ٢٢٦ .

منه (١) (١) " ١ " . ومن تولى احكام المظالم محمد بن أصبح الأزدي المتوفى عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب صلاة الفريضة بجامعها ، وكان قد تولى خطة احكام المظالم بقرطبة قديما مع شيخه قاضي الجماعة ابن رشد " ٢ " . ومن الخطط التي تذكرها كتب التراجم في هذا المهد خطة الاشرف على المدن فقد ذكر ابن خاقان " ٣ " ان ابن أبي الخصال كتب الى الوزير أبي بكر ابن رحيم يهنئه بولاية خطة الاشرف وذلك في شوال عام ٥١٥ هـ . ويبدو ان صاحب هذه الخطة كان يعين من قبل أمير المسلمين مباشرة وهو بمثابة المسؤول الأول عن كل ما يحدث في المدينة واتصاله مباشرة مع أمير المسلمين ، وهذا ما يفهم من رسالة ابن أبي الخصال الى صديقه الذي تولى هذه الخطة .

ومن الخطط القضائية التي تميز بها الأندلس ، خطة الرد ان انها لم تظهر في المشرق الاسلامي ، وكان يحكم فيما استرا به الاحكام وردوه عن أنفسهم ، ويبدو انه كان له حق مطالعة رعايا الكور والوقوف على احوالهم ، وقد اطلق على من يتقلد هذه الخطة اسم صاحب الرد لأن اليه كانت ترد بعض الاحكام (٤) .

-
- ١ — هشام سليم عبد الرحمن أبو ريميله : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ .
 - ٢ — ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٤ — ٥٥٥ .
 - ٣ — قلائد العقيان : ص ٢٠٥ .

- ٤ — هشام أبو ريميله : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

وممن تولى هذه الخطة في عهد الدولة المرابطية عبد الله اللخمي الاشيلي . " ١ "

ويظهر أن أحوال أهل الذمة بقيت على سالف عهد ها في المصور السابقة
لقيام دولة المرابطين ، إذ تركت لهم الحرية في التحاكم الى قضاتهم . ومن
اشهر قضاتهم في عهد علي بن يوسف ديان قاضي اليهود في قرطبة والمتوفى
عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٩ م . " ٢ "

=====

- ١ - ابراهيم حرركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٨ .
- ٢ - بالنشأ : المرجع السابق ، ص ٤٩٨ .

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

الحياة الاقتصادية

=====

لقد ازدهرت الحياة الاقتصادية ازدهاراً عظيماً في عهد المرابطين بشكل خاص في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، فكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ، ورخاء ، وعافية ، فكثر الخيرات ، ورخصت أسعار الجبوب والثمار وامت الغبطة رعاياهم " ١ " .

وشهد هذا العهد نهضة صناعية مباركة ومخاصة بعد ما اتحدت الاندلس مع المغرب ، وتبادل الطرفان الخبرات الصناعية " ٢ " ، فازدهرت الصناعة وتخصصت بعض المدن الاندلسية والمغربية في بعض الصناعات ، فالمرية في المنسوجات " ٣ " ، وشاطبة في الورق " ٤ " ، ومراكش في المفازل " ٥ " ، علماً بأن هذه المدن كانت لها عراقة في الصناعات المذكورة في العهود السابقة .

وراجت التجارة رواجاً واسعاً سواء على مستوى التبادل الداخلي أو على المستوى الخارجي مع الدول الإسلامية والدول الأوروبية ، فازدهمت الموانئ المرابطية

-
- ١ - ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص ١٦٧ .
 - ٢ - ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ٤ ، ص ٢٧ - الجزنائي : جني زهرة الآس ، ص ٣٢ .
 - ٣ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المزة الإسلامية ، ص ١٥٦ .
 - ٤ - احمد مختار العبادي : الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، مج ١١ ، ع ١ ، ابريل - مايو -
 - يونية ١٩٨٠ م ، ص ١٥٣ .
 - ٥ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

بالسفن التجارية القادمة من الشرق ومن الدول الأوروبية .

ومن العوامل الهامة التي ساعدت على هذا الازدهار ما كانت تتمتع به الدولة المرابطية من ثقة وسمعة في الاوساط العالمية لحرصها على تطبيق تعاليم الاسلام السمحة ، فلا مكوس جائرة " ١ " ، ولا فوضى واضطراب ، فالدولة ساهرة دوما على حماية التجار ، وحريصة على تأمين طرق تجارتهم " ٢ " . كما ساعد ارتفاع مستوى دخل الفرد وثراء الدولة على تنشيط عملية البيع والشراء مما شجع التجار على اغراق الاسواق بالبضائع المختلفة . " ٣ "

ولم تنطغ الصناعة والتجارة على الزراعة ، فقد راجت المنتجات الزراعية المختلفة ، واخذ المزارعون يصدرون منتوجاتهم من المغرب الى الاندلس والعكس واسهمت الدولة اسهاما فعالا في تشجيع الزراعة وذلك عن طريق توفير المياه وبناء القنوات . " ٤ "

وانعكس ثراء الدولة في عهد علي بن يوسف على حياة الحكام والرعية على حد سواء ، فقلبت حياة الترف والبذخ على سلوك الناس . فهذا والى سرقسطة من قبل امير المسلمين علي بن يوسف ، الامير ابن تيفلويت يعجب في احدى - سهراته باداء ابن باجه (ت ٥٣٣ هـ / ١١٣٠ م) ، فيأمر له ببلغ

-
- ١ - الامير عبد الله بن بلقين : التبيان ، ج ١ ، ص ١٢٠ .
 - ٢ - احمد لياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٧٧م .
 - ٣ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .
 - ٤ - احمد مختار العبادي : الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، مج ١١ ، ج ١ ، ص ١٤٨ - ١٥٠ .

طائل من المال " ١ " . ومن مظاهر ثراء الرعية في عهد علي بن يوسف استخداؤها
للرخام الفاخر والزخارف ذات التكاليف الباهضة في عمائرها . " ٢ "

ولعل ارتفاع عطاء الجند في عهد علي بن يوسف يعتبر مؤشرا آخر من
مؤشرات ذلك الازدهار ، فقد اورد ابن خاقان " ٣ " رسالة كتبت على لسان امير
المسلمين الى صاحب قلعة حماد يقول فيها : ((وتمنح اهل المطولت مئيين ،
واهل المئين الالف)) " ٤ " .

ونتيجة عن قوة اقتصاد دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ان
اصبحت عملتها عملة عالمية يتم التعامل بها في الاسواق العالمية في الشرق والغرب
في ذلك الوقت . " ٥ "

وحتى نفق على مدى تقدم دولة المرابطين من الناحية الاقتصادية في عهد
علي بن يوسف سنعرض بشيء من الايجاز لاهم مظاهر التقدم في مجالات الزراعة ،
والتجارة ، والصناعة ، والنقود ، ثم نعرض بالحديث على الضرائب .

-
- ١ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .
 - ٢ - ابن الابار : المعجم ص ٩٨ - ٩٩ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .
 - ٣ - قلائد العقيان : ص ١١٩ .
 - ٤ - المقصود بأهل الحشرات : القائد المسؤول عن عشرة جنود ، وأهل المئين : أى القائد المسؤول عن مئة .
 - ٥ - عبد رب النبي بن محمد : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

١ - الزراعة

=====

ساعدت رقعة دولة المرابطين الشاسعة بما تحويه من بيئات جغرافية متباينة ،
من صحراوية وجبلية ، وسهلية على تنوع المنتجات الزراعية ، كما كان للدولة
دور كبير في دفع عجلة النهضة الزراعية إذ عظمت جهدها من أجل توفير المياه عن طريق
حفار الآبار ، ومد القنوات والمحافظة على الأمن . " ١ "

وإدى التشجيع من قبل الدولة للمزارعين في عهد علي بن يوسف إلى زيادة
المحاصيل الزراعية المعروفة في السوق فرخصت الأسعار وتناهى سعر القمح إلى
أن يبيع كل أربعة أوسق " ٢ " بنصف مثقال ، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال ،
والقيطاني " ٣ " لا تباع ولا تشتري . " ٤ "

ومن أهم المحاصيل الزراعية التي راجت في عهد علي بن يوسف الزيتون " ٥ "
والتين " ٦ " والزعفران الذي كان يتوفر في بياسه " ٧ " ، أما سجلنا في ما شهرت

١ - أحمد مختار المبادئ : الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية ، ص

١٤٩ - ١٥٠ .

٢ - الوسق يساوي ستون صاعاً انظر : ابن زكريا : معجم مقاييس اللغة ،

ج ٦ ، ص ١٠٩ .

٣ - لفظ القيطاني يطلق على العدس والكرسنه والحمص .

٤ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

٥ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤١٠ .

٦ - ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٧٩٢ - ٧٩٣ .

٧ - عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

بالتنوع التي بلغت اصنافها ستة عشر صنفاً ، والفواكه ، والقطن ، والكمون ،
والحناء . " ١ " كذا ازدهرت زراعة الجلب من قمح وقيطاني " ٢ " ، وشعير " ٣ " ،
واشتهرت اغماء باصناف الفواكه المختلفة " ٤ " وفي نواحي السوس ازدهرت زراعة
السكر " ٥ " ، وغيرها من المنتجات التي كانت تنتشر في اصقاع الدولة المزابية .

ولكن الذي كان يحد من استمرار هذا التقدم هو تعرض المحاصيل الزراعية
للآفات ، وشكل خاص الجراد ، علاوة على انجاس المطر وتوالي سني الجفاف ،
أو انهطار الامطار الشديد في بعض السنوات والذي كان يؤدي الى تدمير المزروعات
عن طريق الفيضانات .

ففي عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م اشتدت المجاعة بقرطبة ، وانتشر الوباء
بين الناس ، وكثر الموتى ، وبلغ سعر مد القمح خمسة عشر دينارا ، وكانت هذه
الكارثة مشجعة على انتشار القوض ، " ٦ "

وفيما بين سنتي ٥٢٧ هـ - ٥٣١ هـ / ١١٣٢ - ١١٣٦ م عانت
الاندلس من ويلات الجراد ، فاكل الجراد في عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م ما على

-
- ١ - الحبيب الجناحي : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في سبيلاسة ، مجلة
المؤرخ العربي ، ج ٥ ، ص ١٤١ .
 - ٢ - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .
 - ٣ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٩ .
 - ٤ - الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٦ .
 - ٥ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .
 - ٦ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

الأرض من زرع وكلاء ، وأمر الناس بالخروج إليه فساقوا منه خمسة آلاف وثلاثمائة
عدلا . " ١ "

وادركت الحكومة المركزية خطورة هذه الحشرة فأخذ أمير المسلمين علي بن
يوسف يرسل رسائله إلى عماله حاضا إياهم على الجد في القضاء على هذه الآفة .
ومن هذه الرسائل تلك التي كتبها أبو بكر بن القبطرنة على لسان علي بن يوسف
إلى أهل الأندلس والتي من فصولها ((..... وانظروا إليه وبالله المومن
فأخرجوا إليه الجمل الفقير ولا يتخلف الكبير منهم ولا الصغير فجدوا في إطفاء
هذا الجمر (أي الجراد)) " ٢ "

وقبل وفاة علي بن يوسف بعام واحد توفيت الفيضانات بعض نواحي فاس ،
وجزيرة طليعة ، وطنجة ، واشتد الفلاء حتى بلغ ثمن سطل الشعير ثلاثمائة
دنانير " ٣ "

لقد جاءت هذه الكوارث الطبيعية من فيضانات ، وجفاف ، وتسلسل الجراد
الجراد على المحصولات في وقت كانت فيه الدولة المرابطية تلفظ أنفاسها الأخيرة
من جراء ضربات الصامدة بشكل خاص ، وثورات الأندلس ، وضغط الأسبان
النصارى من جانب آخر ، مما حال دون تقديم الدولة المساعدات اللازمة للمزارعين
والعمل على ترميم ما دمرته الفيضانات .

١ — محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية بمدريد ، مج ٧ — ٨ ،

١٩٥٩ — ١٩٦٠ م ، ص ١٦٤ ، حاشية رقم ١ .

٢ — محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، ص ١٨٧

— ١٨٨ .

٣ — ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٩٩ — ابن خلدون :

تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٧٤ .

٢ - التجارة

=====

١ - التجارة الداخلية :-

=====

لقد كان لتوحيد المغرب والاندلس تحت راية الدولة المرابطية نتائج بعيدة
الاثر على مستقبل التجارة الداخلية والخارجية فيها ، اذ اخذت الدولة تضم بين
جناحيها مناطق ذات اهمية اقتصادية فائقة . ففي الجنوب كانت تخضع لسيادتهم
مدينة سجلماسة ، وأودغشت اللتان تعتبران مفتاحاً لسوق الذهب القادم من
السودان ، وفي الشمال خضعت لنفوذهم موانئ البحر الابيض المتوسط التي
كانوا عن طريقها يتصلون بالعالم الخارجي .

وساعدت سعة رقعة دولة المرابطين ايضا في تنوع الانتاج وتنشيط عملية
تبادل المنتجات والسلع بين شمال وجنوب المغرب من جانب ، وبين المغرب -
والاندلس من جانب اخر ، وبين المغرب والاندلس والعالم الاسلامي والعالم
الاروبي من جانب ثالث .

ومما سهل عملية التبادل الداخلي وجود شبكة من الطرق التجارية التي
اعتادت القوافل ان تسلكها منذ فترات طويلة خاصة التي كانت تنطلق من مناطق الانتاج
فكانت سجلماسة ترتبط مع وجدة وفاس وتلمسان بطرق تجارية تسلكها القوافل حاملة
البضائع من وإلى سجلماسة . " ١ "

١ - الحبيب الجناحاني : المغرب الاسلامي ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

وأهم السلع المتبادلة داخلياً هي : القمح ، والتمور ، والزبيب ، والمنسوجات والمعادن المصنعة ، والخرز ، والملح ، والذهب ، والعنبر ، والصمغ والقواكه .

فكانت سجلماسة على عادتها في الفترات السابقة تصدر إلى جميع أنحاء المغرب الذهب والزبيب ، والقطن ، والحناء ، والتمور " ١ " . وتصدر أودغشلت الصمغ عن طريق سجلماسة إلى الأندلس " ٢ " ، كما كانت أيضاً مركزاً تجارياً هاماً لتجارة الذهب والرقيق والعنبر ، والذهب الأبريز الخالص الذي كان يصدر على شكل خيوط مفتولة .

ولعمل أنوال المربة في عهد علي بن يوسف كانت تستورد هذه الخيوط " ٣ " لادخالها في خيوط منسوجاتها الفاخرة ، وكانت تستورد النحاس المصنوع والثياب . وكانت تجلب إلى المربة القواكه من وادي بجانه ، ومن بلاد العدو " ٤ " ومن نواحي السوس كان يجلب قصب السكر ويباع في المغرب ، وكانت الأندلس في عهد علي بن يوسف تزود المغرب ببفض محصولاتها الزراعية التي كان يأتي على رأسها القواكه وشكل خاص التين الذي كان يصدر من مدينة اشبيلية إلى المغرب " ٥ " .

-
- ١ — المرجع السابق نفسه ، ص ١٨١ — الجيب الجنحاني : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة ، مجلة المؤرخ العربي ج ٥ ، ص ١٤١ .
 - ٢ — الجيب الجنحاني : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة ، ص ١٤٧ .
 - ٣ — الجيب الجنحاني : المغرب الاسلامي ، ص ٢٧ .
 - ٤ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة ، ص ١٦٨ .
 - ٥ — ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٧٩٢ — ٧٩٣ .

ب - التجارة الخارجية :

=====

لقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على ازدهار التجارة الخارجية ، فبالإضافة للعوامل التي شجعت التجارة الداخلية ، كان لنمو البحرية المرابطية في عهد علي ابن يوسف وسيطرتها على موانئ شرقي الاندلس وجزر البليار دور في تشجيع التجارة الخارجية ، فاستطاع المرابطون ان يحكموا سيطرتهم على الحوض الغربي للبحر المتوسط ، واصبح الاسطول المرابطي منافساً خطراً للاساطيل النورمانية والاطالبة كما ساهمت قوة الدولة وحمايتها للطرق التجارية الداخلية والعالمية في تشجيع السراج التجاري وزيادة السلع المعروضة في الاسواق . " ١ "

كما كان لتسامح وعدالة الدولة المرابطية وتخليقها بخلق الاسلام بمعاملة الجميع بالمساواة ، وما شاع عن امرائها من امانة واستقامة وعدل كل ذلك جعل التجار يتقون بها ، فأخذوا يجلبون بضائعهم الى الاندلس والمغرب دون ان يخشوا ظلماً او عدواناً . " ٢ " فوفد تجار العراق خاصة من البصرة والكوفة ببضائعهم الى سبلماسه للاتجار " ٣ " ، واصبحت المرية مرفأً مزدحماً بالسفن القادمة من شرقي البحر الابيض المتوسط ، ومحطاً لمراكب تجار النصارى القادمين من جنوه ، وبيزه ، والبندقية ، وقطلونية ، وارغونة حاملين بضائعهم " ٤ " ، والتي كانت تتكون في الغالب

-
- ١ - حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٠١ .
 - ٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٤٠٢ .
 - ٣ - ابراهيم حرکات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .
 - ٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٨٩ .

من الرقيق ، والفراء ، والقصدير . " ١ " .
 وكانت المراكب الشامية والمصرية تقصد مواني الاندلس ببضائعها المتنوعة ،

ولا يدل على ذلك من ذكر بعض المراجع لاسماء بعض التجار الشاميين والمصريين الذين
 قدموا ببضائعهم الى مدينة المرية ووافاهم الاجل هناك . فيذكر انه في عام ١٩ هـ /
 ١١٢٥ م توفي تاجر مصري اسمه ابن حليف الاسكندري " ٣ " ، وفي عام ٢٥ هـ /
 ١١٣٠ م توفي تاجر شامي اسمه ابو عمرو عثمان بن محمد بن بقي الشامي . " ٤ "

ويجب على الباحث خلال حديثه عن العلاقات التجارية للمغرب والاندلس
 مع المشرق الا يغفل عن الاشارة الى قافلة الحج المغربي التي كانت عبارة عن مدينة
 متنقلة اينما نزلت يكون السوق ويحدث التبادل بين الحجاج واهالي المناطق التي كانوا
 يمرون بها .

ولا توجد اشارة في المصادر التي بين ايدينا تدل على ان العلاقات —
 التجارية بين المغرب وبلاد السودان قد فترت في عهد علي بن يوسف ، فيبدو ان
 القوافل المغربية المحملة بالملح لم تنقطع عن الدخول الى بلاد السودان لتعود محملة
 بالذهب " ٥ " . ولعل تجار اغمات ايضا استمروا على عادتهم في العمود السابقة

١ — مارك بلوك : مشكلة الذهب في العصر الوسيط (في كتاب بحوث في التاريخ
 الاقتصادي ترجمة توفيق اسكندر) ، ص ٨ — لومبارد : الذهب
 الاسلامي منذ القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر الميلادي —
 (ضمن كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي ، ترجمة توفيق
 اسكندر) ، ص ٧١ .

٢ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ٨٨ .
 ٣ — المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٠ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام
 السياسي ، ج ٤ ، ص ٤٠٩ .
 ٤ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٧٠ .
 ٥ — الحبيب الجنحاني : المغرب الاسلامي ، ص ٢٥ .

في جلبهم النحاس الملون ، والاكسيه ، والزجاج ، والاحجار الكريمة ،
والمطور الى بلاد السودان والعودة بالارباح الوفيره . " ١ " ولم تشر المصادر
كذلك في هذه الفترة الى ما يعكس صفو العلاقات التجارية بين سجلطاسة وبلاد غانه ،
ولعل تجار سجلطاسة استمروا في تسويق بضائعهم في اسواق غانه والعودة بالتبـ
والرقيق . " ٢ "

وساعد الرواج التجارى وما صحب ذلك من تكديس السلع التجارية ان —
اخذت المدن المغربية والاندرلسية تكيف وضعها مع هذه النهضة الاقتصادية
لتتخذ معظمها سمات المواسم التجارية الكبرى " ٣ " . فقد تعددت اسواقها
المتخصصة ، فهناك سوق للكتانيين ، واخر للبز " ٤ " ، وثالث للدخان ،
ورابع للمفازل " ٥ " ، ومن المرجح انه كان للبضائع الاخرى اسواق خاصة بها .

وحتى تحافظ الدولة على الامن وتمنع استغلال التجار للبرمية وضعت قائمين
على الاسواق لحراستها ومراقبتها . " ٦ "

-
- ١ — الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٦ .
 - ٢ — الحبيب الجنحاني : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلطاسة ، ص ١٤٨ .
 - الجنحاني : المغرب الاسلامي ، ص ١٦ .
 - ٣ — لمعرفة سمات المدينة الاسلامية من حيث الشكل والتخطيط وتعدد الاسواق انبه
انظر : المقرئى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ٢ ، ص
١٧٨ وما بعدها — البغدادي : تاريخ مدينة بغداد ، ج ١ ، ص
١١٣ — ١١٤ — صالح الطلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية لمدينة
البصرة في القرن الاول الهجرى — سعيد الاففاني : اسواق العرب في
الجاهلية والاسلام ، ص ٤٠٧ .
 - ٤ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١٣٤ .
 - ٥ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ ، حاشية رقم ٣ .
 - ٦ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١٣٤ .

واستجابت الموانيء المغربية والاندرلسية لهذه النهضة الاقتصادية ،
 فقامت بانشاء عشرات الفنادق لاستقبال التجار الاوربيين وضائهم . ومن اشهر
 الموانيء التى لعبت دوراً رئيسياً في حركة التجارة بين المرابطين وتجار الافرنج
 مدينة المرية التى كان يوجد فيها (٩٧٠ فندقاً) " ١ " . ومن هذه التجارة
 الخارجية الواسعة جنى اهل هذه المدينة اموالاً طائلة جعلتهم يقصدون بقية اهل
 الاندلس في الشراء " ٢ " ، في الوقت الذى تصدرت فيه مدينة سجلماسة مدن
 المغرب في الشراء . " ٣ "

وحتى تواكب الدولة المرابطية التطور الاقتصادي الهائل قامت بانشاء عشرات
 دور الضرب في المدن الرئيسية لتوفير العدد الكافي من النقود التي تتناسب مع حجم
 التبادل التجاري ، فانشأت عدة دور ضرب في عهد يوسف بن تاشفين وولده علي
 كان من اهمها : دار الضرب في مراكش ، وتلمسان ، وسبتة ، وسجلماسة ،
 وسلا ، ومرسية ، وشاطبة ، وشريش ، وقرطبة ، وغرناطة ، والمرية ،
 ملنسية ، وجيان ، ودانية ، وسرقسطه ، وطنجة وغيرها . " ٤ "

١ - السيد

- ١ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٩ .
- ٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٨٧ - ٨٨ .
- ٣ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .
- ٤ - عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٥٩ - ٦٠ - محمد باقر
 الحسيني : الكنى والالقباب على نقود المرابطين والموحدين
 في شمال افريقيا والاندلس ، مجلة سومر ، مج ٣٠ ،
 ١٩٧٤م ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

ولتوفر الذهب والفضة في مناجم المرابطين بكميات كبيرة في عهد يوسف بن تاشفين وعهد ولده علي فقد فُتق وزن الدينار المرابطي الوزن الشرعي للدينار في فجر الاسلام ، وكذلك بالنسبة للدرهم المرابطي الذي فاق ايضا الوزن الشرعي في فجر الاسلام . * ١ *

وتحقيقاً لمرونة العمليات التجارية قامت دور الضرب بسك اجزاء صغيرة من الدينار والدرهم للوفاء بالدفع وتبرئة الذمة ، فقسم الدينار الى اناصاف وارباع ، وقسم الدرهم الى وحدات صغيرة ايضا كان من بينها القيراط * ٢ * . ويبدو انه

- ١ — تراوحت اوزان الدينار المرابطية ما بين ٤٠٥ و ٤٣٠ غم ، بينما بلغ وزن الدينار في فجر الاسلام ٤٢٥ غم . وبلغ وزن الدرهم المرابطي ما بين ٣١٢ و ٦٢٠ غم فضه في الوقت الذي كان فيه وزن الدرهم في فجر الاسلام ٢٩٧ غم .
- لمزيد من التفاصيل عن السكة المرابطية ، وما تمتاز به من صفات وما يثبت عليها من عبارات انظر ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦ — ابن الخطيب : الاطاحة ، ج ١ ، ص ٤٤٧ — ابن ابي دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٩ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ — عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٢٢ — ٢٤ ، ٣٠ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ١٤٢ — عبد الرحمن فهمي : موسوعة التقود المربية ، ص ١٤٢ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

- ٢ — عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

كان من ضمن هذه الاجزاء في عهد علي بن يوسف القطع الثمينه ، والقطع الثلثيه ، وهذا ما تبين من خلال سؤال وجه الى ابن رشد حول فضة القطع الثمينه والقطع الثلثيه . " ١ "

ولقوة اقتصاد دولة المرابطين خاصة في عهد علي بن يوسف احتفظت السكة المرابطية بقيمة مرتفعة ، وكسبت احترام دول العالمين الاسلامي والاوروبي حتى كاد النقد المرابطي ان يصبح نقداً دولياً . فقد عرفت اسواق القسطنطينية العملة المرابطية . " ٢ " كما تدل الكثير من النصوص اللاتينية على ان الاوروبيين كانوا يتعاملون فيما بينهم بالعملة المرابطية التي كانوا يحصلون عليها من بلاد الدول المرابطية نتيجة لتعاملهم التجاري معها فقد كانوا يصدرون لها الرقيق الابيض ، والفراء ، والقصدير والحديد ويحصلون منها في المقابل على الذهب . " ٣ "

ولكن على الرغم من هذه المكانة المرموقة التي احتلتها العملة المرابطية في الاسواق العالمية الا ان بعض المصادر تشير الى ان النقود المرابطية بدأت تفقد قيمتها الشرائية بالتدريج في اواخر عهد علي بن يوسف بن تاشفين لانتشار الفس فيها حتى ان قضية المعاملة بالدنانير والدرهم المفسوشة بالنحاس اصبحت من

١ — ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

٢ — ابراهيم هروكجات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

٣ — ومن الامثلة الدالة على تعامل الاوروبيين فيما بينهم بالعملة المرابطية ان بعض الرهبان فرض على زملائه الذين تصرفوا في ممتلكات الطائفة دون حق غرامة قدرها عشرون مرابطية . ومنها ايضا انه قبل عام ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م بقليل تزوج امير نصراني بفتاة شريفة من بيروت ، ولكي يدبر امر معاشهما باع الزوجان — لفرسان المعبد اراض كانت لهما في ضواحي مدينة عكا بمبلغ مئتي دينار مرابطية ، كما كانت البابوية تفرض على الاديرة غرامات بالدنانير المرابطية — وليس ادل =

القضايا التي تشغل بال الناس في هذا العهد • وهذا يتضح من خلال الاسئلة

= على قوة العملة المرابطية في الاسواق التجارية العالمية حتى بعد سقوط دولة المرابطين اننا نجد ملك قشتالة الفونسو الثامن (٥٥٣ - ٦١١ هـ / ١١٥٨ - ١٢١٤ م) يسك عملة تحمل اسمه وانما على نمط السكة المرابطية بعد ان استبدل الآيات القرآنية ، وشهادة الاسلام ، وبقية الالقاب والشعارات المرابطية بشعارات والقب نصرانية ، وذلك حتى تحتفظ عملته بما كان للعملة المرابطية من قوة التعامل في الاسواق التجارية لاسيما الاسواق الاوروبية وقد استطاعت هذه العملة القشتالية ان تحتفظ في اسواق اوربا في القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادي بقوتها لدرجة ان الفرنسيين ظلوا يسمون الدنانير القشتالية بالدنانير المرابطية اى الماربوتا (Marabotins) — انظر عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٧٧ — فيليب حتى : تاريخ العرب مطول ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ — باري بلوك : مشكلة الذهب في العصر الوسيط (في كتاب بحوث في التاريخ الاقتصادي) ، ص ٤ — ٥ • ومن الامثلة الاخرى ايضا على قوة العملة المرابطية ان — كونت برودانس في عام ١١٦١ م وعد ان يدفع للامبراطور ١٢٠٠٠ Marabotins (اى دينار مرابطي) • لابل ان الدنانير المرابطية ذاتها جرى تداولها في اوربا الغربية فقد عثر على دنانير مرابطية في دفائن في دير Del Camp جنوبي مدينة طولوز ، وفي فيرنو (Vernoux) ، وفي سانت رومان ، لابل ان سمعة العملة المرابطية تعدت اوربا الى الصين وهذا ما اكدته وثيقة صينية تعود الى عام ١١٨٧ م • ومن الجدير بالذكر ان موزمبيق اتخذت في منتصف يونيو ١٩٨٠ م عملة جديدة بدلا من عملة ايسكودو البرتغالية ، وتعرف العملة الجديدة باسم Metical وهو اسم عيرف عن (مقال) — الدينار المرباطي الذي ذاع تداوله في اسبانيا حتى القرن السادس عشر الميلادي اى حين بدأ استعمار البرتغال لموزمبيق • (انظر امين توفيق الطيبي : النقود العربية غزت اوربا القرون الوسطى ، مجلة العربي ، ج ٢٧٦ ، نوفمبر ١٩٨١ م ، ص ١١٢ - ١١٣) •

التي كانت تطرح على الفقهاء بهذا الخصوص ، " ١ "

ولعل هذا ناتج مما كانت تعانيه الدولة المرابطية في أيامها الأخيرة من مشاكل داخلية ، من ثورات قام بها الأندلسيون ، وأخرى قام بها المصامدة بقيادة المهدي بن تومرت ، إضافة لغزوات الألبان النصارى المتكررة للأندلس — الاسلامي الأمر الذي ترتب عليه انعدام الأمن ، والذي كان له أسوأ الأثر على حركة التجارة والصناعة والزراعة وأدى إلى حرمان الرعية والدولة على حد سواء من تلك الأموال الضخمة التي كانت تحصل عليها من جراء الرواج التجاري مما دفع بعض الأفراد إلى استغلال هذه الفرصة فأخذوا يتلاعبون بالعملة عن طريق غشها بالنحاس وتشير بعض المراجع إلى أن الدولة نفسها عندما قل احتياطيها من الذهب الخالص قامت بسك عملة نحاسية لتسديد نفقات تجهيز الجيوش ودفع مرتبات الجند . " ٢ "

١ — ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

٢ — عبد رب النبي : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

٤ - الصناعة :

=====

ولم تكن الصناعة اقل تقدماً وازدهاراً من الزراعة والتجارة فقد راجت صناعات مختلفة في عهد علي بن يوسف كان من اهمها الصناعات النسيجية ، والورقية ، وصناعة الزجاج والصابون .

اما صناعة المنسوجات فقد اشتهرت بها مدينة المرية ذات الشهرة القديمة في هذا الحقل ، اذ كانت انوالها تنتج ثمانمائة طراز من الحرير تصنع منها الملابس الفاخرة التي كان يدخل في بعض خيوطها في بعض الاحيان خيوط ذهبية ، وكان يضاف الى ذلك زخارف متنوعة باهضة التكاليف ، ولم تجد مصانع النسيج في هذه المدينة ضيراً في تقليد بعض الطرز المشهورة في المشرق ، فأخذت تنتج الاصبهاني والجرجاني ، كما اخذت ايضا تقلد بعض المنسوجات اليونانية القديمة مثل السقلاطون الذي كان ينسج من الحرير المطرز بالذهب . * ١ *

ولم يستطع نصارى الشمال الاسباني مقاومة اغراء الملابس الحريرية المرابطية فأقبلوا على شرائها والتباهى بارتدائها في الاحتفالات الرسمية . فقد كان القديس خوان دى اوتيغا يرتدى ثوباً عليه طراز علي بن يوسف بن تاشفين في الاحتفالات الدينية ، والثوب لا يزال محفوظاً في كنيسة كيتا اورتونيو (برغش) . وهناك مجموعة من المنسوجات التي صنعت في عهد الدولة المرابطية محفوظة بكاتدرائية شلقه وشفونه * ٢ * . ويحتفظ متحف فينا ايضا بعباءة نسجت في صقلية للملك روجر الثاني في عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م تظهر عليها المؤثرات العربية بوضوح ويرجح ان هذه المؤثرات تسربت عن طريق الاندلس ، فزخارفها مشتقة من الزخارف

١ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٥٦ - ١٥٨ -

عبد الرحمن الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص ٤٥٠ .

٢ - بالبساس : المرجع السابق ، ص ٦٢ - ٦٣ .

العربية فضلاً عن انه نسجت عليها كتابة باللغة العربية ، وسجل فيها تاريخها
الهجري ، وعبارات التبجيل والدعاء وفقاً للتقاليد الاسلامية . " ١ "

وازدهرت صناعة الورق ازدهاراً فاعظماً خاصة في مدينة شاطبة التي كانت
مصانعها تنتج افضل انواع الورق الذي لا يباريه نوع " ٢ " . اما مدينة فاس
فكانت مصانعها تنتج الورق ولكنه لم يكن بشهرة الورق الشاطبي . " ٣ "

وكذلك ازدهرت صناعة تجليد الكتب المطلية بالذهب ، والكتابة على الجلد
وخاصة بأداة محماء . وهناك دليل دافع يؤكد على اسبقية المسلمين على اوروبا
في هذا الفن ان يظهر اول ذكر لعملية تذهيب من هذا النوع في كتاب مغربي يعود
الى عهد الدولة المرابطية يتناول فنون صناعة الكتب ، وقد ألف في الفترة الواقعة
بين سنتي (٤٥٤ و ٥٠٢ هـ / ١٠٦٢ و ١١٠٨ م) في حين نجد اقدم

١ - احمد فكرى : العمارة والتحف الفنية (في كتاب اثر العرب والاسلام في

النهضة الاوروبية) ، ص ٤٤٤ .

٢ - احمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، مجلة

عالم الفكر ، مج ١١ ، ج ١ ، ابريل - مايو -

يونيو ١٩٨٠ م ، ص ١٥٣ .

٣ - ابراهيم حرکات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ - وما يستحب

ان يلفت النظر اليه انه بينما كان المغرب والاندرلس في هذا التاريخ يشهد-

نهضة صناعية رائعة خاصة في مجال الصناعات الورقية منها كانت اوروبا كلها بدون استثناء

استثناء ليس بها مصنع واحد للورق وانما دخلت اليها هذه الصناعة بعد هذا

الوقت بزمان . فيرجع عهد ايطاليا بالورق الى اواخر القرن الثالث عشر الميلادي

وفي عام ١٣٩٠ م انشيء مصنع للورق بمدينة نورمبيرغ بالمانيا ، اما فرنسا

فاقدم المصانع فيها يعود الى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي ، وبدأ اول =

"١"

استعمال غربي لهذا الفن كان في ايطاليا ويعود تاريخه الى عام ٨٦٣ هـ / ١٤٥٩ م.

اما صناعة الصابون والزجاج فقد اشتهرت بهما مدينتا مراكش وفاس "٢"

وكذلك راجت الصناعات النحاسية والحد يلاية في مدينة المربة "٣"

= مصنع للورق انتاجه في انجلترا في عام ١٥٨٨ م ، في حين ان صناعة الورق وصلت الى القمة في المعهدين المرابطي والموحدي ، فيذكر انهم كان في مدينة فاس وحدها ٤٠٠ مصنع للورق ايام المنصور والناصر الموحدين (٥٨٠ - ٦١٠ هـ / ١١٨٤ - ١٢١٣ م) - انظر المنوني : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

١ - شاخت وبوزورث : تراث الاسلام ، ق ٢ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، (نشر ضمن سلسلة عالم المعرفة ، ذوالقعدة / ذوالحجسة ١٣٩٨ هـ .

٢ - حسن مجنود : المرجع السابق ، ص ٤٠٦ - ابراهيم حرکات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

٣ - عبد الرحمن الحجبي : التاريخ الاندلسي ، ص ٤٥٠ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة ، ص

٨٩ - حسن محمود : المرجع السابق ،

ص ٤٠٦ - ابراهيم حرکات : المرجع السابق ،

ج ١ ، ص ٢٣٨ .

٤- موارد بيت المال

=====

لقد اقتضت موارد بيت المال في عهد دولة المرابطين على الزكوات والاعشار،
واخماس الغنائم ، وجزية اهل الذمة ، ومع ذلك كانت موارد الدولة من هذه
الموارد عظيمة . وقد كلف اهل الذمة بجمع هذه الموارد المالية في عهد يوسف
بن تاشفين وابنه علي " ١ " . فعهد المرابطون الى اليهود في الاندلس بأعمال
الجباية ، كما جعلوا اعمال الجباية في المغرب للنصارى المقيمين في البلاد ، -
ولعلمهم عمدوا الى ذلك لانهم يعلمون ان امثال هؤلاء يخافون السلطان ويخشون
المعاينة ويترددون طويلاً قبل ان يقدموا على التلاعب في هذه الجبايات او ان يفرطوا
في اداء الواجب " ٢ " . ولعل استخدام اهل الذمة في اعمال الجباية يعود ايضا
لما كانوا يتمتعون به من خبرة ودراية في هذا المجال .

ولم ينفل المرابطون في عهد علي بن يوسف عن مراقبة ومحاسبة القائمين على
اعمال الجبايات ، فكانوا يراقبونهم مراقبة الفاحص المدقق المتشدد ويحاسبونهم حساباً
عسيراً ، ويعطلون على معاينة المقصر ، وحتى اذا عزل عامل الجبايات لم يكن يسلم
من المحاسبة ، كما كان عرضة لمصادرة الاموال والسجن اذا رآوا منه تفريطاً او تقصيراً .
واذا قضى عامل الجبايات نجه وهو على رأس عمله كان يلجأ المرابطون الى محاسبة

-
- ١ - السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٣ - ابراهيم حرکات:
المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .
 - ٢ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤١٠ - ٤١١ .

الورثة ويثقلون عليهم ويصادرون تركة المتوفى اذا لزم الامر . ولعل هذا الخوف من الحساب المسدير هو الذي دفع عامل الخراج في مدينة قرطبة حين حضورته الوفاة الى ان يحضر ما كان عنده من مال ويشهد الحاضرين على دفعه . ثم ابرأ ذمته جميع عماله وكتابه لانه خشي ان يصيب ورثته مكروه اذا مات دون ان يرى ذمته .

وكانت الدولة المرابطية في عهد علي بن يوسف تلجأ في بعض الاحيان الى جباية ضرائب اضافية تقتضيها الحال الراهنة كما حدث عندما جاز ابن رشد الى مراكش واصدر رفتواه بتفريب النصارى والعمل على التمتعيب . فرض في عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ ما يسمى بضريبة التمتعيب . ويبدو ان بعض الولاة قد تشددوا في تحصيل هذه الضريبة من بعض المدن مما دفع الرعية الى التمرد وعدم الاخلاص ففى العمل . " ٢ "

وفي اواخر عهد علي بن يوسف فرطت مكوس على اكثر الصناعات والسلع التي كانت تتاج في مراكش من صابون ، ومفازل ، ودخان ، وكانت المكوس على كل شيء يباع دق او جل كل حسب قيمته . " ٣ "

-
- ١ - المرجع السابق نفسه ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .
 - ٢ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٣ - ٧٤ .
 - ٣ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ -
محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ،
ق ١ ، ص ٤٢١ .

ولعل اضطراب الأحوال الداخلية والخارجية في اواخر عهد علي بن يوسف وما نتج عن ذلك من اضطراب للأحوال الاقتصادية وفراغ الخزانة المرابطة من الأموال التي تحتاج إليها لمواجهة الظروف الصعبة التي تمر بها الدولة هو الذي اضطر علي بن يوسف لاتخاذ مثل هذا الاجراء . " ١ "

- ١ - هناك بعض القواعد الفقهية التي يستند إليها الفقهاء لحمل ما يملئهم من المشكلات ، ومن تلك القواعد مثلاً رأيهم بأن : ((ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)) فواجب الدولة حماية البلاد وواجب الافراد المساهمة في ذلك ، فإذا لم يفعل الافراد ما وجب عليهم ، فإنه يجب على الدولة ان تحصل منهم ما يكفي لحماية البلاد من الاخطار ، وبذلك تستطيع الدولة ان تؤدي واجبها . وكذلك قولهم بأنه : ((يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام)) فإذا احاطت الاخطار بالبلاد ، وهددتها وامكن تلافي هذا الضرر العام بأخذ جزء من اموال الناس جاز لولي الامر ذلك حتى لو ترتب عليه ضرر بأصحاب الاموال . ولعل الفقهاء في عهد علي بن يوسف قد اعتمدوا على هذه القواعد عندما اشاروا عليه بفرض جبايات اضافية (انظر ضيف الله يحيى الزهراني : موارد بيت المال في العراق خلال العصر العباسي الاول ، ص ٣٨ - ٣٩ - رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الحضارة والنظم الاسلامية - جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة ، ١٩٨١ م ، مطبوعة على آلة كاتبة) .

الحياة الاجتماعية

=====

لقد كان من نتائج سيادة الدولة المرابطية على الأندلس دخول عناصر جديدة إلى المجتمع المرابطي لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها . وكما هو معروف أن الشعوب الأقل تحضرًا إذا انتصرت عسكرياً على شعوب أكثر منها تحضرًا لا تلبث أن تأخذ عنها مظاهر حضارتها وبخاصة ما كان يتصل منها بحياة الترف والبذخ . وهذا ما حدث بالفعل بالنسبة للمرابطين الذين تمكنوا من فرض سيطرتهم على الأندلس الذي كان يتقدم في ذلك العصر على المغرب في مجال الحضارة ، فما هي البرهة من الزمن حتى أخذ حكام لمثونة يفتنون بما وصل إليه ذلك القطر من حياة ترف وبذخ ، فأخذوا يقلدونهم في حياتهم الباذخة تلك .

فقد كانت لمثونة تمتاز بما يمتاز به البدو من قيم وعادات ثييلة من شهامة وشجاعة وصبر على الظروف البيئية القاسية ، ومقاومة الأعداء معتمدين في حياتهم تلك على الأبل فمنها ركوبتهم ، وطعامهم وكساءهم . ولكن هذه الخشونة ما لبثت أن تلاشت شيئاً فشيئاً حتى اختفت كلياً في عهد علي بن يوسف بن تاشفين حيث جعل المرابطون على بناء القصور والمباني الفخمة يقلدون بذلك أهل الأندلس فسي طريقة معيشتهم فغلب عليهم طابع البذخ والاسراف ، وهذا الذي اتضح من خلال مخلفاتهم الأثرية والتي سنعرض لها في الفصل الأخير .

وقد تمتعت المرأة بمكانة مرموقة في عهد علي بن يوسف ، فكانت مكرمة الجانب تتمتع بقسط وافر من السلطة والنفوذ ، واقتناء الثروة ، بل أننا نلمح كثيراً من أسماء مشاهير قادة أمير المسلمين علي بن يوسف ينتسبون إلى أمهاتهم أمثال

ابن غانية ، وابن فاطمة ، وابن عائشة . الخ . " ١ "

ومن الأمثلة الدالة على قوة نفوذ النساء في هذا العهد خضوع أمير المسلمين علي بن يوسف لضغوط زوجته قمر في تعيين ولده سير وليا للمهد على الرغم من وجود من هو أكبر وأجدر منه بهذا المنصب . " ٢ "

ولم يخف من قوة نفوذ بعض الأميرات المرابطيات في عهد علي بن يوسف أن — أصبحن مقصد الشعراء يمتدحونهن بحيلون القصائد ويتقدرون اليهن ، كما جاء إلى اعتبارهن أصحاب الحاجات يطلبون العون والشفاعات ، ومن قصدهن للشفاعة الشاعر المشهور ابن خفاجة الذي كتب إلى الأميرة مريم بنت إبراهيم يستشفع بها إلى الأمير أبي طاهر تميم بن يوسف . " ٣ "

ولم تقف المرأة في عهد علي بن يوسف موقف المتفرج من تلك التطورات التي طرأت على الدولة وبخاصة في مجال النهضة العلمية . فقد كانت تميمه بنت يوسف ابن تاشفين تطلب العلم وتحفظ الشعر ، وتتخذ الموكلين والكتاب ، وتبرز اليهم وتحاسبهم دون أن تجد في ذلك حرجا . " ٤ "

- ١ — عبد الحق حموش : ابن تاشفين ، ص ٩ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ١٤٩ .
- ٢ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٨ ، ٩٢ ، ١٠١ — (أولاد علي بن يوسف هم : عمر الصغير ، وأبو بكر ويدعى بيكور ، وأبو حفص عمر الكبير ، وإبراهيم ، وإسحاق ، وتميم ، وداود ، وسيرانظر الحميدى جذوة الاقتباس ج ٢ ، ص ٤٥٩ — ٤٦٠ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ١٥٧ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٨٤ — ابن عذاري : المصدر السابق ج ٤ ، ص ١٠٠ — ١٠١ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٥٨ —
- ٣ — حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤١٦ .
- ٤ — نفس المرجع السابق والصفحة .

وكانت هذه المشاركة من جانب النساء في الحياة العلمية تحدث دون أى معارضة من رجال الدولة في عهد علي بن يوسف .

وكانت نساء الطبقات العليا في المجتمع المرابطي لا يتزوجن الا من مستوى طبقاتهن من ابناء عشيرتهن ، وهذا يتضح من خلال رواية معادها ان كاتبا دخل على احدى بناء أمير المسلمين ، وكانت سافرة على عادة لمتونة ، فظل يلحظها طويلا مندهشا من روعة ما يرى من جمال آخاذه فظنت انه يرغب في زواجها فأنشدت :

هى الشمس مسكنها فى الســـــــــــــــــما

فمز الفؤاد عزاء جميــــــــــــــــلا

فلن تستطيع اليها الصــــــــــــــــود

ولن تستطيع اليك النزولا " ١ " .

وترفعت النساء المرابطيات ذوات الشأن عن اعمال البيت ، وتركن القيام بها للمعبيد " ٢ " ، بينما كن في سابق عهد هن قبل قيام دولة المرابطين يرعىن الابل والغنم ويربين الأولاد ويحكن الثياب " ٣ " . ولكن على الرغم من هذه الحياة المترفة التي كانت تحياها المرأة في عهد علي بن يوسف فانها لم تتخطف عن تلبية نداء الواجب عندما كان يطلب منها ذلك ، فنجدها تحمل السلاح عندما هدد المصامدة

١ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج . ٠ ، ص ٢٣٥ .

٢ - عبد الحق حموش : المرجع السابق ، ص ٩ .

٣ - عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ ، حاشية رقم ١ .

مدينة مراكش ، ولم يدخل عبد المؤمن هذه المدينة الا على جثة الأميرة فانوبنت
الوزير عمر بن يثبان التي قاتلت المصامدة بحد السيف حتى استشهدت . " ١ " .
وكان من عادة لمتونة ان النساء يكشفن وجوههن وان يتلثم الرجال " ٢ " ،
وكان النبلاء يتخذون لثاماً مفايراً للثام العبيد " ٣ " ، كما كانوا يلبسون الثياب
البضاء . " ٤ " .

اما بالنسبة لوضع العلماء في عهد علي بن يوسف فقد تمتعوا بمكانة موقرة ،
فقد كان لا يصد رأي حكم الا عن طريق فتوى شرعية من الفقهاء . ومن الامثلة الدالة
على ذلك أخذ أمير المسلمين علي بفتوى ابن حمدان في احراق كتاب احياء علوم الدين ،
وبفتوى ابن رشد في تخريب النصارى الذين تعاونوا مع الفونسو المحارب عام ٥١٩ هـ /
١١٢٦ م الى المغرب ، وكذلك أخذ بفتواه بواجب الاعتناء بالسوار والحصون في
المغرب والأندلس ، وبوجوب عزل أخيه تميم عن ولاية الأندلس . " ٥ " .

-
- ١ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .
 - ٢ — المراكشي : المعجب ، ص ٢٥٢ ، حاشية رقم ١ — ابن خلدون :
تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ .
 - ٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٥١ .
 - ٤ — ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٦٦ ، حاشية رقم ٢ .
 - ٥ — انظر الفصل الخاص بالحياة الفكرية .
 - ٦ — محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٤١٦ ،
انظر الباب الثالث .

وعومل أهل الذمة في عهد علي بن يوسف وفقاً لتعاليم الكتاب والسنة . ولم يكن المرابطون بتلك الغلظة التي وصفهم بها خصومهم في معاملة أهل الذمة ، إذ اشركهم علي بن يوسف في الجيش ، وعينهم على الجبايات " ١ " . بل تعدى الأمر إلى أن وصل بعضهم إلى مركز القيادة في الجيش مثل اليرشير الذي أبلى بلاءً حسناً في الذود عن حياض دولة المرابطين في هذا العهد مما جعل شهرته تطبق الآفاق " ٢ " .

ولم يجد أمير المسلمين علي بن يوسف ، وأعيان بلاطه ضيقاً في الزواج من نصرانيات ، فتزوج علي بن يوسف من جارية نصرانية " ٣ " . وكان أمير المسلمين علي لا يبال في انزال أشد العقوبات على الوالي الذي يثبت لديه بأنه قام بايذاء الممادة " ٤ " .

وعلى الرغم من هذه المعاملة المتسامحة مع النصارى في المغرب والاندلس إلا أنهم لم يفتأوا أن أخذوا يتآمرون على المسلمين وذلك بتعاملهم مع نصارى الشمال الأسباني ، وأصبحوا عيوناً لهم على المسلمين يذلون لهم أقصى مساعدة يستطيعون تقديمها لهم عند خروجهم في غزوات مخربة في أرض المسلمين " ٥ " . وقد افضح ذلك

-
- ١ — إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢ — محمد عبد الله —
عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ق ١ ، ص ٤٢١ .
 - ٢ — ابن الآبار : الحطة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .
 - ٣ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ — ابن أبي زرع :
المصدر السابق ، ص ١٥٧ — ابن عذارى : المصدر
السابق ، ج ٤ ، ص ٧٨ ، ٩٧ .
 - ٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٨ .
 - ٥ — حسن محضود : المرجع السابق ، ص ٤١٧ — ٤١٨ .

بشكل جلي في غزوة الفونسو المحارب للأندلس عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ (م) ٥ وترتب عليه كما تقدم تغريب المشتركين في تلك الحوامة الى ارض العدو بفتوى ابن رشد . ولم يكن ذلك التغريب بالمقومة القاسية اذا ما قيست بما كان سينتج عن مؤامرتهم لو قدر لالفونسو المحارب دخول غرناطة * بل اننا رأينا المعاهدتين الذين غرّبوا الى المغرب لم يسجنوا وينكل بهم جزاء خيانتهم بل اشتركوا في الحرس الخاص لـ لا ميسر علي وعمل قسم منهم في الجيش ، وآخر في الجباية ٥ ولم يهضم حق من حقوقهم ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مدى ما كانت تتمتع به الدولة المرابطية من روح المساواة معهم .

وصفة عامه عامل المرابطون اليهود الذين يتركزون في المنطقة الممتدة من سلا في أقصى المغرب وحتى تاهرت في ادناه " ١ " ، ومشكل خاص في مد يثثة اغمات هيلانه معاملة حسنة " ٢ " . وليس ادل على ذلك من أنه عندما عزم أمير المسلمين علي بن يوسف على توسعة مسجد القرويين قام قاضية ابن معيشة بشراء بيوت اليهود المجاورة للمسجد والتي تدخل ضمن التوسعة بأثمانها دون بخس " ٣ " . أما في الاندلس فكما هو معروف فان وجودهم كان يتمركز في المدن الرئيسية ومشكل خاص في غرناطة التي كانت تسمى مدينة اليهود " ٤ " ، وقد عاينهم المرابطون ايضا

-
- ١ - آرثر كوستلر : امبراطورية الخزر وميراثها ، ص ٢٧٢ .
 - ٢ - احمد مختار العبادي : دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، مجلة تطوان ، ج ٥ ، ١٩٦٠ م ، ص ١٤٤ ، حاشية .
 - ٣ - ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ - ٦٩ .
 - ٤ - الحميري : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

معاملة حسنة وأكلوا اليهم امور الجباية في الاندلس " ١ " ، وسمحوا لهم باقامة شعائهم بكل حرية " ٢ " ، بل أن احدهم كان كاتباً لوالي غرناطة أبي عمر يناله . " ٣ "

ولكن المستشرق كارل بروكلمان " ٤ " ينقل لنا صورة مغايرة لتلك الصورة التي قدمت فيذكر أن اليهود كانوا يشترون حرية العباد به بجزية ثقيلة في حين أثر غيرهم الهجرة كما فعل والد الفيلسوف ابن ميمون ، وأن النصارى المستعمره كانوا في حالة أمر من حالة اليهود ، ولذلك رحبوا بالفارات المتكررة التي كان امراء النصارى يقومون بها على الديار الاسلامية في الاندلس . " ٥ "



- ١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤١١ — ٤١١ .
- ٢ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .
- ٣ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٧ .
- ٤ — تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٢ ، ص ١٨٨ — ١٨٩ .
- ٥ — يدوان بروكلمان متأثر برباية هذا بالدعاية الصهيونية في العصر الحاضر ، وما تروجه عن معاناة اليهود في مختلف انحاء العالم ، وفي مختلف حقب التاريخ من ظلم واضطهاد . ولعله اتخذ من بعض اجراءات الدولة المرابطية التي كانت تقضي بمنح اليهود من دخول مدينة مراكش ليلاً وتحريم البيوت عليهم فيها ركيزة لذلك الاتهام ، الا ان الباحث لا يجد في هذه الاجراءات اجحافاً بحق اليهود لانهم كانوا يعيشون شبه منعزلين عن العناصر الاسلامية في المغرب فغلب عليهم طابع الانزواء والتألف فيما بينهم ، عالمين جهدهم على احتكار التجارة والزراعة بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة حتى نجحوا في ذلك ، ومن امثلة ذلك امتلاكهم لبساتين أغمات . هذا اضافة لما كانوا يقومون به من احاكه للدسائس والمؤامرات ، وتعاملهم مع النصارى ضد المسلمين ، فكانت هذه التصرفات وغيرها مجلبة لنقمة الرعية المسلمة عليهم =

وقد شجع الرخاء الاقتصادي في دولة المرابطين الحكام والرعية على حد سواء على جلب الرقيق الى المغرب والاندلس لاستخدامهم في مجالات متعددة من الخدمة في المنازل ، أو في الجيش ، أو في أي أعمال أخرى يريد لها السيد . " ١)

= والتي اخذت تنظر اليهم نظرة ازدراء واحتقار ، الا ان هذه النظرة لم تكن مبررا لظلمهم وحرمانهم من حقوقهم ان لم يرد في المصادر التي بين ايدينا اية اشارة لاضطهاد اليهود من قبل المرابطين في عهد علي بن يوسف . ا . أجل لقد كانت نفسيات اليهود والنصارى المجيولة على الحق والكرامية للمسلمين تقوى عدوانيتها خلال فترات الحكم المتسامحة ، وهذا ما لاحظته المستشرق اوليري حين قال : () ان النظام الاداري للدولة الاسلامية قد امد بعض اهل الذمة بغرض اظهارها فيها مدى ما انطوت عليه نفوسهم من الظلم والخيانة ، وهي تلك الاخلاق التي لم يستطيعوا كبح جماحها () . وقد أوضح رب العزة هذه الحقيقة حين قال : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) . (البقرة ، اية ١١٩) — انظر سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٩٩ — احمد مختار العبادي : دراسة حول كتاب الحلل الموشية ، ص ١٤٤ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢١٨ — ٢٢٠ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣ — احمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٢٠ ، حاشية رقم ٣ .

١ — انظر الفصل الخاص بنظم الحكم والادارة .

وقد انصهرت تلك العناصر في المجتمع المزابي اما عن طريق المباشرة او
المجاورة او المعاشرة ، فحدث تزاوج بين ثقافات هذه العناصر نتج عنه طابع
حضاري فريد .

كما انعكس الرخاء الاقتصادي على حياة المجتمع المزابي في عهد علي
ابن يوسف في المأكل والملبس . فقد تفنن المزابيون في اعداد موائدهم ، وتألق
الرجال والنساء في ملابسهم ، فارتدت النساء الملابس الحريرية الفاخرة المطرزة —
بالذهب في بعض الاحيان " ١ " . وكان علي القوم من المزابيين يتخذون اللثم
السوداء ، بينما كانت الطبقة الدنيا تتلثم باللثم البيضاء . اما عامة الناس —
غير المزابيين سواء في المغرب او الاندلس فلم يكن لباسهم يختلف عن اللباس التقليدي
الذي كان شائعا . وكانت السمة العامة التي تغلب على الازياء في ذلك العصر
هي السعة المفرطة . " ٢ "

ومن انواع الاطعمة المشهورة في عهد علي بن يوسف وفي المهدود السابقة
المجبنات ، وهي نوع من انواع القطائف يضاف اليها الجبن في عجينة ، وتقلي
بالزيت الطيب . وقد اشتهرت مدينة شريش بهذا النوع من الاطعمة ، وكان اهل
الاندلس يقولون من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم " ٣ " ، وقد

١ — السيد عبد المميز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ١٥٦ — ١٥٩ —
ابراهيم حرکات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص
٢٣٦ .

٢ — ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٢٦٦ — المقرئ : المصدر السابق
ج ١ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨ — ابراهيم حرکات
: المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .

٣ — ابن الابار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ، حاشية رقم ٤ —
المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٢ .

مدح الشعراء هذا الصنف من الاطعمة فقال عبد الرحمن السهيلي المتوفي عام ٥٨١ هـ فيها :

أذكي من المسك العتيق للـ

نشقا وألذ من صبا حين تـ

وكان من صائلي اللجين بطولهم

وكاننا الوانين نفسا ر

ومن دلائل الرخاء الاقتصادي الذي كان ينعم به المجتمع المرابطي في عهد علي بن يوسف استعمال بعض الفئات الثرية منه للسباني ، وهي عبارة عن مناديل كبيرة تستعمل أثناء الطعام . وكانت اثنان انواع السباني تتخذ من رفيع القطن والكثان . " ٢ "

وانذا القينا نظرة سريعة على الأحوال الاجتماعية في الدولة المرابطية في أواخر أيام علي بن يوسف ، لرأينا صورة غير مشرفة فنجد حوانيت عديدة من ضمن ممرضاتها ادوات اللهو والفناء " ٣ " ، كما نجد انتشارا بعض المفاسد التي لا يقرها الشرع " ٤ " . فقد أخذ الراعي والرعية يعيشون حياة باذخة ادات الى

-
- ١ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٤٨١ .
 - ٢ - ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، وانظر الحاشية أيضا .
 - ٣ - البيهقي : اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٦٤ - ٦٥ - الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٩ .
 - ٤ - البيهقي : اخبار المهدي بن تومرت ، ص ٣٦ - ٣٧ - ابن أبي اصينحه : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

المجون والاسراف في تعاطي الملذات ، فأمرء المرابطين قلدوا أهل الاندلس في
 الاخذ بأسباب الحياة المترفة والمسرقة في المجون واللذات ، وفي تزيين مجالسهم
 بما يحو بساطة الصحراء . كما قوى المرابطون عند الاندلسيين احترام المرأة —
 فأنشدت القصائد في مدحها " ١ " ، وظهرت المرأة على مسرح الحياة كعضو
 فعال في مختلف مجالات الحياة حتى أن الشاعرة نزهون بنت القلاعي كانت تجتمع
 مع الشعراء في عهد علي بن يوسف ، وكانت لها مساجلات مع الزجال المشهور ابن
 قزمان " ٢ " . وهذا مفاير عما عرفناه عن المرأة المرابطية المحشمة ودليل على
 ان الدولة بدأت تدخل في دورها الثاني مدور الضعف والسقوط ، الا اننا يجب
 ان لا نسلم بكل ما يذكر عن دور النساء في افساد الدولة المرابطية وتسلطهن على كل
 شيء لان ذلك لا يتفق مع سير الاحداث التي رأيناها من استمرار حركة الجهاد ضد
 النصارى ومحاولاتهم الجادة في المحافظة على الامن الداخلي واستمرار النهضة الحضارية
 في مختلف مجالاتها حتى سقوط دولة المرابطين . فلو أن الأمور وصلت الى ما وصلت
 اليه كما يصورها المراكشي مثلا لكانت الدولة قد سقطت منذ زمن طويل ولم تستطع
 الصمود الى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م . وهي السنة التي سقطت فيها ، فالمراكشي
 يقول بالحرف الواحد : ((واستولى النساء على الاموال واسندت اليهن الامور وصارت
 كل امرأة من اكابر لمتونة ومسوفة مشتطة على كل مفسد وشريرو قاطع سبيل وصاحب
 خمر وما خور)) . " ٣ "

١ — احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٣١ .

٢ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

٣ — المعجب ، ص ٢٤١ .

الا اننا لا ننكر ان النساء قد لعبن دورا في الحياة السياسية في بعض فترات حكم علي بن يوسف . فقد رأينا كيف خضع لضغوط زوجته قمر في اختيار ولده سير لولاية عهده وهناك من هو افضل منه بين أخوته . وكيف ألحت عليه بعد وفاة سير من اجل اختيار ولده الصغير اسحق بدلا من تاشفين لولاية عهده خلفا لسيره " ١ " واستثناء هذه الاشارة لا نجد للنساء ذلك التأثير الخطير في سياسة الدولة علما أن تقاليد لمتونة منذ القدم قد حفظت للمرأة مكانة مرموقة .

وهكذا قامت دولة المرابطين في بداية امرها على تعاليم عبد الله بن ياسين القائمة على تعاليم الاسلام النقية فحملها رجال لمتونه ونشروها في معظم ارجاء المغرب ثم ما لبثوا بعد فترة وجيزة ان دخلت خيولهم ارض الاندلس . ولكن هؤلاء الجنود المعتاه ما لبثوا ان ضعفوا امام مغريات الحياة الاندلسية فاندفعوا الى حياة الترف وأخذوا يفقدون خشولة الجندي . وأخذت تخبو روح القتال في نفوسهم على ممر الزمن حتى رأيناهم في نهاية الامر يرتعون في احضان مجتمع بانخ مشرف متناسين رسالتهم التي من اجلها جاءوا الى الاندلس . ومن ثم كان عجزهم عن صد زحف نصارى الاسبان الذين نجحوا في التهام رقعة واسعة من الاندلس ، كما تماثلهم عليهم خطر المصامدة في المغرب الذين نجحوا في نهاية الامر في القضاء على دولة المرابطين وهي ما تزال في مقبل الممر .

١ - ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٧٨ ، ٩٧ ، ١٠١٦ .

الفصل الثالث

الحركة الفكرية

لقد رسم بعض الباحثين المحدثين صورة قائمة للحياة الفكرية في عهد المرابطين ، يؤكدون على ان نهاية عصر الطوائف هي نهاية للتقدم والازدهار في المغرب والاندلس ، فيقيام دولة المرابطين دالت دولة الادب ، وخبث شملة العلم لاهمال المرابطين للعلماء والادباء .

وينقل عباس الجراري "١" عن المستشرق دوزي قوله : () بأن المرابطين كانوا بدوًا اجلافًا لا يعرفون لرغد الحضارة قيمة ، فطاروا اهل الفكر ، واصبح كبار العلماء العمدة بايدي الفقهاء المتعصبين ، والقواد الجفاة فحلت الهمجية محل التقدم وتلاشت كل الاصوات التي تنفض بالشعر والادب ، وفنون العلم الاخرى امام صليل السيوف واصوات الفقهاء () .

أما المستشرق اشباح فيؤكد ايضا على ان المرابطين اضطهدوا كل ما عنيت به الدولة العربية من قبل ، وان دولتهم كانت كريح الصحراء اللافح حين يهب على الموج الخضراء ، وانهم عملوا على تحطيم جميع العلوم والفنون ، عاملين على سحق الثقافة العربية بكل عنف لحقدهم على القبائل العربية . "٢"

ولم يكن المستشرق غوث اقل احجافا من زميليه السابقين في حكمه على عصر المرابطين ، فعباس الجراري ينقل لنا رأيه في هذا المصربأنه ((عصر هبط

١ - الادب المغربي من خلال طواهيره وقضاياه ، ج ١ ، ص ٩٦ - حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .
٢ - يوسف اشباح : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٤٨٣ - ٤٩٣ .

فيه الذوق هبوطا بالغا () وانه عصر الميل الى كل ما هو شعبي سوقي خال من الحشمة والتوتر . "١"

ويرى جودت الركابي "٢" ان النهضة الفكرية والادبية توقفت عقب سقوط دول الطوائف في الاندلس لشدة تعصب المرابطين وتزمتهم ، فهم قوم لا يعرفون الا الحرب وخشونتها ، ولذلك لم تجد دولة الفكر والادب في ظلهم مرتعا خصبا .

وحذا محمد عبد الله عنان "٣" حذو من سبقوه من اعداء دولة المرابطين وتفنن في وصف هذه الدولة بأقذع الأوصاف ، فقد قال عن المرابطين بالحرف الواحد ((وكان اولئك البربر الصحراويون قوما غلاظا ، يؤثرون مهاد الجندية والخشونة ، وتغلب عليهم الافكار الرجعية المتيقة ، لم تأخذهم مظاهر الحضارة الاندلسية المصقولة ولم تكن تهزهم اصدااء الشعر والاداب الرفيعة . . . فقد طوردت في ظلهم — فضلا عن الكتب الفلسفية والمطامية — كتب الاصول المشرقية . . وترتب على ذلك ان ركزت في ظلهم دولة التفكير والادب ونوى بهاء الحضارة الاندلسية . .))

-
- ١ — عباس الجرارى : اثر الاندلس على اوروبا في مجال النغم والايقاع ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ ، ابريل — مايو — يونيو ١٩٨١ م ، ص ٤٠ — ٤١ .
 - ٢ — في الادب الاندلسي ، ص ٥٥ — ٥٦ .
 - ٣ — نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتصرين ، ص ٤٣٦ .

ويدلل بعض الدارسين على جهل حكام المرابطين بالعربية وعجزهم عن تذوق صورها البلاغية وتشبيهاتها الرائعة بخاطب حدث لا مير المسلمين يوسف بن تاشفين مع ابن عباد عندما هرع الشعراء لمدحهما بعد موقعة الزلاقة الشهيرة . فقد سأل ابن عباد يوسف بن تاشفين عما فهم من الشعر الملقى فرد عليه بقوله :

((لا اعلم لعلهم يطلبون الخبز)) ، ولما انصرف يوسف الى بلاده واستقر في عاصمته مراكش كتب اليه ابن عباد رسالة تضمنت بيتين من الشعر من نونية ابن زيدون هما :-

بنتم وينا فط ابتلت جوانحننا شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكم ايامنا ففدت سودا وكانت بكم بيضا لياينا

فلما قرئت على يوسف بن تاشفين قال للقارئ : يطلب منا جوارى سودا وسيضا " ١ " .

ولعل بعض الدارسين انساق وراء ما قرأه في بعض الكتب الموحديه مثل - كتب البيهقي ، وابن تومرت ، والمراكشي وغيرهم ممن صوروا المرابطين بأشجع الصور ، وما قرأوه من اشعار تعرض بالمرابطين والفقهاء فتأثروا بأرائهم وأصدروا حكمهم الجائر " ٢ " .

هكذا صوروا حال الفكر في عهد المرابطين فلم تعد الدنيا هي الدنيا فقد خلت الا من الغربان التي تنمق فوق اطلال دولة الادب والعلم الداويه .

لقد صعب على هذه العقول المتعصبة ان تستميع الواقع المتمثل في قيام

١ - مصطفى الشكعة : الادب الاندلسي ، ص ٤٤٨ .

٢ - ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ١ ، ص ١٠٠ - ١٠١ -

الاعشى التطيلي : الديوان ، ص ٢٠٠ ، ص ٢٠١ - ابو الطاهر محمد

ابن يوسف التميمي : المقامات اللزومية ، ورقة ٦٤ ، ٦٧ ، ٢٥

(حيث اوضح حال الفقهاء المزريه) - احسان عباس : تاريخ

الادب الاندلسي ، ص ٧٧ - ٧٩ .

دولة المرابطين القوية في الأندلس التي وقفت طائفا في وجه حرب الاسترداد ، والتي ترتب على دفعها حوكة الجهاد ضد نصارى الأسبان تأخير سقوط الأندلس في يدهم لمدة أربعة قرون أخرى .

أما المحدثون من العرب فيمكن ان يشفع لهم جهلهم لتاريخ دولة المرابطين ، فقد اتخذوا من جهل يوسف بن تاشفين باللغة المرينية نموذجا ينسحب على جميع حكام المرابطين وهذا فيه احطاف في حق الحقيقة العلمية .

ان الدارس لتاريخ المغرب والأندلس لا ينكر ان دولة المرابطين دولة مجاهدة عملت على نشر الاسلام في انحاء مختلفة من المغرب ، ثم تقدمت الى الأندلس لتقف في وجه النصارى . ولعلمهم كانوا لا يستمعون في فترة حكمهم الاولى الا بصليب السيوف التي كانت تجتث البدع والخرافات والظلم . ولكن الحال تبدلت عما كانت عليه بعد ان انتهت فترة التأسيس ، واستقرت الدولة ، وتمتعت بالامن والرخاء ، فقد جذبتهم الحضارة الى جانبها ، فاذا بنا امام دولة تحمل مشعل حضارة زاهرة لا على مستوى المغرب والأندلس فقط بل على المستوى العالمي في ذلك الوقت ، وحتى الوقت الحاضر في بعض المجالات خاصة في مجال الطب ، فأصبح امراؤهم يتعشقون الادب ، ويستمعون بسماع الشعر ، ويكلاؤن العلماء بعين رعايتهم ، ويفقدون عليهم الصلوات بسخاء .

فأمير المسلمين علي بن يوسف جعل من نفسه مثالا لرعيته في الاقبال على العلم وتشجيعه ، مما كان له اطيب الاثر على ازدهار الثقافة . فقد اجتمع اليه من الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يجتمع في عصر من الاعصار " ١ " ، واستقدم طائفة

١ - المراكشي : المعجب ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

ممتازة منهم الى مراكز ، واتخذ من بعضهم كتابا ومن بعضهم الاخر وزراء ١ . " ١ " .
وقد نوه ابن الآبار " ٢ " بازدهار العلوم في عهد علي بن يوسف فقال :
((وفي دولة علي بن يوسف بن تاشفين تفتت العلوم والاداب ، وكثر النيهاء
وخصوصا الكتاب ((.

وتعدى الامر الى اشتغال امير المسلمين علي بن يوسف بالعلم " ٣ " حتى
غدا عالما ، مشهورا بصدق روايته " ٤ " . ولم يكف بذلك بل عكف على اخذ العلم
من العالم الفقيه والمحدث الاديب الشاعر ابي مروان عبد الملك بن ملحان . " ٥ "

وحرص امير المسلمين ايضا على تنشأة ابنائه تنشأة علمية طيبة ، وهذا
ما دلت عليه احدى رسائله الموجهة الى ولده الذي كان يتولى تأديبه العالم
الكبير ابن زهر ، والتي يوصيه فيها بعدم التشغيب على مؤدبه والانفاه الى
جزيرة ميورقة . وما جاء في هذه الرسالة قوله اليه : ((بعد وصول الوزير
الجليل ابي مروان بن الوزير الاجل والفقيه الافضل ابي العلاء بن زهر محل ابينا
برد الله ضريحه وقد سرحه يشكو ما يكابده من تشغيبك ، ويقاسيه مسنن -
تضريك فأمسك عليك رقبك وخذ من الامور ما يسروا لا انفذناك الى
ميورقة) (" ٦ "

-
- ١ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .
 - ٢ - المعجم ، ص ٥٦ .
 - ٣ - الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١١٥ .
 - ٤ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٤١ .
 - ٥ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٨ - ابراهيم حركات :
المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .
 - ٦ - حسين مؤنس : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وایامهم في الاندلس ،
صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ٢
ج ١ - ٢ ، ١٩٥٤ م ، ص ٦٨ - ٧٠ .

وقلد الامراء والقواد اميرهم في طلب العلم وتشجيعه ، وظهر منهم فريق عرف بالتقوى والعلم الغزير ، وقد تحدث عنهم كتب التراجم وسجلت اعمالهم في تقدير واكبار " ١ " . ومن هؤلاء الامراء والقواد عامل دكالة الموابطي الذي ضمن لأحد العلماء المسمى احمد بن عبد الرحمن بن الصقر الانصاري ألف دينار ذهب موابطية مقابل اصطحابه له الا انه رفض طلبه مفضلا مباشرة العلماء على معايشرة الامراء ، وقال له : ((والله لو اعطيني ملك الارض على ان اخرج عن طريقي ، وافارق ديدني من خدمة اهل العلم ومداخله الفقهاء والانخراط في سلكهم ما رضيت))

وتتلمذ امير المرية عمر بن امام بن المعتز الصنهاجي على الشيخ ابي علي الصدي ، وبلغ من علمه بان سمي بالفقيه القائد . " ٣ "

ورحل ميمون بن ياسين الصنهاجي الى مكة المكرمة ، واخذ عن ابي عبد الله الطبري ، وسمع صحيح مسلم ، وبعد عودته الى الاندلس اخذ يحدث في مدينة اشبيلية . " ٤ "

-
- ١ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .
 - ٢ - ابن فرحون : الدياج المذهب ، ج ١ ، ص ٢١١ - ٢١٤ .
 - ٣ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .
 - ٤ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٨ .

"١"

واقبل المنصور بن محمد بن الحاج ، وأبو بكر الصنهاجي على العلوم
وتفوق زاوي بن مناد بن عطيه بن المنصور الصنهاجي المعروف بابن تقسوت في دانيه
حتى أصبح من اعلام شيوخها ، وذاع صيت احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله
الصنهاجي في المربة . ووصل خلوف بن خلف الله الصنهاجي بعد ان تلقى
العلم بمدينة قرطبه الى قضاء غرناطة . كما نبغ موسى بن حماد الصنهاجي بالعلم
حتى اشتهر . "٢"

ومن امراء المرابطين الذين اشتهروا بقرض الشعر الامير ابراهيم بن يوسف ،
الا اننا لم نعثر له الا على قصيدة واحدة القاها في مدينة شاطبه عام ٥١٥ هـ /
١١٢١ م "٣" .

وأخذ بعض امراء المرابطين وقوادهم ممن لم تسمح له الظروف بالتفرغ
للعلم والرحيل من اجله في استقدام كبار العلماء الى بيته ليتلقى العلم على ايديهم
ومما يروى في هذا الصدد ان احد امراء المرابطين طلب العالم الكبير علي بن
اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حزم الى مراكز ليأخذ العلم عنه ، فلما
دخل العالم عليه وجده جالسا على سريه فجلس علي تحته ثم قال له : اهكذا
تفعل مع من كنت تتعلم منه ؟ قال : نعم فقال له علي : انزل انت الى مكاني
واكون انا مكانك ، فأجابه الامير الى ذلك ولازمه . وكان الامير ابراهيم بن يوسف

-
- ١ — الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
 - ٢ — عبد الله بن العباس الجباري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ،
ج ١ ، ص ١٠٥ — حسن محمود : المرجع
السابق ، ص ٤٣٨ — ٤٣٩ .
 - ٣ — ابن خاقان : قلائد العقيان ، ص ٢٧٥ .

ابن تاشفين يرسل في طلب الفقيه ابي طي الصدفي لينتفع بعلمه . كما اختير العالم
الجليل احمد بن عبد الجليل بن عبد الله التدميري ليؤدب ابناء السلطان " ١ " .
وعندما تولى الامير تاشفين الحكم بحث ولده ابراهيم الى معاهد مدينة قرطبه لاتمام
دراسته فيها . " ٢ "

ومن العلماء الكتاب الذين اخذ عنهم ابناء اعيان المرابطين في مراكش ابي
عيسى لسب بن عبد الوارث اليحصي وهو من مشاهير العلماء في عصره . " ٣ "

وكنتيجة لشغف امراء المرابطين بالعلم والعلماء وتنافسهم في تقييدهم اصبحت
مجالسهم مقصداً لمشاهير العلماء والادباء . ومن مشاهير امراء المرابطين الذين
غصت مجالسهم بأعلام العلماء الامير ابراهيم بن يوسف ، وابو بكر بن تافلويت وعبد الله
ابن مزدلي . فابن خاقان يذكر في مقدمة كتابه قلائد العقيان الذي ألفه باسم
الامير المرابطي ابراهيم بن يوسف ، فضل هذا الامير على الادب والعلم ، ويذكر
ايضا ان الامير عبد الله بن مزدلي كان يعمل جهده من اجل تشجيع العلماء والادباء
لذا كان بلاطه قبلة للشعراء والادباء ، فقصده ابو محمد بن عطيه ، وابو
عامر بن ارقم ، وابو جعفر بن مسعده الذي اتخذه كاتباً له . كذلك كان
الامير بن تافلويت على رأس المشجعين للعلماء خاصة للادباء : منهم لكونه شاعراً
مجيداً ، فازدحم بلاطه بالادباء وعشاق الشعر ، وكان على رأس ندائه كاتبه

-
- ١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ — ٤٤١ .
 - ٢ — عبد الله علام : الدولة الموحدية بالمغرب ، ص ١٢٧ ، حاشية رقم ٤ .
 - ٣ — ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ١٨٠ — ١٨١ .

ومادحه العالم الموسوي ابوبكر بن باجه . " ١ "

ولم يقتصر الاقبال على العلم وتشجيعه على امراء المرابطين فقط بل تعداه الى الاميرات المرابطيات اللواتي اخذن يتذوقن الادب ويقرضن الشعر ، امثال تميمه بنت يوسف بن تاشفين التي اشتهرت بالادب والشعر " ٢ " ، والادوية الشاعرة ورقاء بنت ينتان " ٣ " ، وحواء بنت ابراهيم بن تافلويت ، واختها زينب اللائي كان لهن مجالس ادب " ٤ " . ففي هذا الصدد يذكر ابن عذاري " ٥ " ان الحرة حواء كان لها مجلس ادبي يحضر فيه لفيف من كبار العلماء امثال ابن القصير وابن الموضي ، وانه كان لها مساجلات مع بعضهم .

ولم يكتف امراء المرابطين بمشاركتهم في العلوم وتشجيعها في عهد علي بن يوسف بل اخذوا يشجعون على بناء عشرات المدارس والمساجد لنشر الوعي والثقافة بين الرعية ، فظهرت في عواصم دولتهم مساجد ومدارس طارت شهرتها ، وقصدها العلماء من الشرق والغرب . فقد اشتهرت مدرسة سبتة ، وطنجة ، وأغمات وسجلماسة ، وتلمسان ، ومراكش على حداثة نشأتها لوجود مقر السلطان فيها ، فأصبحت قبلة القصاد ، وورد اليها العلماء من كل فج لينعموا بالحياة قرباً من الامراء . كما نهضت مدارس الاندلس نهضة موفقة فاشتهرت عدة مدارس منها : مدرسة قرطبة ، ومرسية ، والمريه ، واشبيلية ، وطرطوش ، وبلنسية ، وغرناطة ، وشاطبة ، وسرقسطة ، ودانية ، وغيرها . " ٦ "

١ — الجزاري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ، ج ١ ، ص ٩٧ — ٩٨ .

٢ — ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ١ ، ص ١٧٣ — ١٧٤ .

٣ — المصدر السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ .

٤ — الجزاري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ، ج ١ ، ص ٩٨ .

٥ — البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٥٧ .

٦ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣١ — ٤٣٢ .

ومن المساجد التي اشتهرت بالدراسة العلمية ، مسجد رفاق الماء بعدوة
القرويين ، ومسجد الحوراء ، ومسجد قرطبة ، ومسجد يوسف بن تاشفين
في مراكش ، ومسجد القرويين . " ١ "

وكانت كل مدرسة من هذه المدارس تشتهر بلون من ألوان المصرفة أو بها
جميعا . فعلى سبيل المثال ازدهرت مدارس مدينة المرية ازدهارا شاملا في جميع
مناحي الحياة العلمية من أدبية ، وشرعية ، وطبية وغيرها . " ٢ " واشتهرت
مدارس مرسية بتدريس علم الأصول والكلام ، واشتهر مسجد القرويين بتدريس
مختلف العلوم " ٣ " ، ومنذ قرطبة اشبيلية في العلوم ، إلا أن الثانية بذات الأولي
بالموسيقى والغناء ، وهذا ما أشار إليه ابن رشد حين قال : (إذا مات عالم
بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات بقرطبة فأريد
بيع آلاته حملت إلى إشبيلية) (٤) .

ومن المدن المشهورة التي لعبت دورا ثقافيا هاما في غربي إفريقيا في
عهد علي بن يوسف مدينة تنبكت التي انشئت في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي

١ - الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦١ - ١٦٢ -

الجراري : الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها

ج ١ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

٢ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ١٨٥ - ١٨٦

٣ - الجراري : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

٤ - بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ص ٦٢ .

عشر الميلادى على ضفاف النيجر • وقد ساعد ذلك على ازدهارها تجارياً فكان يقصد ها التجار عن طريق النهر وتصل اليها القوافل التجارية عن طريق مراكس • وما لبثت ان طارت شهرة هذه المدينة في الآفاق فهرج اليها العلماء من المغرب الاقصى والاندلس ومصر • ومن نواحي اخرى مختلفة • وبني بها المسجد الجامع والمساكن والاسواق • وفي عهد علي بن يوسف ايضا تألق نجم مدينة جنى من الناحية الثقافية بعد ان اسلم اهلها في القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى فأما العلماء والفقهاء حتى غدا فيها اربعة آلاف ممن يشتغلون بالعلم • " ١ "

اما عن طريقة التعليم في هذا العصر فقد وجه اليها القاضي ابن العربي النقد وذلك في مقدمة كتابه " قانون التأويل " • ذلك ان طلب العلم كان يمر بمرحلتين : الاولى حفظ القرآن • والثانية مرحلة تلقي العلوم الاولية • وفي ذلك يقول ابن العربي () () ويأغفلة اهل بلادنا في ان يؤخذ الصبي بكتاب الله في اول عمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في امر غيره اهم عليه منه () • وكان المصحح الذى طالب به يقتضي ان يبدأ الطالب بتعلم العربية والاشعار • وينتقل الى الحساب • ثم ينتقل بعد ذلك الى دراسة القرآن وحفظه • وبعد ذلك يحصل الطالب على التوالي اصول الفقه ثم الحديث مقتصر فيه على الصحيح • ثم طوم الحديث • ثم تطبيق هذه العلوم جميعا على آيات القرآن •

وقد عرض ابن خلدون الى مذهب ابن العربي هذا ثم قال : () (وهو لعمري مذهب حسن الا ان الموائد لا تساعد عليه ••• من تقديم دراسة القرآن ايشارا

١ — حسن احمد محمود : المرحلة الافريقية في تاريخ دولة المرابطين ، المجلدة التاريخية المصرية ، مج ١٢ ، سنة ١٩٦٤ — ١٩٦٥ م ص ١١٦ — ١١٧ •

للتبرك والثواب ، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم
فيفوته القرآن () . " ١ " كذلك نصح ابن العربي بعدم تعليم الجوارى والفلمن
بشكل مختلط لان ذلك يفسده . " ٢ "

وترتب على الاهتمام بالحياة العلمية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين
زيادة العناية بالمكتبات الخاصة فاشتهرت مكتبة امير المسلمين علي بن يوسف في مراكش
وطارت سمعتها في الافاق . وتتضح هذه الشهرة من خلال بعض مخططاتها في العصر
الحاضر ، فهناك نسخة من موطأ مالك في عدة اجزاء في رق الغزال ثبت في جزئها
الحادي عشر العبارة التالية : () (ما كتبه لخزانة امير المسلمين وناصر الدين
علي بن يوسف ادام الله تأييده ونصره) () ، وكان نسخها في شهر شعبان عام
٥٠٢ هـ ، وسيرة ابن اسحاق المنسوخه عام ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م . " ٣ "

ومن المكتبات المشهورة ايضا مكتبة ابن الصقر في مراكش ، وهي من انشاء
الحافظ ابي العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد الانصاري الخزرجي الفرناطي
(٥٠٢ - ٥٦٩ هـ / ١١٠٨٠ - ١١٧٣ م) ، وكانت مكتبة كبيرة مملوءة بال ذخائر
قال عنها صاحب الدياج المذهب : () انه اقتنى من الكتب جملة وافرة سوى

١ - رضا عبد الجليل الطيار : الدراسات اللغوية في الاندلس منذ مطلع القرن
السادس الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري

، ص ٣٠ .

٢ - احمد امين : ظهرا لاسلام ، ج ٣ ، ص ٨ - ٩ - الحسن السائح :

المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٥ - ١٥٩ .

٣ - عبد الهادي التازي : جامع القرويين ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

ما نسخ بخطه الراقى ، وكان معه عند توجهه لمراكش خمسة احمال كتب ،
وجمع منها بمراكش شيئاً عظيماً () . وقد نهبت هذه الكتب عندما دخل عبد المؤمن
ابن علي مراكش " ١ " . وليس ثمة شك انه كانت هناك عشرات المكتبات الخاصة في
المغرب والاندلس لكبار العلماء امثال ابن العربي ، وابن رشد ، وابن باجه ،
وابن زهر وغيرهم .

ومما زاد ايضا في انكاء شعلة العلم في عهد امير المسلمين علي بن يوسف ما كانت تتمتع به البلاد في بداية حكمه من استقرار سياسي ورخاء اقتصادي ،
فشجع ذلك على تنشيط الرحلة من اجل طلب العلم ، والتنقل للآخذ عن مشاهير
العلماء سواء في داخل نطاق دولة المرابطين او في اى صقع من اصقاع العالم
الاسلامي . وتحفل كتب التراجم باسماء عشرات المفارسة والاندلسيين ممن رحلوا الى
بلاد المشرق للقاء العلماء والاطلاع على الكتب الجديدة في مختلف فنون المعرفة
ونقلها منه الى المغرب والاندلس ، فضلا عن الهدف الاساسي للرحلات وهو الحج
والتجارة . كما شهد هذا العهد ايضا نشاط رحلات المشاركة الى بلاد المغرب
والاندلس اما للتجارة ، واما لطلب العلم . " ٢ "

ومن الذين رحلوا الى المشرق ابراهيم بن احمد السلمي المعروف بابن
صدقه من اهل غرناطة . الذي سمع في مصر من ابي بكر الطرطوشي في عام ٥١٥ هـ /
١١٢١ م . كما رحل ابو الطاهر السلفي الى مكة المكرمة عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م

١ — محمد المثنوي : العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ، ص

٢٨٥ — ٢٨٦ .

٢ — لطفي عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، ص ٣٩ .

وسمع من جلة علمائها ثم عاد الى بلاده "١" . ورحل حسن بن ابراهيم بن محمد ابن تقى المالقي الى الاسكندرية عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م "٢" . ورحل الفيلسوف الطبيب ابو الصلتامية بن ابي الصلت الاشبيلي الى مصر وحس نفسه في خزائن كتبها عشر سنوات ، وقد توفي في عام ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م "٣"

وممن رحل الى مصر ايضا الحسن بن عمر الحسن الاشبيلي الذى توفي عام ٥١٢ هـ / ١١١٨ م "٤" ، وكذلك رحل ابو هارون موسى بن عبد الله بن ابراهيم من مدينة أغمات الى مصر والحجاز ، والعراق ، وخراسان ، ونيسابور ، وكان قدومه الى المشرق عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م "٥" . ورحل كاتب الامير تميم بن يوسف ، علي بن الامام الى مصر ايضا "٦"

وممن رحل السريغداد ابو محمد عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطي المتوفي عام ٥١٦ هـ / ١١٢١ م ، وهو من الفقهاء الفضلاء ، ورد بغداد واقام فيها مدة في المدرسة النظامية ، ثم خرج الى خراسان ، وسكن مرو الى ان توفي "٧" . وفي عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م رحل ابو حامد محمد بن محمد

-
- ١ - ابن الابار : المعجم ، ص ٦٦ .
 - ٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ٧٢ .
 - ٣ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .
 - ٤ - ابن فرحون : الدياج المذهب ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .
 - ٥ - الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصور ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .
 - ٦ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٦ .
 - ٧ - الاصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ١ ، ص ٣٩٠ .

الرحيم المازني القيسي الخرناطي الى مصر ثم عاد الى قرطبة ثم غادرها الى الاسكندرية عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م مرة اخرى ، وفي عام ٥١٦ هـ / ١١٢١ م نجده في بغداد حيث اضي فيها اربعة اعوام ، وفي عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م رحل الى ايران ، واستمر في رحلاته الى ان وافته منيته في دمشق عام ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م .

وقد نشط المفارمة والانديسيون في الرحيل الى بلاد الشام ايضا لزيارة بيت المقدس ، وطلب العلم . فكانت المؤلفات الاندلسية والمغربية تصل الى بلاد الشام بسرعة متناهية حتى ان المخطوطة الوحيدة المعروفة لديوان الشاعر الزجال ابن قزمان ، الذي عاش في قرطبة في عهد امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين والمسماه : ((اصابة الاعراض في وصف الاعراض)) قد كتبت في مدينة صفد الفلسطينية في منتصف القرن السادس الهجري : " ٢ "

ويبدو ان عدد المفارمة الذين وفدوا الى المشرق خاصة الى فلسطين واستقروا في بيت المقدس ودمشق قد تزايد في عهد علي بن يوسف حتى اصبحوا يشكلون تجمعا ضخما مما اضطر تور الدين محمود فيما بعد الى تعيين اوقاف للمفارمة في دمشق منها طاحونتان وسبعة بساتين وحمام ودكانان ، وكانت هذه الاوقاف تغل ما يقرب من خمسمائة دينار في العام . " ٣ "

-
- ١ - كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي ، ج ١ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .
 - ٢ - بروفنسال : المرجع السابق ، ص ٥٧ - احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
 - ٣ - سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ الحصور الوسطى ، ص ٢٦ .

وفضلاً عن ذلك فإن ما وصلت اليه الدولة المرابطية من تقدم حضارى وثقافى قد جلب اليها طلبة العلم من مناطق مختلفة من الشرق ، وهذا ما اكده ابراهيم ابن داود احد المعاصرين ليهودا هاليقي (٤٧٨ - ٥٣٦ هـ / ١٠٨٥ - ١١٤١ م) حين ذكر انه رأى في الاندلس بعضاً من ابناء الخزر "١" يطلبون العلم ، وقد جرى العرف على اعتبار هؤلاء امراء خزرين "٢".

وكذلك لم تحل العلاقات العدائية بين الممالك النصرانية الأسبانية والدولة المرابطية دون استفادة هذه الممالك من هذه النهضة العلمية الميمونة فأنشئت مدرسة للترجمة في مدينة طليطلة برئاسة الاسقف رايغوند بعد ان استولى الفونسو السادس عليها ، وكانت تضم عدداً كبيراً من المترجمين الذين نقلوا المؤلفات العربية في مختلف العلوم . وقد توالى على هذه المدرسة المترجمون من مختلف انحاء اوربا يطلبون علوم العرب والمسلمين وينقلونها الى اللاتينية "٣".

لقد ساعدت العوامل السابقة على تنشيط حركة التأليف وازدهار الحياة الثقافية . هذا ويعتبر عهد علي بن يوسف بحق عهد كبار الحفاظ امثال :

١ - شعب من اصل تركي نشط في القرن السابع حتى الحادى عشر الميلادى ، وامقد

نفوذهم فيما بين البحر الاسود وبحر قزوين ومن القوقاز حتى الفولجا انظر

ارثر كوستلر : امراطورية الخزر وميراثها ، ص ١١ .

٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٩٧ - ٩٨ .

٣ - الجزارى : اثر الاندلس على اوربا في مجال النظم والايقاع ، مجلة عالم

الفكر ، مج ١٢ ابريل - مايو - يونيو ١٩٨١ م ، ص

١٩ - عبد الرحمن الحجي : اندلسيات ، ص ١٦٤ .

ابن العربي ، وابي علي الصديقي ، والقاضي عياض ، وعهد كبار رجال
البلاغه كآبن ابي الخصال ، وابن القصيره ، وعصر الدواوين الشمريه ،
والموشحات والازجال ، والتأليف الفقهي ، والنحوي ، واللغوي ، والكلامية ،
والتاريخية ، والمبقرية الطبية الممثلة بابن باجه ، وال زهراساتذة العالم في
هذه العلوم في ذلك الوقت وحتى فترة قريبة من هذا العصر لما قدموه من اكتشافات
باهرة سواء عن طريق اكتشاف امراض جديدة او طرق علاج مبتكرة ، أو عمليات
جراحية معقدة كشف عنها العلم حديثا ، كما تألفت العلوم الفلسفية لتبلغ القمة
في هذا العهد .

وحتى نقف على مدى التطور العلمي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين

سنحدث بشيء من الايجاز عن اهم معالم هذا التطور في المجالات التالية :

- ١ - الدراسات الشرعية (الحديث - القراءات والتفسير - الفقه والاصول -
احقاق كتاب احياء علوم الدين للفرزالي) .
- ٢ - الدراسات الادبية (الشعر - النثر - النحو) .
- ٣ - الدراسات الطبيعية التجريبية (الطب - الصيدلة والكيمياء) .

=====

الدراسات الشرعية :

=====

من المعلوم ان دولة المرابطين قامت على اساس ديني ، لذا عمل حكامها على تشجيع دراسة العلوم الشرعية بكل وسيلة ، فكتبوا الفقهاء واغدقوا الاموال عليهم واخذوا بمشورتهم في الامور الجلية والضئيلة "١" . وذلك كان الفقهاء في دولة المرابطين يوجهون سياستها ، ويتحملون مسؤولية حماية كيانها والاشراف على تنفيذ تعاليمها ، وان مجرد القاء نظرة شاملة على تراجمهم في كتب التراجم تكفي لمعرفة كثرة اعدادهم . وهذا طبعا يعكس المكانة السياسية والاجتماعية الرفيعة التي حصل عليها الفقهاء في هذه الدولة ، وهي مكانة لم يصل اليها الفقهاء في اى دولة اسلامية سابقة خلال الصدر الاول من التاريخ الاسلامي حتى غدا لقب الفقيه في هذه الحقبة لا يعد له لقب . وكان المرابطون يسمون الامير العظيم منهم الذي يريدون التنويه به بالفقيه "٢" ، مما جعل الفقهاء في مركز يحسدون عليه من قبل بعض افراد الرعية وبشكل خاص من قبل الادباء .

لقد كانت تجربة المرابطين مع الفقهاء تجربة فريدة في التاريخ الاسلامي وهي مفخرة لهم ، وتدل على حكمة وحد نظر ، لان المرابطين باعتمادهم على الفقه كانوا يرفضون العقوبة والاعلانية ، وينظرون للحكم والدولة من خلال تصور علمي ، وتمثل واضح يتجليان عندهم في التعليم الاسلامية "٣" .

١ — حسن محمود : قيام دولة الموحدين ، ص ٤٢٨ — ٤٢٩ .

٢ — الجرائد : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ، ج ١ ، ص

٨٩ — ٩١ .

٣ — المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٩٠ .

أجل لقد نهضت الدراسات الشرعية نهضة مباركة في عهد هذه الدولة
خاصة في عهد علي بن يوسف ، فألفت عشرات الكتب في الحديث والقراءات ،
والتفسير ، والفقه والاصول .

الحديث :

=====

ومن ائمة علماء الحديث في عهد علي بن يوسف ، الحسين بن محمد بن
قيبره بن حيون ابو علي الصدفي المعروف بابن سكره السرقسطي المتوفي عام ٥١٤هـ /
١١٢٠ م الذي كان حافظا للحديث عارفا باسماء رجاله وخبيرا بملله . ومحمد
ان استقر في مدرسة مرسية للتدريس شد طلاب العلم اليه الرجال ، وتحت ضغط
الرعية تولى قضاء مرسية الا انه ما لبث ان عزل نفسه واختفى فلم يعثر عليه عندها
اغواه علي بن يوسف من منصبه . " ١ "

ومن مشاهير الحديثيين ايضا احمد بن طاهر بن عيسى بن ربيع الداني
(٤٦٧ - ٥٣٢ / ١٠٧٤ - ١١٣٧ م) الذي ألف على الموطأ تصنيفا سماه
" الايماء " ، وله ايضا مجموع في رجال مسلم بن الحجاج " ٢ " . وصنف
محمد بن علي المازري المتوفي عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م مصنفًا سماه " المعلم في
شرح مسلم " " ٣ " . وألف القاضي عياض عدة مؤلفات منها : شرح صحيح مسلم ،

-
- ١ - ابن فرحون : الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ٣٣٠ - ٣٣٢ .
 - ٢ - المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
 - ٣ - وهو لا يزال مخطوطا في الخزانة الملكية في الرباط تحت رقم ٣٢٠ .

والالمام في ضبط الرواية ، وتنبيه الأنام في مشكل الحديث "١" ، أما
عبد الله بن محمد بن السيد (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م) فآلف كتابا في شرح
الموطأ "٢" . كما ألف عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يروح بن سليمان —
(ت ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م) كتابا سماه ((تاج الحلية وسراج البقية في
معرفة أسانيد الموطأ)) ، وألف أيضا كتابا آخر سماه ((المنهاج في رجال
مسلم بن الحجاج)) . "٣"

ومن اشتهر أيضا بالاشتغال بالحديث عبد الجليل بن عبد العزيز بن
محمد الأموي المعروف بابن الملون (ت ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م) ، وهو من أهل
قرطبة "٤" ، ومحمد بن أحمد بن طاهر القيسي (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) "٥" ،
ومحمد بن حسين بن أحمد الأنصاري (ت ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) ، وهو من
أهل المرية "٦" . وعبد الله بن عيسى الشيباني (ت ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م) الذي
كان يحفظ صحيح مسلم "٧" . وزباد بن محمد بن أحمد بن سليمان التجيبي —
(ت ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م) ، الذي كان متفنا بالحديث وروايته "٨" . وميمون

-
- ١ — إبراهيم حرركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .
 - ٢ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .
 - ٣ — المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .
 - ٤ — ابن الأبار : المعجم ، ص ٢٦٤ .
 - ٥ — المصدر السابق نفسه ، ص ١٥١ .
 - ٦ — المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٣ .
 - ٧ — ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .
 - ٨ — المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

ابن ياسين احد امراء المرابطين ، الذي رحل الى بلاد المشرق يطلب الحديث ،
وسمع هناك صحيح مسلم ، وصحيح البخارى على اعلام ذلك العصر ، ثم عاد الى
بلاده واخذ يحدث في اشبيلية " ١ " . ومحمد بن الحسين بن احمد بن يحيى
الانصارى الخزرجي الميورقي الذي كان محدثا على الرواية ، عارفا بالحديث
مشهور بالاثقان والضبط " ٢ " ، واحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي المعروف
بابن المؤخي (ت ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م) ، وكان ينفرد في عصره بالحديث ،
كتب اليه ابو علي الصديفي وحدث عنه بالاجازة " ٣ " ، واحمد بن عمر بن يوسف
ابن ادريس بن عبد الله بن ورد التميمي (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) الذي كان
له مجلس يتكلم فيه على الصحيحين ، وكان يخص يوم الخميس للتفسير " ٤ " .

-
- ١ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .
 - ٢ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .
 - ٣ - ابن الابار : المعجم ، ص ١٧ .
 - ٤ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٧٠ - ١٧١ . ومن
المحدثين ايضا احمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمي (ت ٥٤٠ هـ) ، من
اهل المرية ، وقد ألف في شرح كتاب البخارى كتابا كبيرا .
 - انظر : رضا عبد الجليل الطيار : الدراسات اللغوية في الاندلس ، ص ١٦٩ .

القراءات والتفسير :-

=====

وفي مجال القراءات والتفسير برز عدد كبير من الملطاء منهم : أبو بكر بن العربي الذي ألف تفسيراً للقرآن يقع في ثمانين جزءاً سماه " انوار الفجر في تفسير القرآن " وهو مفقود " ١ " . وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي الفرناطي (ت ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م) الذي ألف تفسيراً سماه " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " في عشر مجلدات " ٢ " ، وله ايضاً برنامج رتبه وفق اسماء شيوخه ذاكرة مروياته عنهم " ٣ " ، وعلي بن عبد الله بن محمد بن وهب الجذامي (ت ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م) من أهل المربة الذي جمع تفسير القرآن في كتاب حسن " ٤ " ، ومحمد بن ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن الاسود الفساني (ت ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) والذي كتب تفسيراً للقرآن الكريم " ٥ " .

واعتنى احمد بن محمد بن العريف (ت ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) عنايته خاصة بالقراءات وطرائقها المختلفة " ٦ " . وكان احمد بن احمد بن خلف الانصاري

-
- ١ - عبد الرحمن الحجي : جوانب فن الحضارة الاسلامية ، ص ٤٧ ، وكذلك لابي بكر تفسير احكام القرآن المشهور .
 - ٢ - المقرئ : نفع الطيب ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ - ابن قنفذ : الوفيات ، ص ٢٦٣ ، حاشية رقم ٢ .
 - ٣ - رضا عبد الجليل الطيار : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
 - ٤ - ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .
 - ٥ - ابن الابار : المعجم ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .
 - ٦ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٤٤١ .
- .. ٤٤٢

(ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) امام المقرئين في غرناطة متفنيا في علم القراءات ،
وألف فيها كتابا سماه : " الاقتناع في القراءات " . " ١ "

ومن نبغ في هذا العلم ايضا ابراهيم بن احمد بن خلف بن الحسن بن
الوليد السلمي من اهل فاس ، وابو اسحاق المعروف بابن فرتون (ت ٥٣٢ هـ
/ ١١٤٢ م) " ٢ " ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابي الحسن اصبح
المشهور بالشهيلي ، ومن مؤلفاته : ((الشریف والاعلام بما ابهم في القرآن من
اسماء الاعلام)) ، وشرح اية الوصية ، والروض الانف وغيرها . " ٣ "

=====

-
- ١ - ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٠ - ١٩١ .
 - ٢ - ابن الآبار : المعجم ، ص ٦٢ .
 - ٣ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٤٧٧ - ٤٧٩ .

الفقه والأصول :

=====

وممن برز في الفقه والأصول محمد بن حكيم بن محمد بن أحمد
الجزامي المتوفى عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، وهو من أهل سرقسطة ، سكن
غرناطة ثم مدينة فاس ، وكان متحققا في علم أصول الفقه حافظا له ، ومن
مؤلفاته : ((شرح كتاب الايضاح للفارسي ، كذلك صنف في الجدل مصنفين^١ .

ووضعت طائفة من علماء الاندلس مؤلفات في شرح كتب الصحاح منها :
عازة الاحوذى في شرح صحيح الترمذى من تأليف أبي بكر بن العربي ، وشرح
صحيح البخارى الذى ألفه أحمد بن محمد بن عمر التميمي المتوفى عام (٥٤٠ هـ /
١١٤٥ م) "٢"

وممن اشتهر ايضا بدراسة الفقه والأصول أحمد بن علي بن يحيى بن
أفلح بن زرقون (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) "٣" ، ومحمد بن حسين بن أبي
بكر المعروف بالحناط المتوفى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م "٤" ، ومن الثغرة الأعلی
أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الانصارى ، الذى كان يعد من اصحاب

-
- ١ - ابن فرحون : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .
 - ٢ - رضا عبد الجليل الطيار : الدراسات اللغوية في الاندلس ، ص ١٦٩ .
 - ٣ - ابن الأبار : المعجم ، ص ٣٤ - ٣٥ .
 - ٤ - المصدر السابق نفسه .

الثقافة الموسوعية ، فقد كان متقدماً في الحديث ، والقراء ، والفقه ، والاصول
وعلم الكلام . ومن مؤلفاته كتاب بدأ به ولم يكمله اسمه " انوار الفجر فيمن دخل
جزيرة الاندلس من الزهاد والابرار " الا انه توفي قبل اتمامه فكملة ابنه
عبد الله . " ١ "

أما ابن رشد (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) فقد ألف عدة مؤلفات في هذا
الحقل منها ، " البيان والتحصيل " وذلك تحت الطاح بعض اصحابه من اهل
مدينة جيان ، وبعض الطلبة من اهل مدينة شلب " ٢ " ، وألف ابراهيم بن
جعفر اللواتي (ت ٥١٣ هـ / ١١١٩ م) كتاباً سماه " مختصر الفقه " . على
ان اهم كتب وضعت في الفقه في عهد علي بن يوسف هي كتب القاضي عياض المتوفي
عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م ، خصوصاً كتاب اجوبة القرطيين ، وكتاب النوازل
القضائية . " ٣ "

وانتهت الرياسة في الحفظ والفتيا الى ابي بكر بن عبد الله بن الجد الفهري
المتوفي عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م ، والذي قدم للشورى مع ابي بكر بن العرسي
في سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م . " ٤ "

-
- ١ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .
 - ٢ - ابن رشد : مسائل ابي الوليد بن رشد ، ج ١ ، ص ١٩ - ٢١٤ .
 - ٣ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
 - ٤ - ابن القاضي : جذوة الاقتباس ، ج ١ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

احراق كتاب احياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي :-

=====

ونختم الحديث عن هذا الموضوع بالحديث عن قضية اثارت جدلا عظيما ،
وهي قضية احراق كتاب احياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي المتوفي عام ٥٠٥ هـ /
١١١١ م في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، وفي عهد ابنه تاشفين . وخلص
القضية انه ما ان وصل كتاب احياء علوم الدين الى المغرب والاندلس ، وقراه
الفقهاء خاصة القاضي ابن حنبل قاضي قرطبة حتى اثار تآثرتهم ، وتنادوا لدفع
الامر الى امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، فاجتمعوا به واخبروه بوجوب
حرق الكتاب ، واعدامه ، لما يحمل من بدع المتكلمين وضلالاتهم ، وأفتوا
بأنه لا تجوز قراءته بحال من الاحوال ، فأمر علي بن يوسف بالبحث عن كتاب
الاحياء بحثا أكيدا ، وكتب بذلك الى سائر الامصار التابعة له ، وأمر بتفتيش
مكتبات الخاصة والعامة ، وان يحلفوا بالايمان المفلظة (الطلاق / والمناق)
بأنهم لا يملكون كتاب الاحياء . كما امر امير المسلمين علي بمنع دخول جميع كتب
الغزالي الى المغرب والاندلس ، وانزل اشد العقوبات بمن وجد عنده منها شيئا . " ١ "

ونفذ أمر علي بن يوسف على اكمل وجه ، واحتفل الفقهاء في مدينة قرطبة
بحرق نسخ كتاب احياء علوم الدين بعد ان اشيعت بالنزيت على الباب الغربي لرجبة

١ - مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٠٤ - ١٠٥ - محمد المنتصر
الكتاني : الغزالي والمغرب ، ص ٧٠٧ - ٧٠٨ .

المسجد "١"

وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين تفسير هذا العمل ، فعمل حسن ابراهيم حسن "٢" الحرق بسببين : الاول منها ان الاتجاه الفقهي في هذا الكتاب يسير على مذهب الامام الشافعي ، والثاني ان الكتاب صوفي بروحه . يسير على الفلسفة الكلامية التي كان يحرمها المالكية ويخشون منها على مذهبهم لذلك افتوا باحراقه .

ويرى عبده بدوي "٣" ان سبب الاحراق يعود لجمود الفكر في تلك الحقبة . ويمزق السيد عبد العزيز سالم "٤" سبب الاحراق الى ما حواه الكتاب من فضح لنزعات الفقهاء في دراساتهم الفقهية ، وحرصهم على الدنيا ، وطمعهم في الحصول على المناصب الرفيعة ، وحسد هم للعلماء والزهاد . فالعلم عند الغزالي ليس حرفة أو مهنة دينية تعود على صاحبها بالريح العاجل وانما هو (عبادة القلب وصلاة السرورية الباطن الى الله) () .

أما احمد امين "٥" فقد ادلى بدلوه في هذه القضية وقال : (ان يوسف ابن تاشفين ذو نزعة دينية تخالف نزعة الغزالي ، وكره فيه افراطه في الدعوة الى

١ - ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٥٩ - هذا وقد اختلف في تاريخ هذا الاحراق فيذكر محمد عبد الله عنان (عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٨ - ٧٩) انه تم عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م - ويرى محي الدين عزوز (التطور المذهبي بالمغرب ص ٧٥) ان الاحراق كان عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م - اما الجوازي (الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ، ج ١ ، ص ٩٤ - ٩٦) فيرى انه حدث في اواخر عهد المرابطين .

٢ - تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٤٥٦ .

٣ - مع حركة الاسلام في افريقية ، ص ٥٤ .

٤ - المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٤ - ٧٤٥ .

٥ - ظهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٣٧ .

محاسبة النفس ، فأصدر قاضي قرطبة مع عدد من الفقهاء فتوى تعتبر الفزالي مبتدعاً
زنديقاً ، وعلى ذلك أحرقوا كتابه (أحياء علوم الدين) .

الا انني لم اعثر على مصدر ذكر فيه ان الاحراق قد تم في عهد يوسف بن
تاشفين بل ان الذي تمدنا به المصادره هو الحديث عن علاقات طيبة كانت تربط الفزالي
بيوسف بن تاشفين وهذا ما اتضح من خلال طلب يوسف فتواه في اسقاط ملوك الطوائف
ومحاولة الفزالي مقابلة يوسف ، حيث ذكر انه شد الرحال قاصداً يوسف الا انه لما
وصل الى مصر جاءه نعي يوسف فعاد من حيث أتى وهذا ما أوضحناه في الباب الاول

ويرى محمد عبد الله عنان "١" أن أهم عوامل الاحراق هي : ما حواه
الكتاب من حملة لاذعه على علماء الفروع ، والتنويه بجهلهم وسخف مجادلاتهم السطحية
ووصف الفزالي لهم بأنهم مجانين ، وكونهم يجهلون علم الاصول الذي ينوه الفزالي
بأهميته وعظم قدره .

هذا ويشك فريق في القضية من الاساس ولا يستبعدون ان الاحراق قد يكون
قصة مفتعلة من وضع بعض المتزلفين من اتباع المهدي بن تومرت . "٢"

١ — عصر المرابطين والموحدين ، ص ٧٨ — ٨٠ .

٢ — ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١١١ ، حاشية رقم ١ .

ويرجح ان اهم عوامل احراق كتاب احياء علوم الدين هي :-

=====

اولا :-

===== ان الكتاب تضمن تمريضا بهؤلاء الفقهاء الذين اقبلوا على الدنيا ،
ومما ورد في هذا الكتاب مجموعة نقول منها : قال سعيد بن المسيب رحمه الله :
اذا رأيتم العالم يخشى الامراء فهو لم . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
اذا رأيتم العالم مجبا للدنيا فاتهموه على دينكم الى غير ذلك من الآثار التي لسم
تعجب الفقهاء ، ولعلمهم رأوا فيها تحريضا للعامة عليهم ، لا سيما اذا علمنا
ان الفقهاء كانوا يتمتعون بسلطات واسعة في هذا العهد فامتلوكوا المال والسلطة ،
مما اغاظ المنافسين لهم من العلماء والادباء الذين لم يدخروا وسعا ، ولم يتركوا
مناسبة ليشهروا بهم " ١ " . كما ان الغزالي افرد الباب السادس من كتابه
احياء علوم الدين لعلماء السوء " ٢ "

ثانيا :-

===== لعل الاحراق يعود الى اشتداد الصراع بين المتصوفة والفقهاء ، ومما
ان كتاب الاحياء قد جمع بين احكام التورج واداب المتصوفة ، فقد كان خطرا على
الفقهاء لانه سيرجح كفة المتصوفة ، ولذلك افتى الفقهاء باحراقه " ٣ "

هذا ولم يمر احراق كتاب احياء علوم الدين دون معارضة بعض الفقهاء ، والعامه
وعلى رأس هؤلاء علي بن محمد بن عبد الله الجذامي ، وابو الحسن المقرئ من

-
- ١ - ابراهيم حرركات : المرحح السابق ، ج ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .
 - ٢ - ابو حامد الغزالي : احياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٥٨ - ٦١ .
 - ٣ - ابراهيم حرركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

أهل المرية ، والمعروف بالبرجي ، وأبو القاسم بن ورد ، وهو من فقهاء المرية
أيضا ، وأبو الفضل النحوي أحد فقهاء قلعة حماد . " ١ "

ويذكر أن البرجي (ت ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م) أفتى بتأديب من يحرق كتاب
الاحياء وتضمنه قيمته لأنه مال مسلم . وكان البرجي مشاوراً في الاحكام في مدينة
المرية فلم علم ابن حمد بن بفتواه عزله . " ٢ "

كما انتصر أبو الفضل النحوي (ت ٥١٣ هـ / ١١١٩ م) لأبي حامد الخزالي
وكتب لأمير المسلمين علي بن يوسف بذلك ، وأفتى بأن الأيمان التي فرضت في عملية
التفتيش ايمان لا تلزم ، وقال : ((وددت أنني لم أنظر في عمري سوى كتاب الاحياء))
وكان قد انتسخ كتاب الاحياء في ثلاثين جزءاً فاذا دخل رمضان قرأ كل يوم جزءاً " ٣ " .
وذكر ايضاً أن سيد علي بن حزم عتكف على قراءة الاحياء في بيته مدة سنة . " ٤ "

على أي حال استمرت مطاردة كتاب احياء علوم الدين حتى بعد وفاة علي
ابن يوسف عام ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م ، وهذا ما أكدته إحدى الرسائل الصادرة عن
تاشفين بن علي والمؤرخه في جمادى الاولى عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م والموجهه الى
اهل بلنسية نص فيها على احراق كتاب احياء علوم الدين ومما جاء فيها :
((..... ومتى عثرتم على كتاب بدعة أو صاحب بدعه ، وخاصة وفقم الله كتب
أبي حامد الخزالي فليقتبع اثرها وليقطع بالخرق المتتابع خبرها ، ويبحث عنها ،
وتفليظ الايمان على من يتهم بكتابتها)) . " ٥ "

-
- ١ - المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٦ .
 - ٢ - ابن الأبار : المعجم ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .
 - ٣ - السالوي : الاستقصاء ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
 - ٤ - ابن الأبار : المعجم ، ص ٢٧٣ ، حاشية رقم ١ .
 - ٥ - حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطيين الى الموحدين
ص ١١٣ ، انظر نص الرسالة كاملة في نفس المقال ، ص ١١٠ .
- ١١٣ —

الدراسات الأدبية :-

=====

يصر بعض الباحثين المحدثين على ان الحركة الادبية لم يكتب لها التشجيع في هذا العهد ، فعاش اكثر الادباء والحالة هذه قابعين يتربصون الفرصة في العهد الموحدى ، الذى امتاز بنهضة ادبية شاملة " ١ " . فالعهد المزابطي على حد زعمهم عهد تراجع فيه منزلة الشعراء ، وكسدت بضاعة الشعر ، وخلت الساحة لرجال السيف والفقهاء " ٢ " ، ويستشهدون على تراجع مكانة الشاعر وتدور الحياة الادبية بصرخة بعض الشعراء من ذلك الوضع خاصة ما قاله الاعشى التطيلي من قصيدة من بعض ابياتها :-

يادولة الضيم اجملني او تجاملني فقد اصبحت تلك العرى والعرائك
ويا "قام زيد" اعرضي او تعارضي فقد حال من دون المعنى قال مالك " ٣ "

ولكن ما هي المنطلقات التي اتخذت لوصف العصر المزابطي بالتخلف الادبي وانحطاط مكانة الاديب ؟ اجل اذا كان الحكم ينسحب على عهد يوسف بن تاشفين فقط فنحن نسلم بأن تلك الفترة قد شهدت كسادا لسوق الشعر ، لان المزابطين شغلهم في اول الامور الجهاد فلم يخلوا بالشعر والادب " ٤ " ، الا ان هذا الحال لم يستمر ان اقبل امراء المزابطين في عهد علي بن يوسف على تشجيع الشعراء والادباء ، واصبحت مجالسهم تنص بمادحيهم فمادت سيرة الشعر الاولى ، وبدأت الحياة الادبية في عهد علي بن يوسف زاهية برواقه ، واخذ بعض الامراء يلقبسون

١ - ابراهيم حرکات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ - الجرارى :
الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ، ج ١ ، ص ٨٤ - ٨٥ .

٢ - احسان عباس : تاريخ الادب الانثولي (عصر الطوائف والمزابطين) ، ص ٩٠

٣ - ديوان الاعشى التطيلي ، ص ف ، ص هـ ، ق .

٤ - الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٥٢ - حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

ملوك الطوائف في عهودهم الزاهرة ، فاتخذوا السمار والندماء ، واستمعوا —
للمشعر والموسيقى " ١ " ، وركنوا لحياة الدعة والترف مما كان سبباً في اندثار عقد
دولتهم وهي ما تزال في ريعان شبابها .

وانذا كان اختفاء شعر الخمریات ، والفزل هو القياس في الحكم على تقدم
او انحطاط الادب فنحن نسلم بأن الادب قد انحط من هذه الناحية لاختفاء هذا
اللون المتبذل من الادب لان دولة المرابطين دولة قامت على تعاليم الاسلام الثقية
واختفاء شعر الخمریات والفزل دليل على اصالتها لانها قبلت الموازين لتعيد للادب
فيتمه وتصحح مسيرته التي يجب ان يسير وفقها فوضع الاديب في هذا الاطار
يساعد على بروز ادب يمتاز بصدق العاطفه وقلة المبالغة يلقي له صدى في النفوس
محدثاً بها تأثراً واعجاباً ، فالادب في هذا الطور صورة من حياة المرابطين —
المحتشمة وتلك هي على الاقل الصبغة العامة له " ٢ "

وانذا سلمنا جدلاً ان دولة الادب قد اصابتها الوهن في عهد الدولة المرابطية
فلا بد ان نسلم بان هذا الوهن يعود الى اواخر عهد ملوك الطوائف ، وهذا ما اكده
عبد الله بن الحجارى حين قال : ((.)) اجتمعت بهم (اى ملوك
الطوائف) وامرهم قد هزم وساءت بتغيير الاحوال ظنونهم وطوا من الشكر وضجروا من
المرد فلم يبق فيهم فضل للافضال (. . . .) " ٣ "

-
- ١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ — ٤٤٥ .
 - ٢ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٠ — ٢٥١ .
 - ٣ — احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسى ، ص ٩١ .

على أي حال لقد شهد عهد علي بن يوسف تطوراً كبيراً في مجال الأدب ، ويمكن اعتبار هذا العهد عهد اكتمال ونضوج للأدب الذي تمتد جذوره في أعماق تاريخ المغرب والاندلس ، والذي بدأ ازدهاره بشكل واسع في عهد ملوك الطوائف ومما ساعد على نضوج الأدب في هذه الفترة إضافة للعوامل التي اشترت إليها فهي الصفحات السابقة من نشاط الرحلة إلى المشرق ، وما كانت تتمتع به الدولة من أمن واستقرار ورخاء اقتصادي ، وتشجيع منقطع النظير للعلماء والأدباء من قبل حكام هذه الدولة ، أنه كان لتعدد مراكز الإشعاع الحضاري في عهد علي بن يوسف دور كبير في إبراز أدب ناضج ومشع . فقد أسهمت مدينة مراكش ، وفاس ، والمدينة ، وقربط ، واشبيلية ، وسرقسطه ، وغيرها مساهمة فعالة في دفع عجلة الحركة الفكرية في هذا العهد . كما أسهم اتساع رقعة الدولة المرابطية ، وما ترتب على ذلك من تطور للنواحي الإدارية ، وتشعب علاقاتها الخارجية في نضج الثقافة لأن هذا الوضع حتم على الدولة استخدام أعداد كبيرة من الكتاب والوزراء والاداريين في مختلف النواحي لتسيير دفة الحكم ، ولعل هذا الوضع قد أدى إلى ازدياد روح المنافسة بين الكتاب على تلك المناصب عن طريق التبريز في ملاحية العلم وخاصة الأدب ، وتجويد الكتابة ليترقوا إلى مناصب مرموقة في البلاط المرابطي أو ديوان الإنشاء . وفعلاً تطالعنا كتب التراجم في هذه الفترة باسماء عشرات الكتاب الذين تولوا الكتابة في بلاط علي بن يوسف أمثال : ابن أبي الخصال ، وابن القصيرة ، وعبد الرحمن بن محمد المصافري ، وأبو محمد عبد الغفور ، هذا علاوة عن الكتاب الذين اختصوا بأمراء المرابطين في الحواضر المختلفة ممن سنتناولهم بالحديث فيما بعد .

ولعل من نتاج المنافسة بين العلماء في هذا العصر ظهور كتب الردود ، فقد ألف عدد منهم كتباً ورسائل في الرد على غيرهم . ومن أمثلة ذلك ما كان بين ابن السيد البطليوسي ، أبي محمد عبد الله بن محمد (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م)

وبين ابن خلدون ، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت ٥١٩ هـ أو ٥٢١ هـ /
١١٢٥ أو ١١٢٧ م) من منازعات علمية ، فالف كل واحد منها رداً على صاحبه ،
وقد وصفت رسالة ابن خلدون التي رد فيها على ابن السيد بأنها من أجود الرسائل .
ويدوانه كان من بين الاتهامات المتبادلة بين الرجلين ، أن ابن خلدون ذهب
إلى أن كتاب ابن السيد المعروف في شرح أدب الكاتب لابن قتيبة والموسوم بالاعتصاف
ليس له ، وأن ابن السيد قد اغار عليه وانتحلته وأن مؤلفه الحقيقي هو العالم
اللفوي أبو العباس بن بلال أحمد بن محمد المرسي (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)
كما كانت هناك أيضاً منازعات بين ابن العربي والبطليموس حول بعض القضايا العلمية .
لقد أسهمت هذه المنافسات أسهاماً فعالاً في إثراء المكتبة الإسلامية بمؤلفات
تمتاز بالجودة والرصانة ، وحتى نقف على مدى ازدهار الحياة الأدبية في هذا
العصر سنتحدث عن الشعر والنثر وما يتفرع منهما بشيء من الإيجاز : —

— الشعر : —

=====

لقد عاشت الأمة الإسلامية في المشرق والمغرب والأندلس منذ النصف الأول
من القرن الخامس الهجري سلسلة من المآسي والنكبات ، ففي هذا القرن سقطت
الخلافة في الأندلس ، وفيه عاشت قبائل بني هلال في المغرب ، وفيه سقطت بيت
المقدس بيد الصليبيين . فالمأساة هي مأساة لمعالم وطنية تنحدر ربطة إلى الضياع
والنهاية ، ومأساة لمعالم دينية تتلاشي يوماً بعد يوم ، ومأساة للإنسان الذي
يشاهد كل يوم جانباً من جوانب حضارته يتحطم وينهار ، وصرخاً من صروح المجد
يتحول إلى خراب ودمار .

والنكبة تبتدىء في تراث الادب الاندلسي والمصري منذ ان اخذت بعض مدائن
الاندلس تسقط في يد الاسبان النصارى ، مثل مدينة يريشتر ، وطليلة ،
وسرقسطة ، وبلنسية . لقد تأثر الشاعر بهذه الاوضاع فتبع بشعره هذه المحن
والنكبات ، مسجلا مراحلها مخلدا شعور الرعية فيها معبرا بالدمع والدم عن تلك
الاحساسات العميقة الصادقة التي كان يشعر بها الانسان تجاه الارض والدين
في تجربة انسانية قل نظيرها في ادبنا العربي .

وواجه الشعراء الاندلسيون هذه النكبات والمحن بروح من الصمود والفضال
والمقاومة ، فنشروا الوعي ونبثوا الحماس في النفوس وكشفوا عن اسباب الهزيمة فتحملوا
مسؤوليتهم في غير ضعف أو تخاذل " ١ " ونظموا القصائد الرائعة في مدح قادة
المرابطين الذين تصدوا لهجمات الممالك النصرانية الأسبانية .

ومن هؤلاء الشعراء ابن الزقاق الذي وصف في بعض قصائده بعض الممارك
التي دارت بين النصارى والمرابطين ، وقد صور فيها هلع الاعداء وخوفهم ، فهم
يخشون قائد المرابطين حتى في المنام ، ثم انهم لرهبتهم من اسنة المسلمين
ورعبهم من سيوفهم غدو يغفرون من لمعان الكواكب وينفرون من الغدران توهما
واشتباها ، ومن ابیات هذه القصيدة .

حتى اذا ما النقع اظلم اجفلوا	خوف الثقافك فيه كالظلمان
فرقوا لطيفك في المنام ففرقوا	بين الكرى المعهود والاجفان
ولقد تروعهم الكواكب هبـة	لما حكين اسنة المـرـان
ولربما عطشوا فحلاهم عن الغدر	اشتباه البيض بالغـدران

١ — الطيرايسی احمد اعراب : الاصوات التضالية والانهزامية في الشعر

الاندلسي ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ —

ابريل — مايو — يونيو ١٩٨١ ، ص ١٣١ —

الى ان يقول :

راياته والنصر معقود بها كلوب اهل الشرك في الخفقان " ١ "

والى جانب اولئك الشعراء المفاضلين المتزمين نجد جماعة اخرى من الانهزاميين ، وهى جماعة أثرت اسلوب الخضوع والخنوع والياس على اسلوب المقاومة والنضال وفضلت العيش في احضان الهزيمة ولم تستطع ان تسمو فوق جروحهم ، لقد انكمش هؤلاء الشعراء على انفسهم ، واخذوا يكون ويشكون ، ويلقون تهمات ما حدث وما يحدث من ملومات وكوارث على الدهر ، حاثين الناس على الفرار والهروب ومن هؤلاء الشعراء ابن المسال . " ٢ "

ومن الموضوعات التي ازدهرت في هذا العهد شعر الطبيعة ، الذى استمد موضوعاته من طبيعة الاندلس والمغرب الفناء . فالاندلس تمتاز بطبيعتها الاخاذة ، ومياه انهارها الخزيرة ، والتفاف غاباتها ، وكثرة حدائقها ، وميائنها المتباينة في جمالها . فالجنوب يمتاز باعتدال الجو وانتشار اشجار اللوز المزهره المزوجه بأزهار الاشجار المختلفة الضاحكه لتفريد الطيور الفرحة ، واذنا سرنا الى الشمال شاهدنا الثلوج المتراكمة على قمم الجبال . كل هذه المناظر الخلابة كان يراها كل انسان عايش على ارض فردوسنا المفقود ولكن بمنظار غير المنظار الذى رآها به شاعر الطبيعة والجمال ابراهيم بن ابي الفتح بن عبد الله خفاجه (٤٥٠ — ٥٣٣ هـ / ١٠٥٨ — ١١٣٧ م) الذى بقي صامتا حتى نطق في هذا العهد . " ٣ "

١ — محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ،

ص ١٠٥ — ١٠٧ .

٢ — الحفيظ بن محمد اعراب : القلا الطابق ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

٣ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٥٧ .

وابن خفاجه من اعيان مدينة شقر ذات الطبيعة الخلابة "١" والتي كان مفتونا بحبها ، والتي كان يرى فيها كل ما يدور في خلجان نفسه المرهفة فاستلهم منها عيون قصائده .

"٢"
لقد كان ناظما مطبوعا يشهد بتقديمه الجميع ، ملكا للتضحية بالبديع ،
فأثنى عليه ابن خاقان "٣" فقال عنه : ((ملك اعلة المحاسن وناهج طريقها ،
الصارف بثرصيعة وتنميقها الناظم لمقودها الراقم لبرودها)) .

ويمتدح ابن خفاجه بحق شاعر الطبيعة الاول في هذا العهد لما امتاز
بشعره من رقة وانيق الفاظ ، وتعبد الاستعارات ، والكنايات ، والتورية ،
والجناس ، وغيرها من المحسنات المعنوية . وقد تفرد بالوصف والتصريف فيه لاسيما
وصف الطبيعة الضاحكة بما تحويه من انهار ومساتين وأزهار ، ورياح ، حتى لقبه
اهل الاندلس بالجنات ، ولقبه الشقندي بصنوبري الاندلس . كيف لا والطبيعة
عنده كل شيء ، فقد شغف بها ومنج روحه وبادلها الشعور والاحساس ،
وتحدث اليها كما يتحدث الى شخص حي . "٤"

ولم يقتصر ابن خفاجه في اشعاره على الطبيعة الصامتة بأشجارها
وأثمارها ، وسماها ، وجبالها ، بل وصف الطبيعة المتحركة كالفرس ، والذئب
ومعش الطيور "٥" .

-
- ١ — ابن دحيه : المطرب من اشعار اهل المغرب ، ص ١١١ .
 - ٢ — ابن سفيد : الصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ — ٣٦٩ .
 - ٣ — قلائد العقيان ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .
 - ٤ — ديوان ابن خفاجه ، ص ٥ .
 - ٥ — جودت الركابي : في الادب الاندلسي ، ص ١٠٥ — ١٠٦ .

واستلح ابن خفاجة بأشعاره التي تمثل بشرومخ الطبيعة ان يكون استاذنا لهذا اللون من الشعر حتى اواخر ملكة غرناطة . " ١ "

ولم تشغل الطبيعة ابن خفاجة عن مدح رجالات الدولة المرابطية امثال :
الامير تميم ، وابراهيم ، وابن الحاج وغيرهم " ٢ " . ومن حسن الحظ ان -
ابن خفاجة خلف لنا ديوان شعر يحوى نماذج ممتازة من اشعاره ومدائحه لامراء
المرابطين .

وكان ابن خفاجة اضافة لنموحه الشعرى عالما من ائمة البلغاء نزه النفس
لا يتكسب بالشعر ، ولا يعتدح رجاء الرغد " ٣ " ، ولم يتصل بأحداث السياسة
وقد سافر خلال حياته الى بلاد العدو الا ان شوقه الى بلاده شده فعاد اليها
حيث عاش حياة هادئة . وفي اخريات ايامه اعترته الوحشة فهكى صباه ، واعتزل
الناس حتى وافته منيته " ٤ " لأربع بقين من شوال في يوم الاحد عام ٥٣٣ هـ .
ومن نماذج شعره :-

يا اهل اندلس لله دركم ماء وظل وانهار وأشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم ولم تخيرت هذا كنت اختار
لا تخشوا بعد ذا تدخلو شعرا فليس تدخل بعد الجنة النار " ٥ "

-
- ١ ج غوست : الشعر الاندلسي ، ص ٥٨ - ٥٩ .
 - ٢ - ابن خفاجة : ديوان ابن خفاجة ، ص ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٦٩ .
 - ٣ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ - ٣٦٩ .
 - ٤ - جودت الركابي : المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .
 - ٥ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٧ .
 - ٦ - ديوان ابن خفاجة ، ص ١١٧ .

ومن الأغراض الشعرية التي ازدهرت في عهد علي بن يوسف أيضا شعر
الحكمة ، وشعر التندر بالمرابطين ، والاراجيز الشعرية التاريخية .

اما شعر الحكمة فيمثلّه خير تمثيل الشاعر عبد الرحمن السهيلي (٥٠٧ هـ -
٥٨١ هـ / ١١١٣ - ١١٨٥ م) ، ومن نماذج شعره في هذا الحقل :

تواضع اذا كنت تبتغي الملا وكنت راسيا عند صفو الغضب
فخض الفئى نفسه رفعة له واعتبر برسوب الذهب " ١ "

ومن اعلام شعر التندر بالمرابطين الشاعر ابو بكر بن محمد بن احمد الانصارى
المشهور بالأبيض (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) الذى كان مولعا بهجاء والى
قرطبه المسمى الزير . " ٢ "

وشارك الشاعر الأبيض في هجاء المرابطين والفقهاء كلا من ابن خفاجه
والشاعر اليكى الذى قال في هجاء المرابطين :-

ان المرابط باخل بنواله لكنه بعياله يتكلم
الوجه منه مخلق لقبيل يأتيه فهو من اجله يتلثم " ٣ "

ونبه ابو طالب عبد الجار من اهل جزيرة شقر ، والذى كان يلقب بالمتنبي
بنظم الارجيز الشعرية التاريخية ، فله ارجوزة في التاريخ تتبع فيها الاحداث من

-
- ١ - ابن الخطيب : الاخاطة ، ج ٣ ، ص ٤٨٠ - ٤٨١ .
 - ٢ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
 - ٣ - احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

البعثة حتى وقته ، واول لرجوزته :-

أبدأ باسم الله الترجيــــــــــــز
ثم بذكر المصطفى محمــــــــــــد
رب الانام المــــــــــــك
صلى عليه الله طول الابد

وقد ختم ارجوزته بذكر دولة المرابطين التي كان يعيش في كنفها . " ١ "

ومن الاغراض الشعرية التي ازدهرت في هذا العهد ايضا ازدهار رثاء
ومدح النساء ذوات السلطان ، ومن الذين اشتهروا بهذا اللون الاعشى التطيلي " ٢ "
الذي مدح الحرة حواء ، ورثى عددا غير قليل من النساء . " ٣ "

كما ازدهرت الاغراض التقليدية في الشعر وهي : الفخر الذي يمثل ابن
سعيد الحنسي (٤٨٣ - ٥٣٩ هـ / ١٠٩٠ - ١١٤٤ م) . أما شاعر
الخمريات والفضل ، والوصف فيمثلته خير تمثيل ابن اخت الشاعر المشهور ابن
خفاجة ، ابو الحسن علي بن عطية بن مطرف بن سلمه المعروف بابن الزقاق ،
المولود في مدينة بلنسية ، والذي توفي سنة ٥٢٨ هـ أو سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٣ أو
١١٣٥ م ، والذي اشتهر بسعة ثقافته ، وقد قام بجمع شعره غرسيه غومث
ونشره بمطريد . " ٤ "

١ - ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٩١٦ ، ٩١٩ - ٩٢٠ ، ٩٤٤ .

٢ - احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

٣ - ديوان الاعشى التطيلي ، ص ف ، ص هـ ، ق .

٤ - ابن سعيد : المغرب في طي المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

ابن دحية : المصدر السابق ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

ابن الابار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٩ - ٢٠ .

حاشية رقم ١ - غومث : شعراء الاندلس والمتنبي ، ص

١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٨١ - ١٨٥ - غومث : الشعر =

أما شعر النسب ، والشعر المعبر عن اللوعة واليأس من الحياة التي يحياها الاديب فيمثلها ابن بقي (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) " ١ " . كما ازدهر شعر الوقائع الحربية ، ويمثل هذا اللون من الشعر عدد من الادباء اشتهرهم ابن ابي الخصال " ٢ " ، وابن الصيرفي " ٣ " ، والفقيه ابو بكر يحيى بن محمد لبن يوسف . " ٤ "

ومن الذين اشتهروا بشعر المديح جعفر بن محمد بن ابي سعيد بن شرف القيرواني (٤٤٤ — ٥٣٤ هـ / ١٠٥٢ — ١١٣٩ م) " ٥ " ، وابو الحسن علي بن مهلهل الجلياني " ٦ " ، وابن السراج (ت ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م) " ٧ " ومحمد بن عيسى المعروف بابن اللبانه (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) " ٨ " ، وأبو اسحق ابراهيم بن عميد الله المعروف بابن النواله " ٩ " ، وابو بكر بن افتتاح الذي اشتهر بمدح علي بن يوسف . وأبو بكر محمد بن رواج الذي كان نديماً

-
- = الاندلسي ص ٥٩ — ٦٠ (توجد نسخة مخطوطة لديوان ابن الرزاق ، محفوظة في مكتبة برلين ، ورقمها في فهرس اهلوارد ٧٦٨١ ، وتوجد اخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق انظر غوث : شعراء الاندلس والمني ، ص ١٦٨ .
- ١ — غوث : الشعر الاندلسي ، ص ٦٠ — ٦٢ .
 - ٢ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .
 - ٣ — مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٢٤ — ١٢٩ .
 - ٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٩٥ .
 - ٥ — ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ١٢٩ — ١٣٠ .
 - ٦ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .
 - ٧ — المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١١٦ — ١١٧ .
 - ٨ — ابن شاعر الكتي : عيون التواريخ ، ورقة ١٥٢ — ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .
 - ٩ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧١ .

لابراهيم بن يوسف "١" ، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المفاصري الذي توفي عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م في مدينة يابره ، وقد اثنى عليه الفتح ابن خاقان ، وراثه ابن ابي الخصال بقصيدة باكية ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي من اهل وادي آش ، والذي امتاز اضافة لنبوغسه في الشعر بثقافة موسوعية في مختلف العلوم المعروفة في عصره . "٢"

وشارك اليهود في الحركة الادبية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، وبرز منهم عدد لا بأس به في مختلف مناحي الحياة العلمية وشكل خاص في الشعر ، ومن اشهر شعرائهم موسى بن عزرا المتوفى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م ، والذي ألف عدة مؤلفات بالعربية اشهرها كتاب " المجاز والذاكرة " ، وهو رسالة في فن الكتابة وتاريخ الشعراء اليهود من اهل الاندلس وآثارهم ، ويضم اطرافا من الشعر العربي . وقد ضاع الاصل العربي لهذا الكتاب ، ولم يبق الا ترجمته العبرية ، وله كتاب آخر قيم هو ((الحديقة في معني المجاز والحقيقة)) ، ولم يبق منه الا فقرات من ترجمته العبرية المعروف باسم ((أرحاب هابوشم)) ، وهو كتاب يغلب عليه الطابع الفلسفي ، ويحوى طائفة من الامثال والحكم . "٣"

فن الزجل والتوشيح :-

=====

ومن معالم النهضة الادبية في عهد علي بن يوسف والدولة المرابطية ككل ازدهار فن الزجل والتوشيح . اما الزجل فقد فرض وجوده في ميادين الشعر في

-
- ١ - المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٦ ، ٣٨٦ .
 - ٢ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧ - ج ٣ ، ص ٥٢٥ - ٥٢٧ .
 - ٣ - بالنيش : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

هذا العهد ، الا ان الدارسين على خلاف حول تقييم هذا الفن . فالبعض وعلى رأسهم المستشرق الاسباني جارثيا غوث . يرون في الزجل مظهرًا من مظاهر هبوط الذوق هبوطًا بالغا ، ويرى بعض الباحثين ان الزجل مظهر من مظاهر ازدهار الادب ، لان الزجال كان يملك ناعية العربية الفصحى والعامية^١ .

ولعل جارثيا غوث في حكمه السابق على الازجال كان متأثرًا بما قرأه في مخطوط المكتبة الاهلية بمدرية ، والمكتوب على رق الغزال عام ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م ، اى قبل ان يقفز الزجل في الاندلس قفزته الكبرى على يد ابـن قزمان بنحو قرن كامل من الزمان ، والمخطوط المشار اليه هو جمع نواميس الكنيسة والقانون القدس ، وقد جاء فيه (لا يجوز للقلارقين "٢" ان يخضروا الملاهي والزجل في العرائس ، والمشارب ، بل يجب عليهم الانقلاب قبل دخول تلك الاطراب والازجال والتنحي عنهم) ("٣")

كما ان كتب التراجم العربية اعرضت عن ايراد تراجم للزجالين "٤" ، ولعلها ايضا اعتبرت هذا اللون انحرافًا وانحطاطًا في الادب لاستخدامه العامية لـغة له .

ومصرف النظر عن القيمة الادبية للزجل فله في نظر المؤرخ قيمة لا تباريها قيمة لانه يعتبر المرآة الصادقة للاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية

١ — عباس الجراري : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ، ج ١ ،

ص ٩٨ — ٩٩ .

٢ — لم اعثر على وصف للمقصود .

٣ — عبد العزيز الـهواني : الزجل في الاندلس ، ص ٥٩ .

٤ — الموجه اليها في النص . ج ١ ، ص ٩٩ .

فالزجال يستمد أزجاله من أحداث الحياة اليومية ، والشعور العام للرعية ، ويعبر عن معاناة الناس بكل حرية لانه يطلق لنفسه المنان غير أنه بمراقبة احد ، ويؤكد المستشرق خوليان ريبيرا على ان الأزجال ما هي الا اغاني اوقصائد نظمت لتغني بصوت مرتفع امام العامة ، في حين يرى المستشرق نيكل ان الأزجال لم تكتب للعامة وانما للخاصة في اجتماعاتهم ومسامراتهم ، " ١ "

على أي حال يعتبر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى المكنى بأبي بكر بن قزمان (٤٨٠ — ٥٥٥ هـ / ١٠٨٧ — ١١٦٠ م) " ٢ " رائدا لهذا اللون من الفن ، ففلى يديه وصل الى قمة الازدهار وارتبط الزجل باسمه . وكان ابن قزمان قبل ذلك مشغولا بالنظم المعرب فلما وجد انه لا يستطيع ان ينافس اعلام الشعراء مثل ابن خفاجة وغيره اتجه الى الزجل فصار اطلما فيه . " ٣ "

وكان ابن قزمان ينتسب الى عائلة شريفة ، وخبيرا بشعراء العرب امثال : أبي تمام ، والمتنبي وغيرهم ، ويعرف بالفلسفة ، والفقه والبلاغة . " ٤ "

واهمية ازجال ابن قزمان في تاريخ دولة المرابطين تعود الى انه يمكن وجهة نظر العامة حين يعلق على الاحداث السياسية والاجتماعية والمسكوية ، فنجده يتحدث عن انتصار الزلافة ، وعن موقعة افراغة ، ونجد الخطبة تنمونه لاختيار

-
- ١ — غومك : شعراء الاندلس ، ص ٢٠٣ — ٢٠٥ ، ٢٠٨ — ٢٠٩
 - ٢ — احسان عباس : المرجح السابق ، ص ٢٦٧ — ٢٦٩ .
 - ٣ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٠ — ١٠١ .
 - ٤ — غومك : شعراء الاندلس ، ص ١٩٧ — ١٩٨ .

احد اصدقائه لمنصب قاضي الجماعة كما قام بمدح الاسرار القرطبية الكبيرة مثل اسرة
بنى زهر وبنى حمدين ، وبنى رشد وغيرهم . وتعليقاته على الاحداث التاريخية
تعليقات صادقة وعفوية ، وتمتبرلونا من الصحافة الشعرية المفهومة لعامة اهل
الاندلس " ١ " الذين كانوا يتذوقونه ويشعرون بروحه لأنهم يستطيعون استيعابه
بسهولة . " ٢ "

وكان لهذا الزجال ديوانان احدهما صغير سماه ((اصابة الاغراض في
وصف الاعراض)) وهو الذي وصل الينا ، والثاني ديوان كبير . وقد نسخ
الديوان الاول في مدينة صند الفلسطينية في منتصف القرن السادس الهجري /
الثاني عشر الميلادي ، واعتني بنشره عدد من المستشرقين . " ٣ "

اما فن التوشيح فيعتبر مظهرا من مظاهر الترف الفني " ٤ " ، وثورة على
طبيعة القصيدة ، وهو حركة تطور وتجديد وعوده الى الغنائية ، أو هو محصله

-
- ١ — المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .
 - ٢ — مصطفى الشكعة : الادب الاندلسي ، ٤٤٧ — ٤٤٩ .
 - ٣ — نشره دافيد جنزبرج سنة ١٨٩٦ م ، ثم نشره المستشرق التشيكوي
نكل باللاتينية ، ثم اعاد نشره ج . س . كولان بحروف لاتينية ايضا ، ثم
قام بنشره المستشرق الاسباني غومث انظر : احسان عباس : المرجع
للسابق ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .
 - ٤ — عبد البصير عبد الله حسين : رأى في القاب الموشحه ونشأة فن التوشيح ،
مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، مكة المكرمة ، السنة الاولى ،
ج ١ ١٣٩٣ هـ / ١٣٩٤ هـ ، ص ٢٨٥ — ٢٨٨ ، ٢٩٦ وعن
اجزاء الموشح وخصائصه واجزائه ولغته واسلوبه انظر : محمد مجيد
السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٣٩٥ — ٤٢٢ .

للتعرف الحضارى ينطوى على كل مقومات السطحية الجذابة . " ١ "

وأهم موضوع في الموشحات هو المديح اولا ، والفزل والمجون ثانيا " ٢ " .
ويروى جودت الركابي " ٣ " ان هناك تشابها بين اغراض الموشحات واغراض الشعر
القديم الذى كان ينشده شعراء جنوبي فرنسا المعروفون بشعراء التروبادور
(Troubadours) ، الذين كانوا ينشدونه في القرن السادس
الهجرى / الثاني عشر الميلادى ، الا ان العلاقة بين الفنين ما زالت موضع الجدل
الملحي .

لقد ازدهر هذا الفن على يد وشاحين كبار تألقوا في عهد علي بن يوسف
امثال ابن اللبانة ، والأعشى التطيلي ، وابن بقي ، وابن باجه ، وابن
الصيرفي " ٤ " . على ان اشهر هؤلاء الوشاحين على الاطلاق هو ابو جعفر
احمد بن عبد الله بن هريرة القيسى الأعشى التطيلي الذى توفي في رمان شهابه
عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، وقد اثنى عليه ابن بسام في ذخيرته " ٥ " ، ويروى
عنه أنه عندما افتتح موشحه بقوله :-

ضاحك عن جمان سافر عن بسدر

ضاق عنه الزمان وحواه صدرى

خرق الوشاحون موشحاتهم ، وصار توشيحهم مثالا سائرا في الناس . وقد وصفت

-
- ١ - احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٩ .
 - ٢ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .
 - ٣ - في الادب الاندلسي ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ - اثر الحرب والاسلام في
النهضة الاوروبية ، ص ٣٦ - ٦٦ .
 - ٤ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
 - ٥ - ق ٢ ، ص ٧٢٨ - مصطفى الشكعة : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣

بعض موشحاته بأنها مذهبه " ١ " .

ويذكر أنه كان لأبي بكر بن بقي ثلاثة آلاف موشح " ٢ " . ولشهرة هذا
الفن ألف علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعيد الخير البُلنسي (ت ٢٥٥ هـ /
١١٣٠ م) كتاباً سماه ((مشاهير الوشاحين في الأندلس)) أو ((تزهية
الأنفس ورقة التأنس في توشيح أهل الأندلس)) وهم عشرون " ٣ " .

ووفدت مجموعة من الوشاحين إلى المغرب وساعدوا على تعريف المقاريبه
بهذا الفن الجديد ، ومن الذين أسهموا في هذا التعريف ابن باجه ، وابن
اللبانه " ٤ " .

ومن الذين نظموا موشحات في مدح بعض أمراء المرابطين ، وبعض القضاة ،
الأعمى التطيلي " ٥ " ، وابن بقي (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) ، وابن باجه
الذي نظم موشحه في مدح ابن تيفلويت والي علي بن يوسف على سرقسطه .

أما ما يمتاز به الموشح فهو اعتماده على أكثر من وزن وأكثر من قافيه ،
كما يعتمد الوشاح على ضرب من التوزيع المروضي هو اقرب إلى التوزيع الموسيقي .

-
- ١ - ديوان الأعمى التطيلي ، ص ش .
 - ٢ - احسان عباس : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .
 - ٣ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٧ - ٢١٩ .
 - ٤ - الجراي : الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ، ج ١ ، ص ٩٨ - ٩٩ .
 - ٥ - عن الأعمى التطيلي انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥١ - ٤٥٦ - ديوان الأعمى ، ص أ - ب .

وَألف أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال عدة مؤلفات منها : كتاب " طل الغمامة " ١ ، وكتاب " طوق الحمامة في مناقب من خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضي الله عنهم بالكرامة واحظهم بشهادته الصادقة دار المقامه " ، وكتاب منهاج الحسب الثاقب في نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انتظم به من مناقب صحابته الأبرار . ٢

وكان ابن أبي الخصال من أكثر الكتاب ملازمه لأمير المسلمين علي بن يوسف ، لسعة ثقافته ، واجادته لفن الكتابه ٣ . وروى عنه الناس سيرة الرسول عليه السلام لابن اسحاق ، والشمايل للترمذي ، وعرف بروايته للحديث حتى حدث عنه خمسون شيخاً ٤ . وله ديوان رسائل اتخذ مثالا يحتذى من قبل ادباء ذلك العصر . ٥

قد اثنى عليه كثير من اعلام عصره واصفين اياه بما يتمتع به من سعة علم ورصانة اسلوب وانتقاء كلمات ، وطريف عبار ٦ . وقال عنه الفتح بن خاقان . ٦

١ — توجد نسخة منه في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ١٠٩٠٤ / ١ .

٢ — ابن دحية : المصدر السابق ، ص ١٨٢ — ١٨٨ .

٣ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

٤ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٣٦٠ ، حاشية رقم ١ .

٥ — المراكشي : المعجب ، ص ٢٤٠ .

٦ — ابن الخطيب : الاطاسة ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ .

٧ — قلائد العقيان ، ص ١٦٩ — ٢٠٠ — ابن الخطيب : الاطاسة ،

ج ٢ ، ص ٣٨٩ — ٣٩٠ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ،

ص ٦٦ — ٦٧ . وكان ابن أبي الخصال قد عزل من منصبه بعدما كتب

رسالته المشهورة والتي نال فيها من كرامة المرابطيين عندما طلب منه علي بن

يوسف ان يكتب رسالة الى جند بلنسية حين توالفوا حتي هزمهم ابن رزميسر =

بأنه حامل لواء النباهه .

أما ابو مروان بن ابي الخصال (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) شقيق
عبد الله فكان ايضا من الكتاب المقربين الى امير المسلمين علي بن يوسف ، وقد اثنى
عليه العماد الاصفهاني ، واورد نماذجا من رسائله التي كتبها عن امير المسلمين
علي . " ١ "

ومن الكتاب الذين خدموا في بلاط علي بن يوسف ايضا ابو محمد عبد الغفور
(ت ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م) " ٢ " . الا ان الفتح بن خاقان ذمه وقال فيه :
((كنت نويت الا اثبت له ذكرا ولا اعمل فيه فكرا وادعه مطروحا)) " ٣ "

ومنهم ايضا ابو جعفر احمد بن جعفر بن علي القضاي المراكشي الذي

= هزيمة نكراء ، والرسالة تكشف عن مشاعر حقد وحنق ابن ابي الخصال واهل
الاندلس بشكل عام على المرابطين ، ولعلمه وجدها فرصة مناسبة للتنفيس عما
يتمثل في نفسه من مرارة الفشل الذي مني به هو وصديقه ابن الحاج عندما
فشلا في ثورتهم ضد امير المسلمين علي بن يوسف في بداية حكمه = انظر
ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٨٠ — حسين مؤنس :
نصوص سياسية عن فترة الانتقال عن المرابطين الى التوحدين ، مجلة المعهد
المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ١ ، ج ٣ ، ١٩٥٥ ،
ص ١١٥ ، المراكشي : المصدر السابق ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ —
ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، ص ٤١٥ — ٤١٦ — ابن
الابرار : المعجم ، ص ١٤٤ — ١٤٧ — انظر الباب الاول من
الرسالة — ثورة ابن الحاج .

- ١ — خريدة القصر ، ج ٤ ، ص ٦٤٣ — ٦٤٦ .
- ٢ — ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ١ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ .
- ٣ — قلائد العقيان ، ص ١٨٢ — ١٨٣ .

كتب لامير المسلمين في اواخر ايامه . كما كان ابو بكر محمد بن سليمان بن القصيره
من الذين تضلعوا في الكتابة ، وذكر له ابن بسام رسالة طويلة تحدث فيها عن
موقعة الزلاقة " ١ " ، كما نقل له ابن بسام ، وابن خاقان جملة من آثاره الادبية
" ٢ "

ومن مشاهير الكتاب في هذا العصر ايضا محمد بن عبد الله بن الجند الفهري
الذي استدعاه علي بن يوسف لتولي الكتابة في ديوان رسائله ، ويبدو انه بقي في
هذا المنصب حتى وافته منيته عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م " ٣ " . وقد نقل عنه
ابن خاقان " ٤ " مجموعة من رسائله كتب بها عن امير المسلمين علي بن يوسف ، والتي
تلقي ضوءا على تاريخ الاندلس في عهد دولة المرابطين . ومن هذه الرسائل رسالة
موجهة الى اهل غرناطة تنعى عليهم اختلافهم وتنازعهم ومشاغبتهم على واليهم ،
ويأمرهم فيها امير المسلمين بالانقياد له والطاعة ، وهي مؤرخة في يوم الجمعة

-
- ١ - ابن البار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٩٤ - ابن الخطيب :
 - الاحاطة ، ج ١ ، ص ٢٦٣ ، ٣٧١ - المراكشي : المعجب ، ص
٢٦٧ .
 - ٢ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، ص ٥١٧ ، ٥٢١ - المراكشي :
 - المصدر السابق ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - ابن عذاري : البيان
المغرب ، ج ٤ ، ص ٦٠ - ابن خاقان : المصدر السابق ، ص
٥ ، ١١٧ - ١١٨ - ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢ ، ج ١
ص ٢٣٩ - ٢٤١ .
 - امثلة من نشره انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص
٣٥٠ - ٣٥١ .
 - ٣ - ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ - محمود علي
مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد
الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ٧ - ٨ ، ١٩٥٩ - ١٩٦٠ م .
 - ص ١١٦ .
 - ٤ - قلائد العقيان ، ص ١٢٨ .

١٩ رمضان عام ٥٠٧ هـ • وهناك رسالة اخرى تتعلق بتولية يحيى بن ابي بكر المعروف بابن الصحرأويه على سبته وفاس ، ورسالة ثالثة الى القائد عبد الله بن فاطمه عامله على مدينة اشبيلية • "١"

ومنهم ايضا ابو نصر الفتح بن عبد الله بن خاقان الذى قال عنه العماد الاصفهاني "٢" ((كأنما يعرف من بحر زاخر الا انه كان يضع نفسه بشدة تبذله وكثرة تنقله ، وغضه من ذوى الرتب ، واساءة الادب على الادب ••• وهو متوسع في الشرق قليل البضاعة في النظم •••)) ، ومن مؤلفاته بداية المحاسن وغاية النحاسن وقلائد العقيان ، ومطمح الانفس • "٣"

وقد تعرض الفتح بن خاقان في كتاب " قلائد العقيان ومحاسن الاعيان " لمحاسن الرؤساء وابنائهم مع ذكر من استعذب اقوالهم • اما " مطمح الانفس ومسرح التأني " فذكر فيه اعيان الاندلس ، ومن اشتهر بالكرم والظرف ، وكان الفتح بن خاقان في مؤلفاته تلك يمدح ويدم على ضوء الحطاء المقدم اليه ، وهذا ما فعله مع ابن باجه فقد مدحه ثم ذمه • "٤"

كما الف محمد بن يوسف بن عبد الله ابو طاهر السرقسطي (ت جمادى الاولى عام ٥٣٨ هـ) عدة مؤلفات قيمة منها : المقامات اللزومية التي تسمى ايضا

١ - محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، مج ٧ - ٨ ، ص ١١٦ •

٢ - خريدة القصر ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٦١٠ •

٣ - حسن ابراهيم حسن في تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٥١٣ •

٤ - احمد امين : ظهرا الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٤ •

المقامات التميمية السرقسطية نسبة الى مؤلفها ، وهى خمسون مقامة عارض فيها
الحريرى في مقاماته ، وقد بناها على لزوم ما لا يلزم ، واهتم فيها بالسجع
اهتمامه باللغة " ١ " ، ومن مؤلفاته ايضا المسلسل في غريب اللغة ، وهو
كتاب يحتوى على خمسين بابا ليس لها عناوين خاصة . وقد تعدد السرقسطي ان يفتح
كل باب ويختتمه بشاهد شعري يأخذ من الشاهد الاول الكلمة التي يجعلها اساسا
للتسلسل ، ويكون الشاهد الاخير استشهدا على معنى الكلمة الاخيرة في الباب " ٢ " .

ومن الكتاب المشهورين الذين لازوا الامير ابراهيم بن يوسف ، ابو عامر بن
عقيد من جهات مرسية " ٣ " ، ومحمد بن محمد بن الهباريه البغدادي المتوفى
عام ٥٥٤ هـ / ١١٠٠ م ، والذي ألف منظومة على اسلوب كليله ود منه " ٤ " .

ومن ادباء اليهود المعاصرين ابراهيم بن هزرا بن ميمر الذي يسمى في
الكتابات العربية بأبي اسحاق ابراهيم (٤٨٤ - ٥٦٢ هـ / ١٠٩٢ - ١١٦٧ م)
وكان من المجيدين لاساليب الترتيل العربية " ٥ " .

-
- ١ - رضا عبد الجليل الطيار : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٠ - ابن
الآبار : المعجم ، ص ١٤٠ - ١٤١ .
 - ٢ - السرقسطي : المسلسل في غريب اللغة ، ص ٥ - رضا عبد الجليل
الطيار : المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٦ -
عبد الملي الودغيرى : المعجم العربي
في الاندلس ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ ،
ابريل ، مايو ، يونيو ١٩٨١ م ، ص ١١٧ .
 - ٣ - ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .
 - ٤ - ما زالت مخطوطة في الخزانة الملكية في الرباط تحت رقم ٢٠٥٤ .
 - ٥ - بالنيثا : المرجع السابق ، ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

وقد امتاز النثر في عهد علي بن يوسف بأنه يغلب على بعضه الصناعة والتكلف لابرار براعة الكاتب الفنيه ، ويمثل ذلك بشكل جلي في مؤلفات الفتح بن خاقان خير تمثيل .

أما بالنسبة للرسائل الصادرة من ديوان رسائل امير المسلمين علي بن يوسف فأسلوبها موجز مركز ، ومسجوع ، وقصير الفقرات يأخذ من المحسنات اللفظية بقدر ، ومعيد عن التعميد والتكلف ، باستثناء بعض الرسائل التي كتبها الفتح بن خاقان والتي كان يطلب عليها طابع التكلف . ولعل أفضل الكتاب في هذا العهد من الذين ساروا على منهج اهل المشرق ابن القصيره .

=====

١ — محمود علي مكي : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطيين ، ص

١٢٠ — ١٢١ .

النحو :-

=====

وممن برز في النحو في هذا العصر عبد الله بن محمد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ / ١١٢٢ م) الذي قام بشرح جمل الزجاجي في كتاب الحل في شرح أبيات الجمل ، وألف أيضاً عدة مؤلفات أخرى أهمها : كتاب " المثلث " في مجلدين وهو دليل دامغ على سعة اطلاعه ، وكتاب " الاقتضاب في شرح ادب الكتاب " ، وكتاب " شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري " ، شرحاً استوفى فيه المقاصد وله كتاب في الحروف الخمسة وهي (السين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والذال) جمع فيه كل غريب . وله كتاب " الخلل في اغاليط الجمل " . " ١ "

وألف أبو الحسن بن الطراوة المالقي المتوفى عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م عدة مصنفات أهمها : كتاب المقدمات على كتاب سيويه ، وكتاب الترشيع في النحو ، ومقالة في الاسم والمسمى " ٢ " . ولطول باعه في النحو والادب لقب بالاستاذ ، وهو لقب رفيع في المغرب ، فضلاً عن ذلك فقد كان يعتبر من الشعراء المجيدين " ٣ " ، وقد مدح أمير المسلمين علي بن يوسف ببعض قصائده .

-
- ١ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٦ ، ٩٨ - الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ١٦١ - ١٦٢ - وله مؤلفات أخرى في غير النحو منها :
التنبيه على الاسباب الموجبة لاختلاف الالام ، وكتاب شرح الموطأ ، وشرح ديوان المتنبي .
 - ٢ - الحماد الاصفهاني : المصدر السابق ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٦٥٦ ، حاشية رقم ١ .
 - ٣ - المصدر السابق نفسه ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٦٥٦ - ٦٥٧ .
 - ٤ - ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .

ومن النحويين الذين اشتهروا في هذا العهد ايضا محمد بن حكم بن

باقي الجذامي ، واحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب بن زاهر

الباجي الاندلسي " ١ " .

=====

١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

الدراسات الانسانية :-

=====

— الجغرافيا : —

=====

لقد نهضت العلوم الجغرافية نهضة عظيمة في عهد علي بن يوسف ،
وبرزت مجموعة من العلماء دفعت عجلة هذه العلوم دفعات كبيرة الى الامام عند ما
اعتمدوا على الرحلة والمشاهدة العينية ، والتحقق من كل مسألة قبل الاخذ بها .

ولم ييخل العلماء المسلمون بنتائج ابحاثهم القيمة حتى على اعدائهم ،
ولعل خير مثال على ذلك ما قدمه اشهر جغرافي القرن السادس الهجري / الثاني
عشر الميلادي ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الادريسي السبتي —
٤٩٤ — ٥٦٢ هـ / ١١٠٠ — ١١٦٦ م لملك صقلية ، فبعد ان تلقى هذا العالم
العالم علومه الاولى في مدينة قرطبه ، بدأ رحلاته العلمية وهو ما يزال يافعا لم
يتجاوز عمره السادسة عشر ، فزار مناطق لم تكن مألوقة في ذلك العصر ، وعرف
جغرافية اسبانيا والمغرب معرفة جيدة ، وزار لشبونه ، وسواحل فرنسا
وانجلترا ، واسيا الصغرى .

وفي عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م قصد صقلية والتحق ببلاط روجر الثاني
ببالرمو ، وقد رغب روجر من الادريسي ان يرسم له خريطة للماليم يبين فيها مواقع
البلدان والبحار والانهار والجمال الى غير ذلك فرسمها له ، ثم رغب منه ثانيا
ان تحفر هذه الخريطة على لوح من الفضة ، فأحضر روجر الصانع المهره الذين
اتقنوا هذا العمل تحت رعاية الادريسي ورقابته ، وبعد ان جعل الملك مقدار
٤٠٠ ألف درهم من الفضة تحت تصرف الادريسي لهذا الغرض .

ونقش الادريسي على لوح الفضة الذي كان يزن ١٤٠ كيلو كل ما عرفه من البلدان المختلفة بأحرف عربية . " ١ "

وكشرح للخريطين وتعليق عليهما ألف الادريسي كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الذي اتمى في تأليفه خمسة عشر عاما وفتح منه عام ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م " ٢ " . والكتاب وصف للارض اعتمد فيه على مشاهداته الخاصة ، وعلى تقارير بعض من اوفدهم روجر الثاني الى شتى البقاع في صحبة رسامين . وفي كتابه هذا يقسم العالم الى سبعة اقاليم مناخية ثم يقسم كلا منها الى عشرة اقسام من المغرب الى المشرق ، ويلحق بكل قسم منها خريطة بالاضافة الى الخريطة العامة " ٣ " . وعند كلامه على كل قسم منها يحدد موبين موقعه ويحكم عن مدنه وجباله وبحاره ، وانهاره ، وعن كل ما يحويه من ماء وياسى ، وما ينبت فيه من نبات الى غير ذلك . وما يذكر للادريسي بالاعجاب انه حاول اثبات درجات العرض وتحديد لها بعد قياسات صحيحة مطابقة للواقع . اما خطوط الطول فقد اهتمها عن قصد لشكه في القياسات التي وصلت اليه .

-
- ١ — محمد المنوني : العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين ، ص ٢٨ — ٢٩ — ويذكر المستشرق كراتشكوفسكى (تاريخ الادب الجغرافي ، ج ١ ، ص ٢٨٠) ان الادريسي توفي في وطنه عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م .
 - ٢ — محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٢٨ — ٢٩ — ابراهيم حرکات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٩ .
 - ٣ — محمد شفيق غريال : الموسوعة العربية الميسرة ، ص ٩٩ — محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٢٩ — ٨٠ .

وخرائطه الادريسي تمثل القسم المعمور وهو القسم الشمالي من الكرة الارضية
مضافا اليه جزء بسيط من القسم الجنوبي الى درجة ١٦ جنوب خط الاستواء .
وهذا الجزء الجنوبي هو الذي تقع فيه منابع النيل حيث بين عليه منابع النيل
بشكل واضح في موقع يقارب موقع بحيرتي فكتوريا والهرت . " ١ "

ومن هذه الخرائط وضع احد المستشرقين الألمان خريطة كاملة اخرجها
ملونة باللاتينية سنة ١٩٣١ م ، ثم اخرج المجتمع العلمي العراقي هذه الخريطة
بالحرية سنة ١٩٥١ م . " ٢ "

على اي حال تعتبر الخريطة الادريسية اقدم خريطة عالمية يعرفها التاريخ ،
وقد امتازت مع شرحها بالمميزات التالية : ان الادريسي تجنب فيها ذكر الخرافات
التي كانت شائعة في العصر الوسيط ، والتي تورط في ذكرها غيره من المؤلفين ،
كما انفردت بأنها الخريطة الوحيدة التي تعطينا صورة صحيحة عن البلاد الواقعة
حول بحر قزوين في مدة من الزمن تبلغ نحو قرن . " ٣ "

ومن مؤلفات الادريسي ايضا ((روض الانس ونزهة النفس)) الذي ألفه
الادريسي لولد روجر غليوم الاول (٥٤٩ - ٥٦٢ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٦ م) .

-
- ١ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٧ - ٢٤٩ -
محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٨٠ .
 - ٢ - ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .
 - ٣ - محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

وتوجد شذرات من هذا المؤلف في كتاب تقويم البلدان لابي الفدا "١" . وله كتاب آخر اسمه " انس المهج ورض الفرج " وهو مختصر لروض الانس ، وهو لا يزال مخطوطا في مكتبة حكيم اوغلو علي باشا باستانبول تحت رقم ٦٨٨ . "٢"

وفي هذا العهد الذي كان فيه علماء الدولة المرابطية خاصة يؤكدون على ان الارض كروية "٣" ، كانت الكنيسة الاوروبية تحرق وتقتل كل من يسعى للسير على المنهج العلمي . وما انعتق الاوروبيون من دياجر جهلهم الا بعد اتصالهم بالعالم الاسلامي ودراستهم في جامعاته . لذا وجدنا علماء اوربا يهتمون اهتماما فائقا بالمؤلفات العربية ، فحاولوا جمع اكبر قدر ممكن منها ، واخضعوها للنقد والتحليل والدراسة . وقد تلقفوا كتب الادريسي ، خاصة كتاب نزهة المشتاق الذي يقول عنه المستشرق اماري ()) انه افضل رسالة وصلتنا عن العصور الوسطى سواء من الشرق أو الغرب)) (. ومن اعتنى بمؤلفات الادريسي ايضا دى سلان ، وميلر ، وهارتمان ، ودوزي ، ودي خويه وغيرهم "٤" ، ويعتبره ميلر صاحب مدرسة جغرافية خاصة هي المدرسة العربية النورماندية . "٥"

-
- ١ - ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٩٣ (في هذه الصفحات فيها اقتباسات من الادريسي) - كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .
 - ٢ - محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٨٧ - ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .
 - ٣ - فيليب حتى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٢٢ .
 - ٤ - كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ - محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ٨١ - ٨٣ .
 - ٥ - احمد علي الصلا : اثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبية ص ١٧٣ - لمزيد من التفاصيل عن الادريسي ومعاصره انظر : حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ٩ - ١٠ ، ١٩٦١ - ١٩٦٢ م ، ص ٢٥٧ - ٣٧٢ .

- التاريخ والانساب :-

=====

اما بالنسبة للدراسات التاريخية فلاسف الشديد لم يصلنا منها الا النذر اليسير . ويتضح من خلال تأمل بعض الكتب التي ألقت في فترة متأخرة عن الدولة المرابطية ان الاقتباسات تكثرت فيها من مؤلفات ألفها عدد كبير من المؤرخين في العصر المرابطي . ولحل اشهر هؤلاء المؤرخين في عهد علي بن يوسف المؤرخ الغرناطي ابن الصيرفي المتوفى عام ٥٥٧ هـ / ١١٦١ م ، والذي يعتبر من مشاهير علماء - غرناطة في النصف الاول من القرن السادس الهجري . وقد ألف ابن الصيرفي كتابا في تاريخ الدولة المرابطية سماه (الانوار الجلية في اخبار الدولة المرابطية) الذي يقتبس منه ابن الخطيب كثيرا " ١ " وكان ابن الصيرفي اضافة لاهتمامه بالكتابة التاريخية شاعرا ووشاحا مشهورا ، قائما على خدمة امراء المرابطين " ٢ " .

ومن المؤرخين الذين ظهروا في هذه الفترة عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الانصاري ، الذي ولد في مدينة بلنسية ، ونشأ في مدينة المرية . ومن اشهر مؤلفاته ((مختصر السيره)) و ((المغازي من سيرة ابن اسحق)) وقد توفى هذا العالم الكبير في مدينة مراكش عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٨ م . " ٣ " .

-
- ١ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، حاشية رقم ١ .
 - ٢ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، وانظر الحاشية .
 - ٣ - ابن القاضي : جفوة الاقتباس ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

وألف مالك بن وهيب أحد علماء المغرب المشهورين لعلي بن يوسف كتابا سماه " قراضة الذهب في ذكرايام العرب في الجاهلية والاسلام " وضم الى ذلك ما يتعلق به من الاداب فجاء الكتاب فريدا في فنه " ١ " . كما ألف ابو عمرو حمزة بن علي الفرناطي كتابا في تاريخ الفتنة التي انقضت بها دولة المرابطين . " ٢ "

واشتهر ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المولود في قرطبه عام ٤٩٤ هـ / ١١٠١ م بالثقافة الموسوعية . ويذكر انه ألف نحو من خمسين مؤلفا من بينها كتابا في التاريخ الا انه لم يبق من كتبه الا كتاب " الصلة في تاريخ ائمة الاندلس " ، والذي يعتبر مؤشرا على ثقافته الموسوعية " ٣ " . وقد انتهى من تأليف كتابه المذكور في عام ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م ، وقد توفي في مدينة قرطبه عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م " ٤ " . وألف المؤرخ عبد الجبار بن عبد الله بن احمد بن اصبح (٤٥٠ - ٥١٦ هـ / ١٠٥٨ - ١١٢٢ م) كتابا سماه " عيون الامامه ونواظر السياسة " . " ٥ "

-
- ١ - حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .
 - ٢ - ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
 - ٣ - احمد امين : شهر الاسلام ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ .
 - ٤ - فيليب حتي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٧٣ - وهناك من يذكرون له من المؤلفات نحو الخمسين منها : التاريخ الصغير في احوال الاندلس انظر حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مج ١١ - ١٢ ، ١٩٦٣ - ١٩٦٤) ، ص ٩ - ١٠ .
 - ٥ - ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٣٦١ .

كما تقدم علم الانساب في هذا العهد فتذكر لنا كتب التراجم اسما
نسابين الفوائد في هذا المجال منهم : عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي
الرشاطي الذي ألف كتابا سماه " اقتباس الانوار والتماس الازهار في انساب
الصحابة ورواة الآثار " ، وهو كتاب غريب في فنه ، كثير الفوائد جامع كما وصفه
ابن بشكوال . وتوفي هذا العالم في عام ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م . وكان مولده
عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م " ١ " ، ومن كان له ايضا اشتغال بعلم الانساب
محمد بن سليمان بن مروان بن يحيى القيسي المعروف بالبونسي (ت ٥٣٦ هـ /
١١٤١ م) " ٢ "

١ — المصدر السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٨٥ — ٢٨٦ (ويذكر
الحميدى : بغية المتمس ، ص ٣٣٦) انه ولد عام ٤٦٦ هـ ،
وتوفي عام ٥٤٢ هـ .

٢ — ابن الأبار : المعجم ، ص ١٢٥ .

— الفلسفة : —

=====

ومن بين العلوم التي اتيح لها الازدهار في هذا العهد العلوم الفلسفية التي اهتمت بها فئة خاصة من العلماء ، فاستهل هذا العهد بظهور ابن باجه التجيبي المعروف بابن الصائغ المتوفى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٠ م في مدينة فاس . " ١ "

ويعتبر ابن باجه من اكبر شراح فلسفة ارسطو " ٢ " وقد طارت شهرة هذا الفيلسوف الى ارجاء اوروبا فعرفوه باسم (Avenpace) " ٣ " .

وأخذ الامير المرابطي ابو بكر بن ابراهيم حاكم سرقسطة يشجع ابن باجه الذي انكب على دراسة الكتب الفلسفية الشرقية التي كانت ذائعة في المغرب منذ فترة طويلة فعرف ابن باجه كيف ينتفع بها ولذلك يعتبر اول من استطاع استغلال الفلسفة الشرقية . " ٤ "

ومن اشهر مؤلفات ابن باجه : كتاب في الاخلاق سماه " تدبير المتوحد " ، وقد حفظ لنا مختصرا بالعبرية " ٥ " ، وكتاب " النفس " ،

-
- ١ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢٩ — ٤٣١ .
 - ٢ — عبد المنعم ماجد : العلاقات ما بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٢٥١ .
 - ٣ — حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٣٦ — ٤٣٧ .
 - ٤ — ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، ج ٢ ، ص ١١٩ — ج ٠ دى بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٤٢ — محي الدين عزوز — التطور المذهبي بالمغرب ، ص ١٦ — ١٧ .
 - ٥ — فيليب حتى : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩٠ ، ٧١٠ — ٧١١ +

وكتاب " شرح كتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس " ، وكتاب " قول على بعض
كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس " ، و" قول على بعض المقالات الاخيرة من
كتاب الحيوان لارسطوطاليس " ، وكتاب " التشوق الطبيعي وماهيته " ١ .
وله رسالة تسمى الوداع ، وقد ترجمت الى العبرية في القرن الثامن الهجرى /
الرابع عشر الميلادى ، وتسمى هذه الرسالة برسالة الوداع لان المؤلف كان على
وشك سفر طويل ، فكتبها لصديق من اصدقائه ليتركه له آراءه اذا قدر لهما الا
يلتقيان ، ومن كتب ابن باجه التي لم يتمها كتاب في المنطق ، وهو مخطوط
في مكتبة الاسكوريال " ٢ .

ومن فلاسفة عهد علي بن يوسف ايضا مالك بن وهيب الذى كان وزيرا له " ٣
والذى اخذ بخط وافر من علم الفلسفة ، فدرس كتاب الثمرة في الاحكام لبطلينوس ،
وكتاب المجسطي في علم الهيئة " ٤ . كما كانت له دراية في علم الفلك " ٥ .

- ١ — لطفي عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٤٨ — ٤٩ .
- ٢ — ج . دى بور : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ، ٣٣٩ — لمزيد من
التفاصيل عن ابن باجه انظر : عبد الرحمن بدوى :
رسائل جديدة لابن باجه ، صحيفة معهد الدراسات
الاسلامية في مدريد ، مج ١٥ ، ١٩٧٠ م ، ص
٧ — ٢٤ .
- ٣ — عباس الجزارى : الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ، ج ١ ،
ص ١٠ .
- ٤ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ — ٤٣٧ .
- ٥ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص
٥٢٩ .

أما محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي المولود عام ٤٩٤ هـ /
١٠٠١ م فقد بدأ نشاطه العلمي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين وقد ألف
عدة مؤلفات قيمة منها رسالة سماها "حي بن يقظان" فرضه منها بيان مبدأ النوع
الإنساني . وله رسالة في النفس ، وأخرى في الفلك ، وثالثة في الطب ، واستمر
ابن طفيل في دراساته تلك حتى توفي عام ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م . "١"

ولم يغب اليهود عن هذا الحقل من الدراسات ، فقد حاول إبراهيم بن
داود الطليطلي (٥٠٣ - ٥٧٥ هـ / ١١١٠ - ١١٨٠ م) التوفيق بين
كتب اليهود المقدسة وفلسفة أرسطو ، وألف عدة مؤلفات باللغة العربية إلا أنها
فقدت ولم يبق لنا منها إلا الترجمات العبرية لقسم منها ومن أهمها كتاب "إيمونه
راماة" أي العقيدة السامية ، وكتاب "سفرها قبالة" أي كتاب
المأثور . "٢"

والفديان أبو عمر يوسف بن صديق المتوفى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٩ م ،
كتبا في المنطق ، وآخر في الفلسفة سماه "الكون الأصغر" باللغة العربية .
"٣"

١ - محي الدين عزور : المرجع السابق ، ص ٥٦ - ٦٠ .

٢ - بالنيابة : المرجع السابق ، ص ٥٠٠ .

٣ - المرجع السابق نفسه ، ص ٤٩٨ .

الدراسات الطبيعية :-

=====

الطب :

=====

وخطا الطب خطوات واسعة في عهد علي بن يوسف ، فهو عهد تشخيص
الامراض على ضوء الفحوصات الطبية الدقيقة ، من جسد للنفس ، واجراء تحاليل
طبية مخبرية . وهو عهد اجزاء اعقد العمليات الجراحية ، فقد اجرى الاطباء -
علميات استخراج الحصوة من الكلية وعملية فتح القصبة . كما هو عهد الاكتشافات
الطبية الباهرة ، ففي هذا العهد وصفت صوابية الجرب . وقام اطباء هذا العهد
باجراء بحوث في احساس العظام ، وهى من الموضوعات المعقدة حتى فى العصر
الحاضر على الرغم من توفر كل الوسائل والامكانيات ، ويعتبر الخوض فيها من الامور
المشرفة علميا .

ويكفي علماء هذا العهد فخرا ان مؤلفاتهم ما زالت تدرس حتى الوقت الحاضر
في اعرق جامعات اوربا ، وانها كانت في القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر
الميلادى ، وحتى القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى من المواد
الرئيسية في كليات الطب .

ومن اشهر اطباء هذا العهد ، بل العصور الوسطى على الاطلاق ، أبو
العلاء زهري بن ابي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م)
الذى كان يعتمد على الطرق المخبرية ، وجسد النفس في تشخيص امراض مرضاه " ١٠ "

١ - ابن ابي اصيبه : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٦٤ -
٦٥ - ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في
اخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٧٤ - ٧٥ .

وهو اول من وصل دراسة الطب بالجراحة والصيدلة ، وتشتمل آثاره —
الجراحية على اول فكرة عن عملية فتح القصبة ، وعلى بيان قاطع عن الكسر والانخلاع
وقد اهتم في معالجته على الطبيعة الى حد كبير ، فهو يرى ان الجسم لديه قوة
كافية كافية لشفاء بعض الامراض . " ١ "

ومن مؤلفات ابي الحلاء زهر الطيبه : المدخل الى الطب ، وكتاب
النكت الطبية ، ومجريات والتي امر بجمعها بعد وفاته امير المسلمين علي بن
يوسف فجمعت بمراكش وسائل بلاد العدو والاندلس ، وانتسخت في جمادى الآخر
عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م " ٢ " . وهي عبارة عن ملاحظات طبية اسفرت عنها تجارسته
المخبرية وسجلها في تقارير سماها المجريات ، وتوجد منها نسخة مخطوطة في مكتبة
الاسكوريال تحت رقم ٨٤٤ . كما قام ابو الحلاء زهر بتأليف كتاب " التذكرة " ،
وهو عبارة عن مجموعة من الملاحظات سجلها لولده لتعريفه بالادواء الغالية في
مراكش ، والادوية المناسبة لها . وله رسالة في امراض الكلى كتبها لامير المسلمين
علي بن يوسف ، ولا توجد منها اليوم سوى ^{ترجمتها} اللاتينية المنشورة عام ١٤٩٧ م .
وله ايضا كتاب اخر حول الخواص ، وهو موجود بمكتبة باريس ، ومن هذا الكتاب
استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات ، وله كذلك " جامع اسرار الطب " ،
وهو لحسن الحظ موجود في الخزانة العامة في الرباط ويقع في ١٨٥ ورقه . وقد
ادت بعض بحوثه المخبرية الى الوصية باستعمال بطيخ فلسطين في علاج امراض الكبد .
" ٣ "

-
- ١ — حيدر باصات : مجالى الاسلام ، ص ١٤٩ .
 - ٢ — ابن ابي اصيحه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ .
 - ٣ — عبد العزيز بن عبد الله : الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب ،
مجلة الدار ، ج ٣ ، ربيع ثاني ١٤٠٠ هـ / مارس
١٩٨٠ م ، ص ٥٥ — ٥٧ .

وعرف الاوروبيون هذا الطبيب الفذ معرفة جيدة وحرفوا كنيته (ابو العلاء)
في الصور الوسطى فصار أبو الي (Aboal) ثم اضيف الى زهر ف قيل
أبو الميزور (Abuielizor) (" ١ ")

وبعد وفاة ابي العلاء زهر تسلم الراية بعد ابيه ابو مروان عبد الملك بن
زهر (٤٨٤ أو ٤٨٧ — ٥٥٧ هـ / ١٠٩١ أو ١٠٩٤ — ١١٦١ م) الذي قام
بمتابعة خطى والده حتى اصبح من اشهر اطباء عصره . وقد قام بتأليف عدة
مؤلفات تضمنت طرق وعلاج مبتكره ، كما استطاع ان يقدم لنا اوصافا لمديد من
الامراض . كما وصف وصفا دقيقا الاورام الحيزومية . واهتم في بيان فضل التغذية
الصناعية ، وشرح طريقته بدقة سواء بطريقة الحلقوم أو بطريقة الشرج . " ٢ "

ويذكر الاستاذ بوشو احد اساتذة كلية الطب بباريس () ان ابن زهر
" ابو مروان عبد الملك " هو اول من اهتم بدرس العظام لمد اواة الوثأه ، وهو عبارة
عن وهن يصيب اللحم ولا يصل الى العظم ، وانه عرف التشريح معرفة دقيقة
لانه ما تركه من وصف لدماغ الصدر والمعدة يدل دلالة صريحة على معرفة قائمة
على التجربة () . كما تحدث الاستاذ كياز استاذ الطب بكلية ليون الطبية
عن ابن زهر قائلا : () اما ما يتعلق بالداء المعروف بالجرب فان اطباء العرب
كانوا اول من دل على مكانه ، وكان اول من وصفه وصفا دقيقا لا غبار عليه ابـن
زهر " ابو مروان عبد الملك " حكيم الاندلس وسماه الصواب () " ٣ "

-
- ١ — ابو الفتوح التوانسي : من اعلام الطب العربي ، ص ١٤١ — ١٤٢ .
 - ٢ — المرجع السابق نفسه ، ص ١٤٢ — ١٤٤ — ابن سميـد : المصدر
السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، حاشية .
 - ٣ — عبد العزيز بن عبد الله : المقال السابق ، ص ٥٥ — ٥٨ — أبو
الفتوح التوانسي : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

ومن أشهر مؤلفات أبو مروان عبد الملك بن زهر : " الاقتصاد في اصلاح
الأجسام " الذي ألفه الى الامير المراتبي ابراهيم بن يوسف اعترافا بفضلته وتخليداً
لذكره " ١ " . وقد فرغ من تأليفه عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م " ٢ " ، ولخص فيه
التجارب الطبية ، وتحدث عن الجذام ، والبهق ، كما شرح ابعاد المدوى
انطلاقاً من تجارب ميدانية . وقد افرد لهذه الامراض رسالة لم تصلنا ، وكان
يعتمد في تجاربه على الضبط والتحليل ، والتدرج من الخاص الى العام مع استعراض
نماذج من القضايا التي تلقي الاضواء على جوانب دقيقة . وتوجد نسخة من كتاب
الاقتصاد محفوظة بالمكتبة الاهلية بباريس تحت رقم ٢٩٥٩ واخرى في مكتبة
الاسكوريال . " ٣ "

أما الكتاب الاخر فهو " التيسير في المداواة والتدبير " ، وهو موسوعة
طبية يظهر فيها تطلع أبو مروان عبد الملك بن زهر من الطب . وقد نهج في كتابه
هذا اسلوباً جديداً في الحكمة القياسية مستخدماً التمحيص العقلي للوصول الى احسن
النتائج فكان طبيب التمحيص العلمي ، يحضر الادوية بنفسه غير مستعمل الخمر في
تركيبها ، وكان يسند الاعمال اليدوية الى اعدائه مثل الفصد ، والكلي ، وختم

-
- ١ — ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٠ — حسن محمود :
 - المرجع السابق ، ص ٤٣٩ — ٤٤٠ — ابو الفتوح التوانسي :
 - المرجع السابق ، ص ١٤٢ — ١٤٤ .
 - ٢ — احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ، ص ٧٠ .
 - ٣ — عبد العزيز بن عبد الله : المقال السابق ، ص ٥٥ — ٥٧ .

الشرابين في حين كان هو يشرف بنفسه على التحليلات الهادفة الى تحرير نظام الاكل عند المريض ، ووصف الادوية ، وتوصل بمنهج هذا الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله ، فاهتم بالامراض الرئوية ، واجرى عملية القصبة المؤدية الى الرئـة وتمكن من تشريحها في مرض الذبحة ، وقام بتجارب في امراض الجهاز الهضمي ، كما وتوجد نسخة من هذا الكتاب في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٢٩٦٠ " ١ " ، كما وتوجد نسخة اخرى في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ١٥٣٨ / ٢ .

وله ايضا كتاب الزينة ، وكتاب التذكرة الى ولده ابي بكر في امرالدواء — المسهل وكيفية اخذه ، وله مقالة في علل الكلى ، ورسالة كتب بها الى بعض الاطباء في مدينة اشبيلية في عطي البرص والبهق . " ٢ "

ومن اطباء آل زهرا ايضا ابوبكر محمد بن عبد الملك بن زهر (٥٠٤ — ٥٩٥ هـ / ١١١٠ — ١١٩٨ م) الذي كان منصرفاً كل الانصراف الى الناحية العلمية والمداواة والعلاج ، والفحص ، ولم يشغل نفسه بالتأليف الا قليلا . وقد طارت سمعته العلمية في ارجاء المعمورة ، ويروى انه وضع رسالة في طب العيون ، وهي المؤلف الوحيد الذي ينسب اليه . وكانت له ابنة اخت تعتبر من اشهر الطبيات في ذلك العصر في امراض النساء وفنون الولادة . " ٣ "

١ — نفس المقال السابق والصفحات — زيفريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٨٩ .

٢ — ابن ابي اصيحه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦ — ٦٧ .

٣ — ابو الفتح التوانسي : المرجع السابق ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .

ومن اشتهر من اطباء ذلك العصر ابو القاسم خلف بن عباس (ت ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م) الذي اشتغل بالجراحة ، وهو الذي يقول عنه العالم الفسيولوجي الشهير هالر : (وترانا مدينين لابي القاسم بكثير من الالات الجراحية) (وقد وصف هذا الجراح المسلم عملية سحق الحصى في المثانة التي عدت على غير حق من مخترعات عصرنا الحالي ، فأشار لعملية الشق الى عين المكان الذي يشير اليه جراحونا في الوقت الحاضر . " ١ ")

وألّف ابو الحسن سفيان الاندلسي (ت ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م) ، الذي كان طبيبا لأمر المسلمين علي بن يوسف كتابا في الطب يسمى " التجريتين " وهو عبارة عن محاضرات شيخه ابن باجه في الطب مضافا اليها ما توصل اليه هو من نتائج علمية نتيجة لابهائه . كما ألّف ابو الوليد بن رشد كتاب الكلمات ثم دفعه الى ابن زهر ليحقق به دراسة عن الجزئيات لتكون جملة الكتابين كتابا في صناعة الطب " ٢ " . ويمتبر اشتراك عالمين في تصنيف كتاب واحد أو القيام بتجربة علمية مشتركة ظاهرة طيبة لروح التعاون العلمي عند علماء العصر المرابطي .

-
- ١ - حيدر يامّات : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .
 - ٢ - عبد العزيز بن عبد الله : المقال السابق ، ص ٦٠ .

ومن اطباء هذا العهد ايضا محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجه
الذى ألف عدة مؤلفات في حقل الطب والصيدلة على درجة كبيرة من الاهمية منها :
كلام على شيء من كتاب الادوية المفردة لجالينوس ، وكتاب عن النفس النزوعية
وكيف هي ولما تنزع وماذا تنزع ، وله اختصار الحاوى للرازي ، وكلام في
المزاج بما هو طبي " ١ " .

ومن اطباء هذا العهد ايضا ابوبكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي
السلوى (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) ، وسعيد الفخارى (٤٩٤ - ٥٩٥ هـ /
١١٠٠ - ١١٩٨ م) ، وابوالعباس احمد بن عبد الله بن موسى القيسي
الاشبيلي (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) " ٢ " ، وعلي بن عبد الرحمن بن
سعيد بن جودى السعدى (ت ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م) وغيرهم " ٣ " .

-
- ١ - ابن ابي اصيمه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢ - ٦٤ .
 - ٢ - محمد المنونى : المعلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، ص
١٢٣ - ١٢٥ .
 - ٣ - ابن الأبار : المعجم ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ - ابن سعيد :
المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .

— الصيدلة والكيمياء :

=====

لقد تقدم طم الصيدلة في عهد علي بن يوسف تقدماً كبيراً ، ومنزعه —
لا بأس به من العلماء الذين اهتموا بدراسة النباتات ، والتعرف على انواعها ،
واستخلاص بعض العقاقير منها ، ومن اشهر من نفع في الصيدلة : ابو عبد الله
محمد بن معمر المتوفى عام ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م ، من اهل مالقة ، والذي كان
يمتاز بثقافة موسوعية ، ومن تأليفه : شرح كتاب النبات لابي حنيفة في ستين
مجلداً . " ١ "

وألف الادريسي الجغرافي المعروف رسالة في تحضير الادوية ، وصف
فيها ثلاثمائة وستين نباتاً ، وكان حريصاً على ايراد اسماء النباتات في مختلف
اللغات ، بل كان يميز بين التسميات البيزنطية واليونانية القديمة " ٢ " . ومن
مؤلفاته ايضا كتاب الجامع لصفات التسميات البيزنطية والذي — وهو احد الكتب التي
اعتمد عليها ابن البيطار في كتابه كتاب النبات . " ٣ "

أما ابو جعفر بن محمد القرطبي (ت ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م) فقام بجمع
نباتات اسبانية ، وافريقية ، وسبي كلاً منها باسمائها العربية ، واللاتينية ،

-
- ١ — المقرئ : نفع الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٦٧ .
 - ٢ — كراتشكوفسكي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩١ — اثر المرب
والاسلام في النهضة الالمانية ، ص ٢٤٤ .
 - ٣ — محمد المنوني : المرجع السابق ، ص ١٢٤ — اثر المرب والاسلام
في النهضة الالمانية ، ص ٢٥٠ .

والبربرية ووصف هذه النباتات وصفا دقيقا ، وساعدته معرفته الدقيقة تلك على
تأليف كتاب الادوية المفردة . " ١ "

قام ابو العلاء زهر (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) " ٢ " بكتابة مقالة
شرح فيها رسالة يعقوب بن اسحاق الكندي حول تركيب الادوية ، اضافة الى
ما كان يقوم به من تجارب على تركيب الادوية . " ٣ "

وكان ابو الحجاج يوسف بن فتوح القرشي المري المتوفى عام ٥٦١ هـ /
١١٦٥ م على معرفة جيدة بالنبات ، وكان يجلبه ويتجرفه . " ٤ "

هذا علاوة عن الكتب التي ألقت في كيفية العناية بالنباتات وزراعتها مثل
كتاب ((زهرة البستان ونزهة الأذهان)) الذي رفعه مؤلفه الطنغري الى
امير غرناطة المرابطي ابي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين " ٥ " .

ولم تكن الكيمياء اقل تقدما من الصيدلية في هذا العهد ، فقد ظهر
عدد لا بأس به من المشتغلين بهذا العلم اثبتوا جدارة وتفوقا فيه . ومن اشهر
هؤلاء علي بن موسى بن علي الانصارى السالمي الجبالي المعروف بابن النقرات
والمولود في عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م . وقد نسب لهذا الكيميائي كتاب

-
- ١ - فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٢ ، ص ٦٨٣ .
 - ٢ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٥ .
 - ٣ - عبد العزيز بن عبد الله : المقال السابق ، ص ٥٥ - ٥٧ .
 - ٤ - محمد المنونسي : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .
 - ٥ - عبد الله بن العباس الجزارى : تقدم العرب في العلوم والصناعات
واستاذيتهم لاوربا ، ص ٩٦ - ٩٧ .

" شذور الذهب في الاكسير " ، وهو كتاب جليل علماً واسلوباً لم ينظم
احد في الكيمياء مثل نظمه . ومن اشتغل بالكيمياء ايضا في هذا العصر
ابن تاتلي من ابناء المرابطين ، وقد ذكر اسم هذا العالم في طبقات الاطباء
عرضاً اثناء ترجمة موفق الدين عبد اللطيف البغدادى الذى اجتمع بالمذكور
في بغداد ، وقد وصفه بالتمكن في كتب الكيمياء والطلسمات وما يجرى مجراها^١ .

وهكذا رأينا كيف كان الازدهار العلمى الكبير في مختلف المجالات العلمية
في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، وذلك نكون قد قدمنا الدليل
الدافع لدحض الرأى القائل بأن عصر المرابطين كان عصر تخلف وانحطاط للثقافة ،
وتقهقر للأدب والعلم ، بل هو بحق كما قال المستشرق الروسي
كراتشكوفسكي عصر نور وحضاره .^٢

=====

-
- ١ - محمد المنونى : المرجع السابق ، ص ١٢١ - ١٢٢ .
 - ٢ - محمد مجيد السعيد : الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس
ص ٦١ .

الفصل الرابع

=====

العمارة والفنون الإسلامية

لقد تعانقت ارض العدو بطاقتها الشابة الفتية الممثلة في دولة المرابطين مع ارض الاندلس الفناء بخيراتها العريقة لتنتج لنا في ظل دولة المرابطين نهضة معمارية وفنية رائعة ذات سمات خاصة ، امتزجت فيها المؤثرات الاسلامية المفريسية والاندلسية والمشرقية ، والأسبانية النصرانية .

وساعدت في تحقيق هذه النهضة المعمارية والفنية وفرة المواد الخام والرخاء الاقتصادي الذي كانت تتمتع به الرعية والدولة على حد سواء ، اضافة لتشجيع امير المسلمين علي بن يوسف لاهل الفن بصلاته السخية لهم " ١ " وساعد كل ذلك على ازكاء حركة البناء والفن في دولة المرابطين ، التي اصبحت مدنها وقصورها ومرافقها بعد فترة قصيرة تنافس المدن المشرقية ، واصبحت محل اعجاب القاصدين اليها .

وتحكمت في توجيه هذه النهضة الميمونة عدة عوامل تنبع من طبيعة الاسس التي قامت عليها دولة المرابطين . فالعامل الاول من هذه العوامل ينبع من الركيزة الاولى التي قامت عليها الدعوة المرابطية وهي العقيدة الاسلامية ، فقد فرض عليهم هذا العامل العناية الفائقة بالعمارة الدينية من مساجد وما يتصل بها من مرافق ، كما فرضت عليهم العقيدة الحد من الاسراف في زخرفة القصور والمباني الخاصة " ٢ " .

١ — حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٤٩ — ٤٥٠ .

٢ — آرنست كونسل : الفن الاسلامي ، ص ١٢١ .

اما العامل الثاني فعلى اتصال وثيق بالعامل الاول وهو الجهاد الذى كان عماد الدعوة المرابطية ، فقد كان المرابطون رجال سيف وحرب يعملون على رفع راية الاسلام عالية ، وفرضت عليهم طبيعتهم العسكرية تلك الاهتمام بالمباني العسكرية ، فشيدوا عشرات الحصون والاسوار ، والتي كان يغلب عليها طابع الخشونة والضخامة ، الا ان الايدى الاندلسية الرقيقة عملت جاهدة من اجل كسر حدة هذه الخشونة وحلها وحاولت ان تصبغها بصبغتها .

على ان الاهتمام الفائق بالعمارة الدينية والعسكرية لا يعنى اهمال جوانب العمارة الاخرى ، فقد بنيت عشرات القناطر ، والحمامات ، والارحاء الخاصة بطاحن الجبوب ، والخطاطير ، والقصور وغيرها من المرافق التي تحتاج لها المدن في ذلك العصر .

وبناء على ما تقدم سنقسم حديثنا عن هذا الموضوع الى ثلاثة اقسام :-

الاول منها : يختص بالعمارة المدنية ، وتشمل عمارة المدن ، والمرافق العامة ، والحمامات ، والقصور .

والثاني : يختص بالعمارة الدينية وتشتمل المساجد وما يتعلق بها من مرافق .

والثالث : يختص بالعمارة العسكرية من قلاع ، واسوار . ثم نختم هذا الفصل بالحديث عن الفنون الزخرفية .

١ — العمارة المدنية : —

لقد تحكمت العوامل العسكرية في موقع وشكل المدينة المرابطة التي كانت لا تختلف كثيرا في اسلوب بنائها عن المدينة المغربية الاسلامية او الاسلامية بشكل عام ، فكان المسجد والقصبة يمثلان مركز المدينة التي تتفرع منه المبانى والاسواق ، " ١ "

ولقد شهد عهد علي بن يوسف نهضة معمارية زاهرة ، فبنيت القصور من قبل الامراء والمامه على حد سواء " ٢ " ، وجلبت اليها المياه ، وانشئت بها الحمامات ، والخانات ، والمصانع ، " ٣ "

واخذت هذه المدن تجتذب سكان الصحراء والارياف اليها ، فأصبحت تكتظ بالسكان وساعد ذلك على دفع عجلة ازدهارها عمرانيا واقتصاديا ، " ٤ "

ومن المدن التي انشأها المرابطون وازدهرت في عهد علي بن يوسف العاصمة المراكشي " ٥ " ، التي اختارها علي بن يوسف عاصمة له ، " ٦ "

-
- ١ — ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٤ .
 - ٢ — الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص ٨ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٢٤١ .
 - ٣ — الادريسي : نزهة المشتاق ، ص ٦٠ — ٦٥ — الزركشي : المصدر السابق ، ص ٨ — الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ — ١٦٧ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٥٥٩ .
 - ٤ — الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ — ١٦٧ .

مراكش "١" ، التي اختطت على يد ابيه يوسف عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م "٢" ،
بالقرب من المدينة الرومانية القديمة المندرسه "بوكراتوم هيو ميروم" "٣" الواقعة
بين بلاد هيلانه وبلاد هزمه "٤" ، فحال ذلك دون تمقيدات التنافس بين

- ١ — لقد اختلف في معنى اسمها قسم ذهب الى ان مراكش معناها امش مسرعا
بلغة المصامده ، لان هذا المكان كان مكنيا للصوم فعندما كان يمر به
الناس كانوا يقولون هذه الكلمة .
وهناك من يقول ان مراكش اسم لمعد اسود كان يسكن هذه المنطقة . ومنهم
من يذكر ان الاسم لفظ بربري قديم قد يكون مشتقا من اوركش يعني كوش التي
تعني الاسود ، انظر المراكشي : المصدر السابق ، ص ١٥٦-١٥٧
ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٤ — احمد مختار
المبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٢٠ ، حاشية رقم ٢ .
- ٢ — واختلف ايضا في تاريخ بناء مدينة مراكش ففريق يؤكد انها بنيت في عام ٤٦٢ هـ
وعلى راسهم صاحب الحلل الموشية ، ص ١٦ ، وابن عذارى : (البيان
المغرب ، ج ٤ ، ص ١٩) الذي يجعلها عام ٤٦١ هـ ، والمراكشي :
(المعجب ، ص ١٥٧) يجعلها عام ٤٦٣ هـ . ويبدو ان عام ٤٦٢ هـ
هو ارجح الاقوال لان البكري الذي توفي عام ٤٦٠ هـ لم يذكر مراكش في كتابه
دلالة انه توفي قبل بنائها . ويذهب ابن خلدون (تاريخ ابن خلدون :
ج ٦ ، ص ٣٧٨) ورزق الله الصديقي (تاريخ دول الاسلام ، ج ٢ ،
ص ٤٩) انها بنيت عام ٤٥٤ هـ . ويجعلها ياقوت (معجم البلدان ،
عام ٤٧٠ هـ ، هذا ويذكر السيد عبد العزيز سالم : (المغرب الكبير ،
ج ٢ ، ص ٧٠٢-٧٠٣) ان صاحب الحلل يجعل تاريخها عام ٤٠٢ هـ
ولكن عند الرجوع الى الحلل الموشية وجدناه عام ٤٦٢ هـ . ويذهب شيخ
الربوه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٣٦) ، انها
بنيت عام ٤٩٠ هـ ، ويذكر ابن الاثير (الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤١٧) ان
يوسف بن تاشفين هو الذي اختط مراكش دون تحديد تاريخ .
- ٣ — الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ — ١٦٧ .
- ٤ — ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٩ .

القبيلتين "١" . كما ان اختيار موقع مدينة مراكش كان موقفا لما تمتاز به تلك المنطقة من جمال وحسن مناخ ، وخصوبة تربة ، ومجاورتها لقم الاطلس المكسوه بالثلج . "٢"

ولعل اختيار هذا الموقع خضع لاعتبارات سياسية واقتصادية واستراتيجية ، فالمدينة تحتل موقعا متوسطا ، فهي قريبة من صحراء لمتونه ، وقريبة من جبال المصامدة ، وقريبة ايضا من مناطق الشمال المتحصرة . كما ان اختيار هذا الموقع كان حلا وسطا بين القبائل المتنازعة التي كانت ترغب كل منها في ان تكون العاصمة في بلادها لتنسب اليها . "٣"

واتاح لها موقعها القريب من جبل درن مراقبة تحركات المصامدة منافسي لمتونه اذا حدثتهم انفسهم بالثورة فعندما يكون من السهل القضاء على حركتهم في مهدها . "٤"

وكان هذا الاختيار موقفا ايضا لوقوعه على طريق القوافل التجارية المقبلة من الصحراء والذاهبة اليها مما اسهم في ازدهار المدينة اقتصاديا . "٥"

ومنحها موقعها القريب من المدينة الرومانية المدرسه "بوكاتوم هيو ميروم" فرصة طيبة للاستفادة من انقاضها في تعمير بيوتها ومرافقها المختلفة .

-
- ١ — عبد الحق حموش : ابن تاشفين ، ص ٤٣ .
 - ٢ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ، حاشية رقم ١ .
 - ٣ — المراكشي : المصدر السابق ، ص ٤٤٤ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٩ .
 - ٤ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٤٦٤ .
 - ٥ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

وسكن يوسف بن تاشفين هذا الموقع في اول الامريخيام من الشعر ، وسني
 فيها مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لخزن امواله واسلحته ، ولم ين على ذلك سورا " ١ "
 ولكن ابن خلدون " ٢ " يذكر انه ادار سورها على المسجد والقصبة . ثم ما لبثت
 المدينة ان تطورت بعض الشيء في عهد يوسف فبنيت بها بعض المساكن " ٣ " ، الا انها
 بقيت مدينة بسيطة يغلب عليها الطابع البدوي ، وتفتقر الى المرافق العامة ،
 والمباني الضخمة . ثم تغيرت الصورة عندما تولى علي بن يوسف الحكم عام ٥٥٠٠هـ /
 ١١٠٦م ، فقد انتقلت المدينة من دور البساطة الى دور التقدم والازدهار فني
 مختلف المجالات العمرانية والاقتصادية " ٤ " ، فتزايد عدد سكانها ، واتسع
 عمرانها ، وامتد على سبعة اميال ، واخذ الامراء والعامة يتنافسون في بناء
 القصور الفخمة " ٥ " ، ونظمت شوارعها وازقتها وساحاتها التي كانت تمتاز بالسعة
 والرحابة . " ٦ "

-
- ١ - ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٦ .
 - ٢ - تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٧٨ .
 - ٣ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٤ - يذكر ان اول
 بيت بني في مراكش بيت توزجيين بن الحسن وكان من الطوب
 ثم بني قصر الحجر (انظر ابن عذاري : المصدر السابق
 ج ٤ ، ص ١٩ - ٢٠) .
 - ٤ - المقرئ : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١١٠ - ابن القاضي : المصدر
 السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ - ٤٦٠ - ابن أبي
 دينار : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
 - ٥ - الزركشي : المصدر السابق ، ص ٨ - بالياس : الفن المرباطي
 والموحدى ، ص ٣٠ - ٣١ . - حسن ابراهيم حسن :
 تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٥٩٩ .
 - ٦ - ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

ولم يدخر علي بن يوسف وسعاً في دفع عجلة تطوير عاصمته ، فأنفق على منشأتها ومرافقها سبعين ألف دينار "١" ، وحرص على توفير المياه لها عن طريق الخطاطير التي قام بحفرها المهندسان عبيد الله بن يونس ، وهي عبارة عن آبار مقاربه تتصل مع بعضها ، فوصلت المياه الى مختلف احياء المدينة ، واكتفت المدينة الخضرة والحدائق بفضل هذه الشبكة الواسعة من القنوات الجوفية . وقد اعجب الامير علي بن يوسف بهذا الابتكار واغدى على مهندسها المطايا والصلات . "٢"

واقامت قنطرة على نهر تانسيفت باشراف خبراء استقدموا من الاندلس خصيصاً لهذه الغاية "٣" ، وقد بلغ طول هذه القنطرة اربعين متراً واقامت على واحد وعشرين قوساً مبنية من الآجر والجير "٤" . كما بنيت ايضاً بالمدينة عشرات الحمامات ومخازن الحبوب ، والبيمارستانات . "٥"

وجذبت العاصمة الجديدة مراكز رؤوس الاموال اليها من مختلف الجهات ، فوفد عليها المستثمرون والتجار والصناع من مختلف الاصقاع ، فازدهرت التجارة والصناعة فيها ، وازدهرت امواتها بالسلب والبيع "٦"

- ١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥١ .
- ٢ — الزركشي : المصدر السابق ، ص ٨ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤١ — احمد مختار العبادي : الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، مجلة عالم الفكر ، مج ١١ ، ع ١ ، ابريل — مايو — يونيو ١٩٨٠ م ، ص ١٤٨ — ١٥٠ .
- ٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥٣ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٤٨ .
- ٤ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
- ٥ — الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٥ — ١٦٧ .

والصناعة فيها ، وزخرت اسواقها بالسلع المختلفة . " ١ "

ويبدو ان الدولة حرصا منها في المحافظة على النظام ، ومعاينة كل من
تسول له نفسه افساد الامن والاعتداء على الآخرين قامت ببناء بعض السجون " ٢ " .

لقد غدت مراكش بفضل جهود امير المسلمين علي بن يوسف من اجل المدن
المغربية واكبرها لكثرة مبانيها وساتينها ، وازدهار صناعاتها ، فأصبحت محط
انظار الاندلسيين والمغاربه .

واظهرت الخريجات التي جرت بالقرب من جامع الكتبية بمراكش بقايا لجناح
عائلي في قصر شرع علي بن يوسف في بنائه عام ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م . كذلك امكن
التعرف على اساس لصحنين صغيرين ، احدهما يشتمل على ممرين متقاطعين ،
ويحدان اربع رقايع مربعة ، وفي الجانب الشمالي من هذا الصحن توجد بركة
صغيرة مطلية باللون الاحمر تتفرع منها انابيب صغيرة من الطين تحمل الماء الى الرقايع
لتروى ما قد يكون بها من زرع . واما الصحن الاخر فعشر فيه على قواعد اعمدة
مربعة . " ٣ " .

-
- ١ — المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٥ — ١٦٨ — حسن ابراهيم
حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ص ٥٩٩ .
 - ٢ — الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ — ١٦٧ .
 - ٣ — بالباس : المرجع السابق ، ص ٣٠ — ٣١ — ومن الجدير بالذكر ان
الموحدين بعد دخولهم مراكش عام ٥٤١ هـ اهتموا بها ايضا
اهتماما لا بأس به ، وقاموا بانشاء بعض المنشآت العمرانية
خاصة المساجد ويبدو انها استمرت مزدهرة فترة من الوقت وهذا
ما اكده ليون الاقريقى حين وصفها بأنها اعظم مدن العالم في =

ومن المدن التي اهتم بها المرابطون اهتماما فائقا مدينة فاس التي تقدمت
تقدما كبيرا في هذا العهد ، فازدهت بالسكان وراجت تجارتها ، وعلت مبانيها ،
وكثرت صناعاتها ، وحظيت المساجد فيها برعاية خاصة ، وتنافس اهل الخير في
بنائها . " ١ " .

ويعود الاهتمام بهذه الحاضرة الى فترة مبكرة من عهد يوسف بن تاشفين ،
الذي اعتنى بها عناية فائقة ، فيذكر انه استقدم اليها جملة من صناع الارحاء من
الاندلس ، فبنوا جملة من الارحاء فيها " ٢ " . وقد استمرت المدينة في النمو
والازدهار في عهد علي بن يوسف حتى غدت بمثابة العاصمة الثانية للمغرب . " ٣ " .

واذا انتقلنا الى الاندلس وجدنا نهضة معمارية رائعة لا تقل في مستواها
عن النهضة التي شاهدها في بلاد العدو ان لم تكن تبناها ، فنظرة لعدد بيوت
احدى المدن الاندلسية في هذا العهد يثبت ما ذهبنا ، فيقدر توريس بالباس
عدد بيوت المرية في الفترة الواقعة ما بين اواخر القرن الخامس والنصف الاول من
القرن السادس الهجري بنحو (٤٦٠٤) دارا يسكنها اكثر من ٢٧ ألف نسمة ،
وهو اقل تقدير لسكان المدينة في ذلك الوقت ، لان هناك من يقدر عدد دورها

= عصره (انظر : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ،
حاشية رقم ١ — الحسن السائح : المرجع السابق ، ج ١ ،
ص ١٦٦ — ١٦٧) .

- ١ — الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، ص ٦٧ — ابن أبي
زيق : المصدر السابق ، ص ٥٩ — السيد عبد العزيز سالم :
المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥١٨ — ٧٥٨ .
- ٢ — الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٤٢ .
- ٣ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥١٨ .
- ٤ — النن المرابطي والموحدي ، ص ٤٥ — ٤٦ .

بـ ١٧٦٠٠ دارا للخاصة والمامة في العصر المرابطي والموحدي . " ١ "

وتفنى الشعراء ببعض قصور المرابطين في الاندلس ، فهذا الشاعر ابو بكر
ابن بقي يمتدح منية الزبير بن عمر احد ولاة قرطبة في عهد علي بن يوسف ،
ومما قال فيها :-

سقى الله بستان الزبير وادام في ذراه مسيل النهر ما غنت السورق
هو الموضع الزاهي على كل موضع اما ظله ضاف اما مأواه دافق
اهيم به في حالة القرب والنوى وحق له مني التذكر والعشق " ٢ "

كما اهتم ولاة الدولة المرابطية في الاندلس في عهد علي بن يوسف ببناء
الحمامات والمرافق المامة " ٣ " ، والفنادق التي بلغ عددها في مدينة المرسية
وحدها في العصر المرابطي ٩٧٠ فندقا " ٤ " . وهذا وقد كشفت الحفريات
في السنوات الماضية في مدينة اشبيلية من مقر حكم المرابطين فيها . " ٥ "

-
- ١ - السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ ، ص ١٨٤ .
 - ٢ - المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
 - ٣ - ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ - القري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١٦ .
 - ٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرسية الاسلامية ، ص ١٦٩ .
 - ٥ - ارنست كونيل : الفن الاسلامي ، ص ١٢٦ .

ب - العمارة الدينية :

=====

لقد اهتم المرابطون بالمساجد عناية فائقة منذ اللحظات الاولى لقيام دولتهم ، وعندما بدأت قواتهم تتقدم نحو المغرب اخذوا يشجعون على بناء المساجد في المدن المفتوحة ، ووصل الامر في بعض الاحيان الى معاقبة اهل المدينة التي لم تشجع على بناء المساجد فيها . وهذا ما حدث في مدينة فاس عندما دخلها المرابطون عام ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م فقد فرضوا على اهلها بناء المساجد في احوارها وازقتها ، وشوارعها ، واي زقاق لم يوجد فيه مسجد عقوب اهلها وامروا ببناء مسجد فيه . " ١ "

وانفق علي بن يوسف بن تاشفين وقواده اموالا طائلة في بناء المساجد وترميمها . ولم تكن النساء المرابطيات ايضا اقل حماسا من الرجال في تشجيع حركة بناء المساجد ، فرخصن اموالهن في سبيل بناء بيوت يذكر فيها اسم الله ، فتبرعت حرم امير المسلمين علي الحوه بمبلغ من المال لتوسعة بعض المساجد وترميمها " ٢ " .

وتنافس اهل الخير في تقليد قادتهم في بناء المساجد فانشرت هذه الروح الدينية في طول البلاد وعرضها . هذا والاهتمام بالمسجد يتناسب مع رسالة دولة المرابطين التي كانت تسمي لرفع لواء الاسلام عاليا ، ولذلك طغت العمارة الدينية على العمارة المدنية في عهد المرابطين حتى ان مؤرخي الفن دهشوا لقلعة القصور

-
- ١ - ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ١٤١ - ١٤٢ - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٣٨٠ .
 - ٢ - ابن رشد : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٦٦٠ .

بالنسبة للمساجد . " ١ "

وامتازت المساجد المرابطية بشكل عام بضخامتها ، وارتكاز سقوفها
المسنمة الشكل على دعائم قاعدتها مستطيلة او مصلبة ، ثم يعقود حذوة الفرس —
دون اوتار تربطها . " ٢ "

ومن المساجد الرائعة التي قام بانشائها المرابطون في المغرب مسجد
علي بن يوسف بن تاشفين في مدينة مراكش ، والذي انفق في بنائه ستون ألف
دينار مرابطية " ٣ " . وقد كشفت الحفريات منذ عهد قريب في مدينة مراكش عن
اساس لصومعة هذا المسجد الذي شرف في بنائه عام ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م ،
وكانت الاجزاء السفلى من هذه الصومعة من الحجر تحدها اضلاع اربع كل واحد
منها ١٠ م ، ومزودة من الداخل بدرجين متماثلين . " ٤ "

" ٥ "

وفي وسط مدينة مراكش تقوم قبة آية في الفن والروعة تسمى قبة الباروديين
" ٦ " التي يحدد تاريخ انشائها ما بين عامي ٥١٤ هـ و ٥٢٥ هـ / ١١٢٠ و ١١٣٠ م .

-
- ١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٤٩ — ٤٥٢ .
 - ٢ — بورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص ٣٣٨ .
 - ٣ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٧ — ابراهيم حركات
المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
 - ٤ — السلاوي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٧ — بالباس : المرجع
السابق ، ص ٢٤ .
 - ٥ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .
 - ٦ — بالباس : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

وهي عبارة عن مبنى مستطيل الشكل مبني من الحجر تتوج جدرانها من الخارج شرفات
مدرجة ، ويفضي الجزء الأوسط قبة صغيرة مبنية بالاجر ، وقواها من الخارج بحروق
تقوم على قاعدة مربعة ضلعها ٣٨٠ م ، وتبرز بداخلها ثمانية عقود متقاطعة راسمة
بتقاطعها حلقة مئمنة تعلوها قبة صغيرة مفصصة . " ١ "

ويذكر بالبأس " ٢ " ان هذه القبة ربما انما بنيت من اجل ان تكون مدفنا
لاحدى الشخصيات المهمة في الدولة المرابطية . ولعل بالبأس بحكمه هذا كان
متأثرا بالفن الاسلامي المشرقي في العصر العباسي والسلجوقي والعصور الاسلامية
المتأخرة التي كانت تعج بعشرات القباب والمباني الضخمة التي اقيمت على مدافن
بعض الشخصيات المهمة ، ولكن بالبأس غفل عندما اصدر حكمه هذا عن الاساس
الروحي الذي قامت عليه دولة المرابطين ، والذي يتنافى مع كل ضلالة ويدعه ،
فهم يرفضون البناء على القبور ، حتى ان عليا بن يوسف بن تاشفين اوصى بأن يدفن
في مقبرة عامة الناس من المسلمين . " ٣ "

ومن المساجد التي بناها المرابطون في المغرب ايضا مسجد تلمسان ، وهو
المسجد الوحيد الذي بقي على شكله الاصلى بوجه عام من آثار الدولة المرابطية " ٤ "
وتشير الكتابة الموجودة في محرابه الى الفراغ من انشاءه عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ،
والانشاء المقصود هنا هو الاضافات التي قام بها علي بن يوسف على المسجد الاصلى

-
- ١ — المرجع السابق نفسه ، ص ٤٦ — ٤٧ .
 - ٢ — نفس المرجع السابق والمصفحات .
 - ٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠١ .
 - ٤ — ابراهيم حرکات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

الذى اقامه والده عام ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م . " ١ "

والمسجد بناء مستطيل طول ضلعه من الشمال الى الجنوب ٥٥ م ، ومن الغرب الى الشرق ٥٠ مترا " ٢ " . ويتألف من بيت للصلاة مستطيل الشكل يشتمل على ١٣ بلاطة عمودية على جدار القبلة ، وتستند عقود الجامع على خمسة صفوف من الدعائم تمتد بحذاء جدار القبلة كل منها يشتمل على ١٢ دعامة ، وسقف المسجد خشبي مسطح يملوه سطح منشوري الشكل مسنم ، ويشوسط بيت الصلاة قبة تقابلها اخرى امام المرحاب ، وقبة المرحاب هذه من اجمل القباب في المساجد الاسلامية ، وهي تعتمد على ١٢ عقدا مقاطعا . " ٣ "

ويعتبر مسجد الكتبية في مراكش ، والذي بني عام ٥٣٤ - ٥٣٧ هـ / ١١٣٩ - ١١٤٢ م من المساجد التي اشتهرت في تلك الفترة واعتبر منبره من اجمل المنابر الاسلامية . " ٤ "

١ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٩ - ٧٥٠ -
ويذكر حسن محمود (قيام دولة المرابطين ، ص ٤٥٣) وابراهيم حرکات :
(المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣) انه بني عام
٥٢٠ هـ .

٢ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٩ - ٧٥٠ -
اي ان المساحة الكلية ٢٧٥٠ م^٢ بينما ذكر ابراهيم حرکات (المغرب
عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣) ان المساحة ٣٠٠ م^٢ .

٣ - نفس المرجعين السابقين والصفحات .

٤ - مورينو : المرجع السابق ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

وتوج علي بن يوسف اعماله العمرانية بتوسعة مسجد القرويين "١" ، والتي
اتفق فيها ٨٠ ألف دينار مرابطية "٢" ، وذلك باضافة ١٨٥٠ م^٢ للمسجد القديم
فأصبحت مساحته بعد ذلك ٥٨٤٦ م^٢ . وكان تاريخ الشروع في هذه الزيادة عام
٥٣١ هـ / ١١٣٧ م "٣" ، وقد انجزت في عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م "٤"

- ١ — قامت بانشاء هذا المسجد فتاة تسمى فاطمة وتكنى بأم البنين ، وهي بنت
الفقيه ابو عبد الله محمد الفهرى القيرواني ، التي توفي زوجها واختها
فورثت منهما مالا عظيما بنت به مسجد القرويين عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م . وكان
تصميم المسجد مربعا الا ان تربيعة لم يكن منتظما تماما ، فكان عرضه اكبر
من طوله ، وكانت له اربعة ابواب ، وبعد قرن من تأسيسه اخذ يضيق —
بالمصلين فقام الامير احمد بن ابي بكر الزناتي عام ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م الذي
كان تابعا للامويين في الاندلس ، باستشارة الخليفة عبد الرحمن الناصر
في توسعته ، فرحب بالاقتراح ، وقدم له المساعدات من اجل ذلك ، فزاد
فيه من الجهات الثلاث الغربية والشرقية والشمالية ، مع مراعاته للخطوط
الكبرى للمسجد الاولى ، وقام بنصب الصومعة وسط الجناح الغربي للصحن
وقد بلغت مساحته بعد هذه الزيادة اربعة الاف متر مربع ، واكتسب اربعة
ابواب اخرى ، والمئذنة لا تزال شاخصة الى الان ، وتعد اقدم مئذنة في المغرب
الاسلامي ، وهي نموذج للصومعة المربعة ، ويبلغ ارتفاعها ٢٦ر٢٥ م ، وقد
فرغ من بنائها في ربيع الثاني ٣٤٥ هـ / يوليو ٩٥٦ م . انظر ابن ابي زرع :
المصدر السابق ، ص ٥٤ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٦
ص ٥٦ — عبد الهادي التازي : جامع القرويين ، ج ١ ، ص ٤٦
— ٤٧ ، ٥٦ — ٥٧ ، ١٥٢ .
- ٢ — الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٦٨ — ابن ابي زرع : المصدر
السابق ، ص ٧٩ — حسن محمود : المرجع
السابق ، ص ٤٥٢ .
- ٣ — ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧ — ويذكر
الجزنائي : (جني زهرة الأس ، ص ٦٧) ، ان
الشروع في الزيادة كان عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م .
- ٤ — عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٥ — ٧٦ .

وكانت هذه الزيادة ضرورية لاكتظاظ مدينة فاس بالسكان وازدحام المسجد خاصة يوم الجمعة والاعياد بالمصلين ، فكان الناس يصلون في الشوارع ، فاتفق رأى وجهاء المدينة على ندب احد هم لعرض الامر على امير المسلمين في مراكش ، واخباره بأن نفقات التوسعة ستغطى عن طريق محاسبة وكلاء الاجاس الذين كانوا يستغلونها لصالحهم ظلما ومهتانا ، فوافق امير المسلمين على ذلك وشجعهم عليه ، فتعاقب على توسعته ثلاثة من القضاء ، فزود المسجد بحجرات اضافية ، ومسجد للجنائز ، ومظلة للصحن الخارجي .

وكان ابو عبد الله محمد بن عيسى السبتي قاضي مدينة فاس ، قد قام ببعض الاصلاحات في المسجد في عام ٥٠٥ هـ / ١١١ م ، كان من بينها بناء الباب الغربي للمسجد . "١" الا أن الزيادة المهمة هي التي قام بها قاضي فاس عبد الحق بن معيشه الفرناطي الذي خطط لمشروع توسعة ضخم ، ووفر نفقات هذه التوسعة بمحاسبة وكلاء الاوقاف ، حيث ابرزت المحاسبة ثمانين ألفا من الدنانير المرابطية ، ثم شرع في شراء البيوت المجاورة للمسجد والتي تدخل ضمن التوسعة ، وكان معظمها لليهود ، فاشتراها منهم بأثمانها دون بخس ، وتجمع له من بيع انقاضها مبلغ ضخم عوضه عن ثمن شرائها . "٢"

وكان مشروعه يقوم على العمل على توسعة الصحن وتخصيص مقدم القبلة لعدة مرافق ، والتخطيط لبناء مسجد للجنائز ، وبناء مقصورة للامام ، ومنبر ، وابواب جميلة للمسجد . "٣"

-
- ١ - الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .
 - ٢ - ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ - ٦٩ .
 - ٣ - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٤ - ٧٥ .

وقام ابن معيشة بزيادة عشر بلاطات من صحنه الى القبلة ، وعمل قبتين واحدة بأعلى المحراب والاخرى تحاذيها من وسط البلاطين المتصلين بها ، وعمل ذلك من الجص المقرص الفاخر . " ١ " .

وامر على بن يوسف يعمل منبر فاخر للمسجد ، فتعهد الشيخ الاديب ابو يحيى المعتاد امام اللغة والشعر بصنعه ، فصنعه من عود الصندل ، والابنوس ، والنارنج ، والعناب ، وعظم الحاج ، فخرج اية في الفن والروعة ، بمقدار ان انفق عليه ثلاثة آلاف وثمانمائة دينار ، وسبعة اعشار دينار فضه ، وخصص لهذا المنبر من اجل المحافظة عليه غشاء من احدى من الجلدة والاخر من الكتان يزالان في كل يوم جمعه . " ٢ " .

ويعد هذا المنبر اول تحفة في العالم الاسلامي كله ، وكان يصعد اليه الخطيب على تسع درجات بين ساريتين من عود ثمين ادكن ، وتم الفراغ من هذه التحفة الفنية في عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م " ٣ " ، في عهد الشيخ ابي مروان عبد الملك بن بيضاء القيسي لان القاضي بن معيشة عزل من منصبه في عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م . " ٤ " .

- ١ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٦ .
- ٢ — نفس المصدر السابق والصفحة — ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٦٢ — ٦٣ : الجزئائي : المصدر السابق ، ص ٦٨ .
- ٣ — عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٥ — ٧٦ .
- ٤ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ — ٦٩ — الجزئائي : المصدر السابق ، ص ٦٨ .

وكذلك اكتسب المسجد مصلى للجنائز مثلما خطط له ابن معيشه ، وهو
اقدم جامع من نوعه في كل بلاد المغرب ، وقد شيد على شكل مثلث متصل بالشارح
العام عن طريق باب الخلفاء وباب المصلى ، وفي غرب هذا المثلث قبة مقربة يحيطها
رواق سقف بالقرميد وتحت هذه القبة يوضع النعش . اما مقصورة الامام
فمساحتها تتعدى الخمس امتار تعلوها قبة في اعلاها شماسات . * ١ *

وزود الصحن بمظلات من الكتان تنشر عليه يوم الجمعة في فصل الصيف لتجنب
الشمس عن المصلين ، حيث جعل في اطرافها جبالا تجرى في بكرات ماثقة بالرفوف
الدائرة على جوانب الصحن ترفع بها المظلات عند الحاجة اليها ، وترك في بعض
المواضع من المظلات فج يدخل منها الهواء ، ومقيت هذه المظلات حتى المهد
الموحدى حيث مزقت لقلة العناية بها . * ٢ *

وفرشت ارضية المسجد كلها ، وحفرت فيها بالوعات تستوعب ماء الغسل عند
الحاجة ، وبلغ مجموع سوارى المسجد بعد هذه الزيادة ما بين ٣٠٠ و ٢٧٢ سارية
متنوعة الشكل والمادة ، فبعضها كان من قطع الاجر وبرجة القاعدة في معظم الاحوال
وبعضها من قطع قديم ركبت من اسطوانات صخرية ، ومنها المفصص والمخلع ، وهناك

١ - عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٤ - ٧٥ -
الشماسه : يقصد بها النافذة وهى كلمة مشتقة من
كلمة الشمس (انظر عبد المال عبد المنعم الشامى
جغرافية المدن عند العرب ، مجلة عالم الفكر ،
مج ٩ ، ج ١ ، نيسان - مارس - حزيران
١٩٧٨ م ، ص ١٤٦)

٢ - عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٤ .

قسم من السواري الرخامية جلبت من الاندلس . " ١ "

وقد ت ابواب المسجد بعد الزيادة ١٧ أو ١٨ بابا " ٢ " ، وغشيت
الابواب بالنحاس الاصفر ، وعمل امام كل باب قبة " ٣ " ، واول ما بني من هذه
الابواب باب الفخارين عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م الذي عرف فيما بعد باسم باب الشماخين
وركب عليه باب عظيم " ٤ " ، وعمل بأعلاه قبتان احدهما من جص بداخله ،
والثانية من خشب الارز بخارجه . " ٥ "

وهكذا اصبح مسجد القرويين يتسع لاثني عشر ألف مصلي في بعض الروايات ،
ولاثنتين وعشرين ألفا ومئة واحد واربعين نسمة في روايات اخرى . " ٦ "

كما قام عمال واعيان المرابطين في الاندلس بتقليد اميرهم علي بن يوسف
ابن تاشفين في ترميم وتوسيع وانشاء المساجد في هذه الرقعة . وقد اسفرت اعمال
التقيب في مدينة المرية عن الكشف عن لوحة تنص على ان هناك زيادة في منارة المسجد
الجامع في المدينة على يد قاضي الجماعة بخضرة قرطبة وصاحب الصلاة في مسجد المرية
ومما جاء في هذه اللوحة ان الذي امر بهذه الزيادة الفقيه ابو محمد عبد الحق بن

-
- ١ - المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٦٦ - ٦٧ .
 - ٢ - المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٨٩ - ٩١ .
 - ٣ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٦٢ - ٦٣ - الجزنائي :
المصدر السابق ، ص ٦٨ .
 - ٤ - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٦٠ .
 - ٥ - الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٦٥ - ٦٦ .
 - ٦ - عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٧ .

عطية فزید فی طولها عشرة أذرع وکمل ذلك فی سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م . "١"

وزاد أيضا ابو محمد عبد الرحمن بن مالک المعافری المتوفی عام ٥١٨ هـ /

١١٢٤ م فی سقف جامع قرطبه "٢" كما قام ببناء حمام فیه فی عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م

واقام حماما اخر فی غرناطة . "٣"

=====

-
- ١ — السيد عبد الحمیز سالم : تاریخ مدينة المریة الاسلامیة ، ص ١٤٩ .
 - ٢ — المقرئ : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١٦ — ٢١٧ .
 - ٣ — ابن الخلیب : الاحاطة ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ — المقرئ :
المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١٦ .

ج — الصارة العسكرية :

=====

لقد كان ترامي اطراف دولة المرابطين يحتم على حكامها البحث عن طريق يستطيعون بواسطتها تثبيت سيادتهم عليها خاصة في المغرب حيث يكثر المنافسون لهم من قبل قبائل المصامدة وغيرها ممن يتحفزون للثورة عليهم ، فلم يجدوا افضل من بناء القلاع بالقرب من المناطق التي يتوجسون منها ، فأقاموا صفاً من الحصون حول جبال الاطلس لاختضاع المصامدة والسيطرة عليهم . " ١ "

ولم يغفلوا كذلك عن تحصين مدنهم في المغرب لصد غارات الموحدين ، وفي الاندلس لرد عادية الاسبان النصارى الذين كانوا يخرجون بين الفينة والفينة الى الاراضي الاسلامية فيعيشون فيها ، فاضطروا الى بناء عشرات الاسوار حول المدن الاندلسية والمغربية على حد سواء .

وقد غلب الطابع المغربي على بناء الحصون والاسوار والقلاع " ٢ " ، التي — امتازت بالضخامة والبالغة في التحصين ، فكانت جدران القلاع سمكة تتخللها أبراج على هيئة نصف دائرة وتحيط بها الخنادق الواسعة . " ٣ "

وكانت مادة البناء المستعملة في تلك العتائر الحجر أو الطوب أو هما معا " ٤ " ، وزودت تلك القلاع بكل شيء تحتاج اليه من ماء ، وغذاء ، وسلاح ورجال . " ٥ "

-
- ١ — حسن محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٤٩٣ .
 - ٢ — ابراهيم حرکات : المغرب عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .
 - ٣ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .
 - ٤ — ابراهيم حرکات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
 - ٥ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٥ — ٧٦٦ .

ومن اهم القلاع التي اقامها المرابطون في المغرب قلعة آفرجو والتي يرجح انها بنيت في عهد علي بن يوسف ، وتعتبر هذه القلعة من ابرز النماذج التي تمثل العمارة الحربية في عصر المرابطين . وتقع هذه القلعة على مرتفع مطل على وادي ورغة المتفرع من وادي سبو جنوبي قلعة بني تاودا ، والقلعة على شكل متعدد الاضلاع المائل الى الاستطالة ، ودعم سورها الخارجي بأثنى عشر برج نصف دائرية تقوم في زوايا السور ، وفي جانب السور الشمالي الشرقي من القلعة يقوم برجان يمتد بينهما سور امامي ، كما ان القلعة كانت مزودة بقصبة صغيرة على شكل مستطيل ، محصنة في اركانها بأبراج نصف دائرية ، ويخترق سورها بابان . اما سور القلعة ككل فيخترقه ثلاثة ابواب .

وفي هذه القلعة تفاعلت المؤثرات المحلية مع المؤثرات الاندلسية والاسبانية النصرانية ، واهم المؤثرات الاسبانية النصرانية فيها الابراج المستديرة والسور الامامي ولعل اهم القنوات التي انتقلت عبرها المؤثرات الاسبانية النصرانية الى الحضارة المرابطية كانت عن طريق المستعربين وهم النصارى الذين كانوا يعيشون في الاندلس ، وكانوا يتنقلون بين الاقاليم الاسلامية والمسيحية ، فكانوا حلقة وصل بين الحضارة الاسلامية في الاندلس والممالك النصرانية الاسبانية الشمالية والدول الالمانية .^٢

١ - المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٦٣ - ٧٦٥ .

٢ - عباس الجراري : اثر الاندلس على اوروبا في مجال النظم والايقاع ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٢ ، ابريل - مايو - يونيو ١٩٨١ م ص ١٧ .

وعبرت المؤثرات الأوروبية والاسبانية الشمالية الى الدولة المرابطية ايضا عن طريق الحروب حيث اقتبس كل طرف من الاخر بعض المميزات التي رآها جديدة بالاعتباس فأخذ المرابطون من النصارى بعض الادوات الحربية من تروس ودروع .

وكان الجند المرتزقة من الممالك النصرانية الاسبانية في جيش علي بن يوسف يشكلون حلقة وصل بين ثقافتين متباينتين ، فنقلوا الى المغرب والاندلس اضافة لفنون الحروب بعض المؤثرات في العمارة الحربية التي تجلت في استعمال المرابطين للقلمسة التي على شكل متعدد الاضلاع " ١ " .

أما القناة الاخيرة التي عبرت عن طريقها المؤثرات الاجنبية الى الدولة المرابطية ومن الدولة المرابطية الى تلك الدول فهي التجارة . فكانت السفن الأوروبية تصل الى موانيء الاندلس والمغرب للمتاجرة ، وكان التجار الأوروبيون خلال اقامتهم في الموانيء المرابطية يؤثرون ويتأثرون . " ٢ "

أما حصن تاسغيموت الذي أقيم عند الاطلس الكبير " ٣ " عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م تحت اشراف مهندس اندلسي هاجر الى مراكش " ٤ " ، فهو حصن اشبه بالمحلة المسورة منه بالقلمة الحقيقية " ٥ " . وقد بنى هذا الحصن ليكون نقطة مراقبة متقدمة لمدينة مراكش على بعد ٣ كم الى الجنوب الشرقي منها على هضبة وعمره

-
- ١ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ — ٤٦٥ .
 - ٢ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المروة الاسلامية ، ص ١٦٨ — بالباس : المرجع السابق ، ص ٦٢ — ٦٣ .
 - ٣ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .
 - ٤ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٤٨ (يسميه البيذق ميمون بن ياسين) .
 - ٥ — بالباس : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

تحيط بها اودية سحيقة شديدة الانحدار يصعب على المهاجمين ارتقاؤها ، وتحقق اسوار هذا الحصن بالهضبة ، وللحصن باب رئيسي واحد من الجهة الشمالية اسمه باب الموحدين ، وهناك باب صغير للطوارئ في نفس الجهة .

وزود هذا الحصن بكل المرافق الضرورية لمقاومة أى حصار طويل ، فهو من الداخل عبارة عن معسكر فسيح مزود بخزان ماء ضخيم تصل اليه المياه من نبع في الهضبة " ١ " ، وشحن ايضا بحماية قوية قوامها سبعمائة رجل ، مائتي فارس وخمسمائة من المشاة . " ٢ "

وكانت مادة بناء هذا الحصن الذي شارك في بنائه اسارى النصرى من الحجر والطين " ٣ " ، ولكن على الرغم من حصانته الا انه سقط بيد الموحدين في فترة مبكرة فقاموا بخلق ابوابه وركبوها على باب الفخارين في مدينة تينمل " ٤ "

وبنى المرابطون ايضا حصن تاكرارت بكناس (تاكرارت تقابل لفظ معسكر) ، وحصن تاكرارت تلمسان ، وقصبة النصراني عند جبل رزهون ، وحصنا قرب أودوغشت وكان يخندق حول هذه القلاع وتشحن بالأسلحة والذخائر . " ٥ "

ومن القلاع الهامة التي بنيت في الاندلس في عهد علي بن يوسف قلعة مونتياغو (Monteagado) التي تشرف على بساتين مرسية ، وتسمى

-
- ١ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٥ - ٧٦٦ .
 - ٢ - ابراهيم حرکات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ - ٣ . نفس المرجع السابق والصفحة ٢٤٤ .
 - ٣ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦٥ - ٧٦٦ .
 - ٤ - ابراهيم حرکات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

اليوم بالقصير ، واهميتها الكبرى تنحصر في انها تعطينا صورة عن مقر ريفي بما يحويه من حدائق ، ونافورات وبرك ، وزخارف متنوعة مكونة من تشبيكات سداسية وثمانية ، وزخارف كتابية عمادها الخط الكوفي والنسخي . " ١ "

أما الأسوار فقد اهتمت بها المرابطون عناية فائقة خاصة عندما اشتدت ضربات الموحدين لهم في المغرب ، وضربات النصارى في الاندلس فقد كشفت هذه الفارات ضعف تحصينات المدن المغربية والاندلسية على حد سواء .

ونشأت عملية انشاء الاسوار وترميمها في المدن المغربية والاندلسية منذ عام ٥٤٩ هـ / ١١٢٥ م عندما اخترق الفونسو المحارب بجيوشه الاندلس وحصار مدينة غرناطة وعاث في عدد من المدن الاندلسية لهدم مناعة اسوارها . وفي نفس الوقت كان الموحدون يشنون غاراتهم على المعاقل المرابطية في المغرب ، ووصلوا في بعض الاحيان الى العاصمة مراكش . عندها جاز ابو الوليد بن رشد الى امير المسلمين علي في مراكش واخبره بضرورة ترميم اسوار المدن الاندلسية ، وانشاء سور حول المدن التي تفتقر اليها ، كما اتي امير المسلمين مع مجموعة من علماء المغرب بضرورة تسوير العاصمة مراكش التي كانت بدون سور . " ٢ "

واستقدم امير المسلمين علي بن يوسف عددا كبيرا من الصناع والمهندسين الاندلسيين الى المغرب للاشراف على بناء اسوار المدن المغربية " ٣ " ، وبدأ بسور

-
- ١ — مورينو : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ — ٣٣٧ .
 - ٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ — عبد الله علام : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، حاشية رقم ٣ .
 - ٣ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ .

مراكش عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م "١" في الوقت الذي ورد فيه كتاب أمير المسلمين علي بن يوسف الى الاندلس حاثا فيه على النظر في جميع اسوار المدن الاندلسية . وقد انجز بناء سور مراكش خلال ثمانية أشهر "٢" ، وفتح فيه سبعة عشر بابا "٣" ، أشهرها باب ايلان "٤" ، وأغمت ، ودكالة ، والدباغين ، والشريعة والمخزن "٥" ، وكانت كلفة هذا السور الضخم سبعين ألف دينار ذهبية . "٦"

كما أوغر أمير المسلمين علي بن يوسف الى قاضيه علي مدينة فاس عبد الحق ابن مميشه بالاعتناء بأسوار المدينة ، فقام ببناء سور القوارجه ، وهو سور يتفرع من السور الأصلي للمدينة وينتهي عادة ببيح خارجي يقام في أصعب المواقع الدفاعية في المدينة . "٧"

وقام والي مدينة وهران من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف ببناء سور حول المدينة مستجيبا لنداء أمير المسلمين القاضي بضرورة العناية بالتحصين وتسوير المدن . "٨"

-
- ١ — ابن عذاري : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٧٣ — وهناك من يجعل تاريخ بنائه عام ٥٢٦ هـ انظر ابن القاضي : المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٥٤٦ — ابن أبي زرع : المصدر السابق : ص ١٣٩ — السلاوي : المصدر السابق ج ١ ، ص ١٠٧ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٣٧٨ .
 - ٢ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ — السلاوي : المصدر السابق ج ١ ، ص ١٠٧ — ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ١٣٩ ابن القاضي : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٥٤٦ .
 - ٣ — حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ، ص ٥٩٩ .
 - ٤ — ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ج ٦ ، ص ٤٧١ .
 - ٥ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ ، ص ٧٠٤ .
 - ٦ — مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٠ — السلاوي : الاستقصاء ج ١ ، ص ١٠٧ .
 - ٧ — الجزنائي : المصدر السابق ، ص ٤٢ — السيد عبد العزيز سالم :

المدن . " ١ "

أما في الاندلس فقد فرض المرابطون على السكان ضريبة خاصة تسمى ضريبة
التحصين من أجل ترميم الأسوار وبناؤها " ٢ " ، فتولى أهل قرطبة ترميم أسوار مدينتهم
على سالف عاداتهم ، وهذا أهل أشبيلية حذوهم " ٣ " ، وتولى أهل المرسية
مساعدة رجل منهم يعرف بابن العجمي علي بناء سور للمدينة وتحصينها بأقل قدر
من التكلفة . " ٤ " كما بنيت أسوار حول لبلبة " ٥ " ، وشرش وغيرها من المدن
الاندلسية . " ٦ "

وكانت الأسوار المرابطية تميز بالآبراج المستطيلة القليلة البروز ، كما
كانت تزود بأبواب يحد طرف كل منها بابان متواجهان إماماً في التحصين ، وإضافة
لكل ذلك كانت تحاط الأسوار بخنادق . " ٧ "

-
- = المضرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٥١٨ .
- ١ — إبراهيم حرركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ — ٢٤٤ .
- ٢ — بالباس : المرجع السابق ، ص ٣٦ .
- ٣ — ابن عذاري : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٧٤ .
- ٤ — نفس المصدر السابق والصفحة .
- ٥ — تقع في غرب الاندلس وهي مدينة قديمة : انظر الحميري : المصدر السابق ، ص ٥٠٧ .
- ٦ — بالباس : المرجع السابق ، ص ٣٦ .
- ٧ — نفس المرجع السابق والصفحة . إبراهيم حرركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ — ٢٤٤ .

وهكذا برزت مدرسة معمارية جديدة في بناء المساجد والعمائر الحربية في المغرب والاندلس نتيجة لامتزاج المؤثرات المحلية مع المؤثرات الاندلسية والنصرانية فظهر لأول مرة في المغرب ما يعرف بمسجد الجنائز وظهرت القباب المتقابلة على ابواب المساجد ، وبرزت صناعة المنابر المتميزة بالدقة والجمال الرائع ، والمصنوعة من نفيس الخشب الموشي بثمين الأحجار الكريمة والجواهر ، كذلك برزت الى حين الوجود القباب المقرنصة ، ولأول مرة استخدمت المظلات المتحركة لتظليل المصلين في صحن المسجد في ايام الصيف .

ورأينا كيف كانت العمارة العسكرية متميزة بالضخامة والمبالغة في التحصين ولم يعهد ان قامت دولة من الدول الاسلامية في المشرق أو المغرب بانشاء هذا العدد الضخم من القلاع لنفس الغرض الذي من أجله انشأها المرابطون .

أجل ان المنجزات المعمارية الضخمة التي قام بانجازها المرابطون خلال فترة حكمهم تستحق التقدير والاعجاب خاصة اذا علمنا ان احوال الدولة بدأت تضطرب منذ عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م عندما ظهر محمد بن تومرت ، كما اشتدت ضربات النصارى في الاندلس . وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات كانت الحركة العمرانية على أشدها ولم تتوقف لحظة واحدة ، فكما رأينا كانت بعض الاعمال المعمارية في مدينة فاس تسير على قدم وساق حتى عام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م .

حقا كان المرابطون بناة حضارة ودعاة تقدم ، فيد تحمل السلاح وتقارع الاعداء في الداخل والخارج ، والأخرى تحمل الممول لتعمرو تبني وتشيد المدن والمساجد والمرافق العامة .

د — الفنون الزخرفية :

=====

لقد كان لشراء الدولة وسخائها في الانفاق على الفنانين دور في ابراز اعمال —
فنية رائعة تبرز ما كانت تتمتع به من غناء وازدهار ، الا اننا يجب الا ننكر ما كان لوحدة
الاندلس والمغرب تحت سلطان المرابطين من دور في دفع عجلة الحركة الفنية تلك
دفعات الى الامام ، فقد استطاعت الايدي الاندلسية الفنية ان تخفف من خشونة للمب
العناصر المرابطية في المغرب وتطبعها بطابعها ، مسخرة كل ماديها من خبرة
ومهارة .

كما اتاحت سعة رقعة الدولة المرابطية ببيئاتها المتباينة فرصة طيبة للفنان
لاستلهاهم موضوعات لرسوماته وزخارفه ، وساعدت هذه السعة ايضا على توفير
المواد الخام من ثمين الاخشاب ، والعاج ، والجوهر ، وغيرها مما يحتاج
اليها الفنان وتساعد على الاجادة والابداع .

وكان لمتاخمة الدولة المرابطية للممالك الاسبانية النصرانية دور في تسرب
بعض التأثيرات الفنية النصرانية الى الفنون الزخرفية المرابطية ، وكان ايضا لصلات
المرابطين بالشرق عن طريق التجارة ، وعن طريق الرحلات والحج ، دور في
تسرب بعض المؤثرات الشرقية اليها .

في هذا المجال الرحب كان الفنان يقوم بعمل زخارفه غير مهال بالوقت من
أجل التجويد والدقة ، ولكنه فنان يعترف بحدود عمله على ضوء معتقده الاسلامي
فابتعد كل البعد عن كل ما هو محاك للطبيعة من انسان أو حيوان الا ما ندر ،
ووجد في النباتات ، والعناصر الهندسية ، والخط العربي مجالا رحبا لابراز
مواهبه وعبقريته الفنية ، كما كان الجص ، والنحاس ، والخشب والعاج مجالا
مناسبا لاعماله . ولم يجد ضيرا في بعض الاحيان في تزويق اعماله بنقوش الذهب ،

واللا زورد ، كما يجب ان لا يفوتنا ان جميع الزخارف المرابطية كانت زخارف حائطية ،
وكان معظمها في المساجد .

ولنتحدث بشيء من الايجاز عن بعض الاعمال التي ابدعها الفنانون في العصر
المرابطي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، ولنتناول عنصرا عنصرا من عناصر
الزخرفة .

— الزخارف النباتية —

=====

لقد ظهرت هذه الزخارف بأشكال زخرفية متنوعة فنشاهد في مسجد القرويين
في البلاطات الوسطي ، وجوف المحراب من اعلاه مجموعة من المراوح النخيلية " ١ " .
ونجدها في قبة جامع تلمسان عبارة عن جرائد مقسمة الى وريقات تتوالى فيها ورقة في
هيئة حلقة تتلوها وريقتان منحنيتان انحناء خفيفا ، وهو طراز ليس له في المغرب
نموذج سابق " ٢ " . على ان مقصورة محراب مسجد تلمسان تعتبر نموذجا لروعة
الزخارف النباتية وتنوعها فنطالع توريقات نفيسة تحاكي في بعض الأحيان وريقات شوكة
اليهود مع ايثار لتفريخ السفقان المنحنية التي تنبت منها الأوراق ذات الحقات وكيزان
الصنوبر ، والوريدات المستقره في توازن للمجموعات وتبلغ روعة هذه الزخرفة عند ما
تتراكب على التوريقات المتكررة تكوين اخر من اوراق كبيرة ونقوش كتابية الى جانب زخارف

١ — السيد عبد الحزير سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٥٨ —

٧٦٠ .

٢ — بالبياس : المرجع السابق ، ص ٤٥ — ٤٦ .

من اوراق مخططة شبيهة بورقة شوكة اليهود في مجموعات . " ١ "

وفي قبة القرويين المحاذية للمحراب نشاهد الزهور المتعاقبة في لوحات فنية أخاذة ، كما استخدمت النباتات التي تحاكي في اشكالها شجر النخيل لمليء الفراغات بين الحروف مما زاد في روعة الزخارف الكتابية ، كما نشاهد حقولا جذابة من الزهور ، والنباتات المتنوعة بأسلوب زخرفي جميل . " ٢ "

— الخط المرابطي : —

=====

واذا انتقلنا الى العنصر الاسلامي الاصيل في الزخرفة الاسلامية ، وهو الخط وجدنا يد الفنان في العهد المرابطي قد سخرته لخاياتها الزخرفية افضل تسخير فأخرجت لنا لوحات فنية في منتهى الروعة لادراكها لمميزات هذا الخط — ومناسبته للزخرفة لما يتمتع به من انبساط وتقويس و ما يمكن ان يضاف اليه — عناصر زخرفية .

ومن الموضوعات التي تناولتها الزخرفة الكتابية في العنصر المرابطي . الايات القرآنية الدعائية . وقد استخدمت بعض الكلمات القرآنية على شكل لوحات فنية ، فهناك لوحات تحمل الكلمات ، الحمد لله ، الشكر لله ، المزة لله ، الله اكبر وغيرها . " ٣ "

-
- ١ — موزنيو: المرجع السابق ، ص ٣٤٢ — ٣٤٥ .
 - ٢ — عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٩ — ٧٠ .
 - ٣ — المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٧١ .

واستخدمت الزخرفة الكتابية ايضا لتخليد اسماء بعض من قاموا بأعمال معمارية
عن طريق ذكر اسم وتاريخ هذا العمل . ومن امثلة ذلك ما نقش هاخلى قبة باب
الفخارين ما نصه ان هذا الباب والقبة قد كلف ببنائهما في شهر رذى الحجة عام
٥٢٨ هـ " ١ " . وفي قبة محراب مسجد تلمسان نطالع اسم امير المسلمين علي
ابن يوسف وتاريخ بنائه للمسجد عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م . " ٢ "

ونقش على اقواس قبة مسجد الجنائز المطحق بجامع القرويين بعض آيات من
سورة يس التي جرت العادة بالتبرك في تلاوتها على الاموات " ٣ " . وكان الفنان
يعتمد الى ملء الفراغ الذى بين الحروف بأشكال نباتية لتزيد الزخرفة الكتابية
أبهة وجمال . " ٤ "

وكذلك استخدم الخط في زخرفة العملة المرابطية ، فكان يكتب على وجهها
بخط جميل مكان وتاريخ سكها ، واسم امير المسلمين وولي عهده ، واسم امير
المؤمنين العباسي عليها ، فكان الخط العربي الجميل يعطيها مظهرا رائعا .

-
- ١ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٥٨ — ٧٦٠ .
 - ٢ — المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٤٩ .
 - ٣ — عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٤ — ٧٥ .
 - ٤ — المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ٦٩ — ٧١ .
 - ٥ — عبد الرب النبي : المرجع السابق ، ص ٧٠ — وكان من اثر الاهتمام
بالخط العربي ان برز خطاطون بارعون تذكر منهم :
ابا حفص عمر بن عبد الله السلمي الاغياتي نزىل فاس
٥٣٠ هـ ، وعبد الله بن محمد بن عيسى الفاسي انظر
محمد المنونى : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

وعلى الرغم من عدم شرعية البناء على القبور الا اننا نجد بعض الأضرحة قد ارتفع بناؤها ، وازدانت شواهدا بنقوش تمثل اشكال محاريب عقودها متجاورة — منكسرة تحطمها عمد على مناكب ويدور بالمقود طرر مستطيلة الشكل تعلوها افاريزز وتحف بهذه الافاريز والطرر نقوش كتابية ، ويغطي المحاريب المنقوشة كتابات جنائزية في ذكر المتوفي وتاريخ وفاته ، وبعض الآيات القرآنية • وكانت شواهد هذه القبور تصنع في بعض الاحيان من الرخام الابيض كما في مدينة المرية فيزيد ذلك من روعة اللوحة الفنية • "١"

واذا انتقلنا الى الزخارف الكتابية على الخشب وجدنا نماذج جذابة اشهرها منبر جامع الكتبية الذي يحدد تاريخه المستشرق سوفاجيه ما بين عامي ٥٣٤ و ٥٣٧ هـ / ١١٣٩ و ١١٤٢ م "٢" • على ان منبر جامع القرويين الذي صنع من ثمين الخشب والحاج يعتبر من اعظم الاعمال الخشبية على الاطلاق في المغرب الاسلامي ، حيث كان مدخله مطرزا بكتابات نسخية من الصدق بينما نقش على جانبيه كتابات بالخط الكوفي من الحاج "٣" ، اما محراب المسجد فقد رقص بورق الذهب واللازورد ، واصناف الاصبغة • "٤"

-
- ١ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٦٣ — ١٦٤ •
 - ٢ — مورينو : المرجع السابق ، ص ٣٤٩ — ٣٥٠ •
 - ٣ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٦١ ، حاشية رقم ٣ — عبد الهادي التازي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٥ — ٧٦ •
 - ٤ — ابن ابي زرع : المصدر السابق ، ص ٦١ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥٢ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٥٨ — ٧٦٠ •

ومن الموضوعات الزخرفية الجديدة في عهد علي بن يوسف الزخرفية
"١"
الشعبانية عند منابت العقود ، ويظهر هذا بشكل جلي في ابواب مسجد الجنائز .
وظهرت ايضا لأول مرة صور الحيوانات في الزخرفة في عهد المرابطين في بعض
المنسوجات التي صنعت في مدينة المرية ، والتي تميزت بالزخرفة القائمة على
دوائر متماسكة بداخلها صور لحيوانات ، "٢"

كما كانت المنسوجات الحريرية المسماة الستور المكلمة والمصنوعة من الحرير
الخفيف تزدهان بزخارف نباتية وازهار تشبه الاكاليل ، واخرى تزدهان بترايبيع
صغير على شكل معينات . ودخلت الخيوط الذهبية في بعض المنسوجات المرابطية
امعانا في التأنق في الزخرفة ، ومن اشهر هذه الانواع . الحلل الموشية ،
والدياج وهو من المنسوجات الحريرية السمكة ، والسقلاطون وغيرها . "٣"

ومن العناصر الزخرفية في هذا العهد المقرنصات ()
وهي عبارة عن تكوين هندسي على احجام تكون على جوانب عقود مختلطة شديدة
التعقيد ويظهر هذا النموذج بشكل جلي في مسجد تلمسان في الجزء الاوسط
المؤلف من اثني عشر ضلعا ، وفي الطاقات المقوسة بأركان قبتة ايضا "٤" . وتظهر

١ — السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٠٠

٢٥٨ — ٧٦٠

٢ — بالياس : المرجع السابق ، ص ٦٢ — ٦٣ .

٣ — السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٥٦ — ١٥٨ .

٤ — مورينو : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

"١"

ايضا بشكل واضح في اربع قباب اقيمت عند توسعة جامع القرويين بفاس ومضى الجنائز .

ويذكر ارنست كونل "٢" انه في عصر الدولة المرابطية نشأت قبة المحراب فوق قبوات مضلعة من المقرنصات وفي رأسها مصباح ، وان اول نموذج ظهر للمقرنصات ظهر في مسجد تلمسان ، علما بأن المقرنصات اول ما استخدمت في الشرق في مصر في بعض مساجد ها في المسجد الاقمر وغيره . "٣"

واستخدمت الشماسات والزجاج كعناصر زخرفية في المساجد خاصة الكبيرة منها مثل جامع القرويين "٤" . واستخدم الجص بشكل كبير في الزخرفة فزين جامع تلمسان ، ومسجد القرويين خاصة القباب بزخارف من الجص . "٥"

أجل لقد استطاع المرابطون اذكاء حركة عمرانية فنية كبيرة في دولتهم ، وان يأخذوا بيد ها حتى اصبحت عمائرهم نماذج تحتذى ، فظهرت نماذج معمارية وزخرفية لم يعهد ها المغرب والاندلس من قبل دولة المرابطين . وهذه النهضة التي قامت في عهد علي بن يوسف بن تاشفين في مجال العلم ، والفنون المعمارية والزخرفية اضافة الى ما قام به من اعمال جهاد ضد الممالك الاسبانية النصرانية لهي اوسمة شرف توضع على صدره وصدور رجال دولته ، وتدعى عنهم كل قول يفترى عليهم بأنهم قوم اجلا ف لا صلة لهم بالخطيئة .

١ — بالباس المرجع السابق ، ص ٤٥ — ٤٦ .

٢ — الفن الاسلامي ، ص ١٢٣ .

٣ — ابراهيم حركات : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

٤ — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

٥ — ابن القاضي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٨ — ٦٩ —

بالباس : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

الخاتمة

=====

يمثل عهد علي بن يوسف بن تاشفين قمة الازدهار الحضارى لدولة المرابطين
وفي نفس الوقت شهد هذا العهد بداية الانحدار والسقوط لتلك الدولة . فـ قـسـد
كان عهده قمة للتطور الاقتصادى والعمرانى ، والعلمى والمسكرى ، ولكن بسـدور
الضعف ما لبثت ان دبـت في رأس الدولة وجسمها فأقبل الراعى والرعية على الدنيا
يطلبون مقعها وزينتها وركنوا الى الراحة ففقدوا بداوتهم وصلابتهم شيئا فشيئا —
وفسد طبائعهم بعض الشيء فخبث عند هم روح الجهاد ولذا توالى هزائمهم فـسي
اواخر عهد علي بن يوسف على يد النصارى الأسبان واتباع المهدي بن تومرت مما
زعزع ثقة الرعية فيهم وشجعها على الثورة عليهم . وقد اصاب ابن خلدون عيـن
الحقيقة عندما ذكر في مقدمته " ١ " ((ان من عوائق الملك حصول الترف وانغماس
القبيل في النعيم وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت
على النعمة بقداره وشاركت اهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم
في ذلك بسهم وحصـة بقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة
بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها ولا مشاركتها فيه اذ عن ذلك القبيل لولايتها
والقنوق بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شيء من
منازع الملك ولا اسبابه انما همتمهم النعيم والكسب وخصب الميش والسكون في ظل
الدولة الى الدعة والراحة والاخذ بمذاهب الملك في الجاني والملايس والاستكثار
من ذلك والتأنق فيه بقدار ما حصل من الرياض والترف وما يدعوا اليه من توابـح
ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ويتنعمون فيما اتاهم الله
من البسطة وتنشأ بنوهم واعقابهم في مثل ذلك فن الترف عن خدمة انفسهم وولاية
حاجاتهم ويستنكفون عن سائر الامور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم
وسجية فتتفقد عصبيتهم وسالتهم في الاجيال بعد هم يتعاقبها الى ان تنقرض العصبية

فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشرافهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والفرق في النعيم كاسر من سورة العنكبوت التي بها التغلب واذا — انقضت العنكبوت قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتهتم — لام سواهم فقد تبين ان الترف من عوائق الملك والله يعطي ملكه من يشاء)) •

ان نظرية ابن خلدون هذه تنطبق تماما على دولة المرابطين اذ اننا نجد هذه الدولة في عهد هـ الاول صلبة قوية طوال فترة وجودها في المغرب لتمسكهم بالعنكبوت ومعدهم عن حياة الترف والدعة ولكن عندما دخلوا الى الاندلس جذببتهم حياتها الناعمة الالهية مما عجل في سقوط دولتهم خلال فترة قصيرة هـ وبذلك تكون دولة المرابطين قد سارت على سنة الممالك والدول التي قبلها (فترة شباب يزخر بالحيوية والنشاط الحربي والحضاري يتلوه ~~فكاسل~~ وفوضى يؤديان الى التضعضع فالسقوط) •

ومن خلال معالجتي لهذا العهد تبين لي في الباب الاول الذي افردته للاحوال الداخلية في دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين والذي تطرقت فيه الى الحديث عن ولاية علي بن يوسف بن تاشفين هـ والثورات والفتن في المغرب والاندلس من عام (٥٠٠ — ٥٣٧ هـ / ١١٠٦ — ١١٤٢ م) ان التحرك ضد الدولة المرابطية بدأ في فترة مبكرة تعود الى اواخر عهد يوسف بن تاشفين هـ وهذا ما اكدته احدى الوثائق الجديدة التي عثرت عليها والتي نصت على ان احمد بن زيفل قد ثار في حصار شقوره في عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م • ومن الجدير بالذكر ان خبر هذا الثائر لم يرد في اي مصدر او مرجع تاريخي من التي بين ايدينا وانما ورد بشكل عرضي في كتاب خاص بالمسائل الفقهية لابن رشد •

وأوضحت هذه الدراسة ان أمير المسلمين علي بن يوسف اتبع سياسة حكيمة مع الذين ثاروا ضد حكمه فلم يحاول القضاء عليهم بطريقة قمعية تمسقية بل

كان يتبع معهم أسلوب الصفح لاحتوائهم ، وكان يميل الى تحقيق رغباتهم بتوليتهم على ولايات مهمة ثم يقذف بهم الى الجبهات الساخنة مع النصارى الأسبان ليستغل طاقاتهم لصالح الاسلام والمسلمين .

وتوصلت في بحثي لثورة محمد بن تومرت الى ان دعوته قامت على الزيف والخداع ، فقد وصفه كثير من المؤرخين بأنه منتحل ومبتدع كما ألف شيخ الاسلام ابن تيمية كتابا خاصا في الرد على كتاب المرشده لابن تومرت .

وليس ادل على زيف عقيدته من ان اتباعه قد تخلوا عن عقيدته بعد فترة وجيزة من وفاته واسقطوا اسمه من الخطبة والسك . كما اثبت البحث ان هذه الثورة ما هي الا مظهر من مظاهر الصراع القبلي في المغرب وان المهدية ما هي الا قناع تقنعه به محمد بن تومرت ليحقق آمال قبيلته الام مصموده في التغلب على قبيلة لمتونه .

واتضح من خلال دراسة سيرة المهدي بن تومرت ان تومرت ليس اسما لوالد المهدي وانما هو لقب اطلقته عليه امه . كما تبين ان هذه الثورة كانت من الاسباب الاسباب المباشرة في سقوط دولة المرابطين ومن العوامل الهامة في سقوط كثير من المدن الاندلسية في يد النصارى لانشغال المرابطين في اخمادها . ولهم هذه الاعتبار المتعددة لا يمكننا ان نسمي هذه الثورة بحركة تجديد كما وصفها بعض الباحثين المحدثين .

اما فيما يتعلق بقاء المهدي بن تومرت بالامام الفزالي فقد رجحت عدم لقاءهما مع ترجيحي لتأثره بكتاب حياء علوم الدين .

وفي الباب الثاني الذي خصصته للعلاقات السياسية للمرابطين مع العالم الاسلامي فقد وثقت في بحثه بالثور على وثيقتين غاية في الاهمية اولاهما :

رسالة موجهة من أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى الافضل بن بدر الجمالي يوصيه فيها باحدى الشخصيات المرابطية الكبيرة المتوجهة الى الحج عن طريق مصره وهى الوثيقة اليتيمة عن العلاقات المرابطية الفاطمية الرسمية في عهد علي بن يوسف ، في حين اشار الباحثون المحدثون الى علاقات عدائية بين الدولتين .

أما الوثيقة الثانية فهى ايضا رسالة موجهة من علي بن يوسف الى الخليفة العباسي المستظهر ، وتعود اهمية هذه الوثيقة الى انها الوحيدة التي حفظت لنا من مراسلات علي بن يوسف للخلافة العباسية ، والتي يمكن اعتبارها نموذجا لبقية المراسلات في حين اعتمد الباحثون المحدثون في دراساتهم على الردود العباسية .

ومن أهم النتائج التي توصلت اليها في الباب الثالث الذى تضمن الحديث عن جهاد علي بن يوسف بن تاشفين ضد الممالك النصرانية أن الجيوش المرابطية بانتصاراتها الرائعة على الممالك النصرانية الاسبانية خاصة في اقليش ، وأفراخه ، وفحص البكار ، وقرب الزلاقة قد احبطت محاولات الممالك النصرانية الاسبانية الرامية الى التهام الاندلس الاسلامي في فترة مبكرة وأخرت سقوطه عدة قرون اخرى كذلك احبط الاسطول المرابطي في هذا العهد محاولات الجمهوريات الايطالية السيطرة على مياه البحر الابيض المتوسط باستيلائه على الجزائر الشرقية .

وتبين من خلال هذا الباب ان الحرب التي كانت تدور رحاها بين جيوش علي ابن يوسف والجيوش النصرانية الاسبانية ما هى الا حرب صليبية خالصة . وليس ادل على ذلك من كثرة نداءات بابوات اوربا لرعاياهم للانضمام الى الممالك الاسبانية الشمالية لمقاومة الجيوش المرابطية وطرد المسلمين من الاندلس . وقد اتضح ان صليبية هذه الحرب بشكل واضح في حصار سرقسطه عندما شارك فيه الرهبان والقساوسة والمتطوعة من اوربا ، وكان من بينهم من شارك في حصار بيت المقدس .

أما عن الاسباب المباشرة لرجحان كفة النصارى على المرابطين في أواخر عهد علي بن يوسف فقد عزوتها الى كثرة من سقط من مشاهير قادة علي بن يوسف في ساحة الجهاد وعجز الدولة عن تعويض هذه الخسائر لانشغالها في مواجهة المهدي بن تومرت مما دفع علي بن يوسف الى تعيين قادة للجيش المرابطية في الاندلس يفتقرون الى الخبرة العسكرية الكافية ، وكان لذلك اسوأ الاثر على حركة الجهاد هناك . في حين كان النصارى يعوضون خسائرهم البشرية عن طريق السيل المتدفق من المتطوعة عليهم من أوروبا .

ومما استخلصته من الباب الرابع الذي افرد لاهم مظاهر التطور الحضارى في دولة المرابطين ان علي بن يوسف هو أول من استخدم الروم في الجيش في المغرب الأقصى ، وانه حذا حذو والده في عدم مراعاة حق الابن الاكبر عند انتخاب ولي عهد له ، وكذلك استمر على سياسة والده في حكر ولاية الولايات وقيادة الجيوش على ابنائه واقاربه . وهذه المحاباة يضع لها الطرطوشي وزنا كبيرا في سقوط الدول فقد قال : ((وقالت الحكماء اسرع الخصال في هدم السلطان واعظمها في افساده وتفريق الجمع عنه اظهاره المحاباة لقوم دون قوم ، والميل الى قبيلة دون قبيلة فمتى اعلن بحب قبيلة فقد برئ منه قبائل وقد يما قيل المحاباة مفسده)) "١" . وتبين ايضا ان علي بن يوسف اتخذ لقباً آخر غير ناصر الدين وامير المسلمين وهو لقب ولي الله وهذا ما وجد منقوشاً على بعض عملته .

وحاولت هذه الدراسة ان تقدم صورة عن النظام القضائى في هذا العهد ، واتضح ان علي بن يوسف قد ادخل تعديلات هامة على هذا النظام اذ انتا لأول مرة نسمح انه ترك للرعية حرية اختيار قضاتها وبعد ان كان يتم الاختيار كان يباركه امير المسلمين ، ولذلك كان القضاة يتمتعون بسلطات واسعة لم يتمتعوا بمثلها في اى عصر من العصور .

ومن النتائج التي توصلت اليها في هذا الباب ايضا ان عهد علي بن يوسف عهد ازدهرت فيه الزراعة والتجارة والصناعة ازدهارا عظيما كما ان هذا العهد شهد نهضة فكرية وعمرانية رائعة . . وقد تركت هذه النهضة الحضارية بصماتها على حياة المجتمع المرابطي بشكل واضح فأثرت على ماكلهم ومشربهم وسلوكهم ، وحظيت المرأة بمكانة مرموقة وشاركت في مختلف أنشطة الحياة ، كما تمتع اليهود والنصارى بكامل حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية حتى ان بعض اليهود وصل الى رتبة وزير عند احد ولايات غرناطة في عهد علي بن يوسف ، ولم تفرض عليهم اى قيود تمنعهم من ممارسة عباداتهم وطقوسهم الدينية . وكذلك منحوا حق الانضمام للجيش وتولي بعض الوظائف الادارية . وهذا كله يدحض مقولة كارل بروكلمان القائلة بأن دولة المرابطين اضطهدت اليهود والنصارى . . كما اشرت الى ان الضرائب الاضافية التي فرضت في اواخر عهد علي بن يوسف عندما احدثت الاخطار بالدولة لم تكن ضريبا من التعسف والظلم كما ذهب معظم الباحثين المحدثين بل كانت اجراءا يقوم على دليل شرعي .

أما فيما يتعلق بالحركة الفكرية في هذا العهد فقد اكدت على ازدهارها في مختلف المجالات (في العلوم الشرعية ، والادبية ، والانسانية ، والطبية) ، فهو عهد ابن رشد ، وابن العربي ، والقاضي عياض ، وابي علي الصديقي ، عهد بلغت فيه العلوم الطبية ذروتها ، فقد توصل اطباء هذا العهد الى طريقة لسحق الحصاة من الكلية ، وقاموا بدراسة احساس العظام وهو من الموضوعات الطبية المعقدة حتي في العصر الحاضر ويعد الخوض فيها في عصر المرابطين من الامور المشرفة علميا ، وكذلك كتب اطباء هذا العهد رسائل متخصصة في كثير من الامراض كانت احداها في امراض الكبد كتبت لأمير المسلمين علي بن يوسف ، كما اعتمد اطباء هذا العهد على التحاليل المخبرية ومن خلال ذلك توصلوا الى وصف صوابية الجرب فكان لهم السبق في هذا الاكتشاف .

وقد خلصت هذه الدراسة الى ان اسباب احراق كتاب احياء علوم الدين تعود الى ان الكتاب حوى تعرضا بالفقهاء الذين اقبلوا على الدنيا ، ولان الغزالي افرد الباب السادس من كتابه " احياء علوم الدين " لعلماء السوء ، فضلا عن ذلك فالكتاب جمع بين احكام الورع وآداب المتصوفه و هو بذلك يرجح كفة المتصوفه على الفقهاء ، كما رددت على بعض الباحثين الذين ذهبوا الى ان الاحراق تم في عهد يوسف بن تاشفين ، وأكدت خطأ هذا الرأي .

ولم تكن النهضة المعمارية في هذا العهد اقل تقدما من سابقتها ، ان شهد هذا العهد نهضة معمارية رائعة تجلت من خلال عشرات المساجد والاسوار والقلاع والمرافق العامة التي انفق أمير المسلمين علي بن يوسف على بنائها وترميمها آلاف الدنانير . وقد كان لتشجيع أمير المسلمين علي وحاشيته للحركة المعمارية اثر كبير في ظهور مدرسة معمارية مرابطة لها سماتها المحددة في مجالي العمارة والزخرفة فالأول مرة في تاريخ المغرب يظهر في هذا العهد ما يعرف بمسجد الجنائز ، وتستخدم المظلات المتحركة لتظليل المصلين في ايام الصيف ، كذلك برزت الى حيز الوجود في المغرب القباب المقرصة ، والقباب المتقابلة على بوابات المساجد ، كما ظهرت صناعة المنابر المتميزة بالدقة المتناهية . وما هو جدير بالذكر انه لم يعهد ان قامت دولة من الدول الاسلامية في المشرق أو المغرب بانشاء هذا العدد الضخم من القلاع لنفس الغرض الذي من أجله انشأها المرابطون .

وفي مجال الزخرفة ظهرت في عهد علي بن يوسف موضوعات جديدة كان من أهمها الزخرفة الثعبانية ، كما ظهرت لأول مرة في عهد هذه الدولة صور لحيوانات لفرض الزخرفة على بعض المنسوجات .

ومن النتائج العامة التي قدمتها هذه الدراسة التأكيد على أن شخصية علي بن يوسف بن تاشفين شخصية فريدة في التاريخ الاسلامي في تلك الحقبة لما امتاز به من علم ودين وعدل وحسن خلق ، وان عهده من العهود النادرة في التاريخ الاسلامي الذي تمتع فيه الفقهاء بمثل هذه السلطة الواسعة ، فقد كان يأخذ بمشورتهم في كل صغيرة وكبيرة حتى في بناء الأسوار وترميمها ، وعزل الولاة وإيقاع العقوبات + كما أن هذه الدراسة تعزو بداية سقوط دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بشكل عام الى ثلاثة عوامل رئيسية هي : الثورات والفتن الداخلية وخاصة حركة المهدي بن تومرت ، وكثرة غارات النصارى على المدن — الأندلسية ، وافتتان المرابطين بحياة الترف واللهو ، ونتيجة لهذه العوامل مجتمعة لم تلبث دولة المرابطين بعد وفاة علي بن يوسف بن تاشفين عام ٥٣٧ هـ / سوى أربع سنين •

على أي حال تعتبر هذه الدراسة عن عهد علي بن يوسف بن تاشفين دليلاً دافعاً على تقدم وازدهار دولة المرابطين في مختلف المجالات ، وبالتالي قد حرض عنهم كل فريسة تفتقرى عليهم من قبل المستشرقين ومن هذا حذوهم من أنهم قوم اجلاف لا علم لهم بالحضارة •

=====

الملاحق

وثائق لم تنشر عن عصر المرابطين

ملحق رقم (١)

=====

عقد لأبناث ثورة ابن زيفل

=====

بسم الله الرحمن الرحيم : يشهد من تسمى في هذا الكتاب من
الشهداء انهم يعرفون سعيد بن احمد بن زيفل بعينه واسمه ويعلمونه ايام
حياته قد ثار بحسن شقوره ، ورأس فيه واستولى عليه وعلى جميع جهاته
اعواما كثيرة يجبي فوائد ذلك البلد ويضرب الضرائب على الرعايا ويضم الى نفسه جميع
ما كان في تلك الجهات ، لبيت مال المسلمين الى ان اظهر ذلك المال ، ونما
وكسب منه بجيـان وغيرها اصولا ورباعا واموالا ولا يعلمون له قبل قيامه في
الحسن المذكور مالا ولا حالا يفي بما اكتسبه ولا ببعضه . شهد بذلك كله
بن علمه حسب نـه ، ووقع شهادته بذلك في هذا الكتاب اذ سئلها في الحرم
سنة اثنتين وتسعين واربع مائة . " ١ "

===

ملحق رقم (١٢)

=====

رسالة علي بن يوسف الى الفضل بن بدر الجمالي "١"

=====

وكتب ابو القاسم بن الجد الى الفضل صاحب مصر كتاب كتب الله لحضرة
الامير السيد المعظم ابي القاسم الفضل زكي ذخائر الاعمال وغمر ارجاء ساحتها بوفود
الامال ونصر على نفاستها غرر المعالي ومحاسن الاقوال والافعال من حضرة المفسر
مقر سلطاننا ، ومحل شيطاننا ، ومركز بلادنا ، ومحتفل اجنادنا اشرق قولنا
من الفزوة الصافية ، وقد حسنت لنا اثار ورفعت لقدمنا ابصار ، واجتمعت بعون
الله بلاد واقطار ، وتأثت لنا في اعداء الله امال واوطار ، وما صدرنا حتى
رويت سيوفنا من دماهم ، واستباححت منيع ادراعهم ، واناخت جيوشنا بمدينسة
برجلونه ، اعز بلادهم دارا واجلها قدارا فاضرمناها نارا ، وهبت على ربح
اهلها اعصارا ، واوسعتهم قتلا واسارا ، ولما كان بيننا وبين حضرة الكريمة
وصل الله جلالها وسط ظلالها نيرا مشرقا مغربا مورقا وجب ان تهدي اليها متى
امكننا رسول ، وتأتي لنا في مطالعتها سؤل جملا من اخبارنا ولعما فن آثارنا
كما انا نتشر لما يطلع علينا من مسار ابنائها ، وشائر ظهورها ، واعتلائها ، ويتأدى
كتابنا غدا الى حضرة العزيزة عمر الله بالخيرات جنابها وقد في ساحات المسرات
اطنائها من يد فلان معظم شأنها وغهيل احسانها ، واحد كبراء اسرتنا ، واعيانها

١ - انظر نص هذه الوثيقة في ربحانة الالباب وريحان الشباب ، ورقة ٣٦ أ .

وهو ممن برقت له في الخير بوارق ، وسبقت منه سوابق في الفز واتباع طويلا
بمرط غباره وحب " ١ " ، ووضح في مضماره ثم رأى ان ينتقل من حسن السي
حسن وان يجمع بين الفز والحج في قرن ، ويؤدي ما يلزمه ادائه عن فرض
واجب متعين فضى لوجهته قاصدا بيت الله الحرام لتأدية حجة الاسلام وزيارة قبر
نبينا محمد عليه السلام مواطن تنزيل كتاب الله تعالى ، وموضع ميلاد نبيه المصطفى
ومطافه بين المروة والصفاء ، ومهاجر طيبة حيث طاب العقد وصاله ، ولا بد له
في وجهة من قضاء فروض الحضرة الممجة وشكر آلائها والانتفاء الى ما ينفذ اليه
عن جهل مذاهبها ورائها جريا على عادته الكريمة مع كل من الم من اصحابنا برحب
فنائها ولم يغيب عن حضرته الكريمة ما يحززه من الاجر الموفور والثواب المدخور لحسن
عون الحجاج المترايين من اقاصي الفجاج شعنا غبرا بين شعب اكوارهم يستقبلون
بوجوههم حرور ليلهم وسوم نهارهم ويعرجون ظهور المسالك ، ومتون المهالك
الى تلك المشاعر القدسة والمناسك .

ملحق رقم (٣)

=====

رسالة علي بن يوسف الى الخليفة العباسي المستظهر "١"

=====

كتب ابو القاسم بن الجد الى المستظهر بالله العباسي عن علي بن يوسف
خص الله حضرة الامام المستظهر بالله ابي العباس امير المؤمنين بأفكار الحسنات
وانوار المساعي الصالحات ، وحشد اليها وفود الخيرات ، وطرق دونها عيون
الحادثات كتب ولي الدولة العباسية المقتدى بسيرتها الفاضلة المرضية وهو يحمد الله
جلت اسمائه حمدا موصول الاسباب محدود الاطباب ونسأله الصلاة على محمد رسوله
المنتخب للباب من اكرم الانساب ، وان يختص حضرة امير المؤمنين سليل الخلائف
بصفايا الموارف والموائف اللصائف ، ويجمع على الاقدار بحقها والاعتراف بفضلها كلمة
المخالف والمخالف وعقيدة المتجائف "٢" والموائف عن اوفى عهد واقوى عقد فـى
التمسك بعلائق طاعتها ، والتقليد لقلائد امامتها بعد ان وصل اليه كتابها
العزیز من مراسلها العالية ، ومواهبها الزاكية عهد الزموها رسوما وحدودا ،
واقامها في عضد امره جنودا ، ونشر منها الوية الفخر ونودا على انه ما زال يحصل
مشايخها ومبايعتها معتصما وبعلامه امامتها وخلافتها معلما والاحكام لسننتها العادلة

-
- ١ - انظر نص هذه الوثيقة في ريحانة الالباب وريحان الشباب ورقة ٣٥ ب ، ١٣٦ .
 - ٢ - يقال رجل اجنفا اذا كان في خلقه ميل ويقال تجانف عن كذا اذا مال انظر :
معجم مقاييس اللغة ، ج ١ ، ص ٤٨٦ مادة (جنف) .

متقلدا ملتزما ، وفي مجاهدة اعداء الدين وحماية ارجاء المسلمين مجتهدا معتزما
يشيد بالدعاء لها على منابر بلاده ويمظم امرها وفخم قدرها وذكرها في اوقات
انفراد ، واحتشاده ، ويجعل تقوى الله تعالى نصب اعتقاده وعرض اعتماده ،
ويتخذ من كتابه المبين وسنة رسوله الامين دليل هدايته ، وارشاده ويستفرغ في
قطع المظالم ومنع المحارم وسع قدرته واجتهاده وعلى هذه البصيرة والوتيرة درج
من درج من آباءه ، واجداده ، والاحوال بحمد الله بجنابته مستقيمة ،
والاعمال في جميع جهاته سليمة ، والاحكام بمراعاته على مركز الحق ومقر العدل
مقيمة ، والاجناد موفورة في سبيل الجهاد معصورة واحزاب الكفر فيما جاور اقطاره
موطرة ، وثغور المسلمين محوطه مضبوطة ، وامور الدين مشدودة مربوطه
وايدي الجور والخوف في جميع عمله مقبوضة محطوطة ، وسط العدل والامن
مددوده مبسوطة ، وولي الدولة الممجة وصل الله علوها وكبت عدوها ، سيرى
ان انتظام اموره ودوام ظهوره مما يعتقده ويتقلده من القيام بدعوتها ، والاعتصام
بمحضتها ، والانتظام في سلك طاعتها ، والله يكتبه في الرعيل الاول من جملة
اولها وحمة آلائها المستظلين بظل رايتها ولوائها ولا يعدمه التشرف بما يرد عليه
من عهودها السامية وانحائها بمرتته وسلام الله الموصول على حضرة الامام ومحل
الكرامة ورحمة الله وبركاته .

=====

قائمة المصادر والمراجع

١ - المخطوطات :

=====

- البرزوى ، أبى عبيد الله محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله .
- ١- تاريخ دول الاسلام بالمغرب الاقصى (فرغ من تأليفه ١٩٣٨) ،
الخزانة الملكية بالرباط رقم ٤١٣ .
- الحوى ، ابن ابى الدم .
- ٢- التاريخ المطفى ، ميكروفلم مصور من معهد احياء المخطوطات
العربية التابع لجامعة الدول العربية رقم ١/٩٦٦ التاريخ المطفى .
- ابن خيره المواعيني الاشبيلي ، محمد بن ابراهيم (ت ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م)
- ٣- ربحان الالباب وربحان الشاب في مراتب الاداب ، الخزانة
الملكية بالرباط رقم ٢٦٤٧ .
- الذهبي : (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :
- ٤- الجزء الرابع من تاريخ دول الاسلام ، ميكروفلم مصور من معهد
احياء المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية رقم ٥٩٦ .
- ابن زهر ، ابى الصلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان (ت ٢٥٥ هـ / ١١٣١ م)
- ٥- التيسير فى مداواة والتدبير ، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط
رقم ٢/١٥٣٨ .
- السرقسطي ، ابى الطاهر محمد بن يوسف التميمي (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) :
- ٦- المقامات اللزومية ، ميكروفلم مصور من معهد احياء المخطوطات
العربية التابع لجامعة الدول العربية رقم ٢٩٤ ادب .
- ابن شاكركتبي ، محمد بن احمد (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) .
- ٧- عيون التواريخ الجزء الثالث عشر ميكروفلم مصور من معهد احياء
المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية رقم ١٤٩٧ تاريخ
الملزوزيسن ، عبد العزيز بن عبد الواحد :
- ٨- نظم السلوك في تاريخ الانبياء والخلفاء والملوك ، الخزانة الملكية
بالرباط رقم ٤٠٩ .

٢ - المصادر المطبوعة :

=====

٩ - القرآن الكريم .

ابن الآبار (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) .

١٠ - الحطة السيرة ، ج ٢ تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ،

ط ١ ، ١٩٦٣ م .

١١ - المعجم في اصحاب القاضي الامام ابي علي الصديقي ، مدريد

١٨٨٥ م .

ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) .

١٢ - الكامل في التاريخ ، بيروت ١٩٦٦ م .

الادريسي (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) -

١٣ - نزهة المشتاق ، لندن ١٨٦٤ م .

الازهرى (ت ٣٧٠ هـ / ١٩٨٠ م) .

١٤ - تهذيب اللغة ، ج ٨ ، تحقيق عبد العظيم محمود ، الدار

المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، د . ت .

الاصفهاني ، العماد الكاتب (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) :

١٥ - خريدة القصر وجريدة العصر ، ق ٤ ، ج ٢ ، تحقيق عمر

الدسوقي وعلي عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر -

الفيجالة - مصر - ١٩٦٤ م .

ابن ابي اصيحه (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) :

١٦ - عيون الانباء في طبقات الاطباء ، المطبعة الوهبية ، ١٨٨٢ م +

ابن بسام (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) :

١٧ - الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة . حقق منه احسان عباس ،

ق ١ ، ج ٢ ، بيروت ١٩٧٥ م .

ق ٢ ٥ ج ١ ٥ ج ٢ ٥ بيروت ١٩٧٨ م ٠

ق ٣ ٥ ج ١ ٥ " ١٩٧٩ م ٠

ق ٤ ٥ ج ١ ٥ " ١٩٧٩ م ٠

ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م) :

١٨ — الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم

وفقهائهم وادبائهم ٥ القاهرة ١٩٥٥ م ٠

ابن بلقين (ت ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) :

١٩ — التبيان ٥ تحقيق ليفي بروفنسال ٥ القاهرة ١٩٥٥ م ٠

البكري (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :

٢٠ — جغرافية الاندلس واوروبا ٥ منتخبه من كتاب المسالك

والممالك تحقيق عبد الرحمن الحجبي ٥ بيروت ١٩٦٨ م ٠

البغدادى (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) :

٢١ — تاريخ مدينة بغداد ٥ تحقيق وطبع اوفست كونروغرافير ٥

بيروت ٥ د ٠ ت ٠

البيزقي (ت القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى) :

٢٢ — العقبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب ٥ تحقيق

عبد الوهاب بن منصور ٥ الرباط ١٩٧١ م ٠

٢٣ — اخبار المهدي بن تومرت ومداية دولة الموحدين ٥ الرباط ٥

١٩٧١ م ٠

التطيلي (ت ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م) :

٢٤ — ديوان الاعشى التطيلي ٥ تحقيق احسان عباس ٥ بيروت ٥

١٩٦٣ م ٠

ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :

٢٥ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥ ج ٥ ٥ المؤسسة

المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، ١٩٦٣ م .

ابن تومرت (ت ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م) :

٢٦ — كتاب محمد بن تومرت مهدي الموحدين ، الجزائر ١٩٥٩ م .

ابن تيميه (٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م) :

٢٧ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيميه ، الرياض ، ط ١ ،

١٣٨١ هـ .

الجزنائي (ت القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) :

٢٨ — جني زهرة الآسي في بناء مدينة فاس ، الرباط ١٩٦٧ م .

ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٨٣ م) :

٢٩ — الفصل في الملل والاهواء والنحل ، طبعة في مجلدين الاول يحوى

جزئين ، والثاني ثلاثة اجزاء — يطلب من مكتبة المثني بغداد .

الحميري (ت ٩٠٠ هـ / ١٥٠٧ م) :

٣٠ — البروق المطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ،

بيروت ١٩٧٥ م .

ابن حيان (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) :

٣١ — المقتبس من انباء اهل الاندلس ، تحقيق محمود علي مكي ،

بيروت ١٩٧٣ م .

ابن خاقان (ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) :

٣٢ — قلائد العقيان في محاسن الاعيان ، تونس ١٩٦٦ م (مصوره

عن طبعة باريس) .

ابن خفاجه (ت ٥٣٣ هـ / ١١٣٧ م) :

٣٣ — ديوان ابن خفاجه ، دار صادر بيروت ١٩٦١ م .

ابن الخليل (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) :

٣٤ — معيار الاختيار في ذكر المماهد والديار ، تحقيق محمد كمال

شبانہ — مطبعة فضاله — المحمدية (المضرب) ١٩٧٦ م.

— ٣٥ — الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ،

القاهرة (١٩٧٣ — ١٩٧٥ م) .

— ٣٦ — تاريخ المضرب العربي في مصر الوسيط (وهو القسم الثالث

من كتاب اعمال الاعلام) ، تحقيق احمد مختار المبادئ ،

ومحمد ابراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ١٩٦٤ م .

ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) :

— ٣٧ — مقدمة ابن خلدون ، المكتبة التجارية الكبرى د . ت .

— ٣٨ — تاريخ ابن خلدون ، ج ٦ ، بيروت ١٩٥٩ م .

ابن خلدان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

— ٣٩ — وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ،

ج ١ — ٣ ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٨ م .

ج ٤ — ٧ ، دار صادر بيروت ١٩٧١ م .

ابن دحية (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) :

— ٤٠ — المطرب من اشعار اهل المضرب ، تحقيق ابراهيم الاياري

وآخرون ، المطبعة الاميرية ١٩٥٥ م .

ابن ابي دينار :

— ٤١ — المؤنس في اخبار افريقية وتونس ، تحقيق محمد شطام ،

تونس ط ٢ ، ١٩٦٧ م .

ابن رشد (ت ما بين عامي ٥٢٠ و ٥٣٠ هـ / ١١٢٦ و ١١٣٥ م) :

— ٤٢ — مسائل ابي الوليد بن رشد ، تحقيق ودراسة قام بها محمد

ابن الحبيب التيجاني لنيل درجة الماجستير في الفقه

الاسلامي من جامعة القرويين (دار الحديث الحسنية ،

الرباط ، وهي مطبوعة على آلة كاتبة ١٩٧٧ م)

- ابن أبي زرع كان حيا قبل ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م :
- ٤٣ — الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، ١٩٧٣ م .
- الزركشي (ت حوالي ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م) :
- ٤٤ — تاريخ الدولتين الموحديه والحفصية ، تحقيق محمد
مازور ، تونس ، ط ٢ ، ١٩٦٦ م .
- ابن زكريا (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) :
- ٤٥ — معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،
القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٣ م .
- السرقسطي (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) :
- ٤٦ — السلسل في غريب اللغة تحقيق محمد عبد الجواد ،
القاهرة ١٩٥٧ م .
- ابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) :
- ٤٧ — المغرب في خلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ،
القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦٤ م .
- السلوى (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٠ م) :
- ٤٨ — الاستقصاء لخبار دول المغرب الاقصى ، ج ٢ ،
الدار البيضاء ١٩٥٤ م .
- السيوطي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :
- ٤٩ — تاريخ الخطاء ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،
القاهرة ١٩٧٥ م .
- الامام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) :
- ٥٠ — الرسالة ، تحقيق احمد محمد شاكر ١٩٣٩ م .
- ابوشامه (ت ٦٦٥ / ١٢٥٨ م) :
- ٥١ — مجموعة الرسائل ، مطبعة كردستان العلمية — مصر

- شيخ الربوه ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصارى الصوفى الدمشقى .
- ٥٢ — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، طبع في مدينة
بغداد في مطبعة الاكاديمية الامبراطورية ١٨٦٥ م .
- الضبي (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) :
— ٥٣ — نخبة الملتقى في تاريخ رجال اهل الاندلس ، مدريد
١٨٨٤ م .
- الطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) :
— ٥٤ — سراج الملوك ، طبعة انطون غندور — القاهرة ١٨٩٢ م .
- ابن عذارى (ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م) :
— ٥٥ — البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب .
ج ٢ ، ج ٣ ، تحقيق كولان ميرونسال ١٩٥١ م .
ج ٤ تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٧٧ م .
- ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) :
— ٥٦ — احكام القرآن ، تحقيق محمد علي البجاوى ، القاهرة ،
١٩٧٢ م .
- ٥٧ — المواسم من القواصم ، تحقيق محب الدين الخطيب ،
بيروت ١٩٧٩ م .
- ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) :
— ٥٨ — شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، بيروت طبعة
دار الآفاق الجديدة د . ت .
- ابن عياض (ت ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م) :
— ٥٩ — التمرى بالقاضى عياض ، تحقيق محمد بن شريفه ،
منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافية في
المملكة المغربية ، طبعة فضاله — المغرب .

الفزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) :

- ٦٠ - - احياء علوم الدين ، بيروت دارالمعرفة للطباعة والنشر ،
د . ت .

- ٦١ - - فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، القاهرة
١٩٦٤ م .

أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

- ٦٢ - - تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠ م .
٦٣ - - تاريخ الملك المؤيد اسماعيل ابي الفدا .

ابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م) :

- ٦٤ - - الدياج المذهب ، تحقيق محمد الاحمدى ابو النور ،
القاهرة ١٩٧٤ م .

ابن القاضي (ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م) :

- ٦٥ - - جذوة الاقتباس في ذكر من حل في الاعلام مدينة فاس ،
ج ١ الرباط ١٩٧٣ م ، ج ٢ ، الرباط ١٩٧٤ م .

القرطبي ، ابي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي :

- ٦٦ - - اخبار الدول واثار الاول في التاريخ ، طبعة عالم الكتب ،
بيروت ، د . ت .

القزويني (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) :

- ٦٧ - - آثار البلاد واخبار العباد ، بيروت - دار صادر ١٩٦٠ م .
القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :

- ٦٨ - - صبح الاعشى في صناعة الانشا ، نسخة مصورة عن الطبعة
الاميرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر ، القاهرة .

- ٦٩ - - مآثر الانافه في معالم الخلافه ، تحقيق عبد الستار احمد
فراج ، الكويت ١٩٦٤ م .

- ابن قنفذ (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :
 - الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت ، ط ٢ ،
 ١٩٧٨ م .
 - ٧٠
- ابن كير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) :
 - البداية والنهاية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م .
 - ٧١
- ابن الكردبوس (من علماء القرن السادس الهجرى) :
 - تاريخ الاندلس ، تحقيق احمد مختار العبادى ،
 نشر في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد
 في المجلد الثالث عشر ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م .
 - ٧٢
- المراكشي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) :
 - المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق محمد
 سعيد المريان ، القاهرة ١٩٦٣ م .
 - ٧٣
- المقرئ (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) :
 - نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها
 لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد محيى
 الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩ م .
 - ٧٤
- المقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :
 - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مطبعة
 الساحل الجنوبي - الشياح - لبنان ١٩٥٩ م .
 - ٧٥
- مؤلف مجهول اندلسي (من اهل القرن الثامن الهجرى) :
 - الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، تحقيق
 سهيل زكارو عبد القادر زمامه ، الدار البيضاء ،
 ط ١ ، ١٩٧٩ م .
 - ٧٦
- النباهي (ت ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م) :

النباهي (ت ١٣١٣ هـ / ١٣١٣ م) :

— ٧٧ — المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ،

المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت *

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) :

— ٧٨ — معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي

(١٩٥٦ — ١٩٥٧) ، طبعة دار صادر ،

١٩٧٧ م .

===

٣ - المراجع الحديثه :

=====

ابراهيم حركات :

- ٧٩ - المغرب عبر التاريخ ، الدار البيضاء ، ط ١ ،
١٩٦٥ م .

احسان عباس :

- ٨٠ - تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)
بيروت ، ط ٥ ، ١٩٧٨ م .

احمد امين :

- ٨١ - ظهير الاسلام ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ،
القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٦١ م .

احمد الياس :

- ٨٢ - الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن
السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب ، رسالة
ماجستير مقدمة لجامعة القاهرة ، ١٩٧٧ م .
لم تطبع .

احمد السباعي :

- ٨٣ - تاريخ مكة ، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ،
ط ٤ ، ١٩٧٩ م .

احمد السعيد سليمان :

- ٨٤ - تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ،
القاهرة ، ١٩٦٩ م .

احمد على الملا :

- ٨٥ - اثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبية ،
دار الفكر ، د . ت .

احمد مختار المبادى :

— ٨٦ — في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة الثقافة

الجامعية الاسكندرية •

ادورد زامباور :

— ٨٧ — معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ،

ترجمة زكي محمد حسن بك ، وحسن احمد محمود ،

القاهرة ١٩٥١ م •

آرثر كوستلر :

— ٨٨ — ابراطورية الخزر وميراثها ، ترجمة حمدى متولي ،

دمشق ، ١٩٧٨ م •

ارنست كونل :

— ٨٩ — الفن الاسلامي ، ترجمة احمد موسى ، بيروت ،

١٩٦٦ م •

اسماعيل بن محمد الانصارى :

— ٩٠ — حكم بناء الكنائس والمعابد الشريكية في بلاد المسلمين ،

ط ١ ، ١٤٠١ هـ •

اميل فيلكس غوتيه :

— ٩١ — ماضي شمال افريقيا ، ترجمة هاشم الحسيني ،

طرابلس ، ليبيا ، ١٩٧٠ م •

امييلو غرسيه غومس :

— ٩٢ — الشعر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ،

ط ٣ ، ١٩٦٩ م •

— ٩٣ — شعراء الاندلس والمقنبي ، ترجمة الطاهر احمد مكي ،

القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٤ م •

آنخل جنثالث بالنثيا :

— ٩٤ — تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ،

القاهرة ، ١٩٥٥ م .

يادال دافدسن :

— ٩٥ — افريقيا تحت اضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد

احمد ، بيروت ١٩٦١ م .

ج . دى . بور :

— ٩٦ — تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي

ابوريدة ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

جودت الركابي :

— ٩٧ — في الادب الاندلسي ، القاهرة ، ط ٤ ،

١٩٧٥ م .

الحبيب الجنحاني :

— ٩٨ — المغرب الاسلامي ، الدار التونسية للنشر ،

١٩٧٧ م .

حسن ابراهيم حسن :

— ٩٩ — تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،

القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦٧ م .

حسن احمد محمود :

— ١٠٠ — قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

الحسن السائح :

— ١٠١ — الحضارة المغربية عبر التاريخ ، الدار البيضاء ،

ط ١ ، ١٩٧٥ م .

حسين مؤنس :

— ١٠٢ — فجر الاندلس ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٥٩ م .

حيدر بامات :

— ١٠٣ — مجالى الاسلام ، ترجمة عادل زعتر ، القاهرة ،

١٩٥٦ م .

خليل ابراهيم صالح البشير :

— ١٠٤ — علاقات المرابطين بالمالك النصرانية بالاندلس —

والدول الاسلامية ، رسالة مقدمة لنيل درجة

الدكتوراه في التاريخ الاسلامي — جامعة

القاهرة ، ١٩٧٩ م . (لم تطبع) .

خودا بخش :

— ١٠٥ — الحضارة الاسلامية ، ترجمة علي حسني

الخريوطي ، دار احياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٠ م .

دانييل ماك كوك :

— ١٠٦ — الروايات التاريخية عن تأسيس سجل ماسه وقائه

ترجمة محمد الحمداوى ، الدار البيضاء ،

١٣٩٥ هـ .

نزيق الله متقريوس الصدفى :

— ١٠٧ — تاريخ دول الاسلام ، مطبعة الهلال ، مصر

١٩٠٧ م .

رضا عبد الجليل الطيار :

— ١٠٨ — الدراسات اللغوية في الاندلس منذ مطلع

القرن السادس الهجرى حتى منتصف القرن السابع

الهجرى ، دار الرشيد للنشر - العراق ، ١٩٨٠م .

رولاند اوليفر :

— ١٠٩ — موجز تاريخ افريقية ، ترجمة دولت احمد صادق ،

الدار المصرية للتأليف والترجمة .

رينهارت دوزى :

— ١١٠ — ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام ، ترجمة

كامل كيلاني ، القاهرة ، ١٩٣٣م .

زكي النقاش :

— ١١١ — الملاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين المغرب

والافرنج خلال الحروب الصليبية ، بيروت ،

١٩٥٧م .

زينفرد هونكه :

— ١١٢ — شمس المغرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون

وكمال دسوقي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٠م .

ستيفن رنسيان :

— ١١٣ — تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة الباز المريني ،

بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٧م .

سعد زغلول عبد الحميد :

— ١١٤ — محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والاندلس

بيروت ، ١٩٧٣م .

سعيد عاشور :

— ١١٥ — بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ،

١٩٧٧م .

سيد امير علي :

- ١١٦ — تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، ترجمة رياض رافت ،
مطبعة التأليف والنشر ، ١٩٣٨ م.

السيد عبد العزيز سالم :

- ١١٧ — قرطبه حاضرة الخلافة في الاندلس ، بيروت ، ١٩٧١ م.
١١٨ — تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس ،
بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٩ م.
١١٩ — المغرب الكبير ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ م.
١٢٠ — تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، دار المعارف
مصر ١٩٦٢ م.

شاخت موزرث :

- ١٢١ — تراث الاسلام ، ترجمة حسين مؤنس واحسان صدقي
العمد (نشر ضمن سلسلة عالم المعرفة ذو القعدة /
ذو الحجة ١٣٩٨ هـ) .

شكيب ارسلان :

- ١٢٢ — الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسيه ،
بيروت ، ١٣٥٨ هـ .

شوقي ضيف :

- ١٢٣ — الفن ومذاهبه في النثر العربي ، القاهرة ، ط ٨ ،
١٩٧٧ م.

الطاهر احمد مكي :

- ١٢٤ — دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة ، دار
المعارف ، ط ١ ، ١٩٨٠ م.

ظافر القاسبي :

— ١٢٥ — نظام الحكم في الشريعة والتاريخ ، بيروت

ط ١ ، ١٩٧٤ م .

عبد الله بن العباس الجراري :

— ١٢٦ — تقدم العرب في العلوم والصناعات واستاذيتهم

لاوربا ، دار الفكر العربي ، ط ١ ،

١٩٦١ م .

— ١٢٧ — الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها ،

ج ١ ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .

— ١٢٨ — وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ ،

الدار البيضاء ، ١٣٩٥ هـ .

عبد الله علام :

— ١٢٩ — الدعوة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن

ابن علي ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

عبد الله كنون :-

— ١٣٠ — عبد الله بن ياسين ، بيروت ، ١٩٧١ م .

عبد الحميد العبادي :

— ١٣١ — المجلد في تاريخ الاندلس ، القاهرة ،

ط ٢ ، ١٩٦٤ م .

عبد الحق حموش :

— ١٣٢ — ابن تاشفين ، نشر دار الكتاب — الدار

البيضاء ، د . ت .

عبد رب النبي محمد :

- ١٣٣ — مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال افريقيا والاندلس
رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الحضارة والنظم
الاسلامية — كلية الشريعة والدراسات الاسلامية — جامعة
الملك عبد العزيز — مكة المكرمة ، ١٩٧٩ م
(لم تطبع)

عبد الرحمن الحجري :

- ١٣٤ — جوانب من الحضارة الاسلامية ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٧٩ م
١٣٥ — اندلسيات ، دار الارشاد للطباعة والنشر ، ١٩٦٩ م
١٣٦ — التاريخ الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، بيروت ،
ط ١ ، ١٩٧٦ م

عبد الرحمن فهمي :

- ١٣٧ — موسوعة النقود العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م

عبد العزيز الاهواني :

- ١٣٨ — الزجل في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٧ م

عبد العظيم عبد العظيم :

- ١٣٩ — الاحاديث الواردة في المهدى في ميزان الجرح والتعديل ،
رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الكتاب والسنة
بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز
مكة المكرمة ، ١٩٧٨ م (لم تطبع)

عبد المنعم ماجد :

- ١٤٠ — العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، بيروت ،
١٩٦٦ م

عبد الكريم التواتي :

— ١٤١ — مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس ،

الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٦٧ م.

عبد الهادي التازي :

— ١٤٢ — جامع القرويين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٢ م.

عبد بدوي :

— ١٤٣ — مع حوكة الاسلام في افريقيه ، القاهرة

١٩٧٠ م.

فالترهنتس :

— ١٤٨ — المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في

النظام المتري ، ترجمة كامل الحسني ،

عمان ، ١٩٧٠ م.

ابو الفتوح التوانسي :

— ١٤٩ — من اعلام الطب العربي ، الدار القومية

للطباعة والنشر .

فليب حتى :

— ١٥٠ — تاريخ العرب مطول ، مطابع الخندور ،

ط ٤ ، ١٩٦٥ م.

كارل بروكلمان :

— ١٥١ — تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس

ومنيّر البعلبكي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٥٤ م.

لطفی عبد البديع :

— ١٥٢ — الاسلام في اسبانيا ، القاهرة ، ط ١ ،

١٩٥٨ م.

ليفي بروفنسال :

- ١٥٣ — حضارة العرب في الاندلس ، ترجمة ندوقان قرقوط ،
بيروت ، دار مكتبة الحياة .

ليبولد وتوريس بالباس :

- ١٥٤ — الفن المرابطي والموحدي ، ترجمة سيد غازي ،
القاهرة ، ١٩٧١ م .

لين بول

- ١٥٥ — قصة العرب في الاندلس ، ترجمة علي الجارم ،
دار المعارف ، ١٩٦٠ م .

مانويل جوميث مورينو :

- ١٥٦ — الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة لطفي عبد البديع
وعبد العزيز سالم ، الدار المصرية للتأليف
والترجمة ، د . م .

محسن حامد العبادي :

- ١٥٧ — ابن سعيد الاندلسي حياته وتراثه الفكري والادبي
القاهرة ، ١٩٧٤ م .

مصطفى الشكمه :

- ١٥٨ — الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ، بيروت ،
ط ٣ ، ١٩٧٥ م .

محمد خليل هراس :

- ١٥٩ — شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية ،
الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، ط ٣ ،

محمد كامل حسين :

- ١٦٠ — طائفة الاسماعيلية — تاريخها — نظمها — عقائدها

القاهرة • ط ١ • ١٩٥٩ م •

محمد عبد الله عنان :

١٦١ — دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المبريطي •

القاهرة • ط ١ • ١٩٦٠ م •

١٦٢ — عصر المبريطين والموحدين في المغرب والاندلس —

المصر الثالث • القسم الاول • القاهرة • ط ١ •

١٩٦٤ م •

١٦٣ — دول الاسلام في الاندلس • القاهرة • ط ٣ •

١٩٦٥ م •

١٦٤ — مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام • القاهرة • ١٩٥٢ م •

١٦٥ — نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتصرين • القاهرة •

ط ٣ • ١٩٦٦ م •

١٦٦ — الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال •

القاهرة • ط ٢ • ١٩٦١ م •

محمد مجيد السعيد :

١٦٧ — الشعر في عهد المبريطين والموحدين بالاندلس •

دار الرشيد • ١٩٨٠ م •

محمد المنوني :

١٦٨ — العلوم والاداب والفنون على عهد الموحديين •

الرباط • ١٩٧٧ م •

محمد ولد داداه :

١٦٩ — مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الاول الى

انتصاف القرن السابع — دراسة في التاريخ السياسي •

القاهرة • ط ١ • ١٩٧٧ م •

- ١٧٠ — محمود اسماعيل :
— دراسات مغربية جديدة ، فاس ، ١٩٧٧ م .
- المير الای اسماعيل سرهنك :
١٧١ — حقائق الاخبار عن دول البحار ، بولاق ،
ط ١ ، ١٣١٢ هـ .
- هشام سليم عبد الرحمن ابو رميله :
١٧٢ — نظم الحكم في الاندلس في عصر الخلافة ، رسالة
مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاداب — قسم
التاريخ — جامعة القاهرة ١٩٧٥ م . (لم تطبع)
- يوسف اشباح :
١٧٣ — تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ،
ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- ١٧٤ — اثر الحرب والاسلام في النهضة الاوروبية ، اعدت
هذه الدراسة باشراف مركز تهادل القيم الثقافية
بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم
والثقافة (يونسكو) ، الهيئة المصرية العامة
للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ م .
- ١٧٥ — بحوث في التاريخ الاقتصادي ، ترجمة توفيق
اسكندر ، القاهرة ١٩٦١ م .
- ١٧٦ — مهرجان الغزالي في دمشق (ابو حامد الغزالي
في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده) مجموعة
بحوث تناولت حياة الغزالي وفكره ، صدرت
على شكل كتاب ، دمشق ، ١٩٦١ م .

Abdurrahman Ali El-Hajji, Andalusian diplomatic relations — 177
with western Europe during the Umayyad period (A.H.138-366/A.D.
755-976) Dar Al-Irshad, Beirut 1970.

=====

٤ - الدوريات :

=====

احمد مختار المبادئ :

- ١٧٨ - دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار
المراكشية واهميته في تاريخ المرابطين والموحدين ،
مجلة تطوان ، العدد الخامس ، ١٩٦٠ م .
- ١٧٩ - الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية ، مجلة
عالم الفكر ، المجلد الحادي عشر ، العدد الاول -
ابريل - مايو - يونيو - ١٩٨٠ م .

اسماعيل الشطي :

- ١٨٠ - حقيقة قضية المهدي ، مجلة المجتمع الكويتيه ،
العدد ٤٦٢ ١١ ديسمبر ١٩٧٩ م .

امبرو سيوهويسي ميرنده :

- ١٨١ - وقعة اقليش ومصرع الاميرضون شانجه ، مجلة
تطوان العدد الثاني .
- ١٨٢ - علي بن يوسف واعماله في الاندلس ، مجلة تطوان
العدد الثالث والرابع ١٩٥٨ - ١٩٥٩ م .

امين توفيق الطيبي :

- ١٨٣ - النقود المربية غزت اوربا القرون الوسطى ، مجلة
العربي العدد ٤٧٦ محرم ١٤٠٢ هـ /
نوفمبر ١٩٨١ م .

الحبيب الجنحاني :

- ١٨٤ - الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة بني مدار

مجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس .

حسن ابراهيم حسن :

- ١٨٥ — اثر العامل الديني في قيام دولة المرابطين
بالمغرب ، مجلة الاقلام ، الجزء السابع
السنة الرابعة ، اذار ١٩٦٨ م .

حسين مؤنس :

- ١٨٦ — الثغر الأعلى الاندلسي في عصر المرابطين ،
مجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة ، المجلد
الحادي عشر الجزء الثاني ١٩٤٩ م .

- ١٩٠ — السيد الكبيطور ، المجلة التاريخية المصرية ،
المجلد الثالث العدد الاول مايو ١٩٥٠ م .

- ١٩١ — نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين
الى الموحدين ، مجلة المعهد المصري

للدراستات الاسلامية في مدريد ، المجلد

الاول العدد الثالث ١٩٥٥ م .

- ١٩٢ — سيج وثائق جديده عن دولة المرابطين
وايامهم في الاندلس ، صحيفة المعهد

المصري للدراسات الاسلامية في مدريد ،

المجلد الثاني العدد الاول والثاني ،

١٩٥٤ م .

- ١٩٣ — الجغرافية والجغرافيون في الاندلس ، صحيفة

معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، المجلد

التاسع والعاشر ١٩٦١ — ١٩٦٢ م .

والمجلد الحادي عشر والثاني عشر ١٩٦٣ —

١٩٦٤ م .

خليل السامرائي :

- ١٩٤ — — الجزائر الشرقية في ايام الطوائف ، مجلة التربية
والعلم ، كلية التربية ، جامعة الموصل ١٩٧٩م .

الطيرايسي احمد اعراب :

- ١٩٥ — — الاصوات النضالية والانتمائية في الشعر الاندلسي ،
مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر — ابريل —
مايو — يونيو ، ١٩٨١م .

عباس حلمي :

- ١٩٦ — — المدارس الاسلامية ودور العلم وعمارتها الاثرية
وتاريخها وتخطيط عمارتها ، مجلة كلية الشريعة
والدراسات الاسلامية — مكة المكرمة ، العدد
الثالث ١٣٩٧ / ١٣٩٨ هـ .

عباس الجباري :

- ١٩٧ — — اثر الاندلس على اوربا في مجال النظم والايقاع ،
مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر — ابريل —
مايو — يونيو ١٩٨١م .

عبد البصير حسين :

- ١٩٨ — — رأى في القاب الموشح ونشأة فن التوشيح ،
مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية — مكة
المكرمة — السنة الاولى العدد الاول ١٣٩٣ /
١٣٩٤ هـ .

عبد الرحمن بدوي :

- ١٩٩ — — رسائل جديدة لابن باجه ، صحيفة معهد الدراسات
الاسلامية في مدريد ، المجلد الخامس عشر ١٩٧٠م .

عبد الله كتون :

- رسالة الكاتب ابن أبي الخصال التي نال فيها من — ٢٠٠
كرامة المرابطين ، مجلة المجمع العلمي العربي
بدمشق ، المجلد الخامس والثلاثون الجزء
الرابع ربيع الآخر ١٣٨٠ هـ .

عبد الخليم عويس :

- رحلة الى بلاد الطميين ، مجلة الفيصل — ٢٠١
العدد ٣٦ مايو — ابريل ١٩٨٠ م .

عبد الحال عبد المنعم الشامي :

- جغرافية المدن عند العرب ، مجلة عالم الفكر ، — ٢٠٢
المجلد التاسع العدد الاول ١٩٧٨ م .

عبد العزيز بن عبد الله :

- الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب ، — ٢٠٣
مجلة الدار العدد الثالث ، مارس ١٩٨٠ م .

عبد الحلي الودغيري :

- المعجم العربي في الاندلس ، مجلة عالم — ٢٠٤
الفكر ، المجلد الثاني عشر ابريل — مايو —
يونيو ١٩٨١ م .

محمد ادريس العلمي :

- الحركة الدينية في عهد المرابطين ، مجلة — ٢٠٥
دعوة الحق ، العدد الثالث ديسمبر ،
١٩٦٢ م .

محمد باقر الحسيني :

- الكنى والالقب على نقود المرابطين والموحدين — ٢٠٦

في شمال افريقيا والاندلس ، مجلة — سومر ،
المجلد الثلاثون ١٩٧٤م .

محمد مفتاح :

— ٢٠٧ — مفهوم الجهاد والاتحاد في الادب الاندلسي ،
مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر ، ابريل
مايو — يونيو ١٩٨١م .

محمود علي مكسي :

— ٢٠٨ — وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطيين ،
صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ،
المجلد السابع والثامن ١٩٥٩ — ١٩٦٠م .

The Encyclopaedia of Islam .

===

محتويات الرسائل

محتويات الرسالة

=====

الموضوع	الصفحة
=====	=====
١ - المقدمة	١ - ٩
٢ - بحث في اهم المصادر والمراجع	١٠ - ٣٠
٣ - تمهيد : نبذة عن احوال العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي	٣١ - ٥٧
٤ - الباب الاول :	
الاحوال الداخلية في دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف	٥٨ - ١٤١
٥ - الفصل الاول :	
ولاية امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين	٥٩ - ٦٩
٦ - الفصل الثاني :	
الثورات والفتن في المغرب والاندلس (٥٠٠ -	
٥٣٧ / ١١٠٦ - ١١٤٢)	٧٠ - ٩٢
٧ - ثورة فاس ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م	٧١ - ٧٤
٨ - ثورات الاندلس (٥٠٠ - ٥١٤ هـ /	
١١٠٦ - ١١٢٠ م)	٧٥ - ٩٢
٩ - ثورة ابي بكر بن علي بن يوسف	
٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م في غرناطة	٧٥ - ٧٦
١٠ - ثورة ابن الحاج ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م في قرطبة	٧٦ - ٧٨
١١ - شغب اهالي غرناطة واشبيلية	٧٩ - ٨٠

د — ثورة اهالي قرطبه ٥١٣ أو ٥١٤ /

١١١٩ أو ١١٢٠ م . ٨١ — ٨٢

هـ — ثورة العامه في قرطبه علي

اليهود ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م . ٨٣ — ٨٥

و — ثورة العامه في قرطبه ضد

القاضي ابن رشد ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م . ٨٦

ز — ثورة العامه في اشبيليه ضد القاضي

ابن العربي ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م . ٨٧ — ٩٢

الفصل الثالث

— ثورة محمد بن تومرت (٥١٤ هـ — ٥٣٢ هـ /

١١٢٠ — ١١٤٢ م) ٩٣ — ١٤١

الباب الثاني :

العلاقات السياسية للمرابطين مع العالم الاسلامي ١٤٢ — ١٩١

الفصل الاول

— العلاقات السياسية للمرابطين مع بني هود في

سرقسطه وروطه ١٤٥ — ١٧٦

الفصل الثاني

— العلاقات السياسيـه للمرابطين مع الدول الاسلاميه

في المغرب والمشرق ١٧٧ — ١٩١

ا — مع بني زيري في افريقيـه ١٧٨ — ١٨١

ب — مع الدولة العبـاسـيـه ١٨٢ — ١٨٩

ج — مع الدولة الفاطميـه ١٩٠ — ١٩١

الباب الثالث

جهاد علي بن يوسف بن تاشفين ضد الممالك والامارات

الاسبانيه النصرانيـه . ١٩٢ — ٢٧١

الفصل الاول

- ١٩٢ — ٢٣٢ جهاده ضد مملكة قشتاله وقلمريه
- ٢٠٥ — ٢١٣ — موقعة اقليش
- ٢١٣ — ٢١٧ — غزو اراضي قشتاله عام ٥٠٣هـ / ١١٠٩م
- ٢١٧ — ٢١٨ — غزو الامير سيربن ابي بكر لغرب الاندلس
- غزوات المرابطين لاراضي قشتاله ٥٠٤ —
- ٢١٨ — ٢٢٦ ٥٢٦هـ / ١١١ — ١١٣٢م
- ٢٢٦ — ٢٢٨ — موقعة قرب الزلاقيه
- ٢٢٨ — ٢٣١ — موقعة فحص البكار

الفصل الثاني

- ٢٣٣ — ٢٧١ جهاده ضد مملكة ارغونه وامارة برشلونه
- ٢٣٨ — ٢٤١ — موقعة البورت
- ٢٤١ — ٢٤٤ — موقعة كتنديه
- ٢٤٤ — ٢٥٣ — غزوة المحارب الكبرى للاندلس
- ٢٥٣ — ٢٥٨ — موقعة القلاعيه
- ٢٥٨ — ٢٦٣ — موقعة افراغيه
- ٢٦٤ — ٢٧١ خضوع الجزائر الشرقيه لسلطان المرابطين

الباب الرابع

اهم مظاهر التطور الحضاري في دولة المرابطين في

- ٢٧٢ — ٤٥٦ عهد علي بن يوسف بن تاشفين

الفصل الاول

- ٢٧٣ — ٣٠٨ نظم الحكم والاداره
- ٢٧٤ — ٢٨٢ — النظام السياسي والاداري
- ٢٨٣ — ٢٩٢ — الجيش والاسطول

٣٠٨ — ٢٩٣

— القضاء —

الفصل الثاني

٣٤٣ — ٣٠٩

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

٣٣١ — ٣١٠

— الحياة الاقتصادية —

٣١٥ — ٣١٣

١ — الزراعة

٣٢٥ — ٣١٦

٢ — التجارة

٣١٧ — ٣١٦

١ — التجارة الداخلية

٣٢٥ — ٣١٨

ب — التجارة الخارجية

٣٢٨ — ٣٢٦

٣ — الصناعة

٣٣١ — ٣٢٩

٤ — موارد بيت المال

٣٤٣ — ٣٣٢

— الحياة الاجتماعية —

الفصل الثالث

٤٢٠ — ٣٤٤

الحركة الفكرية

٣٧٤ — ٣٦٢

— الدراسات الشرعية —

٣٦٥ — ٣٦٣

١ — الحديث

٣٦٧ — ٣٦٦

٢ — القراءات والتفسير

٣٦٩ — ٣٦٨

٣ — الفقه والاصول

٤ — احراق كتاب احياء علوم الدين

٣٧٤ — ٣٧٠

لابي حامد الفزالي

٤٠٠ — ٣٧٥

— الدراسات الادبية —

٣٨٦ — ٣٧٨

١ — الشعر

٣٩٢ — ٣٨٦

٢ — فن الزجل والتوشيح

٣٩٨ — ٣٩٢

٣ — النثر

٤٠٠ — ٣٩٩

٤ — النحو

٤١٠ - ٤٠١ - الدراسات الانسانية

٤٠٤ - ٤٠١ ١ - الجغرافيا

٤٠٢ - ٤٠٥ ٢ - التاريخ والانساب

٤١٠ - ٤٠٨ ٣ - الفلسفة

٤٢٠ - ٤١١ - الدراسات الطبيعية

٤١٧ - ٤١١ ١ - الطب

٤٢٠ - ٤١٨ ٢ - الصيدلة والكيمياء

الفصل الرابع

٤٥٦ - ٤٢١ العمارة والفنون الاسلامية

٤٣١ - ٤٢٤ ١ - العمارة المدنية

٤٤١ - ٤٣٢ ٢ - العمارة الدينية

٤٤٩ - ٤٤٢ ٣ - العمارة العسكرية

٤٥٦ - ٤٥٠ ٤ - الفنون الزخرفية

٤٥٢ - ٤٥١ ١ - الزخارف النباتية

٤٥٦ - ٤٥٢ ب - الخط العربي

٤٦٥ - ٤٥٧ الخاتمة

الملاحق

٤٧١ - ٤٦٦ وثائق لم تنشر عن عصر المرابطين

ملحق رقم (١)

٤٦٧ عقد لاثبات ثورة ابن زيفل •

ملحق رقم (٢)

رسالة علي بن يوسف بن تاشفين الى الافضل

٤٦٩ - ٤٦٨ ابن بدر الجمالي •

